



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



الرمضان
عليكم يا صابرين

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم

الولاية قطب القرآن عليها تستدير محكماته
الجزء الثاني

بحوث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد السند

تأليف الشيخ محسن الجصاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير امومه الولايه و المحكمات للقرآن الكريم ، الولايه قطب القرآن عليها تستدير محكماته

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

موسسه الامام الصادق (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٥	تفسیر امومه الولایه و المحکمات للقرآن الکریم ، الولایه قطب القرآن علیها تستدیر محکماته المجلد ٢
١٥	اشاره
١٥	اشاره
١٨	هویه الکتاب
١٩	القاعده الخامسهقاعده الجری فی التعبير لا التطبيق
١٩	اشاره
٢٣	المقدمه
٣٥	قاعده الجری بمعنی تطبیق أو تعیین
٣٥	اشاره
٣٦	الأمر الأول: معنی القاعده:
٣٧	الأمر الثاني: مدرک القاعده:
٤٧	تفسیر لقاعده الجری والتطبیق أو التغبیر
٤٧	اشاره
٤٧	توطئه:
٥٣	القاعده الأولى: الألفاظ وضعت للغایات لا للمبادئ
٥٣	اشاره
٥٧	تعریف الشئ بغایته من أكمل تعاریف الشئ
٥٩	تأکید القرآن وأهل البیت علیهم السلام
٦١	العلاقه بین القاعدتین
٦١	خذ الغایات واترك المبادئ والجری والتطبیق أو التعبير
٦٣	القاعده الثانيه: هل اللغه ألفاظ وأصوات فقط
٦٣	اشاره
٦٤	عالم المعانی لغه من اللغات:

٦٩	مطلب هام ذى صلة بالمقام
٧٣	الأقوال أو النظريات فى تفسير قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير
٧٣	اشاره
٧٩	تميز حقيقه المدلول الاستعمالى عن الجدى:
٨٣	الفرق بين المعنى التنزىلى والمعنى التأوىلى والاستعمالى:
٨٧	وأما معنى التعبير ب اللفظ تنزيله هكذا:
٨٧	بيان موقف:
٨٩	خواص ومميزات النظرية الأولى
٩٣	النظرية الثانية فى قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير
٩٣	اشاره
٩٣	قاعده الجرى والتطبيق (أو التعبير)
٩٣	لا تختص بنظام الاستعمال اللفظى:
١٠١	التعبير والترجمان جرى ولغه تفاهم
١٠١	بين العالم الربوبى وعالم المخلوقات:
١٠٣	أوسعته تعدد المعانى بمقتضى النظرية الثانية
١٠٣	اشاره
١٠٦	تنبيهان
١١٠	ربما يعبر عن علم التشريع والتنظير بعلم الشريعة:
١١٢	عزل التطبيق عن التنظير يُعدم التصنيف الموضوعى
١١٢	للآيات حسب النظرية الأولى:
١١٣	عدم جرى أصناف الآيات حسب النظرية الأولى
١١٣	فى موضوع أصناف أخرى من الآيات:
١١٨	تماهى حدود الآيات بمقتضى النظرية الأولى
١١٨	وانضباطها على النظرية الثانية:
١٢٣	عموم التخاطب والمشافهه فى قاعده
١٢٣	الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير

- ١٢٣ تعمق إشكال حجّيه الظهور بالمخاطبين والمشافهين:
- ١٢٥ هل التأويل حاكم على التنزيل (التفسير) أو العكس
- ١٢٩ علم التأويل المتأخر رتبته
- ١٢٩ اشاره
- ١٣٠ تعدد علم التأويل ومفارقته عنّ التفسير:
- ١٣٣ منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات
- ١٣٧ المحور الأساسى فى قاعده الجرى
- ١٤٣ الفوارق العمليه بين النظريتين
- ١٥٣ عالم التطبيق لا صلّه له بالألفاظ والمعانى الذهنيه
- ١٥٣ اشاره
- ١٥٥ النظرية الثّانية تُسائل النظرية الأولى:
- ١٥٩ المخاطب الأصلي فى القرآن هو النبى وأهل بيته
- ١٥٩ اشاره
- ١٦١ ولاده الروح أعظم من ولاده البدن:
- ١٦١ وقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير:
- ١٦٥ المصاديق الأتم للطبيعه تتجلى فيها آثار الطبيعه
- ١٦٥ اشاره
- ١٦٦ تعدد مراتب المعنى الجدى:
- ١٦٨ تعدد كلّ مراحل المعانى:
- ١٧١ تعالى معانى القرآن على النّظريّه الثّانية:
- ١٧٢ تنوّع دلالة الآيه الواحد فى علوم شتى
- ١٧٢ على النّظريّه الثّانية:
- ١٧٥ قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير
- ١٨١ قاعده الجرى واستفاده التوحيد فى عالم الصفات
- ١٨٧ منهج أمومه الولايه يرسم منهج نظريه المعرفه الدينيه
- ١٨٧ اشاره

- ١٨٨ جداره تفسير القرآن بالقرآن لِلسَّيِّدِ العلامه الطباطبائى قَدَسَ سزَه:
- ١٩١ القاعده: قاعده فى موقعها الصحيح -
- ١٩٣ التفاتان وثمرتان نفيستان فى قاعده الجرى
- ١٩٣ اشاره
- ١٩٤ الحقيقه اخرى بالاتباع:
- ١٩٤ إعاده كتابه قواعد علم البلاغه
- ١٩٤ عَلى ضوء علم الألسنيات وتعدد القراءه:
- ٢٠١ علم التأويل يزىل تشابه القرآن
- ٢٠٥ التفسير بالمأثور وشموليته
- ٢١١ أمومه التأويل
- ٢١١ اشاره
- ٢١٣ النمط الأول: ثمره عاقته:
- ٢١٥ النمط الثانى: الثمره الخاصه
- ٢١٥ لقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير:
- ٢١٥ الثمره الأولى: تحديد علم التأويل فى القرآن عَنْ تفسيره:
- ٢١٧ علم التأويل قطب تدور عليه قطب رحى علم تفسير القران
- ٢١٧ قطب رحى علم تفسير القرآن:
- ٢١٩ التفسير والتأويل جناحان فى القرآن الكريم:
- ٢٢١ تلاوه المعانى أهم من تلاوه الألفاظ فى القرآن الكريم
- ٢٢٥ أمثله تطبيقيه لقاعده الجرى
- ٢٢٥ اشاره
- ٢٣١ تنوع الاستفاده مِنْ الآيه الواحده
- ٢٣١ لعلوم شتى عَلَى النَّظَرِيَّه التَّانِيه:
- ٢٥١ الإمامه والعمل الأمنى
- ٢٤٣ اهتمام القرآن بجانب الشرور الواقعه جرياً كقاعده
- ٢٤٣ اشاره

- ٢٦٥ تنبيه هام
- ٢٦٨ خاتمه
- ٢٧١ القاعدة السادسة:قَاعِدَةُ الذِّكْرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
- ٢٧١ اشاره
- ٢٧٣ قَاعِدَةُ الذِّكْرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
- ٢٧٣ اشاره
- ٢٧٥ الذِّكْرُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
- ٢٩٣ الإعجاز البلاغى فى القرآن
- ٢٩٣ اشاره
- ٢٩٤ حقيقه الإعجاز فى القرآن وصله ذلك بأن حقيقته ذكر: ..
- ٣٠٩ السر فى عدم اكتشاف إعجاز القرآن
- ٣٠٩ اشاره
- ٣١٢ طبيعه حقيقه القرآن أنه يفعل كل علم: ..
- ٣١٥ ما معنى الذكر
- ٣١٥ اشاره
- ٣١٧ من الضروريات للمفسر تأسيس الجنبه العلميه
- ٣١٩ الذكر بمثابه الأصل الذى ينحدر منه القرآن الكريم:
- ٣٢١ ضروره تأسيس الجانب العملى للمفسر فى قَاعِدِهِ الذِّكْرِ:
- ٣٢٢ الحقيقه لا تقتنص بالتنظير الفكرى فقط: ..
- ٣٢٣ تأثير العدالة والتقوى على الجانب العملى:
- ٣٢٧ الشعائر الحسينيه وقَاعِدِهِ الذِّكْرِ:
- ٣٢٨ الطهاره الروحيه ودخالته فى جانب التفسير:
- ٣٢٩ أهم مميزات قَاعِدِهِ الذِّكْرِ
- ٣٢٩ اشاره
- ٣٣١ الفرق بين الندبه بالذكر والندبه بالنياحه:
- ٣٣٣ ارتباط حقيقه الذكر بالوحى

- الذكر ميزانٌ في الكشف عن الوحي: ٣٣٣
- أهم الشرائط المعتبره في المُفسّر للقرآن الكريم ٣٣٥
- الإشارات القرآنيه للخواص ولطائفه للأولياء ٣٣٩
- اشاره ٣٣٩
- لَيْسَ كُلُّ تَهْدِيبٍ أَخْلَاقِي ذَكَرَ: ٣٤٤
- صفتان مختصتان بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله: ٣٤٦
- تنفّه عقائديه: ٣٤٨
- طبيعه العلاقه بين قواعد منهج أمومه الولايه ٣٥٥
- اشاره ٣٥٥
- قَاعِدِہ الذکر بالمعنى الذى ذكرناه: ٣٥٧
- المعاني الأخرى لقاعده الذكر: ٣٥٨
- الفرق بين نداء القرآن ٣٥٩
- وعرض أصحاب علم الهندسه الصوتيه: ٣٥٩
- الفرق بين القرآن الكريم كقاعده ذكر وبين الشعر: ٣٦١
- كيفية اكتشاف قواعِد الذكر: ٣٦٤
- الذكر نظام في العلوم يُوظفها إلى الكمال ٣٦٧
- قَاعِدِہ الذکر: قَاعِدِہ استراتيجيه ٣٦٧
- أو ناظوم لعلوم التفسير وميزان معادلي: ٣٦٧
- الذكر: هُوَ أحد معاني أشهر أنك تلوت الكتاب حق تلاوته: ٣٦٨
- يفترق تفسير المعصوم عليه السّلام عن غير المعصوم: ٣٦٩
- المفسر الناجح من يستطيع التمييز بين الآيه الأم وغيرها ٣٧١
- بل اكتشاف مجموع الآيات التي تشكل نظام ٣٧١
- ومنظومه الأمومه في القرآن ٣٧١
- علاقه قَاعِدِہ الذکر بمنهج أمومه الولايه على المخّمات: ٣٧٤
- أهميه وخطوره علم التفسير ٣٧٨
- في تنظيم متطلبات أفراد المجتمع في يومياتهم: ٣٧٨

- ٣٧٩ فرق القرآن الذى يقودك إلى الذكر
- ٣٧٩ عَنْ بَقِيَّةِ الْعُلُومِ الرُّوحِيَةِ الْآخَرَى
- ٣٧٩ الَّتِي لَا تَقُودُكَ إِلَى حَالِهِ الذِّكْرُ:
- ٣٨٥ علم التفسير هُوَ للمفسر الناجح
- ٣٨٥ الذى يلبى حاحه البشر أينما كَانَتْ:
- ٣٨٩ أهم ثلاث مميزات لقاعده الذكر
- ٣٩١ القَاعِدَةُ السَّابِعَةُ: الأمثال فى القرآن الكريم
- ٣٩١ اشاره
- ٣٩٣ الفهرس الإجمالى لقاعده الأمثال
- ٣٩٧ القاعده السابعة: قاعده الأمثال
- ٣٩٧ اشاره
- ٤٠١ الكلام فى قاعده الأمثال يقع فى جهات
- ٤٠١ الجِهَةُ الْأُولَى: المعنى اللغوى والاصطلاحى:
- ٤١٥ الجِهَةُ الثَّانِيَةُ: نذكر فيها أمرين:
- ٤١٥ اشاره
- ٤١٥ الأمر الثَّانِي: مدرك القَاعِدَةُ مِنْ الآيات والروايات:
- ٤٢٢ قراءه الأمثال بلغه عقليته فكريته:
- ٤٢٥ الجِهَةُ الثَّلَاثَةُ: القرآن الكريم اعتمد أسلوب المَثَل
- ٤٢٥ مِنْ ضمن أساليب عديده اعتمدها،
- ٤٢٥ كَمَا نَبَّهَتْ عَلَيْهِ رِوَايَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
- ٤٢٦ الجِهَةُ الرَّابِعَةُ: ارتباط أسلوب المَثَل بالتعريض:
- ٤٢٦ اشاره
- ٤٢٧ المثل تسميه واسم ولقب وتوصيف وعيّر وآيه:
- ٤٢٩ الترادف العقلى:
- ٤٣٠ الترادف الوجودى:
- ٤٣٨ الأحكام الشرعيه السابقه يمكن أن تكون مثلاً:

- ٤٣٩ الفرق بين المَثَلِ البلاغى والمَثَلِ القرآنى:
- ٤٣٩ المثل فى علم البلاغه تشبيه له حقيقه
- ٤٣٩ حسب نظريه الشَّيْدِ علامه الطباطبائى قَدَسَ سزَه:
- ٤٤٣ العلاقه بين قاعده المثل، وقاعده الجرى
- ٤٤٣ اشاره
- ٤٤٣ الجبهه السَّادسه: نظام حقائق القرآن:
- ٤٤٧ المثل منهج معرفى
- ٤٤٧ الجبهه السابعه: أساليب القرآن الثمانيه
- ٤٤٧ برهانيه وليست لمجرد إقناع:
- ٤٤٧ عموم البرهان يُكَلِّ العلوم وقوى النفس:
- ٤٤٩ عموم الكشف البرهاني والشهود
- ٤٤٩ والبرهان العيانى يُكَلِّ قوى النفس:
- ٤٥٠ الفوارق بين القسمين:
- ٤٥٩ الجبهه الثَّامنه
- ٤٥٩ الفرق بين ضرب المثل، وجعل المثل، وضَرْف المثل
- ٤٤٣ الفرق بين ضرب المَثَلِ وضَرْف المثل:
- ٤٤٥ الجبهه التَّاسعه: حقيقه استعمال المَثَلِ
- ٤٤٥ فى القرآن الكريم والحقائق القرآنيه:
- ٤٤٩ الجبهه العاشره: ليس كمثله شىء
- ٤٧٥ الأوصاف القرآنيه للجنه حقائق أم تمثيل
- ٤٧٥ الجبهه الحاديه عشر:
- ٤٧٥ اشاره
- ٤٧٧ قَاعِدَه المثل ونظريه المعاد:
- ٤٧٩ الجبهه الثَّانيه عشر: إِنَّ قصص الأنبياء والمرسلين
- ٤٧٩ والمصطفين مثل لآل مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فى القرآن الكريم:
- ٤٨٢ بيان القرآن لحقيقه عظيمه فى قصص الأنبياء:

- ٤٨٤ نماذج التفضيل القرآني لأهل البيت عليهم السّلام
- ٤٨٤ غلّي بقتّه أنبياء أولى العزم عليهم السّلام:
- ٤٨٨ الأمثال غلّي طبقات كذلّك الأسماء:
- ٤٨٩ حالات الأسماء:
- ٤٨٩ حقيقته الاسم الإلهي:
- ٤٩٠ الغرض من مبحث الأسماء:
- ٤٩٥ صلّه وطيدّه بين حقيقته الإمامه والولاية
- ٤٩٥ وحقيقته القرآن وعلاقتها بقاعده الأمثال:
- ٤٩٨ أحاديثه البعد والقول في النظر
- ٤٩٨ سبب انحراف بعض الفرق المحسوبه غلّي الإسلام:
- ٥٠١ الأمثال غلّي طبقات:
- ٥٠٣ صلّه قاعده الأمثال بأقسام الوحي وأنواعه وأسراره
- ٥٠٣ اشاره
- ٥٠٥ صلّه أنّ للقرآن ظهر وبطن بمبحث الأمثال:
- ٥٠٦ لماذا لم تذكر دلالات إمامه أهل البيت عليهم السّلام
- ٥٠٦ في القرآن كما في ذكر موسى وعيسى عليهم السّلام:
- ٥٠٦ نتفه عقائديه:
- ٥٠٧ لم يصرّح القرآن الكريم بأنّ قصص الأنبياء عبره:
- ٥١١ الجبهه الثالثه عشر: تقابل مثل أهل البيت عليهم السّلام
- ٥١١ وأعداؤهم في القرآن:
- ٥١١ البرهان الأوّل: برهان العبره في المثل:
- ٥١٢ البرهان الثّاني: برهان الجرى:
- ٥١٥ توسعه القاعده عموميه الجبهه والقاعده
- ٥١٥ اشاره
- ٥١٦ البرهان الثّالث: المثل والأمثال
- ٥١٦ اسم وتسميه وتوصيف ووصف:

٥١٧	البرهان الزايع:
٥٢١	الجهه الرابعه عشر:
٥٢٣	المثل الأعلى ومثل السوء
٥٢٣	الجهه الخامسه عشره:
٥٢٧	السير فى المعرفه لا ينتهى
٥٢٧	اشاره
٥٢٧	الجهه السادسه عشر: أن الذى لا يعتبر
٥٢٧	ولا يعبر بالمثل إلى ما وراء يضل:
٥٢٨	الجهه السابعه عشر: الثمره الكبرى لقاعده المثل:
٥٢٨	اشاره
٥٣٨	الطعون الوارده عليهم مما أثار إعجاب المفضل:
٥٣٩	تميز الإمام بين الحق من كلامهم
٥٣٩	والباطل وبيان أساس الانحراف:
٥٤٣	نسبه القول بكفايه العقيده
٥٤٣	عن العمل إليهم وتفسير الإمام عليهِ السلام لها:
٥٥٣	فهرس الموضوعات
٥٦٦	تعريف مركز

تفسیر امومه الولایه و المحکّمات للقرآن الکریم ، الولایه قطب القرآن علیها تستدیر محکّماته المجلد ۲

اشاره

سرشناسه: جصانی، محسن

عنوان و نام پدیدآور: تفسیر امومه الولایه و المحکّمات للقرآن الکریم [کتاب]: الولایه قطب القرآن علیها تستدیر محکّماته / تالیف محسن الجصانی؛ [محقق و مقدمه نویس] بحوث سماحه محمد السند.

مشخصات نشر: تهران: موسسه الصادق الطباعه والنشر، ۱۳۹۲.

فروست: الموسوعه التفسیریة؛ ۱

شابک: ۹۷۸-۹۶۴-۵۶۰۴-۹۷-۲

یادداشت: عربی.

موضوع: تفسیر -- فن

موضوع: قرآن -- علوم قرآنی

شناسه افزوده: عابدینی، حسین، ۱۳۴۹ - ، مقدمه نویس

رده بندی کنگره: BP۹۱/۵/ج۶ت ۷ ۱۳۹۲

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۵۱

شماره کتابشناسی ملی: ۳۳۵۷۱۲۷

ص: ۱

اشاره

تفسير امومه الولاية والمحكمات للقرآن الڪريم ، الولاية قطب القرآن عليها تستدير محكماته

تاليف محسن الجصانى

محقق و مقدمه نويس بحوث سماحه محمد السند

ص: ٣

هويه الكتاب

عنوان الكتاب: تفسير أمومه الولايه والمحكمات للقرآن الكريم

الجزء الثاني

لسماحه المرجع الدينى الشيخ الأستاذ محمد السند دام ظله

المؤلف الشيخ محسن الجصانى

الطبعه الأولى لسنة ٢٠١٦

عدد الصفحات ٥٥٢ صفحه

الإخراج الفنى السيد عبدالله الهاشمى

حقوق الطبع محفوظه

ص:٤

الفهرس الإجمالى لقاعده:

الجرى فى التعبير لا التطبيق:

* المقدمه.

* معنى القاعده.

* مدرك القاعده.

* تعريف الشىء بغايته أكمل التعاريف.

* القاعده الثانيه: هل اللغه ألفاظ وأصوات فَقَطْ أم نفس المعنى.

* النظرية الأولى فى قاعده الجرى للسيد مُحَمَّد حسين الطباطبائى. وخواصها ومميزاتها.

* النظرية الثانيه فى قاعده الجرى عَلَى ضوء ومختار منهج أمومه الولايه عَلَى المحكمات فى القرآن.

* أوسعيه تعدد المعانى عَلَى النظرية الثانيه.

* هل التأويل حاكم عَلَى التنزيل (التفسير) أو العكس.

* الفوارق العمليه بين النظريتين فى قاعده الجرى.

* منهج أمومه الولايه يرسم منهاج نظريه المعرفه الدينيه.

* ثمرتان مهمتان.

* علم التأويل يزيل تشابه القرآن.

* أمومه التأويل.

* ثمره قاعده الجرى والتطبيق.

* تلاوه المعانى أهم من تلاوه الألفاظ فى القرآن.

* أمثله تطبيقه لقاعده الجرى.

* الإمامه والعمل الأمنى.

* لماذا يُؤكّد القرآن على ذكر جانب الشرّ.

* معنى العبور فى قاعده الجرى.

ص: ٦

المنهج التفسيري لأموه الولايه على المحكمات

فضلاً عن المتشابهات في القرآن

القاعده الخامسه

قاعده الجرى في التعبير لا التطبيق

ص: ٧

التعبير بقاعده الجرى بمعنى التطبيق عَلَى ما هُوَ المشهور المعاصر عندهم، والتعبير بقاعده الجرى بمعنى التعبير أَى الجرى فى المعانى والحقائق عَلَى وفق المنهج التفسىرى لأمومه الولايه عَلَى المحكمات فضلاً عَن المُتشابهات فى القرآن.

ونذكر فيها ما يلى:

أولاً: إِنَّ قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير لها أصلٌ فى بيانات القرآن الكرىم كَمَا فى قوله تَعَالَى: (وَ مَا يَغْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرّاسِخُونَ فى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا) (١) وقوله تَعَالَى: (يَوْمَ يَأْتى تَأْوِيلُهُ) (٢) و(إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) (٣) وغيرها كَمَا سوف يَتَضَح فى محله إِنْ شاء الله تَعَالَى.

وكذلك لقاعده الجرى أصلٌ فى روايات أهل البيت عليهم السّلام، كَمَا فى

ص: ٩

١- (١) سورة آل عمران: الآيه ٧.

٢- (٢) سورة الأعراف: الآيه ٥٣.

٣- (٣) سورة الرعد: الآيه ١٧.

روايه مُحَمَّد بن الحسين عَنْ مُحَمَّد بن إِسماعيل عَنْ منصور بن يونس عَنْ ابن أذينة عَنْ فَضيل بن يسار، قَالَ: سألتُ أبا جعفر عليه السَّلام عَنْ هَذِهِ الروايه: - ما مِنْ القرآن آيه إِلَّا ولها ظهر وبطن، قَالَ ظَهْرُه (تنزيله) وبطنه تأويله وَمِنْهُ ما قَدْ مضى، وَمِنْهُ ما لَمْ يكن يجرى كَمَا تجرى الشمس والقمر، كُلُّ ما جاء تأويل شيء يكون عَلَى الأموات، كَمَا يكون عَلَى الأحياء (وَ ما يَعْلَمُ تأويله إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) نحن نعلمه (١).

وَقَدْ قُرِّرَ فِي مَفَادِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ الْمُسْتَنْبَطَةُ نَظْرِيَّتَانِ:

النظريه الأولى: فِي قَاعِدَةِ الْجَرَى فِي التَّعْبِيرِ لَا التَّطْبِيقِ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ مُتَأَخَّرِي الْمَفْسَرِينَ (٢).

وحاصلها: إِنَّ الآياتِ الْقُرْآنِيَّةِ اسْتَعْمَلَتْ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ كُلِّيٍّ وَمَا ذُكِرَ مِنْ تَأْوِيلَاتٍ فِي الرِّوَايَاتِ هِيَ بِمِثَابَةِ الْمَصَادِقِ لِذَلِكَ الْمَعْنَى الْكُلِّيِّ (٣)، وَلَا يَنْحَصِرُ الْمَعْنَى الْكُلِّيُّ فِي مَصْدَاقٍ بَعِيْنِهِ وَإِرَادَةُ الْمَوَارِدِ الْمَخْتَلِفَةِ لَيْسَ مِنْ بَابِ إِرَادَتِهَا فِي مَقَامِ الْاسْتِعْمَالِ وَالْمَعْنَى لَا- عَلَى الصَّعِيدِ الْاسْتِعْمَالِي وَلَا- التَّفْهِيْمِي وَلَا الْجَدِّي، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى الْمُرَادُ هُوَ صَرْفُ الْمَعْنَى الْكُلِّيِّ، وَأَمَّا الْمَوَارِدُ فَهِيَ تَطْبِيقَاتٌ صَرْفَهُ مِنْ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَا عِلَاقَةَ بِالذَّلَالَةِ وَالْمَدْلُولِ بِالآيَاتِ.

ص: ١٠

١- (١) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ب ١٣ ص ١٩٦ ح ٤٩.

٢- (٢) كالسيد محمد حسين الطباطبائي والسيد الخوئي والسيد عبدالأعلى السبزواري قدست أسرارهم.

٣- (٣) أي أَنَّ المصداق خارج عن شؤون وقالب الدلالة.

وَعَلَيْهِ فَالْقَاعِدَةُ لَا صَلَاحَ لَهَا بِعَالَمِ الدَّلَالَةِ وَظُهُورِ الآيَاتِ إِلَّا لِتَجْرِيدِ المعنى العام عَنْ خصوصيات المصاديق، وَأَنَّ المعنى الكَلِّي هُوَ محطُّ النظر أولاً وآخراً.

النظريه الثانيه: [قاعده الجرى فى الحقائق أولاً ثم فى المعانى تبعاً] [والجرى هُو جرى فى المداليل] (1).

إنَّ قاعده الجرى فى التعبير لا- التطبيق على مختارنا فى المنهج التفسيري لأومومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات، يكون معناها هُو جرى الآيات فى المعانى والحقائق العينيه فضلاً عن المصاديق، وفى هَذِهِ النظرية يَتَمُّ تقريرها بما يلى: -

إنَّ الموارد الخطيره قَدْ اسْتُعْمِلَ فيها معنى الآيه فى الأصل وتجرى الآيه استعمالاً فى بقيه الموارد، وَأَنَّ الآيات قَدْ استعملت فى الأصل وفى الحقائق الكبرى واستعمالها فى المعنى ظل وتبع لاستعمالها فى الحقائق، فالمعنى ظل الحقيقه لا أَنَّ المعنى العام هُو الأصل وإرادته الحقائق بالتبع كمصداق، فالآيه يجرى استعمالها فى الحقائق جرياً سيالاً ودوّاراً، وبتبعه يجرى استعماله فى المعانى الخاصه والعامه أيضاً، وَهَذَا ما نصطَلح عَلَيْهِ بحسب منهجنا التفسيري المختار أومومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات فى القرآن بقاعده الجرى والتعبير أى العبور مِنْ حقيقه إلى

ص: ١١

١- (١) سواء كان المدلول على صعيد التطبيق أو التعبير على مختارنا فى المنهج التفسيري - أومومه ولايه المحكمات فضلاً عن المتشابهات فى القرآن.

أخرى، وَمِنْ حَقِيقِهِ إِلَى مَعْنَى، وَمِنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى فَضْلاً عَنِ الْعُبُورِ مِنَ الْمَصْدَاقِ إِلَى الْمَصْدَاقِ، وَالْمُرَادُ مِنْ عُنْوَانِ التَّعْبِيرِ نَظِيرَ مَا يُقَالُ فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا وَتَعْبِيرِ الْأَحَادِيثِ وَتَرْجِمَانِ الْوَحْيِ، فَلَيْسَ الْمُرَادُ التَّعْبِيرَ اللَّفْظِي بَلْ تَعْبِيرَ وَعُبُورَ الْحَقَائِقِ الْعُلُويَّةِ إِلَى الرِّقَائِقِ وَالْحَقَائِقِ السُّفْلِيَّةِ مَا دُونَهَا، وَعَلَيْهِ فَإِنَّهُ التَّعْبِيرُ يُوَازِي مَعْنَى التَّأْوِيلِ وَالتَّرْجِمَانِ.

وَالْمَهْمُ فِي النِّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ فِي قَاعِدِهِ الْجَرِي أَنَّهُ تَجْعَلُ الْحَقَائِقَ الْخَارِجِيَّةَ هِيَ الْأَصْلُ فِي الْمُرَادِ الْاسْتِعْمَالِي وَالتَّفْهِيمِي وَالْجَدِي وَالْمَعْنَى الذَّهْنِيَّةِ وَالْمَفْهُومِيَّةِ تَبَعٌ لِلْحَقَائِقِ وَظِلٌّ لَهَا. وَالْآيَةُ كَمَا تَجْرِي فِي الْمَعْنَى كَذَلِكَ تَجْرِي فِي الْمَصَادِقِ وَلَكِنْ كَمَعْنَى وَكَمُرَادٍ لَا شَيْءٌ أَجْنَبِيٌّ عَنِ الْمُرَادِ.

وَهَذَا عَكْسُ النِّظَرِيَّةِ الْأُولَى حَيْثُ تَجْعَلُ الْمَعْنَى هِيَ الْأَصْلَ الْكُلِّيَّ وَالْوُجُودَاتِ الْعَيْنِيَّةِ الْخَارِجِيَّةِ مَجْرَدَ تَطْبِيقَاتٍ لَيْسَتْ مُرَادَهُ بِالْأَصَالِ بَلْ بِالتَّبَعِ تَطْبِيقًا، وَأَنَّ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ السَّارَى وَالْجَارَى فِي الْجَامِعِ بَيْنَ الْمَصَادِقِ.

بَيْنَمَا فِي النِّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ تَجْعَلُ مَقْصِدَ الْمَقَاصِدِ فِي الْمُرَادِ وَالْمَدُولِ مِنَ الْكَلَامِ هُوَ الْحَقِيقَةُ الْخَارِجِيَّةُ وَالْوَاقِعَةُ خَارِجًا، وَالْمَعْنَى إِنَّمَا هُوَ انْعِكَاسٌ لِلْحَقِيقَةِ الْخَارِجِيَّةِ وَعَلَى ضَوْءِ ذَلِكَ فَالْجَرِي إِنَّمَا هُوَ مِنْ حَقِيقَةٍ عَيْنِيَّةٍ عَلِيًّا إِلَى مَرَاتِبٍ مُتَنَزِّلَةٍ أُخْرَى لِلْحَقِيقَةِ الْعَيْنِيَّةِ كَرَقَائِقٍ لِلْحَقِيقَةِ الْأَصْلِيَّةِ وَمِنْ ثَمَّ تَنْعَكُسُ الْمَعْنَى وَالْمَفَاهِيمُ عَنِ مَرَاتِبِ الْحَقَائِقِ، فَالْجَرِي فِي هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَوْلَى وَبِالذَّاتِ فِي مَرَاتِبِ الْحَقِيقَةِ وَبِالتَّبَعِ فِي الْمَعْنَى عَكْسُ النِّظَرِيَّةِ الْأُولَى فَإِنَّ الْجَرِي

والسريان للمعنى الكلى في المصدايق من دون لحاظ حقائق المصدايق.

ثانياً: إنَّ قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير - كما ذُكر في المورد الأوَّل - نوَّهت بها الآيات والروايات الواردة عن أئمه أهل البيت عليهم السَّلام كما سوف يتَّضح كُمل ذلك مُفصلاً في محله المُناسِب - أنَّ الآيات الكريمة إذا نزلت في مورد لا تُجس تلك الآيه على ذلِكَ المورد، يَلُ إنَّ كُلى آيه من كتاب الله العزيز حيَّه بحياه القرآن الكريم وتجرى لإعطاء النور والهدايه للبشر بكُلى موردٍ من الموارد التى تتاب البشر ولكل من الحقب الزمنيه.

ثالثاً: إن هذه القاعده تقع فى نظام الاستعمال اللفظى للقرآن الكريم، ويختلف المعنى باختلاف المناهج التفسيريه فتفسَّر بتفسير مُتعدده وتعطى معانى مُتعدده، ولكنها قاعده متفق عليها ومُستلَّه من القرآن الكريم - كما مرَّ - ومن بيانات وحى بيت النبوه عليهم السَّلام.

وتدلُّ على أنَّ حجَّيه آيات القرآن وحياته مرتبطه بهذه القاعده المُهمَّه والخطيره وعلى ضوء الاختلاف فى المناهج التفسيريه يتمُّ تبين وتفسير ماهيَّه هذه القاعده ويتبع هذا الاختلاف تداعيات عديده فى استثمار وتوظيف هذه القاعده.

رابعاً: من الجدير التنبيه على أنَّ الوارد فى الآيات والروايات هو كلمه الجرى فقَّده، وكلمه التطبيق من إضافات الأعلام مع أنَّ المصداق

والتطبيق هُوَ أحد موارد الجرى لا كُلَّ موارد وأقسام الجرى، ولكن الأعلام حصروه بالتطبيق، هَذَا بحسب ما هُوَ المشهور عندهم.

والصحيح الذى تتبناه النظرية الثانية فى قاعده الجرى حسب منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات فى القرآن هُوَ عدم حصر الجرى - كما فعل المشهور بحصره - وإنما التطبيق هُوَ أحد ميادين الجرى، بَلْ وَحَتَّى ترسيم الدلالة فى الآيات القرآنيه لَهُ علاقته وطيده الصلة بقاعده الجرى.

ولذا يمكننا أن نجرى ترميماً لاسم القاعده وفق منهجنا التفسيري المختار أمومه الولايه على المحكمات ونقول: «الجرى فى كُلِّ مِنَ المعانى وكذلك الحقائق وكذلك المصاديق» وَهَذَا الاسم - كما ذكرنا - لَيْسَ بعيداً عن ترجمان القرآن وَهُمْ أئمه أهل البيت عليهم السَّلام الَّذِينَ هُمْ منبع ومعدن آخر مِنَ القرآن الكريم الَّذِينَ ذكروا لنا فى بياناتهم مناهج تفسيريه عديده فى القرآن الكريم نذكر بعضها: -

منها: علم تعبير القرآن الذى هُوَ مِنْ علوم القرآن وَهُوَ حقائق لا- تعبير أحلام، فالله تَعَالَى يأمر بالعبور مِنْ معنى جَدَى إلى معنى جَدَى آخر وَآخر وَإلى ما وراء الجدِّ جَدُّ، وهكذا لا خلود إلى الأرض وَعَلَيْهِ فيمكن التعدى والعبور مِنْ قوله تَعَالَى: (فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى

الْأَلْبَابِ) (١) وقوله تَعَالَى: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ) (٧) (٢) وغيرهما إلى مَنْ لَمْ يَكُن موجوداً فِي عصر النَصِّ، وَلَمْ يَكُن منشأ للنزول، إِلَّا أَنَّهُ مُتَوَفَّرٌ عَلَى نفس تداعيات وخصوصيات الأمر الذى نزلت فيه الآيه فيمكن حينئذٍ التعدى والعبور، فمثلاً- البيانات النبويه فِي القرآن، كَمَا فِي بيان مريم بنت عمران عليها السَّلَام لَيْسَ المراد الجدى للآيه المباركه فَقَطُّ وَفَقَطُّ شخص وَذَاتَ مريم بنت عمران عليها السَّلَام؛ لِأَنَّ القرآن دائماً، وأبداً يُؤَكِّدُ عَلَى العبور مِنْ مورد الآيه إِلَى كُلِّ موردٍ تتوفر فيه نفس الخصائص، وَأَنَّ كُلَّ مَا ذُكِرَ مِنَ الآياتِ مِنْ مصاديق هُوَ مِنْ باب المثال، ويمكن العبور إِلَى غيره، ولكن وللأسف لو لاحظنا جميعاً كتب المتكلمين وبقية المذاهب الإسلاميه و... الخ، نجدهم لَمْ يعبروا مِنْ المثال الذى ذكره القرآن الكريم كَمَا فِي مثل قصه مريم عليها السَّلَام ويوسف عليه السَّلَام وموسى عليه السَّلَام وعيسى عليه السَّلَام و... الخ فِي بعده العقائدى إِلَى قاعده عقائديه فِي الإسلام إِلَّا فِي مدرسه أهل البيت عليهم السَّلَام، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير لها فضاء ومساحه أخرى مِنْ نظام عالم الاستعمال وَعَلَيْهِ فبحسب النظره الثانيه يمكن العبور والتعدى إِلَى المصداق الأعظم الذى تتعدى إِلَيْهِ الآيه المباركه بالمراد الجدى الثَّانِي والثالث و... الخ ولا تنافى ويمكن العبور

ص: ١٥

١- (١) سورة يوسف: الآيه ١١١.

٢- (٢) سورة يوسف: الآيه ٧.

مثلاً- مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَائِلِينَ (٧) إِلَى الْجَمَالِ الْمُحَمَّدِي وَالْعُلُوِّ وَالْفَاطِمِي وَالْحُسَيْنِي وَ... وَالْمَهْدَوِي - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - كَمَا سَوْفَ تَتَضَحَّ كَيْفِيهِ ذَلِكَ الْعَبُورُ فِي مَحَلِّهِ الْمُنَاسِبِ. وَمِنْ خِلَالِ هَذَا يُعَلِّمُ أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمَشْهُورُ مِنْ اخْتِصَاصِ الْجُرَى بِمَعْنَى التَّطْبِيقِ فِي مَوَارِدٍ لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ لِأَنَّ الْجُرَى أَعَمُّ مِنَ التَّطْبِيقِ.

ومنها: علم تأويل القرآن: وَهُوَ عَلَى أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي الْمَشَارِبِ وَالْمَدَارِسِ، فَمِنْهُ تَأْوِيلُ الْمَعْنَى إِلَى مَعْنَى، بَلْ وَإِلَى مَعَانِيهِ، وَمِنْهُ مَا هُوَ تَأْوِيلٌ وَأَوَّلُ مَعَانِيهِ إِلَى حَوَادِثٍ وَقَائِعٍ خَارِجِيَّةٍ، وَمِنْهُ مَا هُوَ تَأْوِيلٌ وَقَائِعٍ وَحَوَادِثٍ لَوْقَائِعٍ وَحَوَادِثٍ وَرَاءَهَا أُخْرَى وَهَكَذَا ثَالِثُهُ وَرَابِعُهُ... الخ مُتَدَاعِيَةٌ، وَقَدْ يَتَّسَعُ هَذَا التَّدَاعِيُّ وَالتَّمَادِيُّ مِنْ عَالَمٍ إِلَى آخَرَ وَإِلَى نَشْأَةٍ أُخْرَى، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ أَوَّلَ مِنْ الْحَقَائِقِ إِلَى الْمَعَانِي وَإِنْ كَانَ الْأَخِيرَ قَدْ يُسَمَّى بِالتَّنْزِيلِ أَوْ التَّرْجَمَانِ أَوْ عِلْمِ التَّعْبِيرِ أَيْضاً وَمِنْ جَمَلِهِ مَا مَضَى مِنْ أَقْسَامِ التَّأْوِيلِ مَا قَدْ يُسَمَّى بِعِلْمِ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ.

ومنها: علم تنزيل القرآن: - وَهُوَ يَخْتَلِفُ عَنْ تَفْسِيرِهِ وَتَعْبِيرِهِ وَتَأْوِيلِهِ وَتَرْجَمَانِهِ، وَعِلْمُ التَّنْزِيلِ بِالدرْجَةِ الْأُولَى يَبْحَثُ عَنْ مَوَارِدِ وَأَسْبَابِ النُّزُولِ وَالْوَاقِعِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي شَأْنِهَا الْآيَاتُ وَالسُّورُ، وَمَا اِكْتَنَفَتْ تِلْكَ الْوَقَائِعُ وَالْأَحْدَاثُ مِنْ مَلَاسِبَاتٍ كَمَا يَبْحَثُ عَنْ الْحَيْثِيَّةِ الَّتِي

نزلت بلحاظها الآيه أو بَعْض الآيه، كما يبحث علم التنزيل عَنْ تَكَرَّر نزول الآيه وتعداد تلك المواطن وجهه الارتباط بينها، وَقَدْ يلحق بعلم التنزيل علم تلاوه القرآن أَى علم تلاوه الآيه فى حاق مواطنها المستجدّه كُلّ عام، بَلْ كُلّ يَوْمٍ وَكُلّ حين مما يشير إليه لفظ الزياره فى وصف الإمام عليه السّلام «وتلوت الكتاب حق تلاوته» أَى حق المواطن الحقيقه أَى المستحقه بتطبيق الآيه عَلَيْهَا.

خامساً: هُنَاكَ حقيقه لا- بأس بالإشاره إليها وَهِيَ أَنَّ أهل البيت عليهم السّلام ليسوا فَقَطُّ تراجمه القرآن، بَلْ تراجمه الكتب السماويه كُلُّهَا، بَلْ تراجمه كُلّ وحى أَوْحى للأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - وَذَلِكَ لِأَنَّ القرآن مُهِمٌّ عَلَى كُلّ الكتب السماويه مِنْ قبله، فَعَلِمَ خاتم الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَفُوقُ علم جميع الأنبياء وَلَمْ يَرِثْ هَذَا العلم الوحيانى لسيد الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِكَامِلِهِ إِلَّا أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سُورِ وَأَيَاتٍ عَدِيدَةٍ، وَنَصِّ حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ.

وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقْتَنِصُوا لُبَّ مَا أَوْحَى إِلَيْهِمُ الْمَفْرُوضِ يَتَلَقَّوْا ذَلِكَ مِنْ أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى حَدِيثِ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ عَنْ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ وَلَايَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ قَطْبَ الْقُرْآنِ وَقَطْبَ جَمِيعِ الْكُتُبِ عَلَيْهَا يَسْتَدِيرُ مُحْكَمُ الْقُرْآنِ وَبِهَا

سادساً: دلَّت الآيات والروايات عَلَى أَنَّ القرآن الكريم فيه تَأْوِيلٌ، وفيه تنزِيلٌ ولا تنحصر آياته المباركه فِي أَحدهما دون الآخر، وَكُلٌّ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ وَالتَّنَزِيلَاتِ مُتَعَدِّدَةٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) (٢). بتقريب: أَنَّ للقرآن تَأْوِيلَاتٍ تَمْتَدُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَكَمَا سَيُتَضَحُّ مِنْ خِلَالِ الْبَحْثِ أَنَّ بَعْضَ مَوَارِدِ الْآيَةِ (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) أُشِيرَ بِهِ إِلَى عَالَمِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ عَالَمِ الْجَنَّةِ أَوْ عَالَمِ النَّارِ أَوْ... الخ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ للقرآن تَطْبِيقَاتٍ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى حَقِيقَةِ زَمَانِ عَالَمِ الدُّنْيَا وَلَا تَنْحَصِرُ بِهِ، بَلْ تَمْتَدُّ وَتَشْمَلُ عَالَمَ الْبَرَزَخِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَكَيْفَ لَا. وَالقرآن يَعَالِجُ الْمَعْرِفَةَ حَوْلَ أَكْبَرِ حَقِيقَتِهِ - أَيَّ أَكْبَرِ مِنَ الدُّنْيَا - وَالْآخِرَةَ وَالْعَوَالِمَ الْآخَرَى - أَلَا وَهِيَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ وَالرَّبِّ الْوَاحِدِ الْوَاحِدِ الَّذِي يَحِيطُ بِكُلِّ الْعَوَالِمِ إِحَاطَةً وَجُودِيَةً حَقِيقِيَّةً لَا إِحَاطَةَ جِسْمَانِيَّةً، وَعَلَيْهِ فَشَمُولِيَّةُ الْقُرْآنِ هِيَ كَذَلِكَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ عَظِيمَةٌ. وَهَذَا لَا مَحَالَةَ لَهُ صَلَهِ وَطِيدِهِ بِقَاعِدِهِ الْجَرِيَّةِ كَمَا سَيَأْتِي وَمِنْ دَعَامَاتِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ.

سابعاً: إِنَّ الْبَحْثَ فِي قَاعِدَةِ الْجَرِيَّةِ فِي التَّعْبِيرِ لَا التَّطْبِيقِ تَلِكِ الْقَاعِدَةِ الْقُرْآنِيَّةِ هِيَ وَجْهٌ آخِرٌ لِبَحْثِ التَّأْوِيلِ وَالتَّنَزِيلِ أَوْ الظُّهُورِ وَالتَّأْوِيلِ الَّتِي هِيَ إِحْدَى الْقَوَاعِدِ الْمُتَفَرِّعَةِ وَالْمُتَشَعِّبَةِ عَنْ قَاعِدَةِ الْجَرِيَّةِ

ص: ١٨

١- (١) تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٨ ح ٨.

٢- (٢) سورة الأعراف: الآية ٥٣.

والتطبيق، وكذلك قاعده الجرى والتطبيق متفرّعه عن القواعد المتقدمه مثل قاعده التعريض والالتفات وإياك أعنى واسمعى يا جاره... الخ؛ لأنه تقدّم في بحث القاعده الأولى قاعده التعريض أنّ التعريض ليس مجرد قاعده وإنما هو في الواقع نظام يتشعب منه قواعد أحد أهم تلك القواعد هو قاعده الظهور والتأويل وقاعده الجرى والتطبيق... الخ.

إذّن القرآن كما له تأويل كذلك له تنزيل (تنزيل من ربّ العالمين) (٨٠) (١).

وعليه فقاعده الجرى والتطبيق (والتعبير) مرتبطه بأصل حجّيه القرآن الكريم وأنه حجّجه مُفَعَّلَه لا- مُعَطَّلَه، ومن خلال هذا تبين أنّ البحث في قاعده الجرى ليس باختيار المفسر والباحث الكريم كلا، وإنما لزاماً على المُفسّر أن يختارها؛ لأنّ الالتزام والتمسك بقاعده الجرى والتطبيق هي أحد أسباب ونوافذ إحياء القرآن وتركها تعطيل له، كما ثبتت عليه روايات أهل البيت عليهم السلام، وهذه القاعده في الحقيقة هي من المعاجز العلميه التي أسس تعليمها وتبينها أهل البيت عليهم السلام في دين الإسلام، وإن كان تفعيل القرآن وأثماره للنور والهدايه لدرب البشر لا ينحصر بباب ونافذه واحده وإنما هناك أبواب ونوافذ عديده لذلك، وأحد تلك الأبواب المهمه جداً في آيات وسور القرآن هي هذه القاعده الشريفه والخطيره التي نحن بصدددها، وهي قاعده الجرى والتطبيق.

ص: ١٩

لا يُقال: إنَّ ما قصَّه لنا القرآن في سورة يوسف عليه السَّلام وغيرها من القصص القرآنية في الأمم السابقة، وهكذا ما ذكره أئمه أهل البيت عليهم السَّلام في التفسير المأثور لآيات القرآن إنَّه قد مضى وتصرَّم ولا صلة لنا به.

فإنَّه يُقال: إنَّ كلَّ ما ذكره القرآن في سورة يوسف عليه السَّلام وغيرها وكذا بيانات أهل البيت عليهم السَّلام يمكن استثمارها الآن وفي المستقبل وأنها غير مُختصَّة بمنَّ كان حاضراً وقت نزول الآية وإنَّما يمكن العبور والتعدُّى إلى كلِّ مورد واحد لنفس خصائص ساعه نزولها ولا ينحصر التطبيق بذلك. فمثلاً (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَسَائِلِينَ (٧) هِيَ غَيْرُ مُخْتَصَّة بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلام وأخوته، وإنَّما يمكن استثمارها الآن وتطبيقها بما يتلائم ومقامها، وهذا دليل ساطع البرهان لقاعده الجرى والتطبيق.

وهكذا قوله تَعَالَى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ) (ما كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) (١). فالآية عَبَّرت (العبره) أى عبور حقيقى وَلَيْسَ مجاز عقلى - لغيرها من الموارد الأخرى ولا تجمد على موردها ولا تتجاوزها إلى غيره، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ نَسْجَ خِيَالٍ أَوْ دَرَامَا وَإِنَّمَا هِيَ حَقَائِقُ وَقَعَتْ يَلُّ تَجَاوُزَهُ وَتَحَرَّكَ عَلَى وَفْق رُؤْيِهِ وَبصيص نور هَذِهِ الْآيَاتِ أَوْ الْقِصَصِ خُذْهَا وَاعْبِرْ إِلَى مَوَارِدِ مُتَجَدِّدِهِ. وَهَذِهِ الْآيَاتِ فِي سُورَةِ يُوسُفَ وَغَيْرِهَا هِيَ أَحَدُ أَدْلِهِ الْقَاعِدَةِ.

ص: ٢٠

لها مساس بصميم مغزى آيات القرآن الكريم

ومرتبطه بعظمه القرآن

لا يخفى عَلَى المُفسِّر والباحث المتتبع أهميه وخطوره قاعده الجرى والتطبيق وما لها مِنْ أثر مسيس وصميمى بحياه ومغزى آيات وسور القرآن الكريم، فالأمويون وتبعهم العباسيون، أرادوا الجمود عَلَى قصص القرآن وَلَمْ يتعدّوا إلى غيرها ويستثمروها وأرادوها محطّه استقرار وركود وجمود، بينما الواقع النظرى والعملى لقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير يقول لأمثال هؤلاء إِنَّ آيات القرآن جَوْها جَوْ محطّه عبور واستراحه لا محطه استقرار، ويمكننا أَنْ نستفيد منها فى غير موردها، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قاعده الجرى والتطبيق مرتبطه بعظمه القرآن الكريم أكثر مِنْ ارتباطها بعلم التفسير وبقية علوم القرآن سواء علوم التأويل أو علم التعبير أو علم لطائف القرآن أو علم إشارات القرآن أو حقائق القرآن أو علوم ترجمان القرآن و... الخ، وإن كَانَ جُلُّ هَيْدِهِ العلوم لَمْ يُحطَّ بتمامها وغورها إِلَّا سيد الأنبياء صَلَّى الله عليه و آله وَمِنْ بعده عترته الطاهرين.

وَلَمْ يَخْضُ بِهَا بِقِيَّةِ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّهَا عُلُومٌ تَتَكَادَى كَاهِلُ الْإِنْسَانِ الْبَاحِثِ وَالْمُفَسِّرِ وَتَحْتَاجُ إِلَى قَدْرِهِ رَبَائِيَّةٍ وَمُدَدِ إِلَهِيٍّ، وَيَكُونُ بِالتَّالِيِ الْجَرِيِّ وَالتَّطْبِيقِ عِبَارَةً عَنْ جَرِيٍّ مَدْلُولِ الْآيَاتِ فِي آفَاقٍ وَسِيعَةٍ تَطْبِيقِيَّةٍ بَلْ تَنْظِيرِيَّةٍ لَا تَقْفُ عِنْدَ حَدٍّ. وَبَعْدَ هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ يَقَعُ الْكَلَامُ فِي ضَمَنِ أُمُورٍ:

الأمر الأول: معنى القاعده:

مِنْ خِلَالِ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي الْمَقْدَمَةِ تَبَيَّنَ مَعْنَى الْقَاعِدَةِ وَمُلَخَّصُهُ وَلَا يُبَدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ ضَابِطِ التَّنْظِيرِ وَضَابِطِ الْجَرِيِّ وَالتَّطْبِيقِ، وَإِنْ كُنَّا ذَكَرْنَا فِي الْمَقْدَمَةِ أَنَّ الْجَرِيَّ أَعْمُ مِنَ التَّطْبِيقِ - وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: -

التَّنْظِيرُ هُوَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الَّتِي لَمْ يُوْخَذَ بِهَا النَّظَرُ إِلَى نَسْبِهِ شَخْصَانِيَّةً الْمَصَادِيقِ أَوْ أَفْرَادِهِ فِي مَقَامِ الِاسْتِعْمَالِ، وَعَلَيْهِ فَالتَّنْظِيرُ مَجْرَدُ إِرَادَةِ اسْتِعْمَالِ كَلِمَةٍ أَوْ تَفْهِيمِ كَلِمَةٍ أَوْ جَدِيَّةِ كَلِمَةٍ مِنْ دُونِ نَظَرٍ إِلَى الْمَصَادِيقِ وَشَخْصَانِيَّةِ فِي مَقَامِ الِاسْتِعْمَالِ، وَهُوَ بِمِثَابَةِ عَالَمِ الْجَعْلِ وَالتَّشْرِيعِ فِي عِلْمِ الْأَصُولِ إِنْ صَحَّ التَّنْظِيرُ.

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: يَكُونُ التَّنْظِيرُ عَلَى صَعِيدِ الدَّلَالَةِ وَالْمَدْلُولِ وَالْمَعْنَى فِي مَرَحَلَةِ الْمَعْنَى التَّصَوُّرِيَّةِ أَوْ الْمَعْنَى التَّفْهِيمِيَّةِ أَوْ الِاسْتِعْمَالِيَّةِ أَوْ الْجَدِيَّةِ، فَالْمَعْنَى الْجَدِيَّةُ هُوَ أَيْضاً مَعْنَى تَنْظِيرِيٍّ وَرَوَايَةٍ كَلِمَةٍ لِلآيَةِ وَالْمُسْتَرْتَدِّ نُبُورِ الْقُرْآنِ فِي مَقَامِ التَّطْبِيقِ يَطْبِقُهَا تَطْبِيقَاتٍ عَدِيدَةٍ.

وَمِنْ خِلَالِ هَذَا يُعْرَفُ أَنَّ مَقَامَ الرُّؤْيَةِ النَّظَرِيَّةِ لِآيَاتِ الْقُرْآنِ

الكريم وتنظير المعنى دائماً كلياً، هَذَا كله بحسب النظرية الأولى المشهوره وسيأتى تقرير ضابط التنظير حسب النظرية الثانية.

التطبيق: وَهُوَ بمثابه عالم الامثال فى تنجيز الأحكام - كَمَا فى المصطلح الأصولى وبمثابه التنفيذ والإجراء فى عالم القانون وسببه ما يُعَال فى علم القانون إِنَّ الْمُقْنِن حِينَ التَّقْنِين لَيْسَ غرضه استعمال مصداق خاص لتطبيق هَذِهِ المعادله الكليه الَّتِي قَنَّنَهَا وتطبيقها عَلَى مصاديقها فذاك أمرٌ بيد الأخصائين، وأهل الخبره فى ذَلِكَ المجال يطبقونها - المصاديق - وفق ضوابط معينه، هَذَا بحسب النظرية الأولى وَكَمَا سيأتى فَإِنَّ التنظير والتطبيق لهما معنيان آخران، مغايران لهذا المعنى المعهود، وإنما سوف يَتَضَح معناهما بَعْدَ الخوض فى تفسير النظرية الثانية.

الأمر الثاني: مدرك القاعده:

هَذَاك جمله من الآيات والروايات نذكرها كمدرک لهذه القاعده.

أَمَّا الآيات وَهِيَ عَلَى طوائف (١) كَمَا يلى:

الطائفة الأولى: ما دَلَّت عَلَى أَنَّ للقرآن تأويل وحقائق لذلك التأويل:

١ - قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (٢).

ص: ٢٣

١- (١) وإن كان قد تقدم جمله من الآيات الداله على مفاد القاعده وتبيان ذلك وستأتى تتمه من الآيات على ذلك فى تضاعيف الأبحاث.

٢ - قوله تعالى: (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) (١) وغيرها.

بتقريب: إن التأويل ومراتبه المتراميه تعاقباً تعتبر - كما سيأتي في مباحث قواعد عديده - من مراتب مدلولات الكلام طبق موازين وضوابط، فيكون الكلام دالاً عليها بضميمه تلك الموازين، وبذلك تكون الآيه جاريه في معانى عديده، هذا فضلاً عن التأويل الذى هو بلحاظ الوقائع والحقائق العينيه المتجدده وقوعاً فإنه جرى فى الوقائع.

الطائفه الثانيه: ما دلت على أن القرآن عِبْرٌ وأمثال وأن آياته آيات للسائلين أى أجوبه شافيه، كما فى الآيات التاليه: -

١ - قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ) (٧) (٢).

٢ - قوله تعالى: (مَا كَانَ خَدِيتًا يُفْتَرَى وَ لَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (١١١) (٣).

٣ - قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ) (٤).

بتقريب: فإن قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير وإن كَانَ تختلف عَنْ قاعده الأمثال - التى سيأتى بحثها - إلا أن مادّه وعنوان العِبْرَه واحدٌ أى بالعبور مِنْ معنى كصوره ممثله إلى معنى أو إلى حقيقه وراءها

ص: ٢٤

١- (١) سورة الأعراف: الآيه ٥٣.

٢- (٢) سورة يوسف: الآيه ٧.

٣- (٣) سورة يوسف: الآيه ١١١.

٤- (٤) سورة يوسف: الآيه ١١١.

فالعُبور بخلاف الوقوف، والعِبره بخلاف الوقفه وكذلك الأمثال للانتقال إلى الممثل له ولا يخفى أن الأمثال أيضاً تتراعى.

الطائفة الثالثة: الدَّالَّة عَلَى تلاوه القرآن حَقَّ تلاوته، كقوله تَعَالَى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (١٢١) (١).

بتقريب: أَى حَقَّ المَواطِنِ الحقيقِيه المستَحَقَّه بتطبيق الآيه عَلَيَّهَا، والمراد مِنْ التلاوه هُنَا ليست التلاوه اللفظيه وتجويد الصوت بَلْ المراد هُوَ قراءه معنى وحقيقه الآيه فى المورد والمصدق والتطبيق الحقيقى بأن تنزل فيه الآيه فكأنه قرآن نازل فى ذَلِكَ المورد ابتداءً كمورد النزول الأَوَّل.

وهَذَا نحو جرى لتكرّر نزول الآيه لِكُلِّ ما يُستجد مِنْ حوادث ووقائع، وَهَذَا ما أَكَّده روايه المعلى بن خنيس، قَالَ: قَالَ أَبُو عبد الله عليه السَّلام فى رساله: «فَأَمَّا ما سألت عَن القرآن، فَذَلِكَ أيضاً مِنْ خطراتك المتفاوته المختلفه؛ لِأَنَّ القرآن لَيْسَ عَلَى ما ذكرت... وَإِنَّمَا القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه حَقَّ تلاوته وَهُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ به ويعرفونه... الخ» (٢).

وأَمَّا الروايات: نذكر جملةً منها مَعَ الإشاره إلى دلالتها عَلَى قاعده

ص: ٢٥

١- (١) سورة البقره: الآيه ١٢١.

٢- (٢) وسائل الشيعه: ج ٢٧، ص ١٩٠، ب ١٣ من أبواب صفات القاضى: ح ٣٨.

الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير إجمالاً وأماً تفصيلاً فسيُتضح من خلال تضاعيف الكتاب.

الروايه الأولى:.... مُحَمَّد بن الحسين عَنْ مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل عَنْ منصور بن يونس عَنْ ابن أذينة عَنْ فَضِيل بن يسار، قَالَ: سألت أبا جعفر عليه السَّلام عَنْ هَذِهِ الروايه: - ما مِنْ الْقُرْآن آيه، إِلَّا ولها ظهر وبطن، قَالَ: «ظهره (تنزيله) وبطنه (تأويله)، وَمِنْهُ ما قَدْ مضى وَمِنْهُ ما لَمْ يكن، يجرى كَمَا تجرى الشمس والقمر كُلُّ ما (١) جاء تأويل شيء (٢) يكون عَلَى الأسموات، كَمَا يكون عَلَى الأحياء، قَالَ الله تَعَالَى: (وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) نحن نعلمه» (٣).

بتقريب: إِنَّ الإمام الباقر عليه السَّلام بيّن فِي هَذِهِ الروايه عِدَّة أمور:

الأمر الأوّل: إِنَّ آيات القرآن تجرى بأن تتجدّد وتتناسب مَعَ ما يناسب المخلوقين فِي كُلِّ زمان إلى يَوْم الدين كجريان الشمس والقمر، فَكَمَا أَنَّ الشمس والقمر يجريان ويتناسبان مَعَ كُلِّ زمان ومكان بتبدّل أبراجهما مِنْ المشارق والمغارب ومنازل القمر وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تتناسب مَعَ المخلوقين فِي كُلِّ زمان ومكان.

الأمر الثّاني: إِنَّ آيات القرآن كُلُّها جاء فيها تأويل يكون عَلَى

ص: ٢٤

١- (١) فِي المصدر (كما).

٢- (٢) فِي المصدر زياده: منه.

٣- (٣) الوسائل: ج ٢٧ ب ١٣ من أبواب صفات القاضى ص ١٩٦ ح ٤٩.

الأموات فَهُوَ يَكُونُ كَذَلِكَ عَلَى الْأَحْيَاءِ، وَعَلَيْهِ فَتَأْوِيلُ آيَاتِ الْقُرْآنِ شَامِلٌ لِلْأَمْوَاتِ مِثْلَمَا هُوَ شَامِلٌ لِلْأَحْيَاءِ.

الأمر الثالث: إِنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ فِيهَا مِنْ التَّجَدُّدِ وَالتَّنَاسُبِ وَالتَّنَاقُمِ مَعَ كُلِّ مَتَطَلَبَاتِ الْمَخْلُوقِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ تَجْرَى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، فَإِنَّهَا تَتَنَاسَبُ مَعَ كُلِّ ذَلِكَ كَمَا يَتَنَاسَبُ تَجَدُّدُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ كَأَيْتَيْنِ تَكُونِيتَيْنِ بِيَرْتَيْنِ بَضِيائِهِمَا وَنُورِهِمَا وَتَجَدُّدُ حَاجَةِ الْبَشَرِ إِلَيْهِمَا فِي كُلِّ يَوْمٍ، بَلْ فِي كُلِّ حِينٍ وَلَا يَبْلُوانِ كَذَلِكَ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَجْرِي بِعِلْمِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِإِنَّهُ قَالَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (١) نَحْنُ نَعْلَمُهُ.

الرواية الثانية: عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ الْبَرْقِيِّ عَنْ الْمَرْزُبَانِ بْنِ عِمْرَانَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: - سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «إِنَّ لِلْقُرْآنِ تَأْوِيلًا، فَمِنْهُ مَا قَدْ جَاءَ، وَمِنْهُ مَا لَمْ يَجِءْ فَإِذَا وَقَعَ التَّأْوِيلُ فِي زَمَانٍ إِمَامٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَرَفَهُ إِمَامٌ ذَلِكَ الزَّمَانُ» (٢).

بتقريب: - أَنَّ صِفَةَ التَّجَدُّدِ وَالْجِرْيَانِ وَعَدَمَ الْوُقُوفِ وَالتَّوَقُّفِ لِمَدَّةٍ ثَانِيَةٍ وَاحِدَةٍ لِلْقُرْآنِ وَلَا تَبْلَى آيَاتِهِ وَأَنَّ الْقُرْآنَ دَائِمًا فِي صِفَةِ تَجَدُّدٍ، وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) فَإِنَّ الْهَدَايَةَ وَالْإِنذَارَ مُسْتَمِرَّهِ لِكُلِّ الْمَخْلُوقِينَ وَغَيْرِ مَتَوَقَّفِهِ وَلَا تَتَوَقَّفُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

ص: ٢٧

١- (١) سورة آل عمران: الآية ٧.

٢- (٢) وسائل الشيعة: ج ٢٧، ص ١٩٦، ب ١٣ من أبواب صفات القاضي: ح ٤٧.

الروايه الثالثه: عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ، قَالَ: - كُنْتُ يَوْمًا مِنْ الْأَيَّامِ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «يَا عَبْدِ الرَّحِيمِ قُلْتُ لِيَبِكُ قَالَ: - قَوْلَ اللَّهِ (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) إِذْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَا الْمُنذِرُ وَعَلَى الْهَادِي وَمَنْ الْهَادِي الْيَوْمَ؟ قَالَ فَمَكَّثْتُ طَوِيلًا ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي فَقُلْتُ: جَعَلْتُ فِدَاكَ هِيَ فِيكُمْ تَوَارِثُوهَا رَجُلٌ فَرَجُلٌ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَيْكَ، فَأَنْتَ جَعَلْتَ فِدَاكَ الْهَادِي، قَالَ: صَدَقْتَ يَا عَبْدِ الرَّحِيمِ: إِنَّ الْقُرْآنَ حَتَّى لَا يَمُوتَ وَالْآيَةَ حَتَّى لَا تَمُوتَ فَلَوْ كَانَتِ الْآيَةُ إِذَا نَزَلَتْ فِي الْأَقْوَامِ مَاتُوا فَمَاتَ الْقُرْآنَ وَلَكِنْ هِيَ جَارِيَةٌ فِي الْبَاقِينَ كَمَا جَرَتْ فِي الْمَاضِينَ، وَقَالَ عَبْدِ الرَّحِيمِ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ الْقُرْآنَ حَتَّى لَمْ يَمُتْ، وَأَنَّهُ يَجْرِي كَمَا يَجْرِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَكَمَا تَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَيَجْرِي عَلَى آخِرِنَا كَمَا يَجْرِي عَلَى أَوَّلِنَا» (١).

بتقريب: إِنَّ الرَوَايَةَ صَرِيحَةٌ فِي جَرَى آيَاتِ الْقُرْآنِ لَكِنَّ الْكَلَامَ هَلِ الْمُرَادُ جَرَى الْمَعْنَى الْكُلِّيَّةِ فِي الْمَصَادِقِ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى النَّظَرِيَّةِ الْأُولَى، أَوْ أَنَّ الْمُرَادَ جَرَى الْإِسْتِعْمَالِ فِي حَقَائِقِ مُتَتَالِيَةٍ وَجَرَى التَّفْهِيمِ وَالِدَّلَالَةِ فِي مَعَانِي مُتَعَاقِبَةٍ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ بِنَحْوِ تَكُونِ الْإِرَادَةِ الْجَدِيدَةِ فِي الْأَصْلِ مُنْطَبَقَهُ عَلَى الْمَوَارِدِ كَمَعَانِي لَا كَمَصَادِقِ.

الروايه الرابعه: عَلَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَمِيرَةَ عَنْ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ بُرَيْدِ الْعَجَلِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّمَا أَنْتَ

ص: ٢٨

١- (١) تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٧٩، ح ٦؛ بحار الأنوار: ج ٣٥، ص ٤٠٣، ح ٢٠.

مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: «الْمُنْذِرُ وَ لِكُلِّ زَمَانٍ مِّنَّا هَادٍ يَهْدِيهِمْ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ثُمَّ الْهَادِ مِنْ بَعْدِهِ عَلِيُّ ثُمَّ الْأَوْصِيَاءُ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ» (١).

الروايه الخامسه: الحسين بن مُحَمَّد الأشعري عَنْ المعلی بن مُحَمَّد عَنْ مُحَمَّد بن جمهور عَنْ مُحَمَّد بن إسماعيل عَنْ معدان عَنْ أَبِي بصير قَالَ: - قلت لأبي عبد الله عليه السَّلام (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) (٧) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: «الْمُنْذِرُ وَ عَلَى الْهَادِي، يَا أَبَا مُحَمَّدٍ هَلْ مِنْ هَادٍ الْيَوْمَ؟ فَقُلْتُ بَلَى جَعَلْتَ بَلَى مَا زَالَ مِنْكُمْ هَادٍ مِنْ بَعْدِ هَادٍ حَتَّى دُفِعَتْ إِلَيْكَ فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَوْ كَانَتْ إِذَا نَزَلَتْ آيَةٌ عَلَيَّ رَجُلٌ ثُمَّ مَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مَاتَ الْآيَةُ مَاتَ الْكِتَابُ، وَلَكِنَّهُ حَتَّى يَجْرَى فِيمَنْ بَقِيَ كَمَا يَجْرَى فِيمَنْ مَضَى» (٢).

الروايه السادسه: ما وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلام «... وَلَوْ أَنَّ الْآيَةَ إِذَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ ثُمَّ مَاتَ أَوْلَاؤُكَ الْقَوْمَ مَاتَ الْآيَةُ لَمَا بَقِيَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ يَجْرَى أَوَّلُهُ عَلَيَّ آخِرُهُ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ، وَ لِكُلِّ قَوْمٍ آيَةٌ يَتَلَوْنَهَا هُمْ مِنْهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ» (٣).

الروايه السابعه: بِإِسْنَادِ الْعِيَّاشِيِّ عَنْ الْفَضِيلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ:

ص: ٢٩

١- (١) أصول الكافي: ج ١، ص ١٩١، ح ١؛ تفسير نور الثقلين للعروسي: ج ٣، ص ٤١٧، ح ٢١.

٢- (٢) أصول الكافي: ج ١، ص ١٩٢؛ تفسير نور الثقلين للعروسي: ج ٣، ص ٤١٧، ح ٢٢.

٣- (٣) تفسير العيَّاشي: ج ١، ص ٨٥، ح ٧.

سألت أبا جعفر عليه السلام عن هَيْدِهِ الروايه ما فِي الْقُرْآن آيَه إلاً ولها ظهر وبطن وما فيه حرف إلاً وَلَهُ حَدٌّ ولكل حَدٍّ مطلع ما يعنى بقوله: لها ظهر وبطن؟ قَالَ ظهره تنزيله وبطنه تأويله مِنْهُ ما مضى وَمِنْهُ ما لَمْ يكن بعدُ يجرى كَمَا يجرى الشمس والقمر كُلُّما جاء مِنْهُ شىء وقع، قَالَ الله: (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) نَحْنُ نَعْلَمُهُ(١).

الروايه الثامنه: أحمد بن مُحَمَّد بن خالد البرقى فى (المحاسن) عَنْ الحسن بن على بن فَضَّال، عَنْ ثعلبه بن ميمون، عمن حدثه عَنْ المعلّى بن خنيس قَالَ: - قَالَ أبو عبدالله عليه السّلام: - فى رساله: - «فَأَمَّا ما سألت عَنْ الْقُرْآن، فَذَلِكَ أَيْضاً مِنْ خَطراتك المتفاوته المختلفه؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ عَلَى ما ذكرت وَكُلَّ ما سمعت فمعناه (عَلَى) غَيْر ما ذهب إلیه، وإِنما الْقُرْآنُ أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه حقّ تلاوته، وَهُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ به ويعرفونه... الخ»(٢).

هَيْدِهِ الروايات المستفيضه وغيرها الَّتِي اشتملت عَلَى تفسير الآيات المباركه تُؤكِّد عَلَى أَنَّ أحد دعائم حياه الْقُرْآن الكريم هِيَ قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير، وَهِيَ القاعده الأساسيه البنيويه فى بيانات أهل البيت عليهم السّلام والمجدده لحياه الْقُرْآن الكريم لتجدد تغطيه الْقُرْآن الكريم لك لحقب ومراحل حياه البشر وأطرافها، إلاً أَنْ يُجعل

ص: ٣٠

١- (١) تفسير الصافى: ج ١، ص ١٩، المقدمه الرابعه.

٢- (٢) وسائل الشيعه: ج ٢٧، ص ١٩٠ ب ١٣، من أبواب صفات القاضى: ح ٣٨.

مِنَ الْقُرْآنِ كِتَابًا مُّعْطَلًا. -- والعياذ بالله - لو لَمْ يَتَّصِفَ الْكِتَابُ الْعَظِيمُ بِهَذِهِ الْمَوَاصِفَاتِ، وَإِنَّ أَعْظَمَ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ هُوَ أَنَّهُ كِتَابٌ حَيٌّ مِّنَ الْحَيِّ الْقَيُّومِ الْعَظِيمِ بِهَذِهِ الْمَوَاصِفَاتِ، وَإِنَّ أَعْظَمَ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ هُوَ أَنَّهُ كِتَابٌ حَيٌّ مِّنَ الْحَيِّ الْقَيُّومِ إِلَى الْحَيَاةِ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَمَّا الْقُرْآنُ يُبْدِي حَيَاةً لَدَى الْكَائِنَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ مِّنَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ.

الرَوَايَةُ التَّاسِعَةُ: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ بَابُوَيْهِ قَعَالَ حَدَّثَنَا الْحَاكِمُ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْبِيهَقِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ، قَعَالَ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَبُو ذَكْوَانَ قَعَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ يُحَدِّثُ عَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا بَالُ الْقُرْآنِ لَا يَزْدَادُ عِنْدَ النُّشْرِ وَالدَّرْسِ إِلَّا غَضَاضَةً (١)؟ فَقَالَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْهُ لَزْمَانَ دُونَ زَمَانَ وَلَا لِنَاسٍ دُونَ نَاسٍ فَهُوَ فِي كُلِّ زَمَانٍ جَدِيدٌ وَعِنْدَ كُلِّ قَوْمٍ غَضٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٢).

تَنْبِيهِ: سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي نِظَامِ قَوَاعِدِ وَأَصُولِ التَّفْسِيرِ فِي النِّظَامِ الْمَعْنَوِيِّ - نِظَامِ عَالَمِ الْمَعْنَى - فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ أَعْظَمَ مَدَارٍ فِي حُجِّيَةِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ كِتَابٌ حَيٌّ وَحَيُّوِيٌّ لَا يَعْطَلُ أَبَدًا وَأَنَّهُ مُفْعَلٌ وَبِهِ يَعطَى اللَّهُ وَيَأْخُذُ، وَبِهِ يُثِيبُ وَبِهِ يَعْقَابُ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَانَ وَلَا زَالَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ

ص: ٣١

١- (١) وشيء غَضٌّ: أى طرى.. مجمع البحرين مادّه غَضَضَ.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٩٣ ح ٣٢؛ والبرهان فى تفسير القرآن - هاشم البحرانى: ج ١، ص ٧١، م/١٣ ح

هُوَ الميزان بين الخالق والمخلوقين وتتفرع عِندَهُ بحوث مُهمَّة عَنْ بحث أَنَّ القُرْآنَ حِجَّةٌ حَيْثُ لَا يعطل وَأَنَّهُ مِنْ ضروريات الدين
وضروريات منهاج أئمة أهل البيت عليهم السَّلام وأحد أهم تلك البحوث هُوَ بحث: -

نفي التحريف عَنِ القُرْآنِ: - وَهَذَا مِنَ المباحث الَّتِي كثر فيها اللغَط العلمي ودعاوى التحريف، وَعَلَيْهِ فالميزان الطارد لبحث
التحريف وغيره هُوَ أَنَّ القُرْآنَ حِجَّةٌ حَيْثُ لَا- يُعْطَلُ وَأَنَّهُ دائماً مفعلاً، وَأَنَّهُ جبل ممدود مِنَ السماء طرفٌ بيد الناس، وَأَيُّ ناس
يعنون بذلك؟ هُمْ أهل كُلِّ جيلٍ مِنَ البشر، وطرفٌ مِنَ عِنْدِ الله، وَعَلَيْهِ فَمِنْ يُنكر أَنَّ القُرْآنَ حِجَّةٌ حَيْثُ فَقَدْ خرجَ مِنَ ربه الدين
الإسلامي الحنيف، هَذَا مِنَ جانب.

وَمِنْ جانبٍ آخر فرض الأئمة الأطهار عليهم السَّلام عَلَى ربط النظام الاستعمالي اللفظي فِي القُرْآنِ بمبحث عالم المعنى أَيْ النظام
المعنوي، وَهُوَ بحثٌ مرتبطٌ بالحجِّية وَأَنَّ حجِّية القُرْآنِ حَيْثُ وَغَيْرَ معطله، وليست حجِّية القُرْآنِ مختصَّة بزمانٍ دون غيره، وبمكانٍ
دون آخر.

لدى أعلام المفسرين من الفريقين

توطئه:

لو تتبعنا آراء جملة من أعلام المفسرين من الفريقين لقاعده الجرى والتطبيق لوجدناها عندهم تمثل معنى كلى وله عدة تطبيقات ليست مراده بالأصل وهذه التطبيقات ليست معانى استعماليه وإنما صرف مصاديق المراد الاستعمالى للآيات.

إذن المراد الاستعمالى للآيات هو فقط المعنى الكلى ولا يُراد من المعنى الكلى شخصائيه المصاديق، وتطبيق الآيه أو الروايه على أئمه أهل البيت عليهم السّلام هو تطبيق مصادقى لا أنّ أهل البيت عليهم السّلام مرادون مثلاً فى الآيه بشخصهم، وهكذا قوله تعالى: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) (٧) (١) فهذه الآيه قضيه كليه وعامه وإرادته الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام من باب التطبيق لا أنّ الشخص الشريف لسيد الأوصياء على بن أبى طالب عليه السّلام مراد من الآيه، وإنما هو معنى كلى ويجرى تطبيقه على مواضع

ص: ٣٣

وهكذا نجد أغلب الآيات القرآنيه تُستعمل في المعاني الكليه، إلّا بعض الآيات فإنّه يراد منها الشخص الموجه إليه الخطاب مثل:

١ - قوله تعالى: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ...) (١).

٢ - قوله تعالى: (وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا) (٨)... (٢).

٣ - قوله تعالى: (وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) (٣).

٤ - قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) (٤).

٥ - قوله تعالى: (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَبْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ...) (٥).

٦ - قوله تعالى: (يَا مُوسَى) (٦).

٧ - قوله تعالى: (يَا عِيسَى) (٧).

٨ - قوله تعالى: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ) (٨).

ص: ٣٤

١- (١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

٢- (٢) سورة الإنسان: الآية ٨.

٣- (٣) سورة الحاقة: الآية ٤٤.

٤- (٤) سورة التحريم: الآية ١.

٥- (٥) سورة التوبة: الآية ٤٣.

٦- (٦) سورة القصص: الآية ٣١.

٧- (٧) سورة المائدة: الآية ١١٦.

٨- (٨) سورة مريم: الآية ١٢.

٩ - قوله تَعَالَى: (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١) وغيرها.

فَإِنَّ الآيَاتِ الَّتِي صَيَّرَتْ بِإِرَادِهِ شَخْصَ الْمُخَاطَبِ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ وَصِيِّ نَبِيٍّ أَوْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ مُؤْمِنٍ أَوْ كَافِرٍ أَوْ... الخ صَحَّ حِينَئِذٍ التَّعْبِيرُ الْأَصُولِي فِي الْمَقَامِ مِنْ أَنَّ شَخْصَ الْمُخَاطَبِ مَأْخُودٌ عَلَى نَحْوِ الْمَوْضُوعِيَّةِ وَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ الْمَوْضُوعِ وَعَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَتَحَقَّقْ ذَلِكَ الْفَرْدَ لَمْ يَتَّمْعْ مَعْنَى الْآيَةِ.

هَذَا بِلِحَازِ بَعْضِ الْآيَاتِ.

وَأَمَّا بِلِحَازِ أَغْلَبِ الْآيَاتِ فَإِنَّهَا نَازِرَةٌ إِلَى كَلِّيَّةٍ وَعَمُومِيَّةٍ الْمَعْنَى، وَأَمَّا الْمُخَاطَبُ فَقَدْ ذُكِرَ مِنْ بَابِ الْمَثَالِ وَعَلَى نَحْوِ الْكَشْفِ وَالطَّرِيقِيَّةِ لَا الْمَوْضُوعِيَّةِ وَعَلَيْهِ فَيُمْكِنُ التَّعَدُّى إِلَى غَيْرِهِ.

وهكذا الأصل في بيانات أهل البيت عليهم السلام وأنها استعملت في معنى كُلي، هذا بحسب النظرية الأولى.

وَأَمَّا بِحَسَبِ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ فَيُمْكِنُ أَنْ تَقُولَ: - إِنَّ الْآيَاتِ وَالرَّوَايَاتِ الْوَارِدَةَ عَنْ أُمَّهِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَالَّتِي فِيهَا خُطَابٌ خَاصٌّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ بِالْوَصِيِّ أَوْ بِفَرْدٍ خَاصٍّ، حَسَبَ قَاعِدَةِ الْجُرْيِ وَالتَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ حَسَبَ مَنْهَجِ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ شَامِلَةٌ لِذَلِكَ وَلَا تَقْتَصِرُ عَلَى مَوْرَدِهَا،

ص: ٣٥

١- (١) سورة الأنعام: الآية ٨٨.

يَلَّ تتعداه إلى غيره، في حين أنَّ الخصوصية مُرادُه كَمَا أنَّ العموميه مُرادُه وَذَلِكَ لما سيأتى مِنْ عموم قاعده الجرى عَلَى وفق النظرية الثانية في المداليل والمعانى والمصاديق مَعَ أَنَّهَا كُلُّهَا مُرادُه. إِلَّا أَنَّ جملَةً مِنْ مفسرينا أمثال السيد مُحَمَّد حسين الطباطبائى صاحب تفسير الميزان الذى بنى صرح تفسيره - الميزان في تفسير القرآن - عَلَى شخصائيه المصاديق، وملا صدرا والفيض الكاشانى و... الخ فضلاً عَن مفسرى العامه ذهبوا إلى أَنَّ الآيات الَّتى فيها الخطاب موجه إلى شخص فى بعضها فَإِنَّ مثل السيد العلامة رحمه الله يحصر الخطاب بِهَذَا الفرد ولا يتعدى إلى غيره، بخلاف ما تذهب إليه النظرية الثانية المختاره حسب منهج أمومه الولايه عَلَى المحكمات فى قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير.

والخلاصه أَنَّ المنهج التفسيري الذى اعتمده السيد العلامة الطباطبائى وبنى عَلَيْهِ صرح تفسيره الميزان فى تفسير القرآن هُوَ أَنَّ قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير منحصره بشخصانيه الأفراد والمصاديق الموجه إليها الخطاب، وهكذا مِنْ كَانَ قبل السيد العلامة الطباطبائى مِنْ المفسرين كالفيض الكاشانى رحمه الله صاحب الوافى وغيرهم، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ اختلاف بين مناهجهم التفسيريه خاصه بين الفيض الكاشانى مِنْ جهه، وبين السيد العلامة الطباطبائى وملا صدرا مِنْ جهه أُخرى، ورغم ذَلِكَ الاختلاف فيما بين مناهجهم التفسيريه إِلَّا أَنَّ قاعده الجرى والتطبيق عندهم فيها نوع مِنْ التقنيه والضبط، إِلَّا أَنَّهُ وللأسف مَنَعَهُمْ عَن شمول

قاعده الجرى لنمط من آيات القرآن الكريم غير مقبول فالآيات الكريمة المتقدمه (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ...) . (وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْرُوبًا وَ نَيْمًا...) (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) و (لِمَ أذْنَتَ لَهُمْ) (وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ) (٤٤) و (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) و (وَ مَا تَلَكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى) (١٧) و... الخ.

من أن المنظور في هذه الآيات المباركات وغيرها هو شخص المخاطب، وهذا يمكن تسجيله كتأمل أول على أصحاب المسلك الذين يقصرون النظر على شخص المخاطب في الآية ولا يتعدى عن غيره، وسيأتي تفصيله بعد قليل.

و بعد هذه التوطئه نذكر قاعدتين ذات صلة بقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير.

القاعده الأولى: الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ.

القاعده الثانيه: هل اللغة ألفاظ وأصوات فقط، أم هي نفس المعنى.

معنى القاعده: يُعَبَّرُ عَنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ الْقَدِيمِ بِاسْمِ: خُذِ الْغَايَاتِ وَاتْرِكِ الْمَبَادِي وَهُوَ مَا يُعَبَّرُ عَنْهُ: بِأَنَّ الْأَلْفَاظَ وَضَعْتَ لِأَرْوَاحِ الْمَعَانِي السَّابِحَةِ الْكَلِمَةَ لَا لِأَجْسَامِ وَأَبْدَانِ الْمَعَانِي وَقَشُورِهَا، إِذْ الْغَايَاتُ هِيَ الْأَرْوَاحُ، وَاتْرِكِ الْمَبَادِي أَيَّ اِتْرَكِ الْأَجْسَامَ وَالْأَبْدَانَ وَقَشُورِهَا وَسَطُوحِهَا وَثِقَلِهَا الْمَادِي.

تَوْضِيحٌ ذَلِكُكَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ إِلَّا لِأَجْلِ غَايَةٍ وَهَدَفٍ وَرَاءَهُ وَإِلَّا يَكُونُ لِعَوًا وَعَبَثًا وَالْبَارِي تَعَالَى مَنْزَهُ عَنِ اللَّغْوِيَةِ وَالْعَبَثِيَةِ وَكُلِّ صِفَةٍ نَقَصَ يُجَلُّ عَنْهَا.

فَمَثَلًا: خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَهُوَ أَعْظَمُ مَخْلُوقٍ وَرَاءَهُ غَايَةٍ وَهَدَفٍ فَمَثَلًا: جَوَارِحُ الْإِنْسَانِ كَالْيَدِ الْغَايَةِ مِنْهَا أُمُورٌ عِدَّةٌ تَوْدِي بِالْيَدِ مِنْهَا الْبَطْشُ أَوْ الْبَسْطُ أَوْ الْقَبْضُ أَوْ... الْخُ فَهَذِهِ وَغَيْرُهَا كَمَالُ الْغَايَةِ لِلْيَدِ، وَآلَهُ هَذِهِ الْغَايَةِ الَّذِي يَتَوَصَّلُ بِالْيَدِ إِلَيْهَا هُوَ الْجِسْمُ، وَالْيَدُ لَمْ تَوْضَعْ لِلجَارِحِ وَإِنَّمَا هَذِهِ الْجَارِحَةُ هِيَ الْمَبْدَأُ وَالْمَنْطَلِقُ وَالْآلَةُ الَّتِي يَنْتَهَى بِهَا الْبَسْطُ أَوْ الْبَطْشُ أَوْ الْقَبْضُ أَوْ... الْخُ وَعَلَيْهِ وَضَعْتَ لِنَفْسِ قَدْرِهِ التَّصَرُّفَ وَنَفْسَ حَقِيقَةِ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَهَذَا الْمَعْنَى يَكْشِفُ اشْتِبَاهَ بَعْضِ اللَّغْوِيِّينَ عِنْدَمَا قَالُوا

بأنَّ اليد وضعت للجارحه كَمَا فِي أَقْرَبِ الْمَوَارِدِ: - بَأَنَّ [الْيَدَ] الْكَفَّ مِنْ أَطْرَافِ الْأَصْبَاحِ إِلَى الْكَتْفِ... وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْيَدِ مِنْ أَطْرَافِ الْأَصْبَاحِ إِلَى الْكَفِّ وَالصَّوَابِ إِلَى الْكَتْفِ، وَهَذَا قَوْلُ الرَّجَّازِ... الخ(١).

فِي حِينَ قَالَ ابْنُ الْهَيْثَمِ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ: - مَا لِي يَدٌ: أَيُّ مَا لِي بِهِ مِنْ قُوَّةٍ... أَيُّ (وَهُمْ) (٢) أَوْلُوا الْقُوَّةَ وَالْعَقُولَ، وَقَالَ ثَعْلَبٌ عَنْ ابْنِ الْإِعْرَابِيِّ: - الْيَدُ: النِّعْمَةُ، وَالْيَدُ - الْقُوَّةُ، وَالْيَدُ: الْقُدْرَةُ، وَالْيَدُ: الْمَلِكُ، وَالْيَدُ: السُّلْطَانُ، وَالْيَدُ: الطَّاعَةُ... الخ(٣) وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ قَوْلَ أَبُو الْهَيْثَمِ وَقَوْلَ ثَعْلَبِ عَنْ ابْنِ الْإِعْرَابِيِّ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَجَازِ أَيُّ تَحْمِلُ الْيَدُ عَلَى الْمَجَازِيهِ فِيمَا إِذَا اسْتَعْمَلَتْ فِي الْقُوَّةِ وَالْأَبْصَارِ وَالْقُدْرَةِ وَالْمَلِكِ وَالسُّلْطَانَ وَالطَّاعَةَ وَ... الخ.

وَهَكَذَا لَفْظُ [الْعَيْنِ] فَإِنَّهَا لَمْ تَوْضَعْ لِهَذِهِ الْجَارِحَةِ الْكَرِيمَةِ وَالْكُرَّةِ الْجِسْمَانِيَّةِ، وَإِنَّمَا وَضَعْتَ لِلْأَبْصَارِ وَمَا يُنْصَرُّ بِهِ أَوْ مَا يُدْرَكُ بِهِ الْمُبْصِرَاتِ.

وَهَكَذَا [الْأُذُنُ] فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مَوْضُوعَةً لِهَذِهِ الشَّحْمَةِ الْجَارِحَةِ وَإِنَّمَا مَوْضُوعَةٌ لِّلْمَعْنَى وَهُوَ مَبْدَأُ الْاسْتِيفَاءِ الْغَايَةِ مِنْهَا وَهُوَ إِدْرَاكُ الْمَسْمُوعَاتِ، وَإِلَّا لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْأُذُنُ لَا يُسْمَعُ بِهَا فَهِيَ لَيْسَتْ أُذُنًا وَإِنَّمَا شَكْلٌ وَصُورُهُ أُذُنٌ، وَهَكَذَا الْيَدُ لَوْ كَانَتْ سَلَاءً، وَالْعَيْنُ لَا يُبْصِرُ بِهَا فَإِنَّهَا

ص: ٤٠

١- (١) أَقْرَبِ الْمَوَارِدِ: ج ٥، مَادَّةُ يَدِي: ص ٨٧٩.

٢- (٢) سُورَةُ ص: الْآيَةُ ٤٥.

٣- (٣) مَعْجَمُ تَهْذِيبِ اللُّغَةِ لِلْأَزْهَرِيِّ: ج ٤، ص ٣٩٧٥.

صوره عين ويد، ولذا اشتبه الحال عَلَى المجسّمه عِنْدَمَا اشتبه اللغويون فِي أَنَّ استعمال اليد مثلاً فِي القوّه والسلطان والمَلِك إِنَّهُ لَيْسَ بمجاز، ولذا وقع المجسّمه بمحذور التجسيم الباطل، فِي أَنَّ الله تَعَالَى حقيقه يَدُّ جارحه يبطش بها - والعياذ بالله - وعينُ جارحه يُبَصِّرُ بها، وشحمه إِذْنٌ يسمع بها و... الخ، واستدلَّ المجسّمه عَلَى ذَلِكَ الآيه: (أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) (٧١) (١) بتقريب: إِنَّ الله تَعَالَى مخلوقات وتلك المخلوقات الكريمة والعظيمه يتصرف بها الله وَهِيَ مظهر قدره تصرف الله فِيها ويحيط بها تَعَالَى إحاطه تامه وأجرى تَعَالَى عَلَى يدي تلك المخلوقات قدره تصرفه بها. لا أَنَّ المراد - والعياذ بالله - كَمَا ذهبت إليه المجسّمه أَنَّ الله عينُ جارحه وجسم كروى يُبَصِّرُ بها الأشياء.

وهكذا قوله تَعَالَى (وَ لِيُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (٢) فَإِنَّهُ لَيْسَ المقصود ما ذهبت إليه المجسّمه مِنْ أَنَّ الله عيناً جارحه يُبَصِّرُ بها الأشياء - والعياذ بالله - كلا وإِنَّمَا المقصود الصحيح هُوَ أَنَّ الله تَعَالَى علم يُدْرِكُ به المبصرات سواء كَانَ علم فِي مقام الفعل أَى فعل الله أَى مخلوقاته الَّتِي تكون شاهده والله مِنْ ورائها محيط بعلم ما تعلم.

ص: ٤١

١- (١) سورة يس: الآيه ٧١.

٢- (٢) سورة طه: الآيه ٢٩.

وهكذا قوله تَعَالَى (مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) (١).

بتقريب: هل أن الله تَعَالَى له جسم مادى وهيكلى وعظمى وقفص صدرى و... حَتَّى تكون له تَعَالَى جنبه طرف من هَذَا الجسم أو... الخ؟.

الجواب: كلاً وإِنَّمَا المُراد من جنب الله أى قُرْب الله تَعَالَى لا- القرب المكنانى ولا- القرب الزمانى والله خالق لهما - للزمان والمكان - ولكنّه تَعَالَى فوق الزمان وفوق المكان.

والمُراد: إِنَّ هُنَّكَ مِنَ المخلوقات العظيمة والشريفه عبادة مكرمون أودعهم الله أسرارهم منهم على قرب من مشيئته الله وإرادته والعلم برضا الله وسخطه و... يُقال عنهم جنب الله لا أَنَّهُم جزء من الله - والعياذ بالله - كما توهمه المجسّمه فليس لله جسم حَتَّى يكونوا جزءاً منه تَعَالَى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ص: ٤٢

١- (١) سورة الزمر: الآية ٥٦.

وَمِنَ الْمُؤَيَّدَاتِ عَلَى أَنَّ الْأَلْفَاظَ مَوْضُوعَهُ لِرُوحِ الْمَعَانِي: هُوَ مَا ذَكَرَهُ وَوَلَا حِظَّهُ الْمَنَاطِقَهُ مِنْ: - [إِنَّ تَعْرِيفَ الشَّيْءِ بِغَايَتِهِ هُوَ مِنْ أَكْمَلِ تَعَارِيفِ الشَّيْءِ].

بتقريب: إِنَّ الشَّيْءَ تَارَهُ يُعَرَّفُ بِصُورَتِهِ، وَأُخْرَى بِمَادَتِهِ وَكِلَاهِمَا لَيْسَا الصُّورَةُ الْغَائِيَّةُ وَالنِّهَائِيَّةُ مِنْهُ.

بِخِلَافِ رُوحِ الشَّيْءِ فَهُوَ شَيْءٌ آخَرٌ، فَإِنَّ حَقِيقَتَهُ كُلَّ شَيْءٍ بِكَمَالِهِ الْأَخِيرِ يَعْنِي غَايَتَهُ؛ وَلِذَا ائْتَمَّزَ الْإِنْسَانُ عَنِ الْحَيَوَانِ بِكَمَالِهِ الْأَخِيرِ وَهُوَ الْعَقْلُ وَالرُّوحُ الْإِنْسَانِيَّةُ وَإِلَّا إِذَا عَرَّفْنَا الْإِنْسَانَ بِأَنَّهُ جِسْمٌ مَرْكَبٌ الْأَعْضَاءِ، فَإِنَّ هَذَا تَعْرِيفٌ لَا يَمَيِّزُ الْإِنْسَانَ عَنِ غَيْرِهِ كَالْحَيَوَانِ مِثْلًا، فَإِنَّ الْحَيَوَانَ أَيْضًا جِسْمٌ مَرْكَبٌ مِنْ أَعْضَاءٍ نَامِيَّةٍ وَحَسَّاسَةٍ وَلَهُ مَقْدَارٌ مِنَ الْإِدْرَاكِ.

وَإِنَّمَا الْمَائِزُ هُوَ تَعْرِيفُ الشَّيْءِ - كَالْإِنْسَانِ - بِغَايَتِهِ الْكَمَالِيَّةِ الْأَخِيرَةِ الَّتِي يَصِلُ إِلَيْهَا وَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا غَيْرُهُ كَالْحَيَوَانَ وَبَاقِي الْمَخْلُوقَاتِ الْأُخْرَى.

وهكذا تعريف نبي من أنبياء الله تعالى كالأخاتم محمد صلى الله عليه وآله، فإذا عرفناه بأنه بشر فقط فهذا تعريف ناقص للنبي (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى

إِلَى) (١) فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَبْدَأُ الْغَايَةِ وَدَوَامُ فَيْضِ الْوَحْيِ إِلَيْهِ لَمْ يَنْقَطِعْ وَلَمْ يُعَبَّرَ الْقُرْآنُ بِ - [أَوْحَى إِلَيَّ] أَوْ [سَيُوحَى إِلَيْهِ] أَوْ.. إِنَّمَا عَبَّرَ بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ [يُوحَى] الصَّالِحِ لِلشَّرَاكِ بَيْنَ زَمَانِي الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ وَلَمْ يَنْقَطِعْ وَمَا انْقَطَعَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْوَحْيُ إِلَى الْآنَ وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْبَرَزِخِ وَإِلَى عَالَمِ الْآخِرَةِ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ خُصُوصِيهِ وَمِيزَةَ يُوْحَى إِلَيْهِ هِيَ أَعْظَمُ كِمَالٍ يُمْكِنُ أَنْ يَنَالَهُ الْمَخْلُوقُ؛ وَلِذِي عَرَّفَ الْبَارِي تَعَالَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَنَّهُ يُوْحَى إِلَيْهِ، وَهَذَا الْوَحْيُ دَائِمٌ وَمُسْتَمِرٌّ وَهُوَ تَعْرِيفٌ بِالْغَايَةِ النَّهَائِيَةِ.

وَالْخُلَاصَةُ: إِذْ حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ بِغَايَاتِهَا لَا بِمَبَادِئِهَا الْمَصْدَاقِيَةِ وَالتَّعْرِيفِ بِالْمَبَادِئِ فَقَطَّ تَعْرِيفُ ابْتِدَائِي لَا نِهَائِي وَغَايَتِي، وَالتَّعْرِيفُ الْأَسَدُّ وَالنَّاضِجُ هُوَ التَّعْرِيفُ بِالنِّهَايَةِ وَالْعَاقِبَةِ وَالْغَايَةِ.

تَنْبِيهُ: مَسْأَلَةُ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ بِغَايَاتِهَا لَيْسَتْ مَخْتَصَّةً بِعِلْمِ مَنْ الْعُلُومُ وَإِنَّمَا سَارِيهِ فِي جَمِيعِ الْعُلُومِ سِوَا الْفِقْهِ وَالْأَصُولِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْمَنْطِقِ وَالْكِيمِيَاءِ وَالفِيزِيَاءِ وَالاجْتِمَاعِ وَالسِّيَاسَةِ وَالاِقْتِصَادِ... الخ ففِي الْكُلِّ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْكُمَ عَلَى الْحَدَثِ إِلَّا بِعَاقِبَتِهِ وَمَآلِهِ وَنِهَائِيَةِ نَتَائِجِهِ.

وَعَلَيْهِ فَحَقِيقَةُ الْمَعْنَى بِالنِّهَايَاتِ وَالْغَايَاتِ، وَالْأَلْفَاظِ وَضَعَتْ لَهَا أَى لُغَايَاتِ الْمَعْنَى.

ص: ٤٤

١- (١) سورة فضلت: الآية ٦.

تأكيد القرآن وأهل البيت عليهم السلام

على قاعده الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ

أَكَّدَ الْقُرْآنُ وَأَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَبِإِصْرَارٍ عَلَى هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ.

أَمَّا الْقُرْآنُ فَقَدْ أَكَّدَ عَلَى ذَلِكَ فِي مَوَارِدٍ عِدَّةٍ:

منها: قوله تَعَالَى: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (١).

وقوله تَعَالَى: (أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) (٢).

بتقريب: لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ عَمَى الْعَيْونِ أَى عَمَى الْعَيْونِ الْجَارِحِهِ وَالْمَادِيَّةِ، وَهَكَذَا السَّمَاعُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ السَّمَاعُ بِالْجَارِحِهِ أَوْ الْبَطْشُ بِالْيَدِ - كَمَا تَقَدَّمَ - وَهَكَذَا حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ لَيْسَتْ حَيَاةَ هَذَا الْبَدَنِ الْمَادِي لِلْبَشَرِ وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ بِحَيَاةِ الرُّوحِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (... وَ مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) (٣) لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ إِحْيَاءِ النَّفْسِ هُوَ

ص: ٤٥

١- (١) سورة الحج: الآية ٤٦.

٢- (٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٥.

٣- (٣) سورة المائدة: الآية ٣٢.

إحياء بدن النفس اللطيف أو بشره بدن النفس أو هندامها أو إناقتها أو... الخ وَإِنَّمَا المراد مِنْ إحياء النفس هُوَ يَحيائها المعنوى والروحي وبغايته لا بمبادئها أَى بغايتها مِنْ كَمالها العقلى والقلبي لا البدنى والجسمانى الغليظ.

ص: ٤٦

خذ الغايات واطرک المبادئ والجری والتطبيق أو التعبير

هناك علاقة وطيدة بين نظريه خذ الغايات واطرک المبادئ وبين قاعده الجری والتطبيق والتعبير، وهما اثنان وليس واحداً كما تخيله البعض من أنهما واحده، أو بعضهم ذهب إلى جعلها وجهان لعملة وحقيقه واحده، وهذا التعبير قد يُسَلَّم به البعض.

إلا أنه بالحقيقه شيان وذلك بيان - وهذا البيان استدلالاً به السيد العلامة الطباطبائي لنظريته التي سوف تأتي -

إن الألفاظ وضعت لأرواح المعاني السابحه الكليه - كما مرّ - ولم توضع لقشورها وسطوحها وثقلها المادي، وتقدم ذكر بعض المؤيدات من الكتاب والسنة على أن الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ، وعليه: -

فإن هذا التفسير لقاعده الجری والتطبيق أو التعبير وأنه من الأصل استعمل اللفظ في المعنى العام الكلي ولم يستعمل في حبوسات المصاديق، وما هيذه المصاديق والأمثله إلا تطبيقات، وأن تلك المصاديق هي من أبرز مصاديق ذلك المعنى الكلي العام الذي وضعت له الألفاظ، وأما التمايز بين هاتين القاعدتين فسيأتي بناءً على النظرية الثانيه في تفسير قاعده الجری.

أم نفس المعنى

إذا كانت اللغه بمعنى الشىء الدالّ على شىء آخر فالمعنى أحرى أن يكون بياناً ولساناً ولغّه ولَيْسَ المقصود من اللسان هـِـذِهِ العضله اللحميه، وإِنَّمَا تبين من خلال ما تَقَدَّمَ أَنَّهُ توجد عندنا لغات متعدده، وأنَّ أحد معانى اللغه ما تَقَدَّمَ - وَهُوَ دلالة الشىء الدال على شىء آخر - وَهَذَا الشىء يَدُلُّ على المعنى أسرع وأبين من دلالة الصوت اللفظى بَلْ وَحَتَّى اللفظ بمعنى الملفوظ.

إِذْ المعنى هُوَ قُوَّة من قِوَى الفكر فى الإنسان وَهُوَ الذى يُعنى من الصوت والكلمه الَّتى يلفظها اللسان الذى هُوَ فَقط لفظ لأنفاسه، وَهَذَا نحو من أنحاء اللفظ، بينما العقل يلفظ أفكاره وَقَدْ يلفظ قُوَّة الخيال للشاعر صور ومعانى تنبع منها - المخيله.

بَيْل حَتَّى تعبير علماء القانون ما يُعبّر عنه (لغه القانون) وَلَيْسَ المراد من القانون أصوات خاصه وَإِنَّمَا المراد مِنْهُ معانى معينه. وهكذا لغه الطب والهندسه والفيزياء والكيمياء... الخ وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ المعانى وَهَذَا الحاسوب بأى لغه تبرمج فلها نظامها الخاص.

وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ هُنَاكَ نِظَامًا يُسَمَّى بِنِظَامِ الدَّلَالَةِ الْمَعِينَةِ وَنِظَامِ بَيَانَاتِ يَضَعُهَا الْبَاحِثُ بِالْحَاسُوبِ وَيُعْتَبَرُ عَنْهُ لُغَةٌ وَبِالْحَقِيقَةِ هُوَ لَيْسَ ب - (لُغَةٌ) صَوْتِيَّةً.

وَالْمَحْصَلُ مِنْ كُلِّ هَذَا أَنَّ اللَّغَةَ أَوْ اللَّفْظَ أَوْ الْقَوْلَ أَوْ اللَّسَانَ أَصْبَحَ مَعْنَى، وَحَتَّى نَفْسُ لُغَةٍ وَقَوْلٌ وَلِسَانٌ هِيَ أَيْضًا الْأُخْرَى لَمْ تَوْضَعِ لِلْأَصْوَاتِ، وَإِنَّمَا وَضَعَتْ لِلْمَعَانِي.

عَالَمُ الْمَعَانِي لُغَةٌ مِنَ اللُّغَاتِ:

إِنَّ عَالَمَ الْمَعَانِي لُغَةٌ مِنَ اللُّغَاتِ فَالْمَعْنَى وَطَبَقَاتُ الْمَعَانِي نَمَطٌ مِنَ اللَّغَةِ وَاللُّغَاتِ؛ وَلِذَا سَيَأْتِي فِي قَوَاعِدِ التَّفْسِيرِ فِي نِظَامِ الْمَعَانِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَفْصِيلٌ ذَلِكَ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَقْسَامَ الْمُخْتَلِفَةَ - مِنَ الْعَوَالِمِ لَيْسَتْ اللَّغَةُ اللَّسَانِيَّةُ الْبَشَرِيَّةُ الْمَشْتَرَكَةُ بَيْنَهَا هِيَ اللَّغَةُ الْبَشَرِيَّةُ كَلًّا، إِذْ لَوْ كَانَتْ اللَّغَةُ اللَّسَانِيَّةُ الْبَشَرِيَّةُ فَقَطُّ هِيَ اللَّغَةُ فَأَيْنَ لُغَةُ التَّخَاطُبِ بَيْنَ الْبَشَرِ وَالْحَوَارِ الْعَيْنِ، إِلَّا بِتَقْدِيرِ لَطَافَةِ الْأَصْوَاتِ فَقَطُّ إِحْسَاسِ الْحَوَاسِ الدِّيُونِيَّةِ لِيَشْمَلَ الْحَوَاسِ الْجِسْمَانِيَّةَ الْأُخْرَوِيَّةَ.

وَكَذَا لُغَةُ التَّخَاطُبِ بَيْنَ الْبَشَرِ وَالْمَلَائِكَةِ (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ) (١). (وَالَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

ص: ٥٠

إِسْتَقَامُوا تَنْزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا (١). إِذْ مِنْ مَدْرَسَةِ السَّمَاءِ تُؤَكِّدُ عَلَيَّ وَجُودَ لُغَةٍ مَشْتَرِكَةٍ بَيْنَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِ مِنْ خِلَالِ
نَظَرِيهِ الْأَلْفَاظِ وَضَعَتْ إِلَى رُوحِ الْمَعَانِي، وَخُذِ الْغَايَاتِ وَاتْرِكِ الْمَبَادِئَ، وَأَنَّ هُنَاكَ عُنَاصِرَ وَلُغَةٍ تَفَاهَمَ وَتَخَاطَبَ بَيْنَ الْعَالَمِ
الرَّبُوبِيِّ وَعَالَمِ الْمَخْلُوقَاتِ - وَإِلَّا نَكُونُ مَعْطَلَةً - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى فِي التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ وَتَتَرْتَبُ عَلَيَّ الْقَوْلُ بِأَنَّ مَعْطَلُونَ لَوَازِمَ
بَاطِلِهِ وَبِالتَّالِي لَا يَقْدِرُ الْبَشَرُ عَلَيَّ الْإِدْرَاكِ وَالْوَصُولِ إِلَى مَعْنَى التَّوْحِيدِ وَمَعْنَى الْعَالَمِ الرَّبُوبِيِّ وَلَوْ بِأَدْنَى دَرَجَاتِ الْإِدْرَاكِ، وَعَلَيَّ
هَذَا يَكُونُ التَّوْحِيدُ مُعْطَلٌ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى -

وَبِرَكَةِ نَظَرِيهِ الْأَلْفَاظِ مَوْضُوعَهُ لِرُوحِ الْمَعَانِي نَسْتَطِيعُ التَّوَصُّلَ وَالْإِدْرَاكَ وَنَمْلِكُ حِظًّا مِنْ الْوَصُولِ وَالْإِدْرَاكِ وَلَوْ لِأَدْنَى عَوَالِمِ
التَّوْحِيدِ، وَالْحَاجَةُ إِلَى لُغَةٍ التَّخَاطَبِ لَيْسَ فَقَطً بَيْنَ بَنِي الْبَشَرِ وَبَيْنَ كَائِنَاتِ فِضَائِهِ - كَمَا يَعْبُرُونَ عَنْهَا - كَعَالَمِ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ
وَالْمَلَائِكَةِ، يَلْبَسُ نَرِيدُ التَّوَصُّلَ إِلَى إِدْرَاكِ أَعْلَى وَهُوَ أَنَّنَا بِحَاجَةٍ إِلَى لُغَةٍ التَّفَاهَمِ بَيْنَ بَنِي الْبَشَرِ وَبَيْنَ الْعَالَمِ الرَّبُوبِيِّ، بَيْنَ عَالَمِ
الْخَالِقِ وَعَالَمِ الْمَخْلُوقِينَ.

إِنَّ قُلْتَ: إِنَّ الْأَلْفَاظَ مَوْضُوعَهُ لَصُورَ جِسْمَانِيهِ أَرْضِيهِ فَهِيَ لَا تَصْلِحُ لِأَنَّ تَكُونَ لُغَةٍ تَفَاهَمَ وَتَخَاطَبَ بَيْنَ الْبَشَرِ وَبَيْنَ عَوَالِمِ أُخْرَى
سِوَا الْعَالَمِ الرَّبُوبِيِّ أَوْ الْمَثَالِيِّ أَوْ عَالَمِ الْمَجْرَّاتِ أَوْ... الخ.

ص: ٥١

قُلْتُ: تَقَدَّمَ إِنَّ الْأَلْفَاظَ تَسْتَعْمَلُ فِي الْمَعَانِي الْكَلِيهِ وَهَذِهِ الْمَعَانِي تَكُونُ جَسْرَ تَخَاطُبٍ وَتَفَاهِمٍ بَيْنَ عَوَالِمٍ وَنَشَآتٍ عَظِيمَةٍ وَكَبِيرَةٍ، وَهَذَا مِمَّا يَدْعُمُ نَظْرَ السَّيِّدِ الْعَلَامَةِ فِي الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ، فَإِنَّهَا اسْتَعْمَلَتْ بِهَذَا الْأَفْقِ الْوَاسِعِ وَالرَّحْبِ بِأَنْ يَتَسَّعَ الْمَعْنَى إِلَى الْأَفْقِ، فَإِنَّهَا اسْتَعْمَلَتْ بِهَذَا الْأَفْقِ الْوَاسِعِ وَالرَّحْبِ بِأَنْ يَتَسَّعَ الْمَعْنَى إِلَى الْأَفْقِ الْمَبِينِ وَلَا يُحَدُّ بِحَدِّ الْأَلْفَاظِ كَمَا وَرَدَ (١) «يَا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى وَبِالْأَفْقِ الْمَبِينِ» بِتَقْرِيْبِ أَنْ الْأَفْقِ الْمَبِينِ يَعْنِي الَّذِي يَسْتَبِينُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ.

وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى قَاعِدِهِ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ: إِنَّ اسْتِعْمَالَ الْأَلْفَاظِ يَرْقَى إِلَى مَعْنَى الْأَفْقِ الْمَبِينِ وَيُطَبَّقُ عَلَى مَصَادِقٍ فِي عَالَمِ الْأَرْضِ وَالْبَرْزَخِ وَالْآخِرَةِ وَعَالَمِ الْمَلَائِكَةِ وَعَالَمِ النُّورِ وَعَالَمِ الرُّوحِ وَ... الخ.

فِي حِينِ أَنْ هُنَاكَ جِهَةٌ اخْتَلَفَ بَيْنَ قَاعِدِهِ الْجَرَى وَبَيْنَ قَاعِدِهِ وَضَعِ الْأَلْفَاظِ لِأَرْوَاحِ الْمَعَانِي وَالْغَايَاتِ، حَيْثُ أَنَّ قَاعِدَهُ الْجَرَى أَوْسَعُ مِنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ وَلَا يَتَّيَّمُ تَقْرِيرَ الْفَرْقِ إِلَّا عَلَى النَّظَرِ الثَّانِيهِ فِي قَاعِدِهِ الْجَرَى وَهِيَ مَخْتَارٌ مِنْهُجٌ أَمُومَةٌ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمَحْكَمَاتِ.

تَنْبِيهِ: يَجِبُ الْاِلْتِمَاتُ إِلَى أَنْ لَا يَخْلُطَ الْبَاحِثُ وَالْمَفْسِّرُ الْحَاقِذُ بَيْنَ خُصُوصِيَّاتِ الْمَصَادِقِ وَالنَّشَآتِ مِنْ جِهَةٍ وَبَيْنَ شَفَافِيَةِ الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى وَالْمَبِينِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَأَنْ لَا يَنْقَطِعَ حِينَئِذٍ لُغَةُ التَّفَاهِمِ

ص: ٥٢

١- (١) المزار للمشهدى: ص ٣١٢؛ وجامع أحاديث السيد للسيد حسين البروجردى: ج ٧، ص ١٦٠.

والتخاطب بين العوالم العلويه والدينيويه ونصيح معطله ويكون كل عالم معزول عن العوالم الأخرى وهذا أو غيره لوازم باطله في حين أن على النظره الثانيه في الجرى كل منهما مراد من دون لزوم تدافع ولا تناقض كما توهمه أصحاب النظره الأولى.

ص: ٥٣

تعرّض علماء الأصول لا سيما صاحب الكفاية الشيخ مُحَمَّد كاظم الخراساني قدّس سرّه في مباحث الألفاظ في بحث المشتق، بلّ وحتّى علماء البلاغه كذلك تعرّضوا لمطلب حاصله:

هُنَاكَ بَعْضُ الْأَوْصَافِ الْمَشْتَرَكَةِ بَيْنَ الْبَارِي تَعَالَى وَغَيْرِهِ، فَمَثَلًا نَصِفُ الْبَارِي تَعَالَى بِأَنَّهُ عَالِمٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ قَدِيرٌ وَ... الخ وكذلك نصف المخلوق بأنّه عالم وسميعٌ وبصيرٌ وقديرٌ و... الخ فهل نقصد من هَيْدِهِ الألفاظ معاني هِيَ عين المعاني الَّتِي نصف بها مخلوق من المخلوقات أو لا؟

والشاهد عَلَى ذَلِكَ ما سأل به هشام بن الحكم الإمام الصادق عليه السّلام فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ تَصِفُ اللَّهَ، قَالَ عَلَيْهِ السّلام: «أصفه بكذا بكذا، قَالَ عَلَى حَدِّ مَا نَصِفُ بِهِ الْمَخْلُوقِينَ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ هِشَامُ إِذْنُ تِلْكَ صِفَتُهُ صَفَهُ مَخْلُوقِينَ فَأَيْنَ صَفَهُ الْخَالِقِ. فتبليبل هشام(١)... إلى أن بَيَّنَّ لَهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السّلام، وَقَالَ: عِنْدَمَا تَقُولُ اللَّهُ عَالِمٌ أَيْ عِلْمُهُ تَعَالَى لَا جَهْلَ مَعَهُ بِخِلَافِ عِلْمِ الْمَخْلُوقِينَ فَإِنَّ الْمَخْلُوقَ الْعَالِمَ لَيْسَ عِلْمُهُ مَطْلُوقٌ وَإِنَّمَا فِيهِ جَهْلٌ، وَهَكَذَا عِنْدَمَا نَقُولُ: اللَّهُ قَادِرٌ أَيْ قَدْرُهُ لَا عَجْزَ فِيهَا، بِخِلَافِ وَصْفِ الْمَخْلُوقِ بِالْقَادِرِ فَإِنَّ

ص: ٥٥

قدرته ممزوجه ومصحوبه بالعجز، وهكذا وصف الخالق بالحي والحياء فَبِإِنَّهُ تَعَالَى حَيٌّ وحياته لا- موت فيها بخلاف حياه المخلوق، فأين هَذَا الحي وأين ذاك الحي وشتان بينهما».

وبالتالى هَذِهِ الأوصاف أَلْفَاظٌ فِي ضَمْنِ الأَلْفَاظِ، ولكن السؤال يقع فِي أَنَّ هَذِهِ الأَلْفَاظِ هل تستعمل فِي معنى مباين أو لا؟ أَى هَذِهِ الأوصاف معانيها واحده بين البارى والمخلوقات أم شىء مباين؟.

الجواب: إن كانت تستعمل فِي معنى مباين، فهل يكون ذكر هَذِهِ الأذكار نفهم ونعى منها شىء أم أَنَّها لقلقه لسان؟

فإذا كُنَّا نعى ونعى منها شىءٌ وَهُوَ أَنَّ نذكر الله بها ونمجده ونُثْنِي عَلَيْهِ ونقدسه فبهذا اللحاظ والمعنى يكون وصفنا لبقية الكائنات والمخلوقات بِأَنَّها عالم أو سميع أو بصير أو قدير... الخ أجنبى مما نَحْنُ فِيهِ وَإِلَّا لا يكون أجنبياً فمعرفة الصفات الإلهيه عَلَى وزن أصل المعرفة الإلهيه لا تعطيل ولا تشبيه فليست الألفاظ متباينه ولا المعانى بحدود المعانى الجاربه فِي الخلق؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ التشبيه حينئذٍ والتباين المطلق مِنْ التعطيل، يَلْ هُوَ أمرٌ بين أمرين، فأصل الكمال والمعنى الكمالى مُتَقَرَّرٌ لكنَّ بلا أَنَّ تقرر الجهات السلبيه مِنْ الحدود الإمكانيه، وكذا تنفى كُلَّ حيثه لها ربط بالحدوث الإمكانى.

وبالتالى البيان لغه يجب أن يكون مشتركاً بين الكائنات الأرضيه

والسماويه والدينيويه والملكوتيه، وبين عالم المثل وعالم العقل والعالم الربوبي و... الخ.

وملخص هَذَا: هل يحتاج إلى لغة مشتركه بين الخالق ومخلوقاته أو بلا لغة تفاهم؟ فإذا كُنَّا لا نحتاج إلى لغة تفاهم فصرنا نُعزِّد في سرب بعيد عَن فَهْمِ العالم الربوبي، وَلَيْسَ عندنا معرفه بالذات الإلهيه لا اقل في أدنى درجات المعرفه بالعالم الربوبي.

ص: ٥٧

هناك أقوال وآراء ونظريات مُتعدِّدة في بيان وتفسير قاعدة الجرى والتطبيق، إلا أنه نقتصر على ذكر أهم قولين أو نظريتين، والبحث حول قاعدة الجرى والتطبيق تارةً على وفق منهج تفسير القرآن بالقرآن، أو التفسير الموضوعي الذي انتهجه السيد العلامة الطباطبائي رحمه الله وبنى عليه صرح منهجه التفسير في كتاب تفسير الميزان، أو التفسير الإشاري أو التحليلي أو اللطائف وغيرها، ولهذا سنقتصر على ذكر منهج السيد العلامة المبنى على منهج التفسير الموضوعي ونجمله في النظرية الأولى، وأخرى نبحت القاعدة على ضوء ما اخترناه في منهجنا التفسيري أمومه الولايه على المحكمات، وهذا ما نُفصِّله في النظرية الثانية، وهما:

النظرية الأولى: للسيد العلامة مُحَمَّد حسين الطباطبائي رحمه الله في كتاب الميزان في تفسير القرآن. وَمِنْ قبله ملا-محسن المعروف بالفيض الكاشاني رحمه الله صاحب الوافي رحمه الله وملا- صدرا رحمه الله وجمله مِنْ أعلام مفسري أهل السنه وغيرهم مِمَّن تَبَنَّى هَذِهِ النظرية.

النظرية الثانية: ما سنرسمه على ضوء منهجنا التفسيري المختار وَهُوَ أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن.

اعتمدت نظريه السيد العلامه رحمه الله وَمَنْ تبعه وَمَنْ قبله في قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير عَلَى جملة من المباني عِنْد علماء البلاغه وأصول الفقه في قسم مباحث الألفاظ وحاصلها:

أولاً: إِنَّ المعنى الذى يُستعمل فيه اللَّفْظ هُوَ مدلول أوَّل، أى المدلول الاستعمالى كَمَا فى زيد كثير الرماد فَإِنَّهُ قَدْ استعمل المعنى فى كثره الرماد فَقَطُّ، ثُمَّ قَدْ يُراد معنى ثانٍ يُسمى بالمعنى أو المدلول التفهيمى بأن يُفهم المقابل أنَّ زيدا كثيراً الرماد، ثُمَّ قَدْ يُراد من كلا المعنيين الاستعمالى والتفهيمى يُراد معنى جَدَى، ولكل واحد من هَذِهِ المدلولات الثلاثه طبقات وإرادات ومُرادات.

ثانياً: كَذَلِكَ اعتمدت نظريه السيد العلامه الطباطبائى رحمه الله عَلَى أَنَّ اللَّفْظَ الْقُرْآنَى اسْتُعْمِلَ فى معنى عام ولا علاقته لَهُ بمورد الاستعمال وَهُوَ التطبيق، وما يُذكر من تأويلات فى الآيات والروايات عبارته عَن مصاديق وتأويل لا تفسير، ولا صلته لَهُ بعالم الدلاله.

وبعبارة أوضح:

إن موارد النزول والتأويل كلها موارد من شؤون مقام التطبيق لا

مقام الاستعمال، والآثار المترتبة عَلَى هَذَا هُوَ: أَنَّ الألفاظ بالأصل لَمْ توضع إِلَى المصاديق وَإِنَّمَا وضعت للمعاني الكلّيه المشتركه بين المصاديق.

وَهَذَا معناه أَنَّ المعاني لَمْ توضع إِلَى خصوص المصاديق المادّيه ولا المصاديق البرزخيه فِي عالم المثال، ولا خصوص مصاديق عالم الآخره ولا-عالم العقل ولا... الخ بَلْ تشمل الكمالات الموجوده فِي الحضرة الإلهيه بحسب نظريه [خذ الغايات واترك المبادئ].

وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الألفاظ ليست فَقَطْ موضوعه للمعاني، بَلْ موضوعه إِلَى روح المعاني وَإِلَى ما هُوَ أبطن وأعمق مِنْ المعاني.

ثالثاً: إِنَّ نظريه السيد العلامه رحمه الله تختصّ بنظام الاستعمال اللفظي، ولا تَعْمُ عالم المعاني وعالم الحقائق.

رابعاً: إِنَّ التطبيق عالمٌ ومرحله منقطعه وفي منأى عَن عالم الدلالات والمدلولات ولا صلّه لها بها، فَإِنَّهُ بَعِيدٌ انتهاء مرحله الدلاله والمدلول إِلَى نتيجته معنى معين، فيأتى بَعِيدٌ ذَلِكَ دور مرحله التطبيق بأن يطبق ذَلِكَ المعنى المعين عَلَى المصاديق، فَإِنَّ الصّله بين التطبيق وبين مرحله الدلالات والمدلولات بِهِذا المقدار: -

إِنَّ المعنى النهائى المتحصّل مِنْ عالم الدلالات عِنْدَمَا يطبق عَلَى المصداق الخارجى فذاك المعنى يطبق، وَعَلَيْهِ فالمعنى هُوَ الرابط والصّله، وَإِلَّا فخصوصيات التطبيق ليست لها أيّه صلّه ورابط ولا أَى تضمّن

بمرحلة الدلالات والمدلولات، وَعَلَى وفق هَذَا المنهج التفسيري لهذه القاعده، فَإِنَّ أصحابه يلتزمون بضمان حياه القرآن وحيويته وفاعليته وعصريته وخلوده وأبديته مِنْ أَنَّ المعنى للآيه كَلِّي وأدوار العصور تطبيقات مصداقيه.

خامساً: إِنَّ الآيات الَّتِي فيها الخطاب موجّه إلى شخص أو أشخاص عَلَى مبنى السيد العلامه الطباطبائي رحمه الله لا تجرى فيها قاعده الجرى والتطبيق، فَإِنَّ كُلَّ مِنْ المعنى الاستعمالي والتفهيمي والجدى للآيه لَيْسَ كلياً، إِلَّا أَنَّهُمْ فَسَّرُوا وفصلوا مرحله التطبيق مقابل التنظير، والحال إِذَا كَانَ التنظير يتضمّن خصوصيه فلا- يغير التطبيق كي يجرى المعنى بكليته وسيعه، فَمِنْ ثَمَّ لا تجرى عندهم قاعده الجرى والتطبيق فِي مثل هَذَا النمط مِنْ الآيات.

وفصلوا بينهما - مرحله التطبيق ومرحلة التنظير - وَأَنَّ مقام التنظير عَلَى صعيد المعنى التصوري أو التفهيمي أو الجدى سواءً.

فَهُوَ ليست إرادته استعماليه وَإِنَّمَا هُوَ مقام استثمار.

إِذْنَ لا- صله للمصدايق بالتنظير بالخطاب القرآني إرادةً واستعمالاً، حَسَبَ النظرية الأولى، وَلَيْسَ المقصود أَنَّهُ لا خطاب موجّه للمصدايق، وَإِنَّمَا الخطاب دائماً فِي التنظير ويلحظ فيه جانب المدلول الدلالي ورؤيه التنظير.

وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى خلاف ما سيأتى فِي النظرية الثانيه مِنْ قاعده الجرى

والتعبير وأنَّ مقام التطبيق هُوَ بمنزله مرحله الامتثال وتنجز الأحكام كعمده الغايه، ونظير المُقنن للقانون وإنَّ لم يكن غرضه مصداق خاص، لكنَّ غرضه قائم بوقوع وتحقق المعادله الكُليّه، نعم في التقنين هُوَ التطبيق عَلى المصاديق بخصوصياتها وشخصنتها فإنَّها المصاديق بخصوصياتها لم تؤخذ في التقنين كغايه وإنَّما الخصوصيات فيها - المصاديق - في عالم التقنين عَلى نحو الطريقيه.

نعم هَذَا في عالم التقنين.

وأما بحسب النظرية الثانيه - مختار منهج أمومه الولايه عَلى المحكمات - في قاعده الجرى فإنَّ الخصوصيات كُلَّها مُرادَه بنحو الجرى لا سيَّما خصوصيات أهم وأعظم وأخطر المصاديق.

وهذه جهه اختلاف بين علم القانون والنظرية الثانيه وإنَّ اشتركا في أنَّ التطبيق هُوَ الغايه العمده.

نعم، التطبيق عَلى المصاديق ولكن لا- بشخصنتها وخصوصيتها، فإنَّ المصاديق لم تؤخذ عَلى نحو الموضوعيه وإنَّما عَلى نحو الطريقيه، ويمكن التعدى إلى غيرها أفراداً وزماناً ومكاناً، فذاك متروك للمتخصّصين ولها ضوابط أُخرى.

وهذا المقدار من الفرق تنجم عنه تداعيات كثيره سوف تتضح وتبين بعد ذلك.

وأما المصاديق حسب النظرية الأولى في قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير، لم تؤخذ في بصيص عالم التنظير، وإنما عالم التنظير هو تمام محض إرادته استعماليه أو تفهيميه أو جدّيه، وأما المصاديق والأفراد فليست منظوره.

تميز حقيقه المدلول الاستعمالي عن الجدّي:

تنبيه هام: لعلّه يحصل خلطاً واشتباهاً عند البعض في التطبيق بين المدلول الاستعمالي والمدلول الجدّي وحاصله:

كيف يُراد المعنى بإرادته استعماليه وهو ليس مُراداً بإرادته جدّيه، وهذا خلطٌ واضحٌ، إذ من الواضح أنّ الإنسان عنده عدّه إرادات، فمثلاً لا يخلو الإنسان من إحدى حالتين: إمّا مُتكلّم أو غير مُتكلّم، فهو على الفرضين له إرادات مُتعاque فمثلاً: - يذهب زيد إلى السوق وعنده إرادات عدّه:

١ - إرادته شراء اللحم من القصاب مثلاً. إرادته أولى.

٢ - العوده إلى البيت. إرادته ثانيه.

٣ - وضع اللحم في مكان بارد لأجل الحفاظ عليه من التلف. إرادته ثالثه.

٤ - لطبخه في اليوم التالي للضيوف - إرادته رابعه.

إلى غير ذلك من الإرادات المختلفه وعلى طبقات، وهذه الإرادات

المتعاقبه هـى إعداده وتمهيديه ومُتوسِّطه لأجل أن تصل إلى الإراده النهائيه، وهى تقديم خدمه الضيافه للضيوف، وهذه الإراده النهائيه هـى إرادهُ جدِّيه، وينبغى الالتفات إلى أنه من الواضح: - أنه ليس كل إرادهُ ولو كانت إعداده ومُتوسِّطه للإرادهُ النهائيه هـى إرادهُ إحكام وجدُّ كالإرادهُ النهائيه؛ لأنَّ طبيعه الإنسان فيها إرادات مُتعاقيه يتلو بعضها البعض ويقوى بعضها البعض، مثلما الإرادات الإعدديه على طبقات كذلك الجدِّيه على طبقات.

٥ - لماذا تريد تقديم الخدمه للضيوف؟ إرادهُ خامسه مثلاً، جزاءً لضيافتهم سابقاً.

٦ - ولماذا تريد جزاء الإحسان بالإحسان؟ إرادهُ سادسه كى لا أُدْمُ.

٧ - ولماذا تريد أن لا تُدْمُ؟ إرادهُ سابعه، كى أكون حسن السمعهُ وطيب الأخلاق.

٨ - ولماذا تريد أن تكون حسن السمعهُ وطيب الأخلاق؟ إرادهُ ثامنه. كى أُناب فى الآخره.

وهكذا إرادات مختلفه ومتفاوته فى الشده والضعف، ولا- يعنى هـذا أن الإرادهُ الضعيفه ليست بإرادهُ، وأن هُنَاك إرادهُ أقوى منها، وضعف الإرادهُ لا يزلزل سبق الإرادهُ على الإرادهُ.

وهكذا الكلام في الإرادات الاستعمالية المتعدده، فمثلاً عندما يُطعن بشخص زيد ويُقال إنه بخيل وهو كاذب في طعنه، فعندما يُقال له زيدٌ كثيرُ الرماد، وكثره الرماد كناية عن كرمه، ولا تنحصر بكثره الطبخ المستلزمه لكثره الضيوف، وإنما كثره الرماد كناية عن الكرم حتى في مثل الشخص عندما يهب أغنامه أو أمواله إلى شخص آخر أيضاً يُقال عنه إنه كثير الرماد، وهذا المتكلم أراد أن يفهم الشخص الآخر أن زيدا ليس ببخيل فهنا اختلف المراد الاستعمالى عن المراد التفهيمى عن المراد الجدى إرادات تلو بعضها البعض، وَعَلَيْهِ فَقَدْ تَكُونُ فِي الْبَيْنِ إِرَادَاتٌ اسْتِعْمَالِيَّةٌ مُتَعَدِدَةٌ تَخْتَلِفُ عَنْ بَعْضِهَا الْبَعْضُ.

ومثال ثالث على اختلاف وتعدد الدلالات، الاستعمالية والتفهيمية والجديه - ما حكماه لنا القرآن في قصة يوسف عليه السلام عندما أمر يوسف عليه السلام من يخاطب أخوته (أَيُّهَا الْعَبْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) (١) فالدلاله الاستعمالية في الآية أنه عليه السلام استعمل كلمه (سارقون) - وسارق: - اسم فاعل واسم الفاعل يجرى على حركات وسكنات وزمان المضارع - فكأنما الآن سرقوا وانصرف الاستعمال إليه، والإرادة التفهيمية هي إرادته يوسف عليه السلام ولو بواسطة جواب من يأمره يوسفه عليه السلام بذلك، عندما قالوا: أخوه يوسف عليه السلام ماذا تفقد قال يوسف عليه السلام نفقد صواع الملك - وهنا أخوه يوسف عندما عبروا ب - (تفقدون) عن السرقة - بينما الجواب الذى

ص: ٦٧

صدر من يوسف عليه السلام - ولو بتوسط من يأمره - أفهم يوسف عليه السلام إخوته أن الفعل (فُقِّدَ) هو سرقة لاصواع هَذَا عَلَى مستوى الإرادة التفهيمية لا الجدیه.

وأما المراد الجدی ليوسف عليه السلام من كلمه (فُقِّدَ) لَيْسَ السرقة وَإِنَّمَا هُوَ عدم وجود الصواع في مكانه ووجوده في مكان آخر الله أعلم به.

وَمِنْ هَذَا تحَصَّلَ أَنَّ المراد الاستعمالي شيء، والتفهيمي شيء آخر، والجدی شيء ثالث وَكُلُّ واحدٍ مِنْ هَذِهِ الدلالات الثلاث لها طبقات.

والخلاصه: وَعَلَيْهِ فتعدد وتعاقب الإرادات باب وسيع؛ لِإِنَّهُ فِي الكلام توجد مُرَادَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ مُتَعَاقِبَةٌ يتلَوُّ بعضها البعض، ولا يُتَوَهَّمُ أَنَّ الإرادات الإعدادية والتمهيدية من الاستعمالية بطبقاتها والتفهيمية كَذَلِكَ إِذَا لَمْ تطابق وتوافق الدلاله الجدیه النهائيه أَنَّها ليست إرادات، وَإِنَّمَا هُوَ إراداتٌ تمهيدية موجوده.

تنبيه: هُنَاكَ أمران ينبغي التنبيه عليهما في قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير وأخذهما بنظر الاعتبار وَهُمَا:

الأمرُ الأوَّل: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ كَشَفَ عَنْ قَاعِدَةِ الجرى والتطبيق أو التعبير هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ والروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام، والذي نُريدُ التنبيه عَلَيْهِ هُوَ أَنَّ جميع الآيات وَإِنْ كَانَ الخطاب فيها مَوْجَهًا لشخص المُخاطَبِ وَمُصَيَّرًا بِاسْمِ المُخاطَبِ كَمَا فِي قوله تَعَالَى:

(لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ) أو (وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ١٧) أو (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) (يا عيسى) أو... الخ، وهكذا الروايات الخاصّة صلى الله عليه وآله المُصَيَّرَحَ بها اسم المخاطب وشخصه مثلاً: - يا هشام أو يا زراره يا أبا بصير أو... الخ، فَإِنَّهُ يمكن أن يعبر بالخطاب من شخص المخاطب المصرّح به في الآيه القرآنيه أو الروايه إلى موارد أُخْرَى، وكذلك الموارد الأُخْرَى الَّتِي يُمَيِّزُ عِبْرَ إِلَيْهَا هِيَ الأُخْرَى ليست مُراداً نهائياً وَإِنَّمَا يوجد مُراد بعدها وما وراءها؛ لِأَنَّهُ تَقَدَّمَ إِذَا نزلت بَعْضُ آياتِ الْقُرْآنِ فِي شخص أو واقعه معيّنه واقتصر عَلَيْهَا ثُمَّ انقضى أو مات مَنْ نزل فيه أو... فتموت الآيه بموته أو تنقضى الآيه بانقضائه إِذْ نزلت الْقُرْآنَ، كَمَا فِي الروايه الْمُتَقَدِّمَهُ... الحسين بن مُحَمَّدٍ الأَشْعَرِي عَنِ المَعْلِيِّ بن مُحَمَّدٍ عَنِ مُحَمَّدِ بن جَمْهُورٍ عَنِ... عَنِ أَبِي بصير قَالَ: - قلتُ لأبي عبد الله عليه السَّلام... لو كانت إِذَا نزلت آيه عَلَى رجل ثُمَّ مات ذَلِكُ الرجل ماتت الآيه مات الكتاب، ولكنّه حَتَّى يجرى فيمن بقي كَمَا يجرى فيمن مضى (١).

الفرق بين المعنى التنزيلى والمعنى التأويلى والاستعمالى:

الأمر الثَّانِي: هُنَاكَ فرق بين أن تكون ألفاظ الآيه مِنْ أَوَّلِ الأمرِ مستعمله فِي تشخيصات مصداقيه خاصّه ثُمَّ نريد التعدى مِنْ ذَلِكِ المعنى

ص: ٦٩

وبين أن يُقال: - أن المعنى الاستعمالي من أول الأمر استعمل في معنى عام، وتكون موارد النزول تطبيقات لذلك المعنى فيكون التأويل في المعنى والنمط الأول - من عالم الدلالة ولو الالتزامية ومن شؤون المعنى ولو تبعاً. بينما التأويل في النمط الثاني - العام - وفقاً للنظريه الأولى في قاعده الجرى لا صلته له بعالم الدلالة بل من الشؤون المتمحّضه بالتطبيق، وهذا ما يُفسّره البعض بتأويلات القرآن، ويلتزم به حتى مثل السيد العلامه الطباطبائي رحمه الله بأن تأويلات القرآن عبارته عن انطباقات ومصاديق انطباقية تتعاقب للمعنى العام للآيه، هذا هو معنى التأويل الذي يكون عبارته عن تطبيقات متعاقبه مصداقيه للآيه.

وعلى هذا فيكون المعنى المراد بالتأويل: شىء خارج نطاق مراحل الدلالة على ما يصيّر به السيد العلامه الطباطبائي رحمه الله وأن تفسير مثل قوله تعالى (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) (١) بأن تأويل القرآن هو وقوع خارجى وشىء حادث لا صلته له بعالم الدلالة والمدلول وما شابه ذلك.

إنما المدلول العام للآيات والسور ينطبق عليه لا - أنه من أصل اللفظ والدلالة استعملت في تلك الماهيات أو مفاهيم تلك المصاديق وغيرها، وعلى هذا فإن التأويل لا صلته له بمعاني القرآن، ولا أقل لا

ص: ٧٠

صله له بعالم الاستعمال اللفظي في القرآن، ويكون التأويل مقابل التنزيل، وتكون صله التأويل فقط بعالم الحقائق للقرآن، وعلى هذا يكون النزول مورداً تطبيقياً للمعنى الاستعمالي الذي استعمل في معنى عام من أول الأمر، ويكون المعنى التنزيلي ليس معنى استعمالياً للآيات، وإنما يكون - المعنى التنزيلي - معنى المصداق تنزيلاً، والمعنى التأويلي يكون معنى المصداق وتطبيق آخر خفي آتٍ مستقبلاً.

وهناك فرق بين التعبير ب - [هَذَا اللَّفْظُ هَكَذَا تَنْزِيلُهُ] وفق النظرية الأولى التي يتبناها السيد العلامة الطباطبائي رحمه الله وبين التعبير [هَذَا اللَّفْظُ تَنْزِيلُهُ هَكَذَا].

أما معنى التعبير الأول: هكذا تنزيله: - أي المعنى الذي نزلت فيه الآية المباركة، فمثلاً قوله تَعَالَى (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (١) بتقريب: - أن المعنى الذي نزلت فيه الآية المباركة هو بيان مظلوميته آل مُحَمَّد وَأَنَّ الظالم لآل مُحَمَّد سيعلم كيف تنقلب عاقبته، وليس المراد المعنى الذي استعملت فيه الآية المباركة بل المراد هكذا تنزيله.

وبعبارة أخرى: أن المصداق التنزيلي الذي تُبْقَتْ عَلَيْهِ الآية المباركة في بدء نزولها هو هذا المعنى، وليس المراد لفظ الآية أي لفظ التنزيل، فإن هذا المعنى ليس داخلياً في شأن اللفظ وشأن المعنى.

ص: ٧١

وَهَيْدِهِ ثَمْرَةٌ لَطِيفَةٌ وَجَيِّدَةٌ عَلَى مَبْنَى السَّيِّدِ الْعَلَمَاءِ الطَّبَاطِبَائِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ حَسْبَ النَّظَرِيَّةِ الْأُولَى الْقَائِمَةِ عَلَى عِزْلِ مَقَامِ التَّنْظِيرِ عَنِ التَّطْبِيقِ، مَعَ غَضِّ النَّظَرِ عَنِ الْإِتْقَادَاتِ الْمَوْجَّهَةِ إِلَى هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ.

إِذْ نَ الْلَّفْظِ فِي الْآيَاتِ وَالسُّورِ اسْتُعْمِلَ فِي مَعْنَى كَلِّيٍّ أُرِيدَ مِنْهُ اسْتِعْمَالًا تَفْهِيمِيًّا جَدًّا، وَهَيْدِهِ أَحَدُ الثَّمَرَاتِ الْمُهَمَّةِ لِتَفْسِيرِ قَاعِدِهِ الْجَرِيِّ وَالتَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ، الَّتِي ذَكَرَهَا الْأَعْلَامُ السَّابِقُونَ مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ، أَمْثَالُ الشَّيْخِ الْمَفِيدِ وَغَيْرِهِ، وَمِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ أَمْثَالُ الشَّيْخِ جَعْفَرِ كَاشِفِ الْغَطَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَيْرِهِ، وَحَاصِلُ مَا ذَكَرُوهُ:

إِنَّ الْمَعْنَى الْمَصْدَقِيَّ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ الْآيَةُ أَوَّلَ التَّنْزِيلِ وَالتَّطْبِيقِ، وَأَنَّ الْآيَةَ لَهَا مَعْنَى كَلِّيٌّ وَأَلْفَاظُ كُلِّيَّةٌ طُبِقَتْ فِي هَذَا الْمَصْدَقِ، فَهَذَا هُوَ مُرَادُهُمْ مِنْ التَّعْبِيرِ [هَكَذَا تَنْزِيلُهُ]، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَرَاتٌ كَثِيرَةٌ تَظْهَرُ فِي الرِّوَايَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْمَصَادِرِ الْحَدِيثِيَّةِ الْقَدِيمَةِ وَالْمُتَأَخَّرَةِ الَّتِي يَظُنُّ بِهَا غَيْرُ الْمُتَضَلِّعِ فِي الْعِلْمِ أَنَّ هَذِهِ رَوَايَاتٌ تَحْرِيفِيَّةٌ، وَهِيَ لَيْسَتْ كَذَلِكَ وَكَمَا يَظُنُّ.

وَالْخِلَاصُ مِنْ كُلِّ هَذَا: - يَكُونُ مَعْنَى [هَكَذَا تَأْوِيلُهُ] عَلَى حَسَبِ النَّظَرِيَّةِ الْأُولَى هُوَ: إِنَّ الْمَعْنَى الْمَصْدَقِيَّ الَّذِي سَتُؤُولُ إِلَيْهِ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ، وَالْآيَةُ لَهَا مَعْنَى عَامٌ تَجْرِي عَلَيْهِ انْطِبَاقًا كَالْقَالِبِ الَّذِي تَخْرُجُ مِنْهُ قَوَالِبٌ مُتَعَدِّدَةٌ - وَكَيْسَ هَذَا تَصَرَّفَ فِي نِطَاقِ الدَّلَالَةِ وَالْمَدْلُولِ - وَعَلَيْهِ فَالتَّشْبِيحُ الَّذِي يَحْصُلُ مِنْ غَيْرِ الْمُتَضَلِّعِينَ فِي الْعِلْمِ مِنَ الْمَوَافِقِينَ وَالْمُخَالَفِينَ بِأَنَّهُ كَيْفَ تَكُونُ الرِّوَايَةُ الْوَاحِدَةُ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مَعْنَى، وَيَظْهَرُ لَهُمْ أَنَّ هَذِهِ

الروايه فيها تحريف، ولكنَّ الصحيح هُوَ أَنَّ هَذِهِ الروايات ليست في صدد بيان ألفاظ المصحف الشريف، وَإِنَّمَا هِيَ فِي صدد تبيان المصاديق المَهْمَه الَّتِي هِيَ مورد نزول الآيات أو مورد الانطباق المستقبلي للآيات.

وَأَمَّا معنى التعبير ب اللفظ تنزيله هكذا:

فَيُرَاد منها: أَنَّ أَلْفَاظَ التَّنْزِيلِ هِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى اللَّفْظِ الكَذَائِيِّ أَوْ العِنْوَانِ الكَذَائِيِّ، فَهِيَ مُرْتَبِطَةٌ بِقَالَِبِ اللَّفْظِ النَّازِلِ.

وَعَلَى هَذَا فَمَا قَدْ يُقَالُ مِنَ التَّحْرِيفِ اللَّفْظِيِّ فَيَكُونُ فِي النَّمطِ الثَّانِي - تنزيله هكذا - لا النمط الأول - هكذا تنزيله. وبذلك يظهر أَنَّ مَا تُؤْهِمُ مِنْ كَوْنِ كَثِيرٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ هِيَ مِنْ رَوَايَاتِ التَّحْرِيفِ تَوَهُّمًا فَاسِدًا، إِذْ لَيْسَ هِيَ فِي صدد أَلْفَاظِ التَّنْزِيلِ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي صدد مورد التَّنْزِيلِ، وَهَذَا مَا نُبِّهَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ المَفِيدُ (١) وَالشَّيْخُ جَعْفَرُ كَاشِفُ العِطَاءِ رَحِمَهُ اللهُ، وَمِنْ ثَمَّ يَتَّضِحُ أَنَّ مَا جَعَمَهُ المِيرْزَا النُّورِيُّ مِنْ رَوَايَاتٍ فِي كِتَابِهِ فَصَلِ الخُطَابِ، جَلَّةٌ مِنَ النَّمطِ الأوَّلِ - هكذا تنزيله - عدا روايه واحده مقطوعه النسب والمصدر وَهِيَ روايه كتاب بُسْتَانِ.

بيان موقف:

النتيجه الثمينه الَّتِي تَوَصَّلْنَا إِلَيْهَا هِيَ: - أَنَّ النُّظْرِيَةَ الأوَّلَى الَّتِي تَبْنَاهَا السَّيِّدُ العُلَمَاءُ الطَّبَاطِبَائِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي مَنَهْجِهِ التَّفْسِيرِيِّ المَوْضُوعِيِّ

ص: ٧٣

١- (١) الشَّيْخُ المَفِيدُ فِي أوائل المقالات.

للقرآن الكريم، لا نرفضها تماماً ولا نقبلها تماماً، وَإِنَّمَا نَفَصِّلُ فِيهَا، ولا نقول أنها نتيجة سيّاله، وَإِنَّمَا هِيَ تنفع في موارد كثيرة: -
منها رفع الالتباس عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي تَوَهَّمُ أَنَّ مَفَادَهَا تحريف القرآن مَعَ أَنَّهَا فِي صدد بيان مورد التنزيل لا اللَّفْظِ النازل.

ص: ٧٤

خواص ومميزات النظرية الأولى

التي تبناها السيد العلامة الطباطبائي

أحد أهم خواص هذه النظرية: - إنَّ المصَادِقَ الَّتِي تُذَكَّرُ كتطبيقات لمعاني كَلِمَةٍ للكلام تَتَّصِفُ بوصفين أو أنَّ المُرَادَ التَّطْبِيقِيَّ لَهُ تَفْسِيرَانِ: -

التفسير الأول: أَنَّهَا أَيُّ المصَادِقِ مُرَادَةٌ جَدًّا.

التفسير الثاني: لَيْسَتْ مُرَادَةٌ جَدًّا.

فَمَا مَعْنَى ذَلِكَ؟

أَمَّا التفسير الأول: أَنَّهَا مُرَادَةٌ جَدًّا - أَيُّ أَنَّ المصَادِقَ مُرَادَةٌ بِمَعْنَى أَنَّ الجِهَةَ العَامَّةَ المُتَكَرِّرَةَ أو المُشْتَرَكَةَ بَيْنَ المصَادِقِ هِيَ مُرَادَةٌ، فَمِثْلًا قَوْلُهُ تَعَالَى (وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (١).

بتقريب: إِنَّ ظَلَمَ لِأَيِّ مَظْلُومٍ هُوَ بَيَانٌ لَجِهَةِ عَامَّةٍ وَمُرَادُهُ أَيُّ جَنْبِهِ (أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) بِاتِّجَاهِ أَيِّ ظَالِمٍ فِيمَا صَنَعَهُ وَاتِّجَاهِ أَيِّ مَظْلُومٍ كَطَبِيعَةِ عَامَّةٍ وَكَمَغْزَى عَامٍ، فَإِنَّ هَذَا مُرَادٌ فِي كُلِّ المصَادِقِ، بِخِلَافِ الخُصُوصِيَّاتِ فَهِيَ غَيْرُ مُرَادَةٍ.

وَأَمَّا التفسير الثاني: المصَادِقِ لَيْسَتْ مُرَادَةٌ جَدًّا، أَيُّ أَنَّ المِتَكَلِمَ لَمْ

ص: ٧٥

يلحظ الخصوصيات في ألفاظ كلامه، ولا في المعنى الاستعمالي ولا التفهيمي ولا الذهني ولا الجدّي، كما يُدعى في هذه النظرية - الأولى - أن قوله تعالى (فَسَيُلْوَ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (١) أن أهل البيت عليهم السّلام ليسوا معنيين في هذه الآية بنحو الإرادة الجدّيه والاستعماليه، وإنما هم مصاديق لما هو مراد، فكون الرسول هو الذكر في قوله تعالى (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا - يَتْلُوا) (٢) لا - يعنى كون هذه من خصوصيات الاستعمال، ولا من خصوصيات المعنى التفهيمي، ولا المراد الجدّي، بل هي محض مصاديق تطيقي وإن كان هو من أعظم المصاديق.

الخلاصه: من هذا أن الجبهه العامه في المصاديق مراده، وأما الخصوصيات للمصاديق أي الجبهه الخاصه فهي غير مراده.

التفسير الثاني: الإراده والتطبيق.

هناك تفسير آخر للمصاديق المراده وغير المراده، وذلك:

المصاديق المراده: - غايه الكلام المعبره هي التطبيق، أو التنظير فقط، وليست الغايه غايه استعماليه أو تفهيميه، أو جدّيه أو دلاليه أو... الخ وإنما الغايه المقصوده: - هو أن غرض المتكلم وما شابهه هو الذي يدفع المخاطب للتطبيق، فإن التطبيق غايه وغرض للمتكلم حتى التطبيق على الخصوصيات، وإن لم تكن غايه من الغايات قد دخلت في

ص: ٧٦

١- (١) سورة النحل: الآية ٤٣.

٢- (٢) سورة الطلاق: الآية ١٠-١١.

نطاق الكلام لكنّها بالتالى غايه ما وراء الكلام سواء افترضنا أنّ هذه الغايه وقعت بجمله خبريه أو إنشائيه.

وسواء افترضناها فى آيات الأحكام - فقه الفروع - أو آيات المعارف الّتي هي أخبار عن حقائق أو فى الأمثال أو المواعظ أو فى أى باب من الأبواب الغائيه لأبواب استعمالات الفاظ القرآن، فمثلاً: - باب الإنشاء فى مثل الآيه المباركه (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (١) فَإِنَّ التّعبير بفعل الأمر (قُوا) دالٌّ على الإنشاء له غايه، وغرض البارى تعالى فى المقام هو توجيه الخطاب للناس والتحذير منه.

أو جملة خبريه كما فى الآيه المباركه (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى) (٢).

بتقريب: على ضوء - النظرية الأولى - للسيد العلّامه الطباطبائى رحمه الله فإنّ أقرب مصداق لقربى النّبى صلى الله عليه وآله وأوصى بهم جميع البشر ليراعوا حرمة قربى النّبى صلى الله عليه وآله، وإن كان هناك آيات كثيره حول الترحم والقربى فى القرآن، ولكن الترحم الذى يتأكد الإيضاء بها هي رحم الوالدين (وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) (٣) فهناك مصاديق كثيره للوالد: - والدٌ وُلدَ بدنك ووالد ربّك ورعاك ووالد هداك ووالدٌ ولد نور جوهر روحك الذى يعلمك ويوجد لديك

ص: ٧٧

١- (١) سورة التحريم: الآيه ٦.

٢- (٢) سورة النحل: الآيه ٩٠.

٣- (٣) سورة البقره: الآيه ٨٣.

العلم الذى يحييك ولكن بأى حياه؟ وإن كَانَ العلم حياه والجهل ممات، هل بحياه الروح يحييك أم بشىء آخر، وحياه الروح أعظم ووالد الروح أولى بالوالديه مِنْ والد حياه البدن، فَإِنَّ حياه البدن شىء وحياه الروح شىء آخر (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) (١) بتقريب: - إِنَّ التَّوِيلَ الْأَعْظَمَ لِأَحْيَاءِ الرُّوحِ هُوَ هِدَايَاهَا، وَلِمَاذَا الْهِدَايَةُ أَعْظَمُ؟ لِأَنَّهَ بِيَرَكِهِ الْعُلُومُ تَحْيِي الْأَرْوَاحَ وَالْعُقُولَ وَالنَّفُوسَ. كَمَا فِي رَوَايَةِ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي بَانَ بْنِ عَثْمَانَ عَنْ فَضِيلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) قَالَ: مَنْ حَزَقَ أَوْ غَزَقَ: قُلْتُ: فَمَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ ضَلَالٍ إِلَى هُدًى؟ قَالَ ذَلِكَ تَأْوِيلُهَا الْأَعْظَمُ (٢).

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ الْآيَاتُ وَغَيْرُهَا تَكُونُ لَهَا تَطْبِيقَاتٌ وَليست دَاخِلًا فِي الْمَعْنَى.

ص: ٧٨

١- (١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ١٦٨ ح ٢.

ذكرنا النظرية الأولى في قاعده الجري والتطبيق أو التعبير وقد تقدمت وهذه هي النظرية الثانية في القاعده المبحوثة والتي فهمناها ونبناها على ضوء منهجنا التفسيري المختار أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن، من بيانات أهل البيت عليهم السلام.

وقبل الخوض بتفاصيل النظرية الثانية نذكر مقدّمه تحت هذا العنوان:

قاعده الجري والتطبيق (أو التعبير)

لا تختص بنظام الاستعمال اللفظي:

ننطلق في بحث قاعده الجري من نفس تحدث القرآن عن نفسه (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (١) وقوله تعالى (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٢٧) (٢).

تبيّن من خلال الأبحاث السابقه أنّ قاعده الجري كيف لها سعه وبيان سعي لا تقتصر على علم التفسير بل تتجاوزه إلى جملة علوم القرآن، وكذلك

ص: ٧٩

١- (١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

٢- (٢) سورة لقمان: الآية ٢٧.

لَيْسَ مَخْتَصَّه بِنِظَامِ الْاِسْتِعْمَالِ اللَّفْظِيِّ فِي الْقُرْآنِ وَلَا يُمْكِنُ حَصْرُهَا بِهِ، بَلْ تَشْمَلُ نِظَامَ الْمَعَانِي فِي الْقُرْآنِ أَيْضًا، سِوَاءَ بِدَرَجَةٍ الْإِشَارَاتِ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ، أَوْ بِدَرَجَةٍ لَطَائِفِ مَعَانِي الْقُرْآنِ أَوْ تَعْبِيرِ الْقُرْآنِ بَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ أَنَّ قَاعِدَهُ الْجَرِيَّ وَالتَّطْبِيقَ تَشْمَلُ نِظَامَ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ، وَهَذَا بِخِلَافِ الْقَوْلِ الْمَعْرُوفِ الْآنَ فِي قَاعِدِهِ الْجَرِيَّ وَأَنَّهَا مَخْتَصَّةٌ فَقَطْ بِقَوَاعِدِ نِظَامِ الْاِسْتِعْمَالِ اللَّفْظِيِّ فِي الْقُرْآنِ.

إِلْفَاتٍ نَظَرًا: تَقَدَّمَ فِي بَحْثِ الْقَاعِدَةِ الْأُولَى فِي نِظَامِ الْاِسْتِعْمَالِ اللَّفْظِيِّ فِي الْقُرْآنِ وَهِيَ قَاعِدَةُ التَّعْرِيفِ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مَخْتَصَّةً بِنِظَامِ الْاِسْتِعْمَالِ اللَّفْظِيِّ وَإِنَّمَا تَعْمُ نِظَامَ الْمَعَانِي وَنِظَامَ الْحَقَائِقِ وَأَنَّ قَاعِدَةَ التَّعْرِيفِ تَتَشَعَّبُ مِنْهَا قَوَاعِدُ أُخْرَى لِقَاعِدَةِ الْاِلْتِفَاتِ، وَقَاعِدَةُ اِسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي أَكْثَرِ مَنْ مَعْنَى، وَقَاعِدَةُ إِيَّاكَ أَعْنَى وَاسْمَعِي يَا جَارِهِ وَقَاعِدَةُ الْجَرِيَّ وَالتَّطْبِيقَ أَوْ التَّعْبِيرَ... الخ.

وَالَّذِي نُرِيدُ اِلْفَاتِ النَّظَرَ إِلَيْهِ هُوَ أَنَّهُ هُنَاكَ جَمَلُهُ مِنْ قَوَاعِدِ نِظَامِ الْاِسْتِعْمَالِ اللَّفْظِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَهَا سَرِيَانٌ فِي نِظَامِ الْاِسْتِعْمَالِ الْمَعْنَوِيِّ فِي الْقُرْآنِ، وَنِظَامِ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ.

وَعَلَيْهِ يُمْكِنُ تَسْرِيهِ قَوَاعِدِ الْاِسْتِعْمَالِ اللَّفْظِيِّ إِلَى قَوَاعِدِ نِظَامِ الْمَعَانِي بِشَيْءٍ مِنَ التَّشْفِيفِ وَاللِّطَافِ وَقَلْعِ الْقَشُورِ طَبَقَ مَوَازِينِ وَضَوَابِطِ بِحَسَبِ مَا نَشَاهَدُهُ فِي الْآيَاتِ وَالرَّوَايَاتِ، بِمَا يَتَعَدَّى وَيَشْمَلُ عِلْمَ التَّأْوِيلِ وَاللِّطَائِفِ وَالْإِشَارَاتِ وَالتَّعْبِيرِ وَتَرْجِمَانِ الْقُرْآنِ، بَلْ وَتَسْرَى إِلَى

علم حقائق القرآن ولكن بدرجة من الشفافيه واللطافه أكثر فأكثر بحسب ضوابط وموازن تنضبط بها هذِهِ العلوم الكبيره مَعَ التعدى إليها بحسب ما وقفنا عَلَيْهِ فِي الآيات والروايات.

وهذه أيضاً مزيه أُخْرَى يَتَّصِفُ بِهَا منهجنا التفسيري فِي أمومه الولايه عَلَى المحكمات فضلاً عَن المتشابهات فِي القرآن الكريم، كمنظومه ذات طبقات ونُظْمٍ عَن باقي المناهج التفسيريّه، وَإِنْ كَانَ لها دورٌ فِي تفسير علوم القرآن.

والمهم الذى ننتهى إليه، أَنَّهُ عُلِمَ مِمَّا تَقَدَّمَ ذكره مِن قواعد فِي النظام الأَوَّل - نظام الاستعمال اللفظى - لا يختصّ به ويتعداه إلى غيره، وكذلك هِيَ غَيْرٌ مختصّه بعلم التفسير، يَلُجُّ يتعداه إلى غيره مِن سائر العلوم الدينيه، ولكن كُلُّ ذَلِكَ التعدى يحتاج إلى تشفيف وتلطيف فحينئذٍ لا مانع مِن أن تكون هذه القواعد قواعداً وموازيناً لعلوم أُخْرَى.

ولذا نجد كثيراً مِن العُلَمَاءِ والباحثين فِي علم التفسير مثلاً- يخشون الولوج فِي علم التأويل لأنهم لا- يحيطون خُبْرًا بقواعده وموازنه.

وكذلك تَقَدَّمَ أَنَّ علوم القرآن مِن التفسير و التأويل والإشاره واللطائف والتعبير والترجمان وغيرها هِيَ ليست فِي عَرَضٍ واحدٍ، يَلُجُّ هِيَ علوم بعضها فوق بعض بركه قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير، ولكن حسب النظرية الثانيه فِي الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى

ضوء أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن بشرط عدم التصادم بينها، لا على ضوء النظرية الأولى القائله باختصاص هذه العلوم والقواعد بعلم التفسير فقط.

وعلى أي حال فإن سرعان قواعد العلوم من علم لاخر يحتاج إلى شيء من التلطف والشفافيه وهو أمر في غاية الأهميه، وأن قواعد الأنظمة الثلاثه على وفق منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن الكريم هي دائماً في حركه وجريان لا الجمود على نظام معين.

وهذا ما يشير إليه الإمام الرضا عليه السلام «إنما يُعلم بما ها هنا بما ها هنا».

بتقريب: - إن الإمام عليه السلام يريد الإشارة إلى أن ما بين الظاهر والباطن دائماً حاله توافق وتطابق، وأن حاله التطابق هذه بين كلاً طبقات الظاهر مع كلاً طبقات الباطن، ولكن هذا التطابق إنما يُفطن إليه باللطائف تطابقاً حقيقياً برهانياً، وهذا هو الذي استعرضته سورة الكهف والحوار الذي دار بين العبد الصالح الخضر عليه السلام وبين النبي موسى عليه السلام فإن ما قام به الخضر عليه السلام على وفق العلم الباطن، وربما يترأى في الوهله الأولى أنه مُخالف لظاهر الشريعة، ولكن بعد تبيان الخضر عليه السلام لحقيقه الأفعال التي ارتكبتها أنها طبق موازين الظاهر بالدقه تماماً، إلا أن التطبيق لتلك الموازين خفي جداً، وقد كشفه الخضر عليه السلام للنبي موسى عليه السلام بنحو لا

يتصادم مع موازين الظاهر، ويبيّن له أنّ المدار والمعيّار على تلك الموازين لا- غير، غايه الامر سعه تطبيقها أوسع من آليات وموازن الظاهر.

إلّا أنّ معرفه حاله التطابق بين الظاهر والباطن ليست بقدره الجميع، إلّا من استطاع أن يضبط موازين انضباط الظاهر بالباطن، فإنّ الأمر خطير وحساس وصعب؛ لإبّنه قابل للانفلات والتخوّف والتلاعب وغيره، يمكن أن يقع في البين، وههنا ما حصل فعلاً بين النبيّ موسى عليه السلام والسيد الصالح الخضر عليه السلام لو نلاحظ الحوار الذي دار بينهما في سوره الكهف (و إذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حطباً) (٦٠) فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً) (٦١) فلما جاوزا قال لفتاه آتنا عداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً) (٦٢) قال أ رأيت إذ أوينا إلى الصخره فإني نسيت الحوت و ما أنسانيه إلا- الشيطان أن أذكره و اتخذ سبيله في البحر عجباً) (٦٣) قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً) (٦٤) فوجدنا عبداً من عبادنا آتينا رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) (٦٥) قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً) (٦٦) قال إنك لن تستطيع معي صبراً) (٦٧) (١).

وهكذا الروايات الواردة عن أئمه أهل البيت عليهم السلام كما في روايه ابن بابويه قال: - أخبرنا أحمد بن الحسن القطان، قال: - حدثنا الحسن بن علي الشكري، قال: - حدثني مُحَمَّد بن زكريا الجوهري البصري قال

ص: ٨٣

حدَّثنا جعفر بن عماره عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ قَالَ: - إِنَّ الْخَضِرَ كَانَ نَبِيًّا مُرْسِيًّا لَمْ يَبْعَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى قَوْمِهِ فَدَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ، وَكَانَتْ آيَتُهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يَجْلِسُ عَلَى خَشْبَةٍ يَابِسَةٍ وَلَا أَرْضٍ بِيضَاءٍ إِلَّا أَزْهَرَتْ خَضِرَاءً وَإِنَّمَا سُمِّيَ خَضِرًا لِذَلِكَ... ثُمَّ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: - إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ لَا يُحْمَلُ عَلَى الْمَقَائِيسِ، وَمَنْ حَمَلَ أَمْرَ اللَّهِ عَلَى الْمَقَائِيسِ هَلَمَكَ وَأَهْلَكَ، إِنَّ أَوَّلَ مَعْصِيَةٍ ظَهَرَتْ الْإِبَانَةُ مِنْ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ مَلَائِكَتَهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ فَسَجَدُوا وَأَبَى إِبْلِيسَ اللَّعِينُ أَنْ يَسْجُدَ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (١٢) (١)... الخ (٢).

بتقريب: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أُوتِيَ عِلْمَ الظَّاهِرِ وَالشَّرِيعَةِ، بَيْنَمَا الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُوتِيَ عِلْمَ الْبَاطِنِ وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ أُولَوِ الْعِزْمِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَصَرِيحِهِ، إِلَّا أَنَّهُ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ عِنْدَ مِرَافِقَتِهِ لِلْخَضِرِ حَصَلَ لَهُ مِنْ إِبْدَاءِ الْإِنْكَارِ... وَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ إِرَادَةُ إِلَهِيهِ وَهَذَا تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ نَفْسُ التَّطَابُقِ بَيْنَ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ وَالتَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ، وَبِالتَّالِي سَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْأَمْرِ وَاقْتَنَعَ بِهِ لَمَّا رَأَى تَطَابُقًا مَا بَيْنَ مَوَازِينِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ.

ص: ٨٤

١- (١) سورة الأعراف: الآية ١٢.

٢- (٢) الفقيه للصدوق، البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: ج ٥، ص ٤٦-٤٩.

بينما الإمام الصادق عليه السّلام بيّن للمفضل بن عمر في جواب ما كتبه المفضل للإمام عليه السّلام يسأله عن أحوال كثير من الفرق الباطنية ولعلّه مقصود المفضل بغض من انتسب إلى الخطايبه كأبن أبي زينب المقلاص، وكان المفضل يُعجب نحوهم وشأنهم وأنّ المفضل أبلغ عنهم أموراً تروى عنهم كرهها المفضل لهم، مع أنّ المفضل لم يرَ بهم إلّا هدياً حسناً وورعاً وتخشعاً، وبدأ الإمام عليه السّلام بجواب المفضل عن أسئلته ويُفسّر له ما التبس عليهم من أمر هذه الجماعه ومقالاتهم، مع أنّ مقالاتهم في بدو النظر ينطبع منها في الأذهان غير حدود الحقيقة، أيّ ينطبع منها الغلو والإفراط من التآليه ونحوه واستحلال المحرّمات والتّهتك للدين مع أنّ حقائقها هي على غير هذا الوجه.

فَقَالَ عَلَيْهِ السّلام: - كتبت تذكر أنّ قوماً أنا أعرفهم كان أعجبك نحوهم وشأنهم وأنّك أبلغت عنهم أموراً تروى عنهم كرهتها لهم... ذكرت أنّك قد عرفت أنّ أصل الدين معرفه الرجال فوقك الله، وذكرت أنّهم يزعمون أنّ الصّلاه والزكاه وصوم شهر رمضان، والحج والعمره والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام هي من رجال (هيو رجل) وإنّ الطهر والاعتسال من الجنابه هو رجل، وكلُّ فريضه افترض الله على عباده هو رجل، وأنّهم ذكروا ذلك بزعمهم أنّ من عرف ذلك الرجل فقد اكتفى بعلمه به من غير عمل... ويشهدون بعضهم لبعض بالزور، ويزعمون أنّ لهذا ظهراً وبطناً يعرفونه فالظاهر ما يتناهون

عنه يأخذون به مدافعه عنهم والباطن هو الذى يطلبون وبه أمروا بزعمهم... الخ (١).

بتقريب: إنَّ سبب انحراف أمثال هذه الفرق الباطنية كالخطابيه وغيرهم هو أنَّهم ظنوا أنَّ هناك تخالف بين الظاهر والباطن - أى باطن الدين وظاهره - وهذا ناجم عن سوء فهمهم وخطأ تفسيرهم واشتباہ تأويلهم لغوامض المعارف وأسرارهم وأنَّ جملة من رواه أسرار المعارف وغوامض المعانى عندما وقفوا على بواطن المعانى وخفايا التأويل، لم يُدركوا ولم يتفطنوا لكيفيه الجمع بينها وبين حدود المعانى الظاهره، وإلى هذا المنشأ كان الإمام الصادق عليه السّلام يشير إليه فى جملة من الروايات كما فى بصائر الدرجات فى صحيح هشام عن الهيثم التميمى، قال: قال أبو عبدالله عليه السّلام: يا هيثم التميمى أنَّ قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شىء، وجاء قومٌ من بعدهم فأمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً، ولا إيمان بظاهر إلا باطن ولا باطن إلا بظاهر (٢).

بتقريب: إنَّ الصحيح هو التمسك بهما معاً - بالظاهر والباطن - فإنَّ الذى يتمسك بأحدهما دون الآخر يظن أنَّ بينهما تضارب وتخالف وهذا أوّل الغفله والجهل.

ص: ٨٤

١- (١) بحوث علم الرجال للشيخ محمد السند، ج ٣، ص ٢١٣-٢١٥؛ عن بحار الأنوار: ج ٢٤/٢٨٦ عن بصائر الدرجات.

٢- (٢) بحوث فى علم الرجال، للشيخ محمد السند: ج ٣، ص ٢٢١-٢٢٢؛ بصائر الدرجات: ص ٥٥٦ ح ٥.

كَذَلِكَ مَا نَحْنُ فِيهِ - وَكَمَا مَرَّ مِنْ أَنْ عِلْمَ التَّفْسِيرِ وَالتَّنْزِيلِ لَا يَنْضَبُ إِلَّا بِعِلْمِ التَّأْوِيلِ وَكَذَا الْعَكْسُ - فَإِنَّ عِلْمَ التَّأْوِيلِ أَيْضاً لَا يَنْضَبُ إِلَّا بِعِلْمِ التَّفْسِيرِ وَالتَّنْزِيلِ، وَكَذَلِكَ عِلْمُ التَّفْسِيرِ لَا يَنْضَبُ إِلَّا بِعِلْمِ تَعْبِيرِ الْقُرْآنِ، وَعِلْمُ تَعْبِيرِ الْقُرْآنِ، وَالْعَكْسُ.

وَعَلَيْهِ فَيُوجَدُ تَشَابُكٌ وَتَرَابُطٌ وَحُبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ مَخْتَلَفِ الْمَنَاهِجِ التَّفْسِيرِيَّةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، بَلْ هُنَاكَ مَوَاطِنٌ جَدَلٌ لَمْ تَنْقَشْ فَتْنَهُ سَحَائِبُ تِلْكَ الْمَتَشَابِهَاتِ وَزَيْفُهَا عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ إِلَّا بِعِلْمِ التَّأْوِيلِ؛ وَلِذَا عَمَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَيْنَ انْدِفَاعِ زَيْغٍ وَظَلَمِهِ تِلْكَ الْمَتَشَابِهَاتِ وَانْقِلَاعِهَا بِالمَحْكَمَاتِ وَابْتِغَاءِ تَأْوِيلِهِ.

التعبير والترجمان جرى ولغه تفاهم

بين العالم الربوبي وعالم المخلوقات:

إِلْفَاتٌ نَظَرٌ: بَيْنَا فِي قَاعِدِهِ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقَ (وَالتَّعْبِيرَ) كَمَا مَرَّ لَزُومَ الْعُبُورِ وَعَدَمَ الْإِنْجَاسِ فِي الدَائِرَةِ الضَّيِّقَةِ بِأَنَّ الْأَلْفَاظَ مَوْضُوعَهُ لِمَعَانِي، بَلْ قَلْنَا أَنَّ الْأَلْفَاظَ الْمَوْضُوعَهُ لِرُوحِ الْمَعَانِي، بَلْ اعْتَمَدْنَا مَبْدَأَ خِذِ الْغَايَاتِ وَاتْرَكَ الْمَبَادِئَ وَلَا بُدَّ مِنْ وَجُودِ لُغَةٍ تَفَاهَمُ، وَكَيْسَ الْمَقْصُودِ مِنَ اللَّغَةِ الْأَصْوَاتِ وَإِنَّمَا أَعْمَ بَيْنَ الْعَالَمِ الرَّبُوبِيِّ وَالْمَرْبُوبِيِّ تِلْكَ أَنْوَاعُهُ مِنَ الْبَشَرِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ الْمَخْلُوقَةِ، وَإِلَّا كُنَّا مُعْطَلَةً فِي أَعْظَمِ مَعْتَقَدٍ وَهُوَ التَّوْحِيدُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَهَذِهِ الْمَعَانِي الْعَالِيَةُ وَالْأَفْقُ الْمُبِينُ

تحتاج إلى ذهنيه وَقَادَه تتوسع لها وليست حبيسه عالم الألفاظ، وَبَعْدَ توفيق الله تَعَالَى تعبر قناطر متعدّده ولها شفافية حَتَّى يستطيع إلى حدٍّ ما تحديد ولو مِنْ بَعْدَ هَيْدَا بحسب الجانب النظرى، وَأَمَّا الجانب العملى فيحتاج إلى توفيق خاص وعنايه خاصه مِنْ البارى عَزَّ اسْمُه.

ص: ٨٨

هل تستوعب نظريه السيد العلامه الطباطبائى بيانات أهل البيت عليهم السلام فى خصوص قاعده الجرى والتطبيق أو لا؟

نذكر جملة من المؤاخذات والإشكالات على نظريه السيد العلامه الطباطبائى، ومن قبله الفيلسوف الشيعى ملا صدرا - صدر المتألهين قدس سره والملا محسن الكاشانى صاحب الوافى رحمه الله وغيرهم فى تفسيرهم لقاعده الجرى والتطبيق (١).

الإشكال الأول: أوسعیه تعدد المعانى بمقتضى النظریه الثانيه دون النظریه الأولى، يمكن أن يُقال بالنفى وأنّ نظريه السيد العلامه فى قاعده الجرى والتطبيق لا تستوعب بيانات أهل البيت عليهم السلام، فهى لا تستوعب خاصيته: ولكل قوم ايه يتلونها وهم منها من خير او شر (٢). بتقريب: إنّ

ص: ٨٩

١- (١) بذكرنا لهذه المؤاخذات والإشكالات على نظريه السيد العلامه رحمه الله فى قاعده الجرى والتطبيق لا يعنى أننا لا نُقيّم ونشمن إيجابيات هؤلاء الأعلام (قدس الله أسرارهم) من المفسرين ولكن نقول هذا المقدار من تفاسيرهم لقاعده الجرى والتطبيق لا يعكس الحقيقه بهذه القاعده الشريفه والعظيمه.

٢- (٢) اعتقادات الاماميه للصدوق: ٨٦

بيانات أهل البيت عليهم السّلام تفيد: - أنّ كلّ آية من آيات القرآن الكريم مهما كان موضوعها فهى ذا صلة بكلّ إنسان إنسان وبكلّ فرد فر فى كلّ حاله من حالاته وفى كلّ يوم أو أن من أيامه وآناته الزمانيه، وهَذَا معناه أنّ القرآن بمعنى القران - بكسر القاف - والجامعيه للقرآن هى أمر عظيم ومهول ولَيْسَ فَقَطْ لأهل الدُّنيا فى دار الدُّنيا بلْ ولأهل البرزخ فى عالم البرزخ ولأهل الآخره فى الآخره، وَعَلَيْهِ حَيَوِيَّهٌ وَحِيَاةُ الْقُرْآنِ لَا تَخْتَصُّ بِعَصْرٍ دُونَ عَصْرٍ أَوْ لِفَرْدٍ دُونَ فَرْدٍ.

وَهَذَا كَلَهُ مَبْنَى عَلَى تَوْسِعَةِ التَّطْبِيقِ لِقَاعِدَةِ الْجَرَى، وَهَذَا لَا يَجْرَى عَلَى تَفْسِيرِ السَّيِّدِ الْعَلَّامَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمَنْهَجِهِ لِقَاعِدَةِ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ وَأَنَّهَا لَا تَسَعُ لِهَذِهِ الْمَصَادِيقِ الْكَلِيَّةِ وَأَنَّ مَعْنَى الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ لَيْسَ مَعْنَى كَلِيًّا وَأَنَّ كُلَّ آيَةٍ لَيْسَ لَهَا مَعْنَى كَلِّيَّةٌ يَنْطَبِقُ عَلَى الْكُلِّ وَإِنَّمَا لَهَا مَصَادِيقٌ مُعَيَّنَةٌ وَخَاصَّةٌ صُيِّرَتْ بِهَا وَلَا يُتَعَدَّى إِلَى غَيْرِهَا فِيمَا إِذَا كَانَ الْخَطَابُ خَاصًّا، وَعَلَيْهِ تَكُونُ بَعْضُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ لَا تَجْرَى فِيهَا قَاعِدَةُ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ، وَأَنَّ السَّيِّدَ الْعَلَّامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ أَنَّ الْمَعْنَى الْاسْتِعْمَالِيَّةَ وَالتَّفْهِيمِيَّةَ وَالْجَدِّيَّةَ مَعْنَى كَلِّيَّةٌ أَوْ لَا أَقَلَّ فِي الْمَعْنَى الْجَدِّيَّةِ يَكُونُ مَعْنَى كَلِّيًّا، أَمَّا إِذَا لَمْ يُمْكِنِ الْمَعْنَى الْكَلِّيَّةُ فِي الْمَعْنَى الْجَدِّيَّةِ فَلَا تَكُونُ الْآيَةُ مُورَدًا لِقَاعِدَةِ الْجَرَى سَبَبَ عَدَمِ كَلِّيَّتِهِ وَعُمُومِيَّةِ الْمَعْنَى الْجَدِّيَّةِ.

إِنْ قُلْتَ: مَا ذَكَرْتُمُوهُ مِنْ الْإِيرَادِ عَلَى السَّيِّدِ الْعَلَّامَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَبْلَ قَلِيلٍ وَإِنَّ الْقَاعِدَةَ عَامَّةً وَآيَاتِ الْقُرْآنِ عَامَّةً بِحَسَبِ بَيَانَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَتَشْمَلُ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْإِنْسَانِ، فَهَلْ مِثْلُ الْآيَاتِ الْخَاصَّةِ بِالنِّسَاءِ كَأَيَّةِ الْحَيْضِ أَوْ الْحَمْلِ أَوْ

قذف المحصنه أو شهاده المرأه نصف شهاده الرجل أو... الخ مثل (وَ اللَّائِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ) (١) و(إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٢٣) (٢) و... الخ.

فهل هي مختصه بهن أم تشمل حتى مثل الرجال إذا قرأوا تلك الآيات، وهكذا آيه قذف المحصنه هل تشمل المعصوم أو لا؟

قلت: نعم آيات الحيض تشمل حتى الرجال إذا قرؤها ولها صلته بهم وبأزواجهم أو أبنائهم أو حفدتهم أو أقاربهم، وشمول الآيه لكل حسب ما تقتضيه أصل خلقته وبالنسبه فضلاً عما إذا أول الحيض بمعانٍ أُخرى، بل وحتى آيه قذف المحصنات فإنها ببركه قاعده الجري بمعنى التطبيق أو التعبير بعيد البناء على توسعتها بحسب النظرية الثانيه على ضوء منهاج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن، كما في قوله تعالى: (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) (١٧) (٣).

بتقريب: إنه ورد عنهم عليهم السلام أنها نزلت في علي عليه السلام وأنها في مقام التعظيم من شأنه، بينما قد تفسر بمعنى آخر، ويقرر معناها أنها في مقام الذم بتأويل آخر في أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وأعداء علي عليه السلام، إذن هي تشمل حتى المعصوم عليه السلام ببيان مفصل يأتي في محله المناسب له.

وكذا قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ

ص: ٩١

١- (١) سورة الطلاق: الآية ٤.

٢- (٢) سورة النور: الآية ٢٣.

٣- (٣) سورة عبس: الآية ١٧.

فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ (١). بتقريب: إِنَّهُ قُرَّرَ لِلآيَةِ الْمُبَارَكَةِ مَعْنِيَانِ مُتَبَايِنَانِ - مَعْنَى ذَمٍّ وَمَعْنَى مَدْحٍ - وَلَا تَنَاقُضَ وَلَا تَدَافِعَ بَيْنَهُمَا عَلَى ضَوْءِ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ فِي قَاعِدَةِ الْجَرَى، بِخِلَافِهِ عَلَى النَّظَرِيَّةِ الْأُولَى فِي قَاعِدَةِ الْجَرَى بِمَعْنَى التَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ فَإِنَّهُ يَسْتَعْصِي الْجَمْعُ بَيْنَ الذَّمِّ وَالْمَدْحِ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قَاعِدَةَ الْجَرَى بِمَعْنَى التَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ تُؤْمِنُ وَتَتَّجِحُ حَيَوِيَّةً كُلَّ آيَةٍ فِي الْكِتَابِ، وَلَا تَوْجِدُ آيَةً مِنْ آيَاتِ الْكِتَابِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - مَعْنَى زَمَانِهَا وَوَلَّى غَابِرًا، فَالْقُرْآنُ دَائِمًا فِي حَالِهِ تَجْدِيدٍ وَتَجَدُّدٍ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ مَنْ لَا وَعَى لَهُ بِحَقِيقَتِهِ مَرَامٌ وَمَعَانِي الْآيَةِ وَمَفْرَدَاتِهَا لَا يَتَفَاعَلُ مَعَ بَعْضِ آيَاتِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ وَلِسَانِ حَالِهِ: - أَنْ هَيِّدَهُ الْآيَةُ لَا تَعْنِينِي، دَعْنِي أَسْمِعْ آيَاتِ أُخْرَى لَعَلِّي أَتَفَاعَلُ مَعَهَا، بِخِلَافِ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ وَالْيَقِينِ الَّذِينَ هُمْ عَلَى اتِّصَالِ بآيَاتِ الْقُرْآنِ وَتَفَاعُلِهِمْ مَعَهَا.

وَهُنَاكَ رَوَاهُ عَنْ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: [مَا مِنْ آيَةٍ يَتْلُوها تَالٍ إِلَّا وَهَوَّ مِنْهَا إِمَّا مِنْ أُخْيَارِهَا أَوْ أَشْرَارِهَا] (٢).

تنبهان

التنبية الأول: قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير ظاهراً لها معانٍ ثاقبه أعظم ممّا رسم لها هؤلاء الأعلام من المفسرين - جزاهم الله

ص: ٩٢

١- (١) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

٢- (٢)

خيراً عَنِ الْقُرْآنِ وَالتفسير - ولكن نقول:

إِنَّ كُلَّ آيَةٍ آيَةٍ، بَلْ كُلُّ مَفْرَدَةٍ مَفْرَدَةٍ، بَلْ كُلُّ حَرْفٍ حَرْفٍ أُنْفِقُهُ أَبْعَدَ، فَعِنْدَمَا تَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَجِدُهَا تَطْرُقُ مَسَامِعَ ذَاتِكَ وَتَعَالِجُ إِصْلَاحَ شَيْءٍ مِنْ ذَاتِكَ.

وَهَذَا هُوَ مَفَادُ الرِّوَايَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ لِاتِّسَاعِ الْآيَاتِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ وَأَنَّهُ يَكُونُ إِمَّا مِنْ فَرِيقٍ أُخْيَارِهَا أَوْ أَشْرَارِهَا، وَهَذَا مَفَادُ تَرْبِيَةِ أَخْلَاقِي عَظِيمٍ لِكُلِّ آيَةٍ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ تَتَفَاعَلُ مَعَ كُلِّ شَخْصٍ، فَكَمْ هِيَ عَظِيمَةٌ هَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْإِحْيَاءِ لِلْقُرْآنِ الَّذِي يَنْتَمِي عَلَى ضَوْءِ النَّظَرِيَةِ الثَّانِيَةِ دُونَ الْأُولَى.

التنبيه الثاني: غرضنا من ذكر بعض الملحوظات على أي منهج تفسيري يتخذه أي مفسر من مفسري العامة أو الخاصة، هو لأجل تلمس الحقيقة أكثر فأكثر، ولا ننحس في دائره ضيقه إذا استوسعت لهذه الحقيقة، وليس الغرض من ذكر بعض الملحوظات أو المؤاخذات لأجل تسجيل نقاط ضعف على الآخرين كلاً ثم كلاً، وإن كان مضمون ما روى هو [حياه العلم بالنقد] وتكامل البحث العلمي بالنقد، كل ذلك لأجل أن نتواصل مع المسيره العلميه ونواكب تطورها بالتقدم العلمى البناء.

انقطاع الصله بين التفسير والتأويل

بمقتضى النظرية الأولى دون الثانية:

الإشكال الثاني: وهذا الإشكال يبين نوع العلاقة بين قاعده الجرى بمعنى التطبيق وبين قاعده التأويل ولقد التفت السيد العلامة الطباطبائي رحمه الله

وباقى أعلام المفسرين من قبله - ونعم ما التفتوا إليه - من وجود علاقته وطيبه بينهما، وأن التأويل - عبارته عن حيويته تطبيق مصاديق إلا أن هذا الالتفات للعلاقة بين قاعده الجرى والتطبيق والتأويل من قبل السيد العلامة رحمه الله بهذا المقدار لا تستوعب كل حقيقته العلامة بين قاعده الجرى وقاعده التأويل، فهي ليست مستوفيه حقيقته الصلة بين التأويل والقاعده فلقد ذكر السيد الطباطبائي في الميزان ما نصه: [... أمّا إجمالاً فلأنك عرفت: - أن المراد بتأويل الآيه ليس مفهوماً من المفاهيم تدلُّ عليه الآيه سواء كان مخالفاً لظاهرها أو موافقاً، بل هو من الأمور الخارجيه... الخ] (١).

والسبب في عدم استيفاء ما ذكره السيد العلامة رحمه الله وغيره لحقيقته الصلة بين قاعده الجرى والتأويل - ولا نقول في كل كلامهم وإنما في جيل كلامهم - هو أنهم حصروا التأويل بالمصداق الخارجى والتحقق العينى، بينما عالم التأويل كما هو الصحيح على أقسام وأنواع وليس منحصرأ في هذا القسم الذى ذكروه وإنما التأويل على أقسام وأنواع التأويل لها صله مطرده بقاعده الجرى بمعنى التطبيق، ومن تلك الأنواع للتأويل هو عالم الاستعمال اللفظى للدلاله وليس فقط عالم التطبيق، بخلاف ما ذهب إليه أتباع النظرية الأولى من قولبه قاعده الجرى بمعنى التطبيق بمعنى كلى يطبق على مصاديقه وعلى هذا فالتأويل فيه شؤون وألوان في نفس عالم الدلاله وعالم التنظير، وهذه صله أخرى بين التأويل وعالم الدلاله

ص: ٩٤

والتنظير، وَهَيْدِهِ غَيْرَ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ التَّأْوِيلِ وَمَقَامِ التَّطْبِيقِ، وَغَيْرَ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ وَعَالَمِ نَفْسِ الدَّلَالَةِ، وَالْأَخِيرَانِ - عَالَمِ التَّطْبِيقِ وَعَالَمِ نَفْسِ الدَّلَالَةِ - مَتَبَايِنَانِ - وَمِنْ خِلَالِ هَذَا وَغَيْرِهِ كَيْفَ يُمْكِنُ حَصْرُ قَاعِدَةِ الْجَرَى بِمَعْنَى التَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ فِي مَقَامِ التَّطْبِيقِ وَالْمَصَادِيقِ؟

وَالْخِلَاصَةُ: إِنَّ صِلَةَ عَالَمِ التَّأْوِيلِ بِعَالَمِ الدَّلَالَةِ فِي الْجُمْلَةِ يُعَدُّ بِالْبَدِيهِهِ وَلَا يَتِمُّ رَسْمُ تِلْكَ الْعَلَاقَةِ وَأَنَّ مِنْ شُؤُونِ الدَّلَالَةِ الْأَعْلَى نَفَى قَاعِدَةِ الْجَرَى بِمَعْنَى التَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ، لَا عَلَى تَفْسِيرِ قَاعِدَةِ الْجَرَى بِالتَّطْبِيقِ فَقَطُّ.

الإشكال الثالث: مُبْتَنَى عَلَى بَيَانِ مَقْدَمِهِ وَهِيَ: [أَجْنِسِيَةِ التَّطْبِيقِ وَانْقِطَاعِهِ عَنْ إِرَادَةِ الْمُتَكَلِّمِ تَمَاماً بِمَقْتَضَى النَّظَرِيَّةِ الْأُولَى دُونَ الثَّانِيَةِ] بِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ نَسْتِطِيعُ أَنْ نُعَبِّرَ عَنْ طَبَقَاتِ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي الْمَعْنَى أَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ أَرْبَعِ طَبَقَاتٍ:

١ - طَبَقَةُ الْمَعَانِي التَّصَوُّرِيَّةِ.

٢ - طَبَقَةُ الْإِرَادَةِ الِاسْتِعْمَالِيَّةِ.

٣ - طَبَقَةُ الْإِرَادَةِ التَّفْهِيمِيَّةِ.

٤ - طَبَقَةُ الْإِرَادَةِ الْجَدِّيَّةِ.

وَالثَّلَاثُ الْأَخِيرَةُ هِيَ تَصْدِيقِيَّةٌ، وَكُلُّ طَبَقَةٍ مِنْهَا هِيَ عَلَى طَبَقَاتٍ، وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ عَالَمَ التَّطْبِيقِ هُوَ عَالَمُ تَكْوِينِ وَوُجُودِ خَارِجِي لَا صِلَةَ لَهُ

ص: ٩٥

بالألفاظ ولا صلته له بالمعاني الذهنيه، وأنَّ عالم التنظير المفهومى الفكرى الذهنى لا صلته له وشأن التطبيق، ورُبَّما يُعَبَّرُ عَنْ علم التشريع أو التنظير بعلم الشريعة.

ربما يعبر عن علم التشريع والتنظير بعلم الشريعة:

أمَّا العلم الذى يتكفل التطبيق فيعبر عنه بقلم التأويل وعلم الباطن (1) وَبَعْدَ هَذِهِ المقدمه فَإِنَّ حاصل الإشكال هُوَ: إِنَّ كُتَيْهِ المعانى الوسيعة فى الآيات والسور القرآنيه لا- صلته لها بشؤون تشخيصات منطقه التطبيق ولا- نُحْمَلُ التنظير المفهوم الفكرى ألوان وعوارض ومشخصات المصداق التطبيقى وَهَذَا يستلزم الفصل بين مقام التنظير ومقام التطبيق، وبالتالي فَإِنَّ أصحاب النظرية الأولى فى تفسير قاعده الجرى بمعنى التطبيق، يقولون: إِنَّ ما وَرَدَ فى بيان الآيات عَنْ أهل البيت عليهم السلام إِنَّمَا لَهُ صلته بعالم التطبيق ولا صلته له فى الغالب بعالم التفسير، وَعَلَى هَذَا يلزم أصحاب هذه النظرية أَنَّ يشفقوا المعانى الكليه الوارده فى القرآن مَعَ إعطائها صفة العموميّه عَنْ ألوان المصداق، ولا- نجعل المعنى التنظيرى العام للآيه يتأثر أو يتلون بالمصداق والتطبيق، وَبِهَذَا نفصل مقام التنظير عَنْ مقام التطبيق وان هَذَا الفصل بينهما يُعطى الحيويه واللوبيه فى الانطباق على الأجيال

ص: ٩٦

١- (١) وهذا الى حَدِّ ما يشبه الفرق بين علم النبى موسى عليه السلام وعلم العبد الصالح الخضر عليه السلام فَإِنَّ علم النبى موسى عليه السلام علم شريعته يعنى علم هذه الطبقات أى التفسير الظاهر بخلاف علم الخضر فإنه علم التطبيق والتأويل.

إذَنْ حاصل هَذَا الإِشْكَال هُوَ الفِصْل بَيْن مَقَام التَّنْظِير والتَّطْبِيق، وَمِنْ الواضِح أَنَّ التَّطْبِيق إِرَادَه غَائِيَه أَبْعَدُ غَوْرًا فِي الغَائِيَه والنّهَائِيَه مِنْ التَّنْظِير، وَإِنَّمَا أُعِدَّ التَّنْظِير تَمْهِيدًا للتَّطْبِيق، وَيَعْتَبَر التَّطْبِيق مِيدَانًا للتَّنْظِير، وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَ التَّطْبِيق إِرَادَه غَائِيَه أَبْعَدُ غَوْرًا فِي الغَائِيَه والنّهَائِيَه مِنْ التَّنْظِير فَكَيْف يُعْزَل التَّنْظِير عَنِ التَّطْبِيق بَعِيدَ مَلاحِظَه المراد الجدى وراء الجدّى، وَهُوَ - مَقَام التَّطْبِيق - أَوْغَل فِي الجَدِّيَه والغَائِيَه مِنْ المرَاد التَّنْظِيرِي.

وَهَذَا بِخِلَاف مَا تَتَبَنَاهُ النُّظْرِيَه الثَّانِيَه فِي قَاعِدَه الجَرِي بِمعْنَى التَّطْبِيق أَوْ التَّعْبِير عَلَي ضَوْءِ مَنهَجِ أُمُومَه الوَلَايَه الآتِيَه، فَإِنَّ المعْنَى الكُلِّيَّ والتَّنْظِير الكُلِّيَّ يُرَاد مِنْهُ التَّطْبِيق وإِعْدَاد لِمَا وَرَاءَ التَّطْبِيق وَإِذَا كَانَ مَقَام التَّطْبِيق يَحْصُل بِمَصَادِيق بَارِزَه وَأُخْرَى غَيْر بَارِزَه أَيْ مَصَادِيق شَدِيدَه الأَهْمِيَه وَأُخْرَى قَلِيلَه الأَهْمِيَه وَثَالِثَه مُتَوَسِّطَه الأَهْمِيَه، فَنَلاحِظُ الإِرَادَه التَّطْبِيقِيَه فِي المَصَادِيق الاعْتِيَادِيَه أَشَدُّ جَدِّيَه مِنْ التَّنْظِير، وَعَلَيْهِ فَكَيْف بِالإِرَادَه التَّطْبِيقِيَه فِي المَصَادِيق الَّتِي هِيَ أَهْم، وَتَسْتَكُونُ تِلْكَ المَصَادِيق أَشَدَّ مِنْ الإِرَادَه الجَدِّيَه المُتَعَلِقه بِالتَّنْظِير وَأَوْغَل وَأَهْم، وَكَأَنَّمَا هَذَا يُخِيلُ لَكَ عَدَمَ إِرَادَه وَعَدَمَ أَهْمِيَه المَصَادِيق المُتَوَسِّطَه الأَهْمِيَه والأَقْلَ أَهْمِيَه وَأَنَّ إِرَادَتَهَا تَبَعًا لِإِرَادَه المَصَادِيقِ الأَعْظَمِ والأَهْمِ والأَكْبَرِ، وَهَذَا دَرَجَه الأَهْمِيَه تَتَبَعُ دَرَجَه الإِرَادَه، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الإِرَادَه: فِي مَقَام التَّطْبِيق هِيَ أَكْثَرُ جَدِّيَه مِنْ الإِرَادَه فِي مَقَام التَّنْظِير، وَهَكَذَا الإِرَادَه التَّفْهِيمِيَه أَهْمٌ مِنْ الإِرَادَه

الاستعماليه والإراداه الجديّه التنظريه أهم من الإراديه التفهيميه وهكذا، وعموماً فإنّ الإراداه الجديّه التطبيقيه أهم من التنظريه؛ لأنّ التنظريه معدّه ومهيأه للتطبيق.

إذن إذا كانت إراداه أهم المصاديق هي أهم إرادات التطبيق، فهكذا معناه أنّ الكلام من أول الأمر سيق للإراداه ذات المصداق الأهم والأبلغ، ومن ههنا يتضح أنّ سوق الكلام دائماً للإراداه النهائيه، وإن كانت الإراداه التنظريه جديّه إلّا أنّ جديتها متوسطه الإراداه وإنما المهم هو إراداه المصداق الأعظم والكلام سيق له بكلّ رمته من أول الأمر وما عداه تابع له - أيّ لإراداه المصداق الأعظم -.

عزل التطبيق عن التنظير يُعَدُّ التصنيف الموضوعي

للآيات حسب النظرية الأولى:

الإشكال الرابع: إنّ لازم عزل عالم التنظير عن عالم التطبيق حسب النظرية الأولى يستلزم لازماً باطلاً ألا وهو: -

كيف يمكن أن نُميّز ونفرز موضوع الآيات بعضها عن البعض، وأنّ الآيه الواحده هل هي من آيات الأحكام الفقهيه أو العقائديه، أو من آيات المنظومه الأخلاقيه أو الاجتماعيه، أو من آيات العالم النفساني وغيره، ولا يتسنى معرفه وتميّز ذلك إلّا أن نقول بمقاله النظرية الثانيه في قاعده الجري بمعنى التطبيق أو التعبير على ضوء منهج أمومه الولايه

عَلَى المحكمات، وَالَّتِي مِنْ مبادئها المستقاه مِنْ بيانات أهل البيت عليهم السَّلام عدم حبس الآيه فِي أَفْقٍ ضَيِّقٍ وَإِنَّمَا الآيه بِمِثَابِه الكنز أو المَعِيدِن مهما أَخَذت مِنْهُ لا يَنْضَب، وَكُلُّ مَنْ يَسْتَطِيع أَنْ يَأْخُذَ فَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِمَا أُوتِيَ مِنْ سَعِه وَرِجَابِه أَفْقٍ عَظِيمٍ وَفِكر وَعَقْلٍ وَاسِعٍ وَتَبِيرٍ.

عدم جرى أصناف الآيات حسب النظرية الأولى

فِي مَوْضُوعِ أَصْنَافِ أُخْرَى مِنْ الآياتِ:

الإشكال الخامس: ولا- يختص تسجيل هَذَا الإشكال عَلَى أصحاب النظرية الأولى، بَلْ يعم بَعْضُ المَنَاهِجِ وَالمَسَالِكِ الفِقهِيَةِ القائلين بعزل آيات الأحكام عَنْ آيات العقائد.

وحاصل الإشكال: - إِنَّ الآياتِ وَإِنْ انطَبَعَتْ عَلَيْهَا تصنيف بلحاظ موضوعها إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لا يمانع عبور مفادها وجرية فِي موضوع أصناف أُخْرَى مِنْ الآياتِ، فالآيات العقائديه تجرى بضوابط وموازين لقاعده الجرى فِي المسائل الفقيهيه والعكس كَذَلِكَ، وكذا فِي آيات العلوم الأخرى مِنْ دون لزوم الخلط والتخليط، وَإِنَّمَا عَلَى وفق معايير وأسس مداريّه ترتبط معنىً فيما بينها لتولّد معانى مِنْ بعضها البعض بصناعه التحليل والتركيب.

قَدْ يُثارُ تساؤلٌ؛ حاصله: إِنَّ هَذَا الإشكال مُتناقضٌ مَعَ سابقه حَيْثُ ذَكَرَ فِي الإشكال الرَّابِعِ: - إِنَّ الاعتراض عَلَى النظرية الأولى كَانَ

يلزم محذور عدم تصنيف الآيات حسب مقتضاها، بخلاف النظرية الثانية التي توجب تصنيف الآيات.

بينما في هذا الإشكال - أئ الخامس - يُدعى أنه مُقتَضَى النظرية الثانية يلزم جريان الآيه الواحده في عدّه أصناف، وبالتالي لا تصنف الآيه على موضوع واحد، بينما على النظرية الأولى تنحصر الآيه في موضوع صنف واحد وَعَلَيْهِ فالإشكال الخامس مُتدافع مَع سابقه - الرَّابِع -.

الجواب: إنّه لا يوجد تدافع بين الإشكاليين فَإِنَّ الإشكال السابق المُقرّر بمفاد النظرية الأولى مِنْ عدم تصنيف الآيه موضوعياً في ما لو كَانَ لون الموضوع آتٍ مِنْ التطبيق لا- مِنْ اللَّفْظ، بخلافه على النظرية الثانية فَإِنَّ الآيه تتصنّف موضوعياً لارتباط التطبيق بالدلاله.

وأما بحسب الإشكال الخامس: - فَإِنَّهُ في المورد الذي يكون فيه تصنيف الآيه آتٍ موضوعياً مِنْ حاق اللَّفْظ والدلاله، فَإِنَّ الآيه لا- محاله مُصَيَّفَه موضوعياً لفظاً ولا- تجرى لصنف آخر لموضوع مغاير على النظرية الأولى، وتجرى على النظرية الثانية؛ لِأَنَّ تصنيف الآيه في صنف لا- يمانع إمكانيه تأويلها بموازين إلى صنف آخر بقاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير على النظرية الثانية.

وحاصل الفرق بين الإشكاليين الرَّابِع والخامس هُوَ بحسب

المورد، بينما حاصل المحمول ومفاده في الإشكاليين واحدٌ ومشتركٌ وهُو: - أنَّ قاعده الجري على النظرية الثانية في حيثُ تحدّد الآيه وتصنفها في موضوع تطبيقي، إلّا أنَّ ذلِكَ لا- يعني عدم سريان قاعده الجري مرّة أُخرى لجرى الآيه في صنف آخر وموضوع مباين لما تقرّر في النظرية الثانية من ترامي إجراء قاعده الجري مُتعاقباً بخلافه على النظرية الأولى، وهَذَا أحد الفوارق العظيمة بين النظريتين.

وأما دعوى انزعال أصناف الآيات عن بعضها البعض فممنوعه ويؤيد ذلك ما روى عن عبدالله بن سنان(١) بسؤاله الإمام الصادق عليه السلام، قال: أتيت أبا عبدالله عليه السلام، فقلت له جعلت فداك، ما معنى قول الله عز وجل (ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ) (٢)؟ قال: «أخذ الشارب وقص الأظافر وما أشبه ذلك» قال: قلت: جعلت فداك، فإنَّ ذريحاً المحاربي(٣) حدّثني عنك بحديث، أنكَ قلت (لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ) هُو لقاء الإمام عليه السلام تلك المناسبة؟ قال صدق ذريح وصدقت، إنَّ القرآن له ظاهر وباطن ومنَّ يحتمل ما يحتمل يا ذريح؟(٤).

ص: ١٠١

١- (١) وهو أخو محمد بن سنان ابنا طريف وهو فقيه جزلٌ وورعٌ وسديد ومستين وثقه تتلمذ على يدي الإمام الصادق عليه السلام.

٢- (٢) سورة الحج: الآيه ٢٩.

٣- (٣) ذريح بن محمد بن يزيد أبو الوليد المحاربي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ثقة.

٤- (٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٩٠، ح ١٤٣٧؛ البرهان في تفسير القرآن، للبحراني: ج ٥، ص ٢٨٦، ح ١٣.

بتقريب: - إِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ الْوَاحِدَةُ آيَةً مَعْرِفِيَةً وَفَقْهِيَّةً وَقَانُونِيَّةً وَأَخْلَاقِيَّةً وَغَيْرَهَا.

بَلْ هَذَا الْإِشْكَالُ يَتَسَجَّلُ أَيْضاً عَلَى عُلَمَاءِ الْأَخْلَاقِ الَّذِينَ حَصَرُوا آيَاتِ الْأَخْلَاقِ فِي آيَاتٍ مَعْدُودَةٍ، وَمَنْ قَالَ لَكَ: - إِنَّ النَّظَامَ الْأَخْلَاقِيَّ فِي الْقُرْآنِ يَقْتَصِرُ وَيُنْحَصِرُ عَلَى مَثْنٍ أَوْ أَلُوفٍ مِنَ الْآيَاتِ!؟

وَعَلَيْهِ فَعِظْمُهُ مِنْهُجٌ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَبَيَّنَ أَنَّ الْقُرْآنَ بَرَمْتَهُ هُوَ عَقَائِدٌ وَأَنَّ كُلَّ آيَةٍ آيَةٍ فِيهَا نِظَامٌ أَخْلَاقِيٌّ اجْتِمَاعِيٌّ أَوْ عِلْمِيٌّ شَتَّى، أَمَّا أَنَّهُ لَيْسَ لَدَيْنَا الْقُدْرَةُ عَلَى اسْتِظْهَارِ وَاسْتِخْرَاجِ ذَلِكَ فَهَذَا بَحْثٌ آخَرٌ.

وهكذا ما استفاده الشيخ الطوسي من قوله (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٢٩) (١).

بتقريب: - إِنَّ الشَّيْخَ الطُّوسِيَّ اسْتَفَادَ حَكماً فَقْهياً إِنَّ الْغَايَاتِ التَّكْوِينِيَّةَ مُتَطَابِقَةً مَعَ الْغَايَاتِ التَّشْرِيْعِيَّةِ فَهَذِهِ الْآيَةُ حَيْثُ تُحَدِّدُ الْغَايَةَ التَّكْوِينِيَّةَ فَتَدُلُّ بِالْإِجْتِمَاعِ عَلَى أَنَّهَا غَايَةٌ تَشْرِيْعِيَّةٌ إِذْ لَا يَتَدَافَعُ الْغَرَضُ التَّشْرِيْعِيُّ مَعَ الْغَرَضِ التَّكْوِينِيِّ، وَاسْتَدَلَّ الشَّيْخُ بِالْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ، أَمَّا اسْتِفَادَةُ النَّاسِ مِنَ الثَّرَوَاتِ الْعَامَّةِ شَرَعٌ سِوَاهُ.

ص: ١٠٢

١- (١) سورة البقرة: الآية ٢٩.

علمًا أنَّ الظهور الأوَّلِيَّ لِلآيَةِ هُوَ فِي أَمْرٍ مَعْرِفِيٍّ عَقَائِدِيٍّ أَوْ تَكْوِينِيٍّ أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ كَمَا فِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ وَعَلَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَيَّارٍ عَنِ أَبِيهِمَا عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ... عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: - قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى) قَالَ: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا لَتَعْتَبِرُوا بِهِ وَلِتَتَّوَلَّوْا بِهِ إِلَى رِضْوَانٍ وَتَتَّقُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ نِيرَانِهِ (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) أَخَذَ فِي خَلْقِهَا وَاتَّقَانَهَا. (فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٢٩) وَلَعَلَّمَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَ الْمَصَالِحِ فَخَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ لِمَصَالِحِكُمْ يَا بَنِي آدَمَ (١). وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (٧٩) (٢)، بِتَقْرِيْبٍ: إِنَّ الْفُقَهَاءَ تَمَسُّوا بِهَا فِي اسْتِفَادَةِ الْحُكْمِ الْفَقْهِيِّ مِنْهَا مَعَ أَنَّ الْآيَةَ هِيَ عَقَائِدِيَّةٌ بِحَسَبِ ظَهْرِهَا الْأَوَّلِيِّ، فَإِنَّ الشَّيْخَ الطُّوسِيَّ ذَكَرَ فِي التَّهْذِيبِ بِإِسْنَادِهِ عَنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ عَنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ، وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الصَّبَّاحِ جَمِيعًا عَنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنِ أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: الْمَصْحَفُ لَا تَمَسُّهُ عَلَيَّ غَيْرُ طَهْرٍ وَلَا جُنْبًا، وَلَا تَمَسُّ خِيْطَهُ وَلَا تَلْعَقُهُ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (٧٩) (٣). وَذَكَرَ الشَّيْخُ الطَّبْرَسِيُّ فِي الْاِحْتِجَاجِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (٧٩)، قَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

ص: ١٠٣

١- (١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ١٥، ح ٢٩؛ تفسير البرهان للبحراني: ج ١، ص ١٦٢.

٢- (٢) سورة الواقعة: الآيه ٧٩.

٣- (٣) التهذيب: ج ١، ص ١٢٧.

على بن أبى طالب عليه السّلام لعمر بن الخطّاب... فَإِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي عِنْدِي لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، وَالْأَوْصِيَاءُ مِنْ وَلَدِي، فَقَالَ
عمر: فهل وقتٌ لإظهاره معلوم؟ قَالَ على: نعم إذا قام القائم مِنْ وَلَدِي يُظْهِرُهُ وَيَحْمِلُ النَّاسَ عَلَيْهِ فَتَجْرِي السَّنَةُ بِهِ (١).

وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ الظُّهُورَ قَابِلٌ لِأَنْ يَنْفَتِحَ عَلَيْهِ مُؤَدِيَاتٌ وَمَفَادَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَهَذَا أَحَدُ بَرَكَاتِ قَاعِدِهِ الْجَرِيِّ بِمَعْنَى التَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ طَبَقِ
القواعد.

والخلاصه: هُنَاكَ فَرْقًا وَاسِعًا بَيْنَ الْمُنْهَجِ الْمُتَّبَعِ فِي نِظَامِ الظُّهُورِ وَالِاسْتِظْهَارِ وَبَيْنَ مَنْهَجِ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ وَالْمَحْكَمَاتِ أَيَّ مَنْهَجِ أَهْلِ
الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنَّ الْأَخِيرَ أَوْسَعُ رَحَابَةً.

تماهى حدود الآيات بمقتضى النظرية الأولى

وانضباطها على النظرية الثانية:

الإشكال السّادس: أحد أهمّ المؤاخذات الّتي تُسجّل على أصحاب النظرية الأولى الّتي تبنت على عزلة التنظير عن التطبيق لزوم
تميع حدود مفاد الآيات الكريمة إذا كان النظر في المعاني إلى جانب التنظير فقد دون التطبيق، فلو نظرنا إلى معنى الاصطفاء
واستحبابه ومعنى الاصطفاء هو انتقاء الله تعالى لشخص أو قبيلة أو زمان أو مكان أو لغة أو قوميه أو...

ص: ١٠٤

١- (١) الاحتجاج: ج ١، ٣٦٠، محاجه ٥٧؛ ونور الثقلين: ج ٧، ص ٩٤، ح ٩٥.

الخ، كَمَا فِي اصطفاء الباري تَعَالَى للعرب مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ بِنَصِّ الْآيَةِ (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (١) واصطفى الباري تَعَالَى مِنْ الْعَرَبِ قَرِيشاً واصطفى مِنْ قَرِيشِ بَنِي هَاشِمٍ واصطفى مِنْ بَنِي هَاشِمِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ واصطفى مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. وَيُؤَيَّدُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْعِيَّاشِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْرَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَهُ فِرْقَتَيْنِ، فَجَعَلَ خَيْرَتَهُ فِي إِحْدَى الْفِرْقَتَيْنِ، ثُمَّ جَعَلَهَا أَثْلَاثًا، فَجَعَلَ خَيْرَتَهُ فِي إِحْدَى الْأَثْلَاثِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَخْتَارُ حَتَّى اخْتَارَ عَبْدَ مُنَافٍ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ عَبْدِ مُنَافٍ هَاشِمًا، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ هَاشِمِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَبْدَ اللَّهِ، وَاخْتَارَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَكَانَ أَطْيَبَ النَّاسِ وَوَلَادَةً وَأَطْهَرَهَا، فَبِعَثَهُ اللَّهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَلَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا فِي الْكِتَابِ تَبْيَانُهُ» (٢).

وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الْاصْطِفَاءَ عَلَى دَرَجَاتٍ، فَعَلَى ضَوْءِ النَّظَرِيَةِ الْأُولَى: - إِنَّ هَذَا الْاصْطِفَاءَ كُلَّهُ لَيْسَ حُجَّةً، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْاصْطِفَاءَ سَوْفَ يَتَمَيَّعُ وَيَذُوبُ عَنْ مَاهِيَّتِهِ وَيَصِيرُ تَمَاهِي فِي مَعْنَى الْاصْطِفَاءِ أَيْ انْتِقَاءِ عَامٍ وَعَلَيْهِ يَكُونُ اصْطِفَاءُ اللَّهِ لِأَدَمَ وَنُوحَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآلِ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ لِأَجْلِ خَلْقِهِ الْبَشَرِيَّةِ وَيَكُونُ لِمِثْلِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَوْرٌ فِي الْبَشَرِيَّةِ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآلِ عِمْرَانَ شُكْرًا عَلَى أَدْوَارِهِمْ وَلِمَنْ يَمِثْلُهُمْ مِنَ الْبَشَرِ، فَهَذِهِ كُلُّهَا مَفَادَاتٌ عَامَةٌ وَلَا تَخْتَصُّ بِبُحْثِ بَيُوتِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِ

ص: ١٠٥

١- (١) سورة آل عمران: لا آية ١١٠.

٢- (٢) تفسير العيَّاشي: ج ١، ص ٧٩، ح ١١، عنه البحار: ج ٣٠/٢٧/٩٢.

بيوت الأنبياء، وهكذا (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (١) أى استخلاف كُملّ البشر صالحٍ لِأَن يكون خليفه بما فيهم الصالح والطالح، وهكذا عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا لَيْسَ الْمُرَادُ عِلْمَ لَاهُوتِي وَعِلْمَ لُدُنِي وَنُبُوهُ وَرِسَالَهُ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مِنْ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا يَعْنِي الْبَشَرِيَّةَ كُلَّهَا مَفْطُورَهُ عَلَى الْعِلْمِ بِجَمِيعِ الْأُمُورِ، وَهَكَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ» أَيْ تَكْمُنُ الْمَوَدَّةَ وَالْمَحَبَّةَ لِعَلِّيِّ بِاعْتِبَارِهِ كَمَسْلَمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَبِالتَّالِي هَذِهِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي اخْتَارَهَا اللَّهُ فِيهَا الصَّالِحَ كَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالتَّسْعَةَ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ ذُرِّيَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُقَدَّادٍ وَسُلَمَانَ وَأَبُو ذَرٍّ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالصَّالِحِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَفِيهَا الطَّالِحُ أَمْثَالُ يُزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَالْحِجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ الثَّقَفِيِّ وَشَمْرَةَ بِنْتُ ذِي الْجَوْشِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مَلْجَمٍ وَغَيْرِهِمْ، فَهَلْ يَعْنِي أَنَّ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ دَاخِلُونَ فِي تِلْكَ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ أَوْ لَا؟

فَمِثْلُ هَذَا وَغَيْرِهِ مِنَ اللَّوَاظِمِ السَّلْبِيِّ الَّتِي تَلْزِمُ إِذَا بَنِينَا عَلَى عَزْلِ التَّنْظِيرِ عَنِ التَّطْبِيقِ، وَلَا يَبْقَى حُدٌّ مِنْ حُدُودِ الْآيَاتِ وَبِالتَّالِي يَشْكَلُ خَطَرًا كَبِيرًا تَتَمِيعُ فِيهِ حُدُودُ مَعَانِي الْآيَاتِ، هَذَا بِحَسَبِ النَّظَرِيَّةِ الْأُولَى.

بِخِلَافِ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ فِي قَاعِدِهِ الْجَرِيِّ بِمَعْنَى التَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ

ص: ١٠٦

عَلَى ضَوْءِ مَنْهَجِ أُمُومِهِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمَحْكَمَاتِ، فَإِنَّ لَهَا تَوْسِعَ وَرَحَابَهُ أَفْقَ وَلَكِنْ بِضَوَابِطِ وَمَوَازِينِ عِلْمِيَّةٍ لَا يَهْدُدُ وَتَمَيِّعَ، وَإِنَّمَا مَعَ حِفْظِ الطَّبَقَاتِ وَالْمَرَاتِبِ فِي الْأَصْطِفَاءِ لَا مَانِعَ مِنْ تَكَرُّرِهِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى اصْطِفَاءِ مَعْصُومِيٍّ بِمَعْنَى أَنَّ الطَّهَارَةَ ذَاتَ مَرَاتِبٍ إِلَى أَنْ تَتَّصِعِدَ وَتَصِلَ الطَّهَارَةُ إِلَى عَصْمِهِ الْإِسْتِخْلَافَ الَّذِي يُعْزِيهِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى فَرْدٍ وَاحِدٍ مِنَ الْبَشَرِ مَقَابِلَ الْمَلَكُوتِ وَالْمُمْكِنِ الَّذِي تَكُونُ كُلُّ الْمَلَائِكَةِ تَحْتَ طَاعَتِهِ وَقَيْدِ أَمْرِهِ، فَإِنَّ أُمَّ الْمَرَاتِبِ وَأُسُسَهَا مَحْفُوظَةٌ، وَلَكِنْ هَذَا لَا يَتَنَافَى مَعَ وُجُودِ مَرَاتِبٍ أَنْزَلَ فَأَنْزَلَ إِلَى مَا لَا نَهَايَةَ كَمَا تَتَّصِعِدُ فِي مَرَاتِبٍ أَعْلَى فَأَعْلَى وَلَا تَصِلُ إِلَى حَدٍّ.

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَلِمَاذَا تَأْخُذُونَ وَتَمِيلُونَ إِلَى جَانِبِ الدُّنْيَا وَالْخُلُودِ إِلَى الْأَرْضِ؟

وَلِتَكُنْ نَظْرَتُكُمْ نَظْرَهُ «يَتَدَبَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أَيْ نَظْرَهُ سَمُوءٌ.

وَهَذَا الْبَحْثُ مَرْتَبُ وَلَهُ صِلَةٌ بِنَظْرِيَّةِ أَدْبِيَّةٍ تَبْنِي أَنَّ التَّطْبِيقَ لَهُ دَوْرٌ فِي بَيَانِ التَّنْظِيرِ، كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنْ أَنَّ التَّنْظِيرَ مَبِينٌ لِلتَّطْبِيقِ وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي الْفِعْلِ يَكُونُ فِي جَمَلِهِ مِنْ مَوَارِدِ الْقَرِينَةِ الْحَالِيَّةِ الْمَبِينَةِ لِلْكَلامِ وَإِنْ كَانَ الْكَلامُ فِي أَكْثَرِ الْمَوَارِدِ مَبِينٌ لِلْفِعْلِ، وَعَلَى ذَلِكَ يَكُونُ التَّطْبِيقُ وَالْمَصْدَاقُ مِنْ شُؤْنِ الدَّلَالَةِ وَالْكَلامِ. إِذْ عَزَلَ مَقَامَ التَّطْبِيقِ

والموارد تماماً عَنْ عالم دلالة الكلام بالمرّة مُخْلِ بضبط الدلالة والبيان.

قَدْ يتساءل: إِنَّهُ مُقْتَضَى النظرية الثَّانِيه هُوَ سَعه الجرى وتكرّره كَمَا مرّ، ولازم ذَلِك ذوبان المعانى وتماهى حدودها وَذَلِك عكس النظرية الأولى فَإِنَّهَا تُعَيّن المعنى مُتَّحِداً ومَعَيّنًا والسعه والسرّيان فى المصاديق وكثرتها لا- توجب إنمحاء تعيّن المعنى التنظيرى.

والجواب: إِنَّ النظرية الأولى حصرت التوسّع بتلطيف المعنى وتقشيرهِ عَنْ الخصوصيات فكلّما أرادوا سَمَعه وشموليه ابتعدوا عَنْ الخصوصيات، وأزالوها وترقّوا إلى سعه المعانى الكُلِّيهِ الفوقيه، وَهَيْذِهِ السعه وَإِنْ كانت فى الوهله الأولى مُعْزِيه لعموميّه المعنى وكليته إِلَّا أَنَّ لازمها بالدقّه ذهاب خصوصيه طبقات مِنْ الأنواع، وَمِنْ ثَمَّ يتماهى المعنى عَنْ حدود النوعيّة وحدود الجنسّيه المتوسّطه إلى أَنْ ينتهى إلى الجنس العام المبهم الفوقى.

بينما فى النظرية الثَّانِيه: - فَإِنَّ خصوصيات التطبيق والتعيّنات ملحوظه فتحفظ الحدود، وَإِنْ كَانَ ذَلِك لا يمانع عَنْ جرى الآيه فى المعانى كَمَا تجرى فى المصاديق، والعُمْدَه أَنَّ فى النظرية الثَّانِيه فَإِنَّ كُلّ تعدّد للمعانى مُراد، فالكثرة فى المعنى مُرادهُ ولكثره فى المصاديق مُرادهُ كَذَلِك، فتحفظ الحدود والخصوصيات، فى حين تَعْبُر الآيه مِنْ حدٍّ إلى آخر، وَهَذَا بخلاف النظرية الأولى فَإِنَّ المعنى مُتَّحِد غير متعدّد لكنّه لا تحفظ فيه خصوصيات الكثرة بَعْدَ فرض تقرير سعه المعنى لمرتبته فوقيه.

تعمق إشكال حجيه الظهور بالمخاطبين والمشافهين:

الإشكال: السابع: يلزم على النظرية الأولى إبعاد عالم التطبيق عن عالم الدلالة ويترتب على هذا لوازم لا يمكن الالتزام بها، فمثلاً صاحب القوانين.

ادعى دعوة حاصلها:

إن حجيه الظهور مخصوصه بالمخاطب، وآخر ذهب الى اختصاصها بالمشافهه، وأما غير المخاطب فيتأمل فى حجيه ظهوره واستظهاره، اى معنى حجيه الظهور هل يختص بالاستظهار بالمشافهين، بأن يستظهر ويستنتق المشافه للقرآن الكريم أو الأعم من المشافهين والغائبين أو الأعم منهما ومن المعدومين، وإن كان تعيين المخاطب أمر مهم وأن حجيه الظهور مخصوصه بالمخاطب.

وعليه فإنه حسب النظرية الأولى يلزم أن تكون الآيه القرآنيه مخاطب بها شخص أو أشخاص، أو جماعة أو جيل معين يكون هذا مورداً للتطبيق والحصص.

إلا أنه وحسب النظرية الثانية فى قاعده الجرى على ضوء منهج أمومه الولايه أن القاعده لا تُحصّر ولا تُعصّر، بل توسع المفاد القرآنى فى الآيه أو السوره إلى غير زمان ومكان المخاطب، وإن اشتملت الآيه على

كلمات مخاطب بها أشخاص بأعيانهم ولا يخفى اشتمال الآيات القرآنية وألفاظها على ألفاظ الخطاب وأسماء المخاطبين العدد الكبير في القرآن، كما في الخطاب الموجه للأنبياء وللأمم والأصناف والأصناف المخلوقات، وهَذَا كَمَّ كَبِيرٌ مِنْ آلاَفِ الْجَمَلِ فِي الْآيَاتِ وَالسُّورِ قَدْ عُنِيَ الْمُخَاطَبُ فِي اللَّفْظِ مِمَّا يُوجِبُ مَنَعَ قَاعِدِهِ الْجَرَى فِي غَيْرِ الْمُخَاطَبِ، وَيَلْزَمُ جَمَلَهُ مِنْ الْإِشْكَالَاتِ السَّابِقَةِ عَلَى النَّظَرِ الْأُولَى الْمَبْنِيَةِ عَلَى تَعْيِنِ الْخُطَابِ فِي حَاقِّ اللَّفْظِ.

هل التأويل حاكم على التنزيل (التفسير) أو العكس

على ضوء المنهج التفسيري للسيد العلامة الطباطبائي

لو ألقينا نظره فاحصه على منهج السيد العلامة مُحَمَّد حسين الطباطبائي رحمه الله صاحب تفسير الميزان في تفسير القرآن الذي انتهج التفسير الموضوع في تفسيره، لوجدنا حاكميه التفسير على التأويل، حيث دأب العلامة في كل تفسيره على عزل المفاد الروائي للروايات الواردة في ذيل الآيات عن تقرير مفاد الآيات المسمى بالتفسير، فلم يجعل لمفاد الروايات أي دور ولا صلة بتقرير المفاد الأولى للآيات.

وَحَتَّى أَنَّ السَّيِّدَ الْعَلَّامَةَ فِي أواخر حياته الشريفه سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ - وَهُوَ ذُو رِيَادَةِ وَبَاعِ طَوِيلٍ فِي التَّفْسِيرِ - وَلَمْ يُرْجِحْ مَا ذَكَرَهُ فِي تَفْسِيرِهِ الْمِيزَانَ عَلَى تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقُمِّيِّ وَتَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ، وَالثَّبْرَهَانَ لِلْحَوِيزَاوِيِّ وَنُورِ الثَّقَلَيْنِ لِلْسَّيِّدِ هَاشِمِ الْبَحْرَانِيِّ وَ... الخ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ التَّفَاسِيرِ الرَّوَائِيَةِ الَّتِي تَعْتَنِي بِتَرْجِيحِ جَانِبِ التَّأْوِيلِ عَلَى التَّنْزِيلِ وَالتَّفْسِيرِ، عَلِمْنَا لَوْ أَرَدْنَا إِجْرَاءَ مَقَائِسِهِ بَيْنَ التَّأْوِيلِ وَالتَّفْسِيرِ لَوَجَدْنَا التَّفْسِيرَ قَطْرَهُ فِي بَحْرِ التَّأْوِيلِ، وَالسَّيِّدَ الْعَلَّامَةَ فِي الْمِيزَانَ وَإِنْ لَمْ يَرْجِحِ التَّفْسِيرَ عَلَى التَّأْوِيلِ وَمَعَ ذَلِكَ جَعَلَ الْبَحْوثَ التَّأْوِيلِيَّةَ عَلَى نَحْوِ الْبَحْوثِ

الهامشي والمقتضيه والمختزله، ولا يفهم من هَذَا إننا نريد أن نُنكر دور التفسير والتنزيل، كَلَّا فَإِنَّ التفسير علم له مؤنثه وأعبأه ويحتاج إلى بذل جهود جَبَّارَه في إنجاز ذَلِكَ.

إِلَّا أَنَّ التَّنزِيلَ هُوَ نَزُولُ مَقْدَسٍ وَعَظِيمٍ وَلَكِنْ بَدْرَجِهٍ مَخْفَفِهِ وَنَازِلُهُ مِنْ حَقِيقَةِ الْقُرْآنِ وَهُوَ حَبْلٌ مَمْدُودٌ طَرَفٌ مِنْهُ عِنْدَ النَّاسِ وَطَرَفٌ مِنْهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَكِنْ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.

والمهم من كَمَلٍ هَذَا إِنَّا عَلَيَّ مِنْهَجِ أُمُومِهِ الْوَلَايَةِ عَلَيَّ الْمَحْكَمَاتِ وَبِحَسَبِ النَّظَرِيهِ الثَّانِيهِ فِي قَاعِدِهِ الْجَرِيِّ بِمَعْنَى التَّطْبِيقِ (أَوْ التَّعْيِيرِ) لَا نَرْتَضِي مَا انْتَهَى إِلَيْهِ السَّيِّدُ الْعَلَّامَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَجَمَاعَهُ فِي أَهْمِيَةِ عِلْمِ التَّأْوِيلِ وَانْتَهَوْا إِلَى أَنَّ عِلْمَ التَّأْوِيلِ هُوَ عِلْمٌ تَطْبِيقِي بِخِلَافِ عِلْمِ التَّفْسِيرِ فَإِنَّهُ عِلْمٌ تَنْظِيرِي، وَأَنَّ عِلْمَ التَّأْوِيلِ هُوَ الْمَدَارُ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ طَبِيعَةُ رَحَى التَّطْبِيقِ، وَأَنَّ التَّطْبِيقَ تَابِعٌ إِلَى التَّظْهِيرِ لَا الْعَكْسِ، وَعَلَى ضَوْءِ هَذِهِ النَّتِيْجَةِ بِنَاءً عَلَيَّ النَّظَرِيهِ الْأُولَى يَكُونُ الْفَارَقُ بَيْنَ عِلْمِي التَّأْوِيلِ وَالتَّفْسِيرِ لِلْقُرْآنِ بَسِيْطًا.

بِخِلَافِ النَّظَرِيهِ الثَّانِيهِ عَلَيَّ ضَوْءِ مِنْهَجِ أُمُومِهِ الْوَلَايَةِ عَلَيَّ الْمَحْكَمَاتِ مِنْ أَنَّ عِلْمَ التَّفْسِيرِ إِنْ كَانَ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِعِلْمِ التَّظْهِيرِ فَهُوَ الَّذِي يَدُورُ مَدَارُهُ التَّأْوِيلِ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ التَّأْوِيلُ هُوَ الْمَحْوَرُ، وَإِنَّهُ يَوْجَدُ فَرْقًا كَبِيرًا وَوَأَسْعَ بَيْنَ عِلْمِي التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ لِآيَاتِ الْقُرْآنِ وَسُورِهِ.

وَعَلَيْهِ فَالنَّتِيْجَةُ الَّتِي انْتَهَى إِلَيْهَا السَّيِّدُ الْعَلَّامَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَجَمَاعَهُ مِنْ

جعل التأويل تبعي للتفسير معناه إضفاء أهميته لعلم التفسير فوق أهميته علم التأويل، وهذا بخلاف مختارنا وهو النظرية الثانية في قاعده الجري على ضوء منهج أمومه الولايه على المحكمات، من أن علم التأويل هو الفائق على علم التفسير، وسيوضح أن كمال وأوج علم التفسير لا ينتظم ولا يستقيم إلا بتحرير علم التأويل ومتوقف عليه، وهذا لا يتنافى مع الابتداء بعلم التفسير، واستدراكات علم التفسير مراجعته لا يتم كمالاً إلا بالرجوع إلى ضوابط من علم التأويل.

وهذا نظير ما ورد عن الصادق عليه السلام ما مضمونه أن الدين له ظاهر وله باطن (1) وأنه لا ظاهر إلا باطن ولا باطن إلا بظاهر.

ص: ١١٣

١- (١) بحوث في مباني علم الرجال للشيخ محمد السند حفظه الله: ج ٣.

يضبط علم التفسير المتقدم رتبه

لا- منافاه في أن يتلقى الإنسان الباحث والمتعلم في أي علم من العلوم فهم معانيه وتقريرها من علم متأخر رتبه، كما هو الحال في تلقي المفسر في علم التفسير تفهمه من علم التأويل الذي هو متأخر رتبه عنه، ولا مانع من ضبط المتأخر للمتقدم ولا محذور فيه كما هو الحال في الدراسات الأكاديمية فإن المرحلة الأعلى وهي المتأخره تضبط المرحلة الأدنى وهي السابقه على أن يتخرج من الجامعه حاملاً لشهاده عليا أرقى مما سبق، ولكن الضبط والميزان هو بالعلم الأرقى وإن كان فيما بعد ومتأخر رتبه، وهذا لا محذور فيه.

وعليه فالمراحل السابقه لا يمكن إهمالها وأنها هي المداريه ولكن ضبطها لا بد وأن يكون بعلم ومرتبه أعلى.

كذلك الحال بالنسبه لعلمى التفسير (التنزيل) والتأويل فإنه لا يمكن أن ينضبط التفسير وإن كان متقدماً إلا بعلم التأويل وإن كان متأخراً وكذا العكس، وبعد أن اتضحت العلاقة الوطيدة بين علمي التفسير والتأويل نقول: -

فإن كنا نعطي عذراً وتبريراً للمفسرين في تركيزهم وعكوفهم على علوم التفسير فهذا المبرر يصلح للابتداء ولا مانع منه، لا أنه مبرر للبقاء والاستمرار في التركيز على علم التفسير وترك وإهمال التأويل فإن مثل هذا غير مقبول، والمفروض على كل مفسر ابتداء تفسيره بعلم التفسير عليه أن يراجع ويضبط ويصحح بحوثه ونتائجه التفسيرية بالولوج والتوغل في علم التأويل، وهذبه مفارقه واضحه بينهما - التفسير والتأويل - وسيأتي المزيد في محله إن شاء الله تعالى.

تعدد علم التأويل ومفارقه عن التفسير:

تنبه هام: لا شك ولا ريب إن القرآن الكريم يحتوي على علوم متعدده وخطيره ومحوريه إلا أنه وللأسف توجد في بعض علوم القرآن مهجوره من قبل الباحثين والمفسرين مثل التفسير الإشاري أي تفسير الإشارات القرآنيه وغيره، فإن المروى عن أمير المؤمنين عليه السلام في بيان المراحل المعرفيه للقرآن أنه عليه السلام قال: «كتاب الله على أربعة أشياء: على العبارة، وعلى الإشاره، واللطائف، والحقائق؛ فالعبارة للعوام، والإشاره للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء(1)».

وإن كانت هناك بعض المناهج التفسيرية لبعض الأعلام كالسيد الطباطبائي في تفسيره الميزان فيها نوع من الاستقراب لمثل بحث التفسير

ص: ١١٤

١- (١) عوالي اللئالي: ج ٤، ص ١٠٥ ح ١٥٥؛ والبحار للمجلسي: ج ٩٢، ص ١٠٣ ح ٨١.

الإشارى أى تعبير إشارى وعبور بتوسط الإشاره إلاً أنّها نتف قليله متناثره ولكنّها ثمينه وخطيره، وسيأتى فى بحث نظام المعانى التعرّض إلى بحث نظام الإشارات ونظام اللطائف ونظام الحقائق.

ولابدّ من الالتفات إلى أنّ علم الإشاره فى القرآن غير علم التأويل، وإنّ كدّان علم التأويل يطلق على معنى أعم ومعنى أخصّ، فإنّه علم تأويل يُطلق على ما وراء علم التفسير فكلّ ذلك يطلق على علم التأويل.

وهكذا علم لطائف القرآن وعلم حقائق القرآن وغيرهما غير علم التأويل، وهذيه العلوم وغيرها وللأسف لم يتمّ التركيز عليها من قبل مفسّرى المسلمين وإن كانوا لا يستطيعون أن يدعوا هذيه المقامات غايه ما عنده علم التفسير، أمّا علم التأويل أو علم تعبير القرآن وإشاراته وحقائقه وترجمان القرآن ولطائفه وغيرها من علوم القرآن فإنّها من نصيب العتره الطاهره أئمه أهل البيت عليهم السلام فقط.

هو الناظم لعلم التفسير والتأويل

(هيكله منهجيه)

لو لاحظنا تفاسير المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام نجد فيها كأنما أوكل التعليم الابتدائي لهذه العلوم القرآنيه والمناهج التفسيريه المختلفه سواء التفسير الإشاري أو اللطائفى أو الحقائقى أو... الخ إلى علماء الأئمه لكن بضوابط بينها أئمه اهل البيت عليهم السلام وتعليمهم إلى الإشارات القرآنيه واللطائف وترجمان وتأويل القرآن؛ لأن تلك العلوم بعيده المنال والسيطره عن قدره علماء الأئمه، ولذا نرى ندره كتب علوم القرآن التي تتطرق إلى هذيه العلوم والتفسيرات في المكتبه القرآنيه عند المسلمين.

وهذيه العلوم في الحقيقه هي مهيمنه ولها أمومه وقطبيه ومركزيه لسائر علوم القرآن، وهذيه الأمومه للكتاب بينها نفس القرآن الكريم أمومه لا- للمراتب النازله وإنما أمومه للمراتب العليا منه (إنه لقرآن كريم (٧٧) في كتاب مكنون (٧٨) (١) و(بل هو قرآن مجيد) (٢١) في لوح محفوظ

ص: ١١٩

(٢٢)(١) أى محفوظ ومكنون ومذخور عَنْ أَنْ تناله عامّة البشر، وَهَذِهِ العلوم هِيَ بتدرّجها هَذَا هِيَ علوم فوق علم التفسير.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ العلوم الْقُرْآنِيه أبدأً لا تقتصر ولا تنحصر فِي علم التفسير بَلْ علوم الْقُرْآن حَجّه وبعضها فوق بَعْض، ومهيمن بعضها عَلَى بَعْض، وَكُلُّ علم يُعتبر محكّم يزيل المتشابه لما دونه، فالرتبه الأعلى تضبط المرتبه الَّتِي دونها، فالأمومه تضبط شتات لما هُوَ فوق لا- لما هُوَ دون، وما فوق مثل علم الإشارات وعلم اللطائف وعلم الحقائق ثمَّ أم الكتاب (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَمَدِينًا لَعَلِّي حَكِيمٌ) (٤) (٢).

ولو رجعنا إلى آيات الْقُرْآن وبيانات أئمه أهل البيت عليهم السّلام الخاصّه فِي المقام فَإِنَّهُ سوف ترسم لنا خريطه منهج تفسير أمومه الولايه عَلَى الْمُحْكَمَات فِي الْقُرْآن فضلاً عَنْ المتشابهات سواء فِي تفسير الْقُرْآن أو فِي علم بتأويل الْقُرْآن، وخريطه فِي انتظام منظومات الْقُرْآن ضمن هذه الشاكلة فِي علوم قُرْآنِيه شتّى. وَلَيْسَ التفسير الموضوعى لَهُ القدره أَنْ يرسم لنا تلك الخريطه بَلْ ولا يصل إلى هَذَا الدور وَإِنْ كَانَ للتفسير الموضوعى دورٌ، وكذلك لَيْسَ بقدره وإمكان تفسير الْقُرْآن بِالْقُرْآن، ولا بقدره التفسير النحوى أو الصرفى أو الأدبى أو أسباب النزول أو...

وَإِنْ كَانَ لِكُلِّ واحد منهما دورٌ مستقل، ولكن لا يصل إلى دور

ص: ١٢٠

١- (١) سورة البروج: الآيه ٢٢.

٢- (٢) سورة الزخرف: الآيه ٤.

الهيمنه كما هو لمنهاج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن.

وعليه إذا أردنا أن نرسم مخططاً لقواعد علوم القرآن فإنه يجب أن نرسمه على شكل نظام مخروطي أو دائري مركز المهيمن هو أمومه الولايه على المحكمات في القرآن الذي يصيرُ عليَّها القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام.

إذن إذا كان لعلم التفسير أهميه في القرين فلعلم تعبير القرآن وترجمانه ولطائفه وإشاراتة وحقائقه خطوره أكبر فأكبر، فإذا لم نستطع الوصول إلى جملة من هذه العلوم الأخرى في القرآن فإننا سوف نتمسك بما هو دون المتشابه، ولذا نلاحظ الاختلاف والاضطراب قديماً وحديثاً بين المفسرين وسببه هو التشابه، وهذا الاشتباه والتشابه لا يرفعه إلا العلم الذي فوَّقه إلى أن يصل بالفوقيه إلى أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن التي هي أس الأساس في ذلك، وفي الحديث النبوي المتواتر إشاره إلى ترسيم هذه الطبقات وهيمنه بعضها على بعض حيث قد صوّر هذه الولايه ودورها في بناء الصرح العظيم للقرآن والعترة وأنهما جبل واحد، ولم يعبر النبي صلى الله عليه وآله بالحبلين وإنما عبّر بالحبل الواحد والحقيقه والصراط الواحد في الوجه النازل ثقلين لكنهما حقيقه واحده وحبل ممدود طرف منه عند الناس وطرف منه عند الله، ولا يمكن الوصول إلى ما عند الله إلا عن طريق العتبه الطاهره والتمسك

بها.

ولذا عِنْدَمَا جَاءت الروايات المبيّنه لفضل قراءه الآيات وتفسيرها وفهمها (اقرأ وارق) أَى اقرأ علماً بَعِيدَ علم ولا تقف عِنْدَ علم واحد وبتوسُّط هذه العلوم سوف يصبح لديك منظومه قُرْآنِيه.

هَذَا أَيْضاً ببركه قاعده الجرى والتطبيق وأنَّ لها سِعه وبيان سِعى ولا تقتصر عَلَى علم التفسير بل تتجاوز إلى جملة علوم القُرْآن.

ص: ١٢٢

تَقَدَّمَ أَنْ مَدْرَكَ قَاعِدَهُ الْجَرَى هُوَ الْآيَاتِ وَالرُّوَايَاتِ، وَالْمَعْنَى الَّذِي تُرِيدُ أَنْ نَسْتَظْهَرَهُ وَنَسْتَنْبِطُهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالرُّوَايَاتِ لِقَاعِدِهِ الْجَرَى هُوَ أَنْ لَا نَضَيِّقَ الْمَعْنَى فِي التَّطْبِيقِ فَقَطُّ، وَإِنَّمَا قَاعِدَهُ الْجَرَى لَا تَنْحَصِرُ بِالتَّطْبِيقِ وَإِنَّمَا تَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ - كَمَا مَرَّ - وَقَبْلَ الدُّخُولِ فِي ذِكْرِ الْمَحْوَرِ الْأَسَاسِيِّ لِقَاعِدِهِ الْجَرَى لِابْتِدَاءِ مَنْ ذَكَرَ أَمْرَيْنِ هَامَيْنِ لِهَمَّا صَلَّهُ بِالْمَقَامِ: -

الأمر الأول: ينبغي للمُحَصِّلِ فِي أَيِّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ أَنْ لَا يَبْنِي عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا أَنْجَزَ فِي أَيِّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ سِوَاهُ فِي عِلْمِ الْأَصُولِ أَوْ الْفِقْهِ أَوْ الْبَلَاغَةِ أَوْ النُّحُوِّ أَوْ الْمُنْطِقِ أَوْ الْفَلْسَفَةِ أَوْ التَّفْسِيرِ أَوْ... الخ وَلَا يُسَلِّمُ بِمَا أُنْجَزَ وَيَأْخُذُهُ أَخْذَ الْمُسَلِّمَاتِ وَيَكْتَفِي بِمَا حَقَّقَهُ الْآخَرُونَ فِي أَيِّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ، هَذَا مَرْفُوضٌ، وَإِنَّمَا الصَّحِيحُ وَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ لِبِنَاءِ ذَاتِيهِ الْعِلْمِيَّةِ بِأَنْ يَتَحَرَّى وَيَتَحَقَّقَ وَيَتَفَحَّصَ بِنَفْسِهِ فِي تَحْقِيقِ الْمَسْأَلَةِ الْمَذْكُورَةِ وَالْمَبْحُوثَةِ، وَأَنْ لَا يَتَّكِلَ فِي تَرْتِيبِ الْآثَارِ وَاسْتِحْصَالِ النَّتَائِجِ مِنْ تَحْقِيقِ وَنَتَاجِ الْآخَرِينَ، فَإِنَّهُ يَصِلُ إِلَى بَعْضِ النَّتَائِجِ، وَلَكِنْ فِي الْأَغْلَبِ لِعَلَّهَا لَيْسَتْ نَتَائِجَ سَدِيدَةٍ، وَرَبَّمَا تَكُونُ عَكْسِيَّةً. وَالَّذِي تُرِيدُ التَّأَكِيدَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ

الهام هُوَ التأكيد عَلَى بذل قصارى الوسع ونبذ التواكل ونبذ إهمال التحزى والفحص.

الأمر الثانى: كلما تركز وتكاثر وتظاهر جهود البشر حول عالم البيان والدلالة كلما يزداد انكشاف أبعاد جديده فيه يوماً بعد يوم بما يشمل علوم اللغه والأدب والفلسفات الحديثه من الفلسفات الألسنيه أو بحوث الفلسفه الإسلاميه بلحاظ الدلاله أو بحوث أصول الفقه وغيرها. فهَذَا الرُقى والتقدم الفلسفى فى مختلف العلوم هُوَ مبتنٍ عَلَى ما بحثته بعض المعاهد العلميه من اكتشاف العلاقه والصله الوطيده والعظيمه بين الإدراك البشرى والعقل والتعقل والمخ البشرى مع أصل علم الدلاله والبيان، وهَذَا ما كشف عنه القرآن الكريم والوحى الإلهى، إلاً أن المسلمين غافلون عن مدرسه أهل البيت عليهم السلام مدرسه الوحى التى أكدت ولا زالت تؤكد عَلَى خطوره وعظمه هذه العلاقه، فإن مدرسه أهل البيت عليهم السلام بينت كيف يصنع اللسان والبيان إنساناً ومعتقداً ورؤيه من قبيل: - (الرَّحْمَنُ) (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) فى بدايه ومستهل عالم الخلقه بهَذَا الترتيب الطولى الخالق ثم القرآن ثم تعليم القرآن ثم خلقه الإنسان ثم البيان الذى هُوَ أول كمال للإنسان وعلم البيان فيه من كنوز المعارف ما لا يُحصى.

* وأما المحور الأساس فى قاعده الجرى هُوَ: حسب نظريه السيد العلامه وملا صدرا والفيض الكاشانى وبعض علماء ومفسرى العامه... الخ هُوَ أبعاد عالم التطبيق وإخراجه عن عالم الدلاله تماماً وعن

مرحلة الاستعمال مفروغ عنه، إلّا أن نتساءل عن أصحاب النظرية الثانيه وفق منهج أمومه الولايه هل يمكن إخراج عالم التطبيق عن عالم الدلاله أو لا يمكن؟ فربّما هناك بعض المسلمات العلميه لا اصل لها أو لها أصل إلّا أنّه غير صحيح ومناقش.

الجواب: هُنا إجابتان: - إجابته إجماليّ صلّى الله عليه وآله وأخرى تفصيليه.

أمّا الإجابته الإجماليه: وهى بالنفى ولا يمكن إخراج وإبعاد عالم التطبيق عن عالم الدلاله والبيان لوجود الصله الوطيده بينهما، وتقدم سابقاً إنّ عالم الدلاله واللّفظ والمعنى الاستعماليّ فى المرتبه الأولى ثمّ المعنى التفهيمى فى المرتبه الثانيه، ثمّ الجدّى فى المرتبه الثالثه ثمّ التطبيقى وإنها ليست خارجه عن عالم الدلاله والبيان، يَلْ هى من أدوات ومواد الدلاله ومن الموازين الّتي تقول وتقرّر وتؤطر على ضوءها الدلاله مع حفظ المراتب فى القرائن والدلاله والمدلول.

وأمّا الجواب التفصيلى: - فقد ذكر الميرزا القمى صاحب القوانين المُحكّمه فى الأصول (1) مطلباً حاصله:

هل خطاب القرآن مخصوص بالمشافهين أو المخاطبين أو الأعم منهما، والمُراد بالمشافهين (أى الذين كانوا حاضري مجلس المكالمه والخطاب كحاضري مجلس رسول الله صلّى الله عليه وآله عند ما وجه إليهم الرسول

ص: ١٢٥

١- (١) هو الميرزا أبو القاسم ابن المولى محمد حسن، أو يُقال له ابن الحسن الكيلانى الشفتى الرشتى الأصل الجابلاتى المولد والنشأ، والقمى الجوار والمدفن، ولد فى (جابلق) أحد نواحي مدينه بروجرد الايرانيه سنه (١١٥٢) هـ - وتوفى (١٢٣١) هـ - وهو محقق نحير فقيه شهير أصولى كبير.

الخطاب مثلاً- دون باقى الموجودين، وَهَذَا معنى أضيق) أو يعم الغائبين (وَالْمُرَاد بِالْغَائِبِينَ أَيْ لَمْ يَكُونُوا حَاضِرِينَ فِي مَجْلَسِ الْمَشَافَهَةِ وَالْمَخَاطَبَةِ) أو يعم المعدومين وَهُمْ غَيْرُ الْمَخْلُوقِينَ أَصْلًا فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ وَإِنَّمَا سَيَتَأْتُونَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَالْأَجْيَالِ الْوَالِيَةِ لَزْمَانِ الْخُطَابِ وَالْمَخَاطَبِينَ.

إِذْ عِنْدَنَا دَوَائِرُ ثَلَاثٍ: - دَائِرَةُ الْمَشَافَهِينَ وَدَائِرَةُ الْغَائِبِينَ وَدَائِرَةُ الْمَعْدُومِينَ، وَالْمِيرْزَا الْقَمِي هُنَا ادَّعَى: - أَنَّ حُجَّتَهُ الظُّهُورَ مَخْصُوصَةً بِالْمَخَاطَبِ، وَأَمَّا غَيْرُ الْمَخَاطَبِ فَيَتَأَمَّلُ فِي حُجَّتِهِ ظُهُورَهُ وَاسْتِظْهَارَهُ، وَيَتَرَكِّزُ مَطْلَبَهُ (صَاحِبُ الْقَوَانِينِ) حَوْلَ: - إِنَّ مَعْنَى حُجَّتِهِ الظُّهُورِ هَلْ يَخْتَصُّ الِاسْتِظْهَارَ بِالْمَشَافَهِينَ بِأَنْ يَسْتِظْهَرَ وَيَسْتَنْطِقُ الْمَشَافَهَةَ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْ الْأَعْمِ مِنَ الْمَشَافَهِينَ وَالْغَائِبِينَ أَوْ الْأَعْمِ مِنَ الْمَشَافَهِينَ وَالْغَائِبِينَ وَالْمَعْدُومِينَ؟ وَإِنْ كَانَ تَعْيِينُ الْمَخَاطَبِ أَمْرًا مَهْمًا وَتَقَدَّمَ أَنَّ حُجَّتَهُ الظُّهُورَ مَخْصُوصَةً بِالْمَخَاطَبِ، وَلَكِنْ لِنَفْتَرِضَ أَنَّ الْمَخَاطَبَ بِالْقُرْآنِ هُمُ الْمَشَافَهُونَ أَوْ الْغَائِبُونَ أَوْ جِيلٌ مُعَيَّنٌ (١).

وَخِلَاصُهُ مَبْنَاهُ: إِنَّ الْمُتَكَلِّمَ إِنَّمَا يَعْنِي فِي تَرْكِيْبِ كَلَامِهِ بِقِرَائِنِ وَدَوَالِ تَبْلُغِ الْمَخَاطَبِ وَلَا يُعْنِيهِ عَدَمُ وَصُولِ تِلْكَ الْقُرْآنِ وَمَا يَحْتَفِ بِتَرْكِيْبِ الْكَلَامِ إِلَى غَيْرِ الْمَقْصُودِ بِالْخُطَابِ أَوْ غَيْرِ الْمَقْصُودِ بِالْإِفْهَامِ.

وَيُرَدُّ عَلَيْهِ:

ص: ١٢٤

١- (١) وَسَنَعْقِدُ مَبْحَثًا تَحْتَ عِنْوَانِ [مَنْ الْمَخَاطَبُ فِي الْقُرْآنِ] فَهَلِ الْمَخَاطَبُ بِكُلِّ الْقُرْآنِ هُوَ كُلُّ الْبَشَرِ؟ أَوِ الْمَخَاطَبُ بَعْضُ طَبَقَاتِ الْقُرْآنِ لِبَعْضِ الْبَشَرِ؟ وَرَدَ فِي كَلِمَاتِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ [وَيَحْكُ يَا قَتَادَةَ] إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوِّطَ بِهِ [الْكَافِي لِلْكَلِينِي: ج ٨، ص ٣٢١، ح ٤٨٥؛ وَالْمَجْلِسِيُّ فِي الْبَحَارِ: ج ٤٩، ص ٣٥٠، ح ٢].

أولاً: منع اختصاص حُجِّيهِ ظهور القرآن وأنها مخصوصه بالمخاطبين؟ لا سيما وكلامنا في مبحث قاعده الجرى بمعنى التطبيق (أو التعبير)؛ لِإِنَّهُ تَقَدَّمَ: - أَنْ مُؤَدَى قاعده الجرى والتطبيق أَنَّهُ لو خوطب بالآيه مخاطب فلا تظننَّ الآيه مخصوصه بهذا المُخاطب الذى خاطبته، كَمَا فِي روايه الفضيل بن يسار عَنِ الإمام الباقر عليه السَّلام «... يجرى كَمَا تجرى الشمس والقمر...» (١) ثُمَّ أَنَّ معرفه مَنْ المخاطب بالقرآن أمرٌ فِي غايه الأهميه ويؤثر عى مصادر معرفه الدين وَهُوَ مِنْ المباحث الأصوليه الفقهيّه القانونيه والكلاميه والشائكه والخطيره والحساسه.

ثانياً: لو سلمنا وتنزلنا وتعين المخاطب بالقرآن، ولكن نسأل هل أن قاعده الجرى توسع لنا حُجِّيهِ ظهور القرآن بأن توسع لنا قدره المعرفه على مرام الآيات فِي مَنْ قصد إفهامه وخطابه، وصله الآيات إفهاماً وخطاباً فِي طبقات مِنْ المعانى لا العليا منها المختصه بأهل البيت عليهم السَّلام، وَإِنَّمَا المخاطب بها كُلُّ البشر. حَتَّى الَّذِينَ لَمْ يخاطبوا وقت نزول الآيه وتبليغها مِنْ قبل النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلنَّاسِ، وَعَلَيْهِ فالمخاطب فِي أى مرحله يقع؟ هل يقع فِي مرحله التطبيق فِي الخطاب القرآنى أو فِي غيرها؟

فمثلاً على ضوء النظرية الأولى فِي قاعده الجرى لِلسَّيِّدِ العَلَّامِ الطباطبائى وجماعه: أَنَّ الآيه القرآنيه مخاطب بها شخص أو أشخاص أو جماعه أو أمه أو جيل مُعَيَّن يكون هَذَا مورداً حصرياً به ولا تجرى قاعده

ص: ١٢٧

إِلَّا أَنَّهُ حَسَبَ النَّظْرِيَةِ الثَّانِيَةِ فِي الْقَاعِدَةِ الْمَبْحُوثِ عَلَى ضَوْءِ مَنْهَجِ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمَحْكَمَاتِ أَنَّ الْقَاعِدَةَ لَا تُخَصِّرُ وَلَا تُقْصِرُ، بَلْ تَجْرِي الْقَاعِدَةُ وَتَوْسِعُ الْمَفَادَ الْقُرْآنِي فِي الْآيَةِ وَالسُّورَةِ إِلَى غَيْرِ الْمَخَاطَبِ وَإِلَى غَيْرِ زَمَانِهِ وَمَكَانِهِ.

إِذَنْ حَصِيلَةُ الْجَوَابِ التَّفْصِيلِي هِيَ: - أَنَّ تَحْدِيدَ الْمَخَاطَبِ فِي الْقُرْآنِ مَنْ هِيَ؟ هَلْ هِيَ شَخْصٌ الْمَشَافَهُ أَوْ يَعْمُ الْغَائِبُونَ أَوْ الْمَعْدُومِينَ؟ مَهْمَةٌ حَسَّاسَةٌ فِي نَفْسِ عَالَمِ الدَّلَالَةِ وَالْمَدْلُولِ وَحُجَّتِهِ ظُهُورٌ وَاسْتِحْصَالٌ مَعْنَى الْآيَاتِ، وَكَذَلِكَ تَحْدِيدَ الْمَخَاطَبِ فِي مَرَحَلَةِ التَّطْبِيقِ لَهُ دَوْرٌ وَدَخَلَ فِي نَفْسِ عَالَمِ التَّكْوِينِ، وَعَلَيْهِ فَهُنَاكَ عِلَاقَةٌ وَطَيْدَةٌ بَيْنَ عَالَمِ الدَّلَالَةِ فِي تَوْسِيعِ دَائِرَتِهِ بِنَاءِ الظُّهُورِ وَبَيْنَ عَالَمِ التَّطْبِيقِ.

فَالْحَاصِلُ أَنَّ قَاعِدَةَ الْجَرَى بِتَفْسِيرِ التَّعْبِيرِ دَافِعَةٌ لِإِمَاتَةِ الْقُرْآنِ وَحَصْرِهِ فِي مَوْرِدِ الْمَاضِي بَلْ تَجِدُهُ حَيًّا فِي كُلِّ زَمَانٍ وَإِنْ اخْتَصَّ الْخُطَابُ فِي مَتْنِ اللَّفْظِ بِمَخَاطَبٍ فَضْلًا عَنِ الْخُطَابَاتِ الْعَامَّةِ الْأُخْرَى وَهَذَا بِخِلَافِ النَّظْرِيَةِ الْأُولَى فِي قَاعِدَةِ الْجَرَى فَإِنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهَا عَدَمُ جَرَى الْقُرْآنِ فِي عِدَّةٍ مِنَ الْآيَاتِ فِي جَمَلِهِ مِنَ السُّورِ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ هَذَا الْإِشْكَالَ لَا يَرُدُّ فَقَطُّ عَلَى صَاحِبِ الْقَوَانِينِ وَإِنَّمَا حَتَّى عَلَى مَبْنَى وَنَظْرِيَةِ السَّيِّدِ الْعَلَّامَةِ الطَّبَاطِبَائِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ - كَمَا مَرَّ - .

فى قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير ومميزات كل واحد منهما

بعدهما تقدّم ذكر النظرية الأولى فى قاعده الجرى والتطبيق والتي تبناها السيّد العلامة مُحَمَّد حسين الطباطبائى قدّس سرّه وجماعه من الخاصّه وكذا عمده من العامّه، وتقدّمت النظرية الثانيه فى هذه القاعده والتي هي مختارنا على ضوء منهجنا التفسيري للقرآن الكريم أوموه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات فى القرآن الكريم، وتقدم كذلك المحور الأساسى فى كلّ منهما، وسنذكر الآن جملة من الفوارق بين النظريتين: -

الفارق الأول: تتميز النظرية الثانيه فى قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير أنّها عامه فى كلّ الآيات القرآنيه ولا يختصّ تطبيقها ببعض الآيات دون الأخرى، بخلاف النظرية الأولى التي تبناها السيّد العلامة الطباطبائى قدّس سرّه - كما مرّ - فإنّها ليست عامه لكلّ الآيات.

الفارق الثاني: امتازت النظرية الثانيه بأنّ قاعده الجرى والتطبيق غير مخصّصه بنظام الاستعمال اللفظى بل تتعدّى إلى نظام عالم المعانى واعالم الحقائق، سواء فى القرآن أو الروايات وغيرهما، بخلافه فى النظرية الأولى فإنّها تختصّ بنظام الاستعمال اللفظى، وقد سبق بيان أنّ القاعده تجرى فى الحقائق بالأصالة، وفى المعانى بالتبع حسب النظرية الثانيه.

الفارق الثالث: إنَّ قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير عَلَى النظرية الثانيه تشمل علم التأويل وعلم التعبير فِي القرآن وعلم الإشارات وعلم اللطائف وعلم الترجمان وعلم حقائق القرآن فضلاً عَنْ علم التفسير، بخلاف النظرية الأولى فَإِنَّ قاعده الجرى والتطبيق عَلَى ضوئها تختص بعلم التفسير فَقَط.

الفارق الرابع: إنَّ كُليته المعانى الوسيعة فِي الآيات والسور لا- صله لها بشؤون تشخصات منطقته التطبيق، ولا- نُحْمَل التنظير المفهومى الفكرى ألوان وعوارض ومشخصات المصداق التطبيقى - هَذَا حسب النظرية الأولى - وَعَلَيْهِ فما وَرَدَ فِي بيان الآيات عَنْ أهل البيت عليهم السَّلام إِنَّمَا هُوَ لَهُ صله بعالم التطبيق ولا صله لَهُ فِي الغالب بعالم التفسير وجرى القرآن، وَعَلَيْهِ فأصحاب النظرية الأولى يفسرون قاعده الجرى بَعْدَ تشفيف وتلطيف المعانى الكُليته وعموميتها عَنْ ألوان المصداق فِيهِ لا تجعل المعنى التنظيرى العام للآيه يتأثر أو يتلون بالمصداق أو بالتطبيق.

وأما بحسب النظرية الثانيه فَإِنَّ مدلول الكلام يجرى إِلَى مواطن عديده سواء كانت الموارد مِنْ موارد تنظير المعنى إِلَى معانى جَدِيَه متعدده، أو موارد هِيَ مقام تطبيق، فَإِنَّ كُلَّ هَذَا يحتويه عالم مدلولات الكلام، وَمِنْ ثَمَّ يكون التطبيق جزءاً مِنْ مداليل الكلام، وَمِنْ الواضح أَنَّ المصداق التطبيقى أيضاً لَهُ مصاديق بدرجات متفاوتة فِي الأهميه والعنايه، والذى يُنظَّر كلاماً كُلياً دائماً يلاحظ أهم وأعظم وأخطر

التطبيقات المصداقيه، فمثلاً- في قوله تَعَالَى (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) (١).

بتقريب: - إنَّ إحياء النفس وكذا قتلها مِنْ الْأُمُور الْبَالِغَةِ الْأَهْمِيَّةِ لَدَى الشَّارِعِ وَأَكَّدَ عَلَى ضَرُورِهِ إِحْيَاءَ النَّفْسِ وَالْمَحْيَى لِنَفْسِ كَأَنَّهَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا، وَغَلَّظَ وَشَدَّدَ عَلَى قَاتِلِ النَّفْسِ فَكَأَنَّهَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، وَإِحْيَاؤَهَا إِخْرَاجُهَا مِنْ ضَلَالٍ إِلَى هُدًى كَمَا فِي رَوَايَةِ الْفَضِيلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: قَتَلَ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّهَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) فِي كِتَابِهِ قَالَ: «مِنْ حَرَقٍ أَوْ غَرَقٍ»، قُلْتُ: فَمَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ ضَلَالٍ إِلَى هُدًى؟ قَالَ: ذَلِكَ تَأْوِيلُهَا الْأَعْظَمُ (٢).

ولكن النفوس متفاوتة، فَهُنَاكَ مَثَلًا نَفُوسَ الْأَنْبِيَاءِ وَنَفُوسَ الْأَوْلِيَاءِ وَنَفُوسَ الْعِظَمَاءِ وَنَفُوسَ الْمُتَّقِينَ وَالصَّالِحِينَ فَإِنَّ هَذِهِ النَفُوسَ الْخَيْرَةَ وَالصَّالِحَةَ لَهَا أَهْمِيَّةٌ أَكْثَرُ فِي إِصْلَاحِ نَفُوسِ الْآخِرِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي دَرَجَةِ أَقْلٍ، بِخِلَافِ نَفُوسِ الْأَشْرَارِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

وإنَّ كَانَ عَمُومَ حَقْنِ الدَّمَاءِ وَالْمَحَافِظَةِ عَلَى النَفُوسِ حَكْمًا عَامًّا لِلْكَلِّ - النَفُوسِ الْخَيْرَةِ وَالشَّرِيرَةِ - إِلَّا أَنَّ الْقَتْلَ لَهُ مَرَاتِبٌ تَشْدِيدُ أَشْبَهُ مَا

ص: ١٣١

١- (١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

٢- (٢) الكافي للكليني: ج ٢، ص ١٦١، ح ٢؛ البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: ج ٢، ص ٤٣٨، ح ٤.

يكون بحرمة القتل في الشهر الحرام أكد من غيرها في باقي الشهور، وهكذا التأكيد على حرمة المكان فإن قتل النفس في البلد الحرام وفي الشهر الحرام أكد، وهكذا تختلف المرتبة باختلاف الخصوصيه والمزيه، ومن الواضح أن حرمة القتل عند الشارع المقدس انطلقت من أصول التشريع وما قد يسمى بمقاصد الشريعة، وهذه المقاصد إما مصالح أو مفاسد أو ما شابه ذلك. فإن الشارع يُراعى هذه الأمور فالأهميه عند الشارع تختلف، وإذا كانت الأهميه تختلف عند الشارع إذن تشريع الشارع المقدس لحرمة القتل انطلقت من بعض المصاديق الهامه.

إلا أن الشيء المهم الذي نريد تسليط الأضواء عليه هو: - صحيح إن الشارع المقدس له مقصد في الشريعة وتقنين قانون عام، وهنالك عموم أفراد ومصاديق للطبيعه، وصحيح طبيعه المصاديق متفاوتة مثلاً نفوس الأنبياء ذات مرتبه تختلف عن مرتبه نفوس الأوصياء، والأوصياء لهم مرتبه تختلف عن الأولياء... الخ وصحيح أن بعض مصاديق الطبيعه لو وضعناها في كف وكل مصاديق الطبيعه في كفه أخرى فإن الكفه الأولى ترجح على الثانيه، وصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن ضربه على عليه السلام يوم الخندق تعدل عباده الثقلين، وهذا ليس اعتباطاً، وصحيح أن إبراهيم عليه السلام كان أمه بنص القرآن كل هذا صحيح، ولكن الشيء المهم الذي نريد التأكيد عليه هو انه: لا يمكن أن نقول لا يكثرث بالمصاديق

وَأَنَّ هَيْدًا مَجْرَدٌ فِي عَالَمِ التَّنْظِيرِ وَأَنَّ عَالَمَ التَّنْظِيرِ فِي مَعزَلٍ عَنِّ عَالَمِ التَّطْبِيقِ، وَهَيْدًا يَتَمَاشَى مَعَ مَبَادِي النَّظَرِيَّةِ الْأُولَى وَتَرْفُضُهُ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ فِي قَاعِدِهِ الْجَرِي وَالتَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ عَلَى ضَوْءِ مَنَهْجِ أُمُومِهِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ، وَالصَّحِيحُ مَا تَتَبَنَاهُ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ، وَأَنَّ الْمَصْدَاقَ جِزْءٌ مِّنْ مَدْلُولِ الْكَلَامِ التَّنْظِيرِيِّ، وَأَنَّ الْمَصْدَاقَ الْأَعْظَمَ وَالْأَخْطَرَ فِي التَّطْبِيقِ هُوَ مَنْشَأُ تَكَلُّمِ الْمُتَكَلِّمِ وَأَنَّ الْمَصَادِيقَ الْمُهِمَّةَ هِيَ مَنْشَأُ تَقْنِينِ الْمُقْنِنِ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِلْمُقْنِنِ وَالْمُنْظَرِ أَنْ يَقْنِنَ وَيُنْظَرَ بِمَعزَلٍ عَنِّ الْمَصَادِيقِ، هَيْدًا بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْقَوَانِينِ وَالْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ فِي فِقْهِ الْفُرُوعِ، وَنَفْسِ الْكَلَامِ فِيمَا إِذَا كَانَ الْمُنْظَرُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَبَقِيَّةِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ الْأُخْرَى.

الشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكِ مَا يَقُولُهُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ مَا مَضْمُونُهُ: «أَتَحَسَّبُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ لَفْظِهِ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ وَنَجْمٍ وَقَمَرٍ وَفَلَكَ وَجِبَالٍ -».

بِتَقْرِيْبٍ: - إِنَّهُ تَعَالَى لَا يُرِيدُ مِنْ لَفْظِ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ وَنَجْمٍ وَقَمَرٍ وَفَلَكَ وَجِبَالٍ ... هَيْدِهِ السَّمَاءَ وَهَيْدِهِ الْأَرْضَ وَهَيْدَةَ النَّجْمِ وَهَيْدَةَ الْقَمَرِ ... الْمَشْخُصَةَ الْمَعْرُوفَةَ؛ لِإِنَّهُ مِنَ الْوَاضِحِ إِنَّ الْمَذْكُورَاتِ لَهَا مَصَادِيقٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ بِنَاءً عَلَى مَبْنَى أَنَّ الْأَلْفَاظَ مَوْضُوعَهُ لِرُوحِ الْمَعَانِي وَاللِّغَايَاتِ وَلَهَا مَصَادِيقٌ عَدِيدَةٌ، وَمِثْلُ هَذَا يَرْتَضِيهِ حَتَّى مِثْلُ السَّيِّدِ الْعَلَّامَةِ صَاحِبِ النَّظَرِيَّةِ الْأُولَى.

وهكذا قوله تَعَالَى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) (٢٤) (١)، بتقريب: - أَوْتَحَسِبُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرِيدُ أَنْ يَكْتَرِثَ بِطَعَامِ الْأَبْدَانِ فَقَطُّ وَفَقَطُّ دُونَ الْاِكْتِرَاثِ بِطَعَامِ الْأَرْوَاحِ وَالْعُقُولِ وَالْأَفْكَارِ وَالَّذِي هُوَ قِطْعًا أَهَمُّ مِنْ طَعَامِ الْبَدَنِ، وَعَلَيْهِ فَهَلْ يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَقُولَ أَنَّ هَيْدَهُ مُجَرَّدُ تَطْبِيقَاتٍ بِمَعزَلٍ عَنِ الْمُرَادِ، وَلَيْسَتْ مَعْنِيَّ بِهَا عِنْدَ تَكَلُّمِ الْمُتَكَلِّمِ؟!

والجواب: بالنفي وَأَنَّهُ وَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) (٢٤) (٢) كَمَا فِي تَفْسِيرِ الْعِيَاشِيِّ عَنِ زَيْدِ الشَّحَّامِ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) (٢٤) قَالَ إِلَى عِلْمِهِ الَّذِي يَأْخُذُهُ عَمَّنْ يَأْخُذُهُ (٣). وَلَنَعْمَ مَا عَبَّرَ بِهِ الْفَيْضُ الْكَاشَانِيُّ بِمَا نَصَّه: «وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْخُذَ عِلْمَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ الَّذِينَ هُمْ مَهَابِطُ الْوَحْيِ وَيُنَابِعُ الْحِكْمَةَ الْآخِذُونَ عِلْمَهُمْ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَتَّى يَصْلِحَ لِأَنْ يَصِيرَ غِذَاءَ لِرُوحِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَا رَابِطَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ الْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ فَإِنَّ عِلْمَهُمْ إِمَّا حَفِظَ أَقَاوِيلَ رِجَالٍ لَيْسَ فِي أَقْوَالِهِمْ حُجَّةٌ، وَأَمَّا آلُهُ جِدَالٌ لَا مَدْخَلَ لَهَا فِي الْمَحْجَّةِ» (٤).

وَعَلَيْهِ فَالْبَارِي تَعَالَى أَكْرَمٌ مِنْ أَنْ يَحَاسِبَ الْإِنْسَانَ عَلَى رِزْقِهِ فِي هَيْدِهِ الدُّنْيَا مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ، وَإِنَّمَا عَنِ الْبَارِي تَعَالَى عِلْمُ الْإِنْسَانِ

ص: ١٣٤

١- (١) سورة عبس: الآية ٢٤.

٢- (٢) سورة عبس: الآية ٢٤.

٣- (٣) العياشي: ج ٣، ص ١٦٦.

٤- (٤) تفسير الصافي للفيض الكاشاني: ج ٥، ص ٢٠٥.

وعقيدته ومعرفته بالله وعمن أخذها، وصحيح أن الباري تَعَالَى ذكر بَعْض المصاديق النازله إِلَّا أَنَّهُ غَيْر مَكْتَرث بها أصلاً، وَعَلَيْهِ لَا يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَقُول: - أن معنى الآيه المباركه هُوَ مجرد معنى تنظيرى تجريدى بمعزل عَن التطبيق.

هَذَا مضافاً إِلَى أَنَّا لَوْ أُخْوِينَا وَفَرَّغْنَا الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ وَبَقِيَ الْآيَاتُ مِنْ شَامَخَاتِ الْمَصَادِقِ التَّطْبِيقِيَّةِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مَرَادَهُ لِلْآيَةِ، وَأَنَّ الْمُرَادَ هُوَ مَا يَكُونُ بِحُوزِهِ الدَّلَالَةُ اللَّفْظِيَّةُ فَقَطْ فَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّا أَفْقَدْنَا الْمَعْنَى شَمُوخَهُ وَرُوحَهُ وَعَظَمَتَهُ وَقِيَمَتَهُ الْعِلْمِيَّةَ، وَجَعَلْنَا مَعْنَى الْآيَةِ نَازِلَ وَقَشْرَى هَذَا كُلَّهُ عَلَى حَسَبِ مَبْنَى النَّظَرِيَّةِ الْأُولَى.

بِخِلَافِ مَا إِذَا بَنِينَا عَلَى النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَّةِ فِي قَاعِدَةِ الْجَرَى عَلَى ضَوْءِ مَنْهَجِ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمَحْكَمَاتِ فَنَقُولُ: -

إِنَّ الْمَصَادِقَ فِي التَّطْبِيقِ مَأْخُودَةٌ بِنَظَرِ الْإِعْتِبَارِ بِأَهْمِيَّةِ وَجِدِيَّةِ تَفُوقِ الْإِرَادَةِ وَالْمُرَادِ الْإِسْتِعْمَالِي وَالْمُرَادِ التَّفْهِيمِي وَالْمُرَادِ الْجَدِي الْأَوَّلَ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثَ ... وَعَلَيْهِ فَأَصْلُ سَوْقِ الْكَلَامِ مِنْ الْبَدءِ نَازِرٌ إِلَى الْمَصْدَاقِ الْأَعْظَمِ وَالْأَهْمِ فَكَيْفَ نَعزِلُ التَّنْظِيرَ عَن التَّطْبِيقِ؛ وَلِذَا هُنَاكَ جَمَلَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّحْقِيقِ فِي لَطَائِفِ الْقُرْآنِ وَالْمَعَانِي وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ سِوَا الصُّوفِيَّةِ أَوْ الْعُرَفَاءِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُمْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ مِنْ مَنَهَاجِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَنَّ الْمَخَاطَبَ الْأَصْلِيَّةَ وَالْأَوَّلَ فِي الْقُرْآنِ هُوَ الْمَصْدَاقُ الْأَعْظَمُ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلَى الْآخَرِينَ الْإِحْتِفَاءُ وَالْإِقْتِدَاءُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،

وَهَذَا نَظِيرُ أَفْرَادِ الْوَاجِبِ الْكِفَائِيِّ، صَحِيحٌ إِنَّ الْوَاجِبَ الْكِفَائِيَّ مَسْئُولِيهِ عَامَّةٌ عَلَى الْجَمِيعِ، وَلَكِنْ ذَوِي الْقُدْرَاتِ الْعَلَمِيَّةِ أَوْ بَسِطِ الْيَدِ وَالنَّخْبِ الْمَتَمَيِّزِ وَذُو الْوَجَاهَةِ وَالْإِمْتِدَادَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ مَسْئُولِيَّتُهُمْ فِي الْوَاجِبِ الْكِفَائِيِّ أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهِمْ. مَعَ أَنَّهُ كَلِمَةٌ رَاعٍ وَكَلِمَةٌ مَسْئُولٍ عَنْ رِعِيَّتِهِ، إِلَّا أَنَّ شِدَّةَ تَحْمِيلِ الْمَسْئُولِيَّةِ لِلنَّخْبِ الْقَمَمِيَّةِ أَشَدَّ خَطَابًا وَإِزْمَامًا عَنْ عَمُومِ الطَّبَقَاتِ النَّازِلَةِ وَحِينَئِذٍ يَصِحُّ تَطْبِيقُ الْآيَةِ، (وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ) (١) وَبَدَلِيلِ الْآيَةِ (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (٢)، بِتَقْرِيْبٍ: - إِنَّ الْخُطَابَ الْأَصْلِيَّ فِي الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ مَوْجَّهٌ إِلَى تِلْكَ النَّخْبَةِ الْمَعْيَنَةِ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ وَالتَّبَعِ لِجَمِيعِ الْأُمَّةِ، وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (٣).

بِتَقْرِيْبٍ: - أَيْضًا الْخُطَابُ لِأَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ وَهَيْمِ الْمَعْصُومِينَ وَيَتَّبِعُهُ دَرَجَاتٌ مَخْفَفَةٌ لِبَقِيَّةِ الطَّبَقَاتِ الْأَكْمَلِ فَالْأَكْمَلِ وَلِعَمُومِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَالْخُلَاصَةُ مِنْ كُلِّ هَذَا: - إِنَّ كُلَّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ شَوَاهِدِ تَطْبِيقِيَّةٍ وَمَا سَيَأْتِي هِيَ شَوَاهِدٌ عَلَى عَدَمِ إِمْكَانِ اسْتِبْعَادِ مَقَامِ التَّطْبِيقِ عَنْ التَّنْظِيرِ وَالْحَالِ أَنَّ الْمَخَاطَبَ الَّذِي وَجَّهَ إِلَيْهِ الْخُطَابُ فِي الْآيَاتِ وَالرَّوَايَاتِ هُوَ

ص: ١٣٦

١- (١) سورة الرحمن: الآية ٩.

٢- (٢) سورة آل عمران: الآية ١٠.

٣- (٣) سورة التوبة: الآية ٧١.

الركن الركين، وَهَيْدًا ما أشرنا إليه في محله مِنْ أَنَّ علماء الأصول بحثوا مَنْ هُوَ المقصود بالخطاب هل المشافهين أو الحاضرين أو يشمل المعدومين - أَيْ غَيْر الموجودين فِي زمان الخطاب وَالَّذِينَ سَيُخْلَقُونَ فِي المستقبل - وبالتالي المعنى بالخطاب لا يمكن أَنْ نغفله؛ ولذا صار التركيز أكثر عَلَى المخاطب الحاضر مجلس الخطاب مِنْ الغائب، والمشافهه أكثر تركيزاً مِنْ غَيْر المشافه والمعدوم أقل درجه مِنْ غَيْر المشافه - الغائب - وهكذا، هَيْدًا بحسب الحضور والغياب والمشافهه، لكنّ ربما يمكن تصوّر وجود درجات أُخْرَى أعظم مِنْ المشافهين.

وَعَلَيْهِ فنفس توجيه الخطاب ليس عَلَى درجه واحده، وَهَيْدًا أمرٌ مُسَدِّمٌ حَتَّى عِنْدَ علماء البلاغه والأصول، شاهد صِدْقٌ وَبَيِّنٌ عَلَى عدم إقصاء مقام التطبيق عَنْ مداليل الخطاب والكلام.

الفارق الخامس: تولّد فرقاً خامساً من السابق: - أَنَّ المصاديق الهامه والأهم للكلام أَعْظَمُ قرينيه وتأثيراً عَلَى دلالة الكلام وبالتالي فعناصر الدلالة لا تقتصر عَلَى الألفاظ والمعاني، نظير ما يُقَالُ أَنَّ القرائن الحاليه والسياقه لها دخاله فِي محصل الدلالة والمدلول. وكيف لا- والمصداق الأبرز والأعظم هُوَ المُراد الأصلي والمعنى عَلَى النظرية الثانيه، فكيف لا يكون المُراد الأصلي محوراً فِي تقرير الدلالة وَهَيْدِهِ مِنْ الفوارق والفوائد العظيمة بين النظريتين.

مِنْ خِلالِ ما تَقَدَّمَ يُعْلَمُ أَنَّ عَالِمَ التَّطْبِيقِ هُوَ عَالِمُ تَكْوِينِ وِجُودِ خَارِجِي لا صِلَةَ لَهُ بِالْأَلْفَاظِ وَلا بِالْمَعَانِي الذَّهْنِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يُجَابَ عَنْهُ: - بِأَنَّ عَالِمَ التَّطْبِيقِ وَإِنْ كَانَتْ عَالَمِ تَكْوِينِي لَكِنْ يُمْكِنُ انْطِبَاعُ صُورِهِ ذَهْنِيَّةً لِعَالِمِ التَّكْوِينِ وَالخَارِجِ قَبْلَ وَقُوعِهِ وَبَعْدِهِ وَقُوعُهُ لَهُ صُورُهُ ذَهْنِيَّةً فَيَكُونُ لَهُ مَدْلُولٌ ذَهْنِيٌّ وَبِالتَّالِي فَهَذَا الْمَصْدَاقُ التَّطْبِيقِيُّ مَعْنَى ذَهْنِيٌّ أَيْضاً يَقَعُ وَرَاءَ الْمَعْنَى الْجَدِّيِّ مِنْ سِلْسِلَةِ الْمَعَانِي الَّتِي يَدُلُّ عَلَيْهَا فَإِنَّهُ قَابِلٌ لِلتَّصْوِيرِ.

وَرَبْمَا يُعْبَرُونَ عَنِ الْعِلْمِ الَّذِي يَتَكَفَّلُ لِلتَّطْبِيقِ هُوَ عِلْمُ التَّأْوِيلِ وَعِلْمُ الْبَاطِنِ وَعَنْ عِلْمِ التَّشْرِيعِ أَوْ التَّنْظِيرِ - أَيْ مَرِحَلَةَ الدَّلَالَةِ وَالْمَعَانِي - بَعِلْمِ الشَّرِيعَةِ.

وَهَكَذَا أَصْحَابُ النِّظَرِيَّةِ الْأُولَى - السَّيِّدُ الْعَلَّامَةُ وَمَنْ تَبِعَهُ - بَلَّ وَحَتَّى عِلْمَاءُ الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ جَعَلُوا الْمَعْنَى الْجَدِّيَّةَ مِنْ شُؤْنِ اللَّفْظِ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى الْجَدِّيَّةَ تَرْبِطُهُ مَعَ اللَّفْظِ إِرَادَةً، وَذَلِكَ بَيَانٌ: -

إِنَّهُ يُمْكِنُنَا التَّعْبِيرَ عَنْ طَبَقَاتِ الْمَعَانِي أَنَّهَا أَرْبَعُ طَبَقَاتٍ ثَلَاثٌ مِنْهَا تَصْدِيقِيَّةٌ وَوَاحِدَةٌ وَهِيَ الْأُولَى تَصْوِيرِيَّةٌ، وَأَمَّا الدَّلَالَةُ الْاسْتِعْمَالِيَّةُ فَقَدْ انْطَلَقْنَا إِلَيْهَا مِنَ اللَّفْظِ وَمِنْ الدَّلَالَةِ الْاسْتِعْمَالِيَّةِ انْطَلَقْنَا إِلَى الْمَعْنَى

والدلاله التفهيميه، أى انطلقنا مِنْ معنى إلى معنى آخر، فَإِنَّ نفس المعنى الاستعمالي صار بدوره آيه دَالَّه عَلَى المعنى التفهيمى ونفس المعنى التفهيمى صار آليه دَالَّه لها دلالة بدورها توصلنا إلى المعنى الجدوى فصار الفاصل بين المعنى الجدوى وَاللَّفْظ جداران أو ثلاثه يُدْر بالمعنى الاستعمالي وجدار بالمعنى التفهيمى والثالث بالمعنى التصورى، مَعَ هَذَا الفاصل بالجدارين أو الثلاثه بين اللَّفْظ والمعنى الجدوى جعلت النظرية الأولى، بَلْ حَتَّى عِنْدَ علماء الأدب وَاللُّغَه المعنى الجدوى مِنْ شُؤُون اللَّفْظ لوجود رابطة بينهما - المعنى الجدوى و اللَّفْظ - وَهِيَ الإراده النهائيه، وَهَذَا معناه إِنَّ المعنى الجدوى مِنْ أَوَّل الأمر قَدْ سَبَقَ لَهُ الكلام؛ لذا كانت هُنَاكَ علاقته وطیده بين اللَّفْظ والمعنى الجدوى مِنْ بدايه كلام المتكلم، وَهَذَا حقيقه لطيفه فارقه بين النظرية الأولى وَالثَّانِيه وتكون النتيجة لصالح النظرية الثَّانِيه وَهِيَ مختارنا عَلَى ضوء منهجنا التفسيري أومومه الولايه عَلَى المحكمات فضلاً عَن المتشابهات فى القرآن.

وَذَلِكَ بيان: -

إِنَّ التطبيق هُوَ إرادته جَدِيه أكد جَدِيه فى استعمال اللَّفْظ مِنْ المعنى الجدوى؛ لِأَنَّ المعنى الجدوى تنظير والغايه مِنْ التنظير حسب النظرية الثَّانِيه هِيَ التطبيق، ويكون التطبيق مراداً بالإرادته الجَدِيه وَيُعْطَى الحُسْنَ والحكمه وَتُنْفَى عمليته اللغويه لكونها لغوً وعبث عَن المراد الجدوى، وَإِلَّا لو كَانَ هُنَاكَ تنظير بلا تطبيق كَانَ لغواً، مثلما المراد التفهيمى بلا مراد

ص: ١٤٠

جدى يكون لغواً وهزلاً، وهكذا الاستعمالي بلا جدى يكون لغواً فكذلك التنظير بلا تطبيق.

وعليه فكيف يكون المقام التطبيقي حسب النظرية الأولى ليس من شؤون اللفظ ولا صله له به - اللفظ - بخلاف النظرية الثانية. فإن النظرية الأولى في قاعده الجرى والتطبيق - أو التعبير - التي تعزل مقام التطبيق عن مقام التنظير ومن ثم تذهب هذه النظرية إلى أن المحافظه على حيويه وحياه القرآن الكريم وديمومته وديمومه وخلود تشريعات الدين الإسلامى الحنيف تتم بمعزل مقام التنظير عن مقام التطبيق إذا أمكن هذا العزل وتكون بيانات القرآن الكريم على هذه النظرية مواكبه لكل جيل سواء في القوانين العمليه في أحكام الفروع أو في المعارف أو في كل ضوابط آداب النفس وسلوكياتها.

النظرية الثانية تُسائل النظرية الأولى:

هناك تساؤل يُثيره أصحاب النظرية الثانية على أصحاب النظرية الأولى ما حاصله: -

كيف مقام التطبيق لا علاقة له باللفظ، فإن المعنى الجدى إذا كان له صله بالتنظير باللفظ لأن اللفظ دالٌّ عليه بالواسطه، وكذلك التطبيقي أيضاً دالٌّ عليه بالواسطه إن كان الربط بين المعنى التنظيري الجدى واللفظ.

إِذْنَ الْغَايَةِ النَّهَائِيَّةِ مِنْ الْإِتْيَانِ بِاللَّفْظِ لَيْسَ الْإِرَادَةُ الِاسْتِعْمَالِيَّةُ، وَإِنَّمَا هِيَ جَسْرٌ، وَهَكَذَا التَّفْهِيمِيَّةُ وَالْجَدِّيَّةُ هُمَا جَسْرٌ لِلتَّطْبِيقِ، فَالرَّابِطَةُ إِنْ كَانَتْ هِيَ نَهَائِيَّةً غَائِبَةً الْإِرَادَةَ فَهِيَ أُخْرَى بِالصِّدْقِ فِي التَّطْبِيقِ مِنْهُ مِنَ الْمَعْنَى التَّنْظِيرِيَّةِ الْجَدِّيَّةِ.

وَعَلَيْهِ فَالْغَايَةُ مِنَ التَّنْظِيرِ هُوَ الْوَصُولُ إِلَى التَّطْبِيقِ وَلَيْسَ الْغَايَةُ مِنَ التَّنْظِيرِ جَعْلُ الْمَعْنَى التَّنْظِيرِيَّةِ بِلَا ثَمَرِهِ وَبِلَا غَايَةٍ، وَإِنَّمَا الْغَايَةُ مِنَ التَّنْظِيرِ هُوَ صِفَةُ الْجَدِّيَّةِ فَصِفَةُ الْجَدِّيَّةِ عَلَى التَّطْبِيقِ حَسَبَ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَّةِ أَوْ ثِقَ جَدِّيَّةٌ مِنَ التَّنْظِيرِ وَأَبْعَدُ غَوْرًا فِي الْجَدِّيَّةِ.

وَالْخِلَاصُ مِنْ كُلِّ هَذَا هُوَ أَنَّ الْمَعْنَى التَّطْبِيقِيَّةَ مَعْنَى جَدِّيَّةٍ آكِدَةٍ وَأَوْغَلٍ فِي الْجَدِّيَّةِ مِنَ الْمَعْنَى الْجَدِّيَّةِ التَّنْظِيرِيَّةِ، فَإِنَّ الْمَعْنَى الْجَدِّيَّةَ التَّنْظِيرِيَّةَ مَعْنَى جَدِّيَّةٍ أَوْلَى ابْتِدَائِيَّةً فِي الْجَدِّيَّةِ وَهَذَا الْمَقْدَارُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ أَصْحَابُ كِلَا النَّظَرِيَّتَيْنِ مِنْ أَنَّ الْمَعْنَى الْجَدِّيَّةَ حَتَّى التَّنْظِيرِيَّةَ يَكُونُ الْفَاصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّفْظِ بِطَبَقَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْغَايَةَ النَّهَائِيَّةَ هِيَ الْعِلَّةُ الْغَائِبَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَنَّ الْمُرَادَ الْجَدِّيَّةَ لَهُ مَرَاهِلٌ فَهَنَّاكَ مَرَحِلُهُ ابْتِدَائِيَّةً، وَجَدِّيَّةً مُتَوَسِّطَةً وَجَدِّيَّةً عَالِيَةً وَأَعْلَى... الخ وَبِالتَّالِيِ سَتَصِلُ إِلَى مَرَاهِلٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَهَذَا بُرْهَانٌ عَقْلِيٌّ وَأَدْبِيٌّ وَلِغَوَى. وَعَلَيْهِ فَلَا يُمْكِنُ إِقْصَاءُ مَقَامِ التَّطْبِيقِ عَنْ مَرَاهِلِ الدَّلَالَةِ وَاللَّفْظِ بَلْ بِالْعَكْسِ هُوَ أُخْرَى بِأَنْ يَنْدَرِجَ مَقَامُ التَّطْبِيقِ فِي مَدَالِيلِ الْكَلَامِ ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَالَمَ التَّطْبِيقِ إِلَى عَالَمِ الْمَدْلُولِ فَإِنَّهُ كَيْفَ نَجْرِي الْمَوَازِنَةَ فِي

التطبيق خاصه إذا كانت المصاديق فيه الطبيعه كثيره ودائماً المنظور في مصاديق تلك الطبيعه أهمها ملاكاً وأبرزها وأشدّها وضوحاً؛ لأنّ المصاديق فيها شدّه وضعفٌ، ودائماً المصداق الأشدّ والأعظم هو الغايه النهائيه وليس المنظور كلّ التطبيق فاهتمام المتكلم الأوفر يصبه على ملاحظه المصداق الأكبر لا بلحاظ المصداق الأوسط أو الأدنى، وهذا يفهمنا - من باب الكلام يجرى الكلام - أنّ المخاطب الأصلي في القرآن هو النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

عليهم السلام

إنَّما يُعرف القرآن مَنْ حوِّطَ به، وإنَّ كَما ن القرآن هُوَ خطاب لِكُلِّ البشر والجن والملك لكنَّ الاهتمام بالمصداق الأبرز والأعظم والخطير. وهكذا في كُلِّ الخطابات وَعَلَى مختلف الأصعدة والمستويات يوجه الخطاب إلى النخبه المسؤوله وَمَنْ يهَمُّه الأمر الأهم فالأهم والأقرب فالأقرب؛ وَمَنْ هُوَ أهل التحمُّل للمسؤوليه، ولذا نلاحظ في الروايات التي فيها إلقاء الواجبات والوظائف العامه عَلَى النخب العلميه وَالْعُلَمَاء ما مضمونه: «لا يحاسب الله الجاهل بشيء حَتَّى يُحاسب العالم».

بتقريب: - إنَّ العالمِ سواء كَما ن في العلوم الدينيه أو غيرها مِنْ العلوم النخبويه، وانطلاقاً مِنْ قول الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: - «كلكم راع وكلكم مسؤول عَنْ رعيته» فَإِنَّ الخطاب وإنَّ كَانَ عاماً لكنَّ درجه المسؤوليه تختلف درجه الخطاب فيها شدّه وضعفاً مَعَ ما يتناسب مَعَ حجم المسؤوليه فإنَّ كَانَ حجم المسؤوليه خطير وعظيم كانت درجه خطابه كَذَلِكَ.

وَعَلَيْهِ فالخطاب القرآني في قاعده الجرى والتطبيق - أو التعبير -

يتمركز عَلَى المصداق الأكبر فِي جانب الخير، والمصداق الأسوء فِي جانب الشر. هَذَا كُلُّهُ بلحاظ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ فِي الجرى والتطبيق - أو التعبير - حسب منهجنا التفسيري الْمُخْتَارِ أُمُومِهِ الوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ فَضلاً عَنِ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

والخلاصه: - إِنَّ المصداق الخَظِيرَ وَالكَبِيرَ يَحْفَظُ عَلَى لُبِّ وَلُبَابِ المَعْنَى، وَأَبْرَزُ مَصَادِيقِ المَعْنَى أَوْ الطَّبِيعَةِ العَامَّةِ لِلْمَعْنَى هُوَ أَبْرَزُ مَصَادِيقِهَا وَبِهِ يَتَجَلَّى مَرَكِزُ لَطَبِيعَةِ المَعْنَى بِخِلَافِ المَصَادِيقِ المَتَوَسِّطَةِ أَوْ النَازِلَةِ الطَّبِيعَةِ فِي تَلَكِ المَصَادِيقِ بِلَوْنِ خَافَتِ وَبِهَوِيَّتِهِ تَكَادُ تَكُونُ مُضْمَحَلَّةً وَنُورِهَا ضَمِيلٌ بِخِلَافِ تَوَاجُدِ الطَّبِيعَةِ فِي المَصَادِيقِ الأَهْمِ وَالأكْبَرِ فَإِنَّ وَجُودَ الطَّبِيعَةِ فِي تَلَكِ المَصَادِيقِ يَحْفَظُ هَوِيَّتَهَا وَطَابِعَهَا.

إِذَنْ فِي مَقَامِ التَّطْبِيقِ لَيْسَتْ كُلُّ المَصَادِيقِ ذَاتَ أَهْمِيَّةٍ وَاهْتِمَامٍ وَعَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ لَدَى الْمُتَكَلِّمِ وَهُوَ البَارِي، فَمِثْلًا عِنْدَمَا يُخَاطَبُ البَارِي تَعَالَى الأَبْنَاءَ: (وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) (١). فَإِحْسَانٌ مَنْ هُوَ المَطْلُوبُ؟ فَإِنَّ الوَالِدِينَ القَرِيبِينَ غَيْرِ الوَالِدِينَ البَعِيدِينَ اللَّذِينَ هُمَا الجَدُّ الخَامِسُ وَالسَّادِسُ مِثْلًا فَصَبَّ الشَّارِعُ أَهْتِمَامَهُ وَإِحْسَانَهُ لِلوَالِدِينَ القَرِيبِينَ فِيمَا هُوَ ضَرُورَةٌ بِحَيْثُ يَدْفَعُ دَرَجَةَ العُقُوقِ، هَذَا أَهْمٌ عِنْدَ الشَّارِعِ مِنْ أَى إِحْسَانٍ آخَرَ يَسِيرٌ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ المُرَادَ الجَدِّيَّ عِنْدَ الشَّارِعِ عَلَى دَرَجَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَمَا هُوَ أَقْرَبُ يَعْتَبَرُ أعْظَمَ المَصَادِيقِ وَأَخْطَرَهَا مِثْلًا وَهَمَّا فِي الآيَةِ الأَبْوِينِ

ص: ١٤٦

المُباشرين القريبين اللذين هُمَا فِي تَمَاسٍ مَعَ الْوَلَدِ وَإِذَا لَمْ يُحْسِنْ لِهَمَا فَقَدْ عَقَّبَهُمَا بِخِلَافِ الْحَيِّدَيْنِ الْأَبْعَدِ فَالْأَبْعَدُ، فَإِنَّ دَرَجَةَ التَّمَاسِ مَعَهُمَا قَلِيلَةٌ جِدًّا وَفَرَضَ وَقُوعَ الْعُقُوقِ مِنْهُ لِلْبَعِيدِينَ قَلِيلَةً بَلْ نَادِرَةٌ، وَلِذَا اهْتَمَّ الشَّارِعُ بِالمَصْدَاقِ الْأَعْظَمِ وَالْأَكْبَرِ لِلوَالِدَيْنِ وَأَرَادَ بِالوَالِدَيْنِ أَيْ المُبَاشِرِينَ القَرِيبِينَ، وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى) (١). فَأَيُّ قُرْبَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ؟ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهُ أَقْرَبَاءُ كَثِيرُونَ وَعَلَى دَرَجَاتٍ وَلَكِنَّ المُرَادَ أَعْظَمَ دَرَجَاتِ القُرْبَى أَيْ قُرْبَى ذَرِيَّتِهِ المَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ الَّذِينَ نَصَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ أَجْمَعِينَ -

ولاده الروح أعظم من ولاده البدن:

وَقَاعِدِهِ الجَرَى وَالتَّطْبِيقُ أَوْ التَّعْبِيرُ:

فَإِذَا كَانَتْ هُنَاكَ وِلَادَةٌ لِلبَدَنِ مُهَمَّةٌ فَوِلَادَةُ الرُّوحِ أَعْظَمُ وَأَخْطَرُ عِنْدَ الشَّارِعِ مِنْ وِلَادَةِ البَدَنِ، فَوِلَادَةُ الرُّوحِ هِيَ حَيَاتُهَا بِالعِلْمِ، فَإِنَّ الرُّوحَ العَالِمَةَ حَيَّةً وَالرُّوحَ الجَاهِلَةَ مَيِّتَةً، وَذَلِكَ لِأَنَّ العِلْمَ يَجْعَلُ الرُّوحَ تَعِيشَ وَتَلْجُ فِي ذَلِكَ العَالِمِ وَلَوْلَا العِلْمُ لَمَا وَلَجَتْهُ وَوَصَلَتْ إِلَى تِلْكَ الطَّبَقَاتِ العَالِيَةِ فَإِنَّ الرُّوحَ فِيهَا طَبَقَاتٌ مُجَمَّدَةٌ وَضَامِرَةٌ غَيْرُ مَفْتَقَةٍ وَغَيْرُ مُفَعَّلَةٍ فَبِرُكْهِ العِلْمِ أَصْبَحَتِ الرُّوحُ تَعِيشَ تِلْكَ الحَالَةَ النُّورَانِيَّةَ؛ وَلِذَا

ص: ١٤٧

يفترق الطيب البدني عن الطيب الروحي، فإنَّ الطيب البدني يكفل سلامه بدن الإنسان مُدَّة حياته التي قَدَّر الله تَعَالَى أَنْ يعيشها، أمَّا الطيب الروحي فيكفل سلامه الرُّوح وحياتها إلى الأبد إنَّ طَبَّقْنَا وَسَيَّرْنَا عَلَى مَا قَنَّنَهُ، وَعَلَيْهِ فَهَذَا الْبَحْثُ لَيْسَ نَظَرِي عِيَانِي وَإِنَّمَا لَهُ حَقِيقَةٌ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ، فَمِثْلًا قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يَا عَلِيُّ أَنَا وَأَنْتَ أَبُوَاهِذِهِ الْأُمَّةُ» يَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَبْوَانُ الرُّوحِيَانُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَمُعَلِّمَاهَا وَهُمَا أَعْظَمُ مَصَادِقِ الْوَالِدِينَ، وَالَّذِي يَحْيِي الْإِنْسَانَ هُوَ الَّذِي يُولِدُهُ رُوحِيًّا وَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ حَيَاةِ وَوَلَادَةِ الْإِنْسَانِ بَدَنِيًّا؛ وَلِذَا وَرَدَ عَنِ الْمَعْصُومِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) (١) أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْإِحْيَاءِ هُوَ الْإِحْيَاءُ بِتَعْلِيمِهَا وَبِالْهِدَايَةِ أَعْظَمُ مِنْ إِحْيَائِهَا بِالْإِحْطَاءِ بِيَدِنِ تِلْكَ النَّفْسِ.

وَعَلَيْهِ فَهَذَاكَ بُونَ وَاسِعٍ بَيْنَ طَيْبِ الْبَدَنِ وَبَيْنَ طَيْبِ الْقَلْبِ وَالْعَقِيدَةِ وَالرُّوحِ.

لِذَا نَلَاخِظُ أَنَّ الشَّارِعَ الْمُقَدَّسَ يُرَكِّزُ عَلَى الْمَصْدَاقِ الْأَعْظَمِ بِالْإِحْيَاءِ لِلنَّفْسِ أَيَّ هِدَايَتِهَا وَإِحْيَاءِهَا بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، (وَمَنْ قَتَلَ نَفْسًا) (٢) تَأْوِيلُهَا الْأَعْظَمُ مَنْ أَضَلَّهَا بِالْجَهْلِ وَعَدَمِ التَّعَلُّمِ.

وَإِنَّ كَانَتِ النَّفُوسُ مُتَفَاوِتَةً فَهَذَاكَ نَفُوسَ الْأَنْبِيَاءِ وَنَفُوسَ الْأَوْلِيَاءِ

ص: ١٤٨

١- (١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

٢- (٢) سورة المائدة: الآية ٣٢.

ونفوس العُظماء ونفوس المُتقين والصالحين والأشرار و... الخ، وإنَّ كَانَ عموم حقن الدماء والنفوس حُكماً عاماً لِكُلِّ مراتب النفوس، وَعَلَيْهِ فطبيعته النفوس لها مصاديق كثيره، وَعَلَيْهِ فكيف يمكن عزل مقام التنظير الجدّي عَنْ مقام التطبيق؟ إِنَّهُ لا يمكن ذَلِكَ.

إِذَنْ حسب النَّظْرِيَّة الثَّانِيَّة أَنَّ المصداق الأَعْظَم يُجَلِي لنا المعنى أكثر، وَعَلَيْهِ لا يمكن فصل عالم التطبيق عَنْ أصل التقرّر الدقيق للمعنى الجدّي - حسب النَّظْرِيَّة الثَّانِيَّة -

إِذَا أردنا تقريراً منضبطاً لمعاني آيات القرآن الكريم فيجب أَنْ نجعل المصاديق الأهم تطبيقاً وَأَنَّ عالم التطبيق هُوَ عالم الأمثلة، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الخُطَأ أَنْ نَتَّبِع ما قاله البلاغيون وعلماء الأدب وَمِنْ بعدهم علماء التفسير أَنَّ عالم التطبيق خارج عَنْ عالم الدلالة، والمدلول ولكن العكس هُوَ الصحيح مِنْ أَنَّ المثل مِنْ شواهد التبيان ولا نقصى عالم المثل والتطبيق عَنْ عالم الدلالة.

لِكُلِّ طبيعه مِنْ الطبائع نوعين مِنْ المصاديق، فَهُنَاكَ مصاديق وتطبيقات للطبيعه العامه لمعنى فِي جمله مِنْ المصاديق الضعيفه، فنلاحظ جمله مِنْ أحكام تلك الطبيعه تتلاشى آثارها لضعف الأنسباق الخاص منها شبيه ما يُقال: «الوجود دائماً يلازم الحياه والعلم والنور... الخ» فإذا لاحظنا هَذَا الوجود للطبيعه العامه عِنْدَمَا يتواجد فِي مصاديق ضئيله كالجماد أو الهباء المنثور وما شابه ذَلِكَ فلا تلمس مِنْ خلاله النور أو الحياه بنحو بارز أو متوسط بَيْن أو... الخ فِي حين الحياه بحسب البرهان العقلى ولو درجه منها - الحياه - فَإِنَّهَا تلازم الوجود إنما حلّ، والحال أَنَّ هَذَا الأثر للحياه موجود حتّى فِي مثل الجماد لکنّه غَير محسوس به.

إذَنْ المصاديق الضعيفه مِنْ الطبيعه قد لا يُستجلى فيها آثار الطبيعه أو تتلاشى ولو عَلَى مستوى الإدراك الحسى.

وهَذَا بخلاف النوع الآخر لمصاديق الطبيعه العامه وهى المصاديق الأتم للطبيعه الّتى تتجلى فيها آثار الطبيعه وأحكامها بشكل بارز جلى لا يشدّ ولا يفوت الباحث والناظر أثر مِنْ الآثار، وَمِنْ هَذَا يُعرَف أَنَّ المُرَاد بالضبط لیس ضبط المُرَاد الجدى ولا التفهيمى ولا الاستعمالى وَإِنَّمَا المُرَاد هُوَ انضباط نظام المعنى بالتطبيق، وَهَذَا رَدُّ عَلَى علماء اللغه والعلوم

الأدبىه إلى أن عالم التطبيق خارج عن عالم شؤون الدلاله وهو غير صحيح لأن كثير من الارتكازات - حتى عند علماء اللغه والبلاغه - يستفيدونها من عالم التطبيق واستحصال دقيق من صوره المعنى للمراد الجدوى فهذه امتيازات لعالم التطبيق، بخلاف ما إذا أقصينا عالم التطبيق عن شؤون الدلاله بالمره فحينئذ سوف نعجز عن استجلاء صوره بينه ومنضبطه بلوازمها وآثارها، وعليه يتضح أن عالم التطبيق عالم عظيم.

وكذلك يتميز عالم التطبيق بأن له صورته ذهنيه وصوره مفهوميته وليس عالم التطبيق افتراضياً كلاً- وإنما يقع عالم التطبيق في سلسله المعانى الذهنيه غايه الأمر هو وراء المعنى الجدوى وهو أبين وأجدر من المعنى الجدوى وعليه فمعنى عالم التطبيق يصبح هو جد الجد لأن الغايه من الجدوى جديته أخرى وهو التطبيق.

تعدد مراتب المعنى الجدوى:

الفارق السادس: تتميز النظرية الثانية في قاعده الجرى والتطبيق - أو التعبير - بأن ما وراء المعنى الجدوى لا يُحصر في التطبيق، وأن ما وراء المعنى الجدوى مراتب أخرى من المعانى الجدويه المهيمنه وكلها مراده، فلا ينحصر المعنى الجدوى في معنى وحيانى فالجدوى يصير من معنى إلى معنى ولا- يختص الجرى من المعنى إلى المصداق التطبيقي فقط، وهذا أحد الفوارق المهمه بين النظريتين في قاعده، الجرى والتطبيق أو التعبير فإن النظرية الثانية قائمه على العبور والعبيره والمرور والجرى من معنى

مقصود إلى معاني أخرى مقصوده أيضاً، كما أن العبور لا يقتصر على ذلك بل العبور من المعنى إلى المصداق وكذلك من المصداق إلى المصداق، بل ومن المصداق إلى المعنى وهذه أقسام عديده تتسع لها قاعده الجرى على النظرية الثانية كما يتضح من باقى الفوارق.

كما أشار إليها البيان الروائى عن الإمام الصادق عليه السلام من قبله أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: - كتاب الله على أربعة أشياء: العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء(١).

بتقريب: - إن هذه الطبقات الأربع على مراتب ودرجات والمرتبه الأعلى أكثر لطافه وشفافيه من الأقل، وهكذا الإشارات أكثر لطافه من المعنى الجدى، والمعنى الجدى أكثر لطافه من التفهيمى، والتفهيمى أكثر لطافه من المعنى الاستعمالى، والاستعمالى أكثر لطافه من المعنى التصورى.

فمثلاً الشارع يُشَرِّع لنا حقوق الزوجين فى عدّه آيات مثل (وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (٢). و(وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) (٣). و(وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ) (٤) و(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ

ص: ١٥٣

١- (١) تفسير البرهان، المقدمة: ص ٣٠.

٢- (٢) سورة النساء: الآية ١٩.

٣- (٣) سورة الروم: الآية ٢١.

٤- (٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

عَلَى النِّسَاءِ (١). وغيرها فالمقصود مِنْ تشريع نظام حقوق الزوجين بِهَذَا النمط ينطلق مِنْ مقاصد وأسس تشريعيه غرضها الحفاظ عَلَى النسل البشرى ابتداءً مِنْ قضاء الوطر بين الزوجين وفترة السكون والاستقرار والانسجام بين الزوجين ثُمَّ بناء حياه أُسْرِيَه يَتِمُّ فيها إنجاب أولاد صالحين لبناء مجتمع سليم وصحيح، وَمِنْ العدل الإلهي أَنَّ هَذَا التشريع بين الزوجين ينطلق مِنْ أسس تشريعيه فوقه، وَهَذَا الأساس التشريعي الفوقي أيضاً ينطلق مِنْ فوقيه أكثر فأكثر.

الفرق السَّابع: إِنَّ النَّظْرِيَّهَ الْأُولَى تفسر الجرى بمعنى التطبيق والانطباق بالمعنى التنظيري الكُلِّي لِلايه بخلاف النَّظْرِيَّهَ الثَّانِيَهَ فَإِنَّهَا تفسر الجرى ومعناه: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْفَافِ الْآيَهَ لَا عَلَى صَعِيدِ مَرَحَلَهِ اسْتِعْمَالِ أَى عَلَى صَعِيدِ الْمُرَادِ وَالْإِرَادَهَ فَقَطُّ وَإِنَّمَا معنى الجرى هُوَ فِي ضَمْنِ كُلِّ الْمَرَاكِلِ مِنَ الْمَعَانِي وَأَنَّ مَرَادَاتِ الْقُرْآنِ تَجْرِي وَتَسِيرُ وَلَا تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ مَعْيِنٍ.

تعدد كلِّ مراحل المعاني:

الفرق الثَّامن: إِنَّ النَّظْرِيَّهَ الْأُولَى تفتصر عَلَى مقام التطبيق أو ترجع إلى التطبيق مِنَ الْمُرَادِ الْجَدِي وَالْمَصْدَاقِ الْأَهْمِ فِي مَقَامِ التَّطْبِيقِ هُوَ

ص: ١٥٤

أَمَّا النَّظَرِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: مُضَافاً إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى المُرَادِ الجَدَى والمَصْدَاقِ الأَهمِّ فِي مَقَامِ التَّطْبِيقِ إِلاَّ أَنَّهُا لَا تَقْتَصِرُ عَلَى مَقَامِ التَّطْبِيقِ وَالتَّأْوِيلِ فِي التَّنْظِيرِ بَلْ تَتَعَدَّى فِي التَّأْوِيلِ وَفِي التَّنْظِيرِ وَلا- تَقِفُ عَلَى تَنْظِيرِ دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ، فَإِنَّهُ تَقَدَّمَ أَنَّهُ بَعِيدٌ مَدَالِيلِ الكَلَامِ الأَسْتَعْمَالِيَّةِ وَالتَّفْهِيمِيَّةِ فِي بَابِ الكِنَايَاتِ تَصِلُ النُّوبَةُ إِلَى المُرَادِ الجَدَى التَّنْظِيرِي لَيْسَ عَلَى دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ هُوَ عَلَى دَرَجَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ، فَهَناكَ مَرادِ جَدَى تَنْظِيرِي أَوَّلٌ، وَثَانِي وَثَالِثٌ وَ... الخ وَهَكَذَا لَا يَقِفُ وَهُوَ الَّذِي أَشْرنا إِلَيْهِ سَابِقاً وَالمُسْتَفادُ مِنَ الرِّوَايَةِ الشَّرِيفَةِ السَّابِقَةِ وَأَنَّ هَناكَ عِلْمَ إِشَارَاتِ القُرْآنِ وَعِلْمَ لَطَائِفِ القَرِينِ وَعِلْمَ حَقَائِقِ القُرْآنِ وَعِلْمَ تَعْبِيرِ القُرْآنِ وَتَرْجِمَانِ القُرْآنِ وَعِلْمِ عَدِيدِهِ أُخْرَى(١).

إِذْ عِلْمُ مَرادَاتِ القُرْآنِ لَا يَقِفُ عِنْدَ التَّنْظِيرِ الجَدَى الأَوَّلِ أَوْ التَّطْبِيقِ، وَإِنَّمَا عِلْمُ مَرادَاتِ القُرْآنِ تَتَراقى تَنْظِيراً وَتَطْبِيقاً وَتَتَشَعَّبُ وَتَتَعاقِبُ وَتَتَسَّعُ وَيَكُونُ لَهَا سِيرٌ وَجَرى تَنْظِيرِي وَتَطْبِيقِي وَكُلُّ مَنهُما مَرادِ جَدَى وَكُلُّ مَنها جَرى أَى جَرى فِي التَّطْبِيقِ وَجَرى فِي التَّنْظِيرِ وَعَلَيْهِ فَتَكُونُ قَاعِدَةُ المَعْنَى الجَدَى الأَوَّلِ قَاعِدُهُ لِانْطِلاقِ مَرَكَبِهِ عِلْمِ القُرْآنِ

ص: ١٥٥

١- (١) رَبِّمًا يَصطَلِحُ البَعْضُ أَنْ يَفسِرَها بِالتَّفْسِيرِ الإِشَارِي لِلقُرْآنِ بِأَنْ مَقْصُودُهُ عِلْمُ الإِشَارَاتِ، وَإِنْ كانَ عِلْمُ التَّفْسِيرِ يُطَلَقُ عَلَى اصْطِلَاحِيْنَ: - عِلْمُ تَفْسِيرِ المَعْنَى الأَخْصِ الَّذِي يُقَابِلُ عِلْمِ القُرْآنِ الأُخْرَى، وَعِلْمُ التَّفْسِيرِ بِالمَعْنَى الأَعْمِ وَالَّذِي يُرادُ بِهِ عِلْمُ القُرْآنِ كَكُلِّ فَيَقالُ التَّفْسِيرُ الإِرشادِي بِالقُرْآنِ أَوْ تَفْسِيرُ إِشَارَاتِ القُرْآنِ، وَتَفْسِيرُ لَطَائِفِ القُرْآنِ.

الكريم عَلَى صعيد التنظير والتطبيق؛ ولذا القرآن يتحدث عَنْ نفسه لدعم النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي) (١).

وقوله تَعَالَى: (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) (٢).

وَعَلَيْهِ فِقَاعُهُ الْجَرِي وَالتَّطْبِيقُ أَوْ التَّعْبِيرُ عَلَى وَفْقِ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ فِي الْحَقِيقَةِ مَسْتَفَادَةٌ مِنْ بَيَانَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى صَعِيدِ التَّنْظِيرِ وَعَلَى صَعِيدِ التَّطْبِيقِ فَتَجْرِي عَلَى كِلَيْهِمَا وَهِيَ لَيْسَتْ مَقْتَصِرَةٌ كَمَا تَقَدَّمَ عَلَى مَقَامِ التَّطْبِيقِ الْمَصْدَاقِي كَمَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ النَّظَرِيَّةُ الْأُولَى.

يَلِي لَهَا مَسَارَانِ مَسَارِ تَنْظِيرِي وَمَسَارِ تَطْبِيقِي وَكُلٌّ مِنْهُمَا جَزْئِي وَكُلُّ مَرَحَلَةٍ مِنْهُ هِيَ مُرَادٌ جَدِّي وَمَا بَعْدَهُ مَرَادٌ جَدِّي ثَانِي وَثَالِثٌ وَرَابِعٌ ... الخ.

وَعَلَيْهِ حَسَبِ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ فِي قَاعِدَةِ الْجَرِي وَالتَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ حَسَبِ مَنَهِجِ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ فَضْلاً عَنِ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْجَرِي يَأْخُذُ أَبْعَادَ أَوْسَعٍ مِنْ ذَلِكَ الْجَرِي عَلَى تَفْسِيرِ النَّظَرِيَّةِ الْأُولَى لِقَاعِدَةِ الْجَرِي وَالتَّطْبِيقِ فَإِنَّ مَدْلُولَ الْآيَةِ الْقُرْآنِيَةِ أَوْ السُّورَةِ عَلَى النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ لَا يَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ حَتَّى مَرَحَلَةِ التَّطْبِيقِ وَمَرَحَلَةِ الْمَصْدَاقِ هِيَ أَيْضاً مِنْ مَرَاكِلِ الْمَدْلُولِ.

ص: ١٥٦

١- (١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

٢- (٢) سورة لقمان: الآية ٢٧.

تعالى معانى القرآن على النظرية الثانية:

الفرق التاسع: حسب النظرية الثانية إنه من الإسفاف والخواء والإجحاف بحقائق القرآن وأنواره وهداياته أن نهبط بالقرآن الكريم إلى مستوى سقف المُتشابهات أو التفاصيل الجزئية الشامل لها القرآن ونقصر سقفه - أى سقف القرآن - على هذه الجزئيات والتفاصيل؛ فإن هذا هبوط وإهباط لقمه القرآن وشموخ قمته، وهذا ما تعانیه النظرية الأولى من الهبوط بالقرآن الكريم فقط إلى مستوى سقف المُتشابهات أو التفاصيل الجزئية.

بخلاف النظرية الثانية التي تبني - والمُراد من التبنى أى ما فهمته من الآيات والروايات الواردة في القاعده - مداليل الآيات القرآنية والسور التي لا- تنتظم ولا- يتّم رسم نظام مداليلها إلا على وفق خارطة معيّنه وهي أن المدلول الأول في الآيات والسور القرآنية هو الولاية وهي قمه مدلول القرآن ثم المحكمات ثم المُتشابهات أى التفاصيل الجزئية.

إذن النظرية الثانية تبني أن مداليل القرآن الكريم في الآيات والسور على طبقات ثلاث، وهذه الطبقات الثلاث في الوقت نفسه مختلفه بدرجه الأهميه، وهي على معانٍ وطبقات ثلاث، وهذا تقسيم إجمالى وإلا فهي لها أكثر من ثلاث طبقات ومستمره ولا تقف عند حدّ فالتقسيم الإجمالى لآيات القرآن ثلاث درجات: -

١ - الولاية. ٢ - المُحكّمات. ٣ - المُتشابهات.

والمعنى المركزى لكل آيه وسوره في القرآن هو شؤون الولاية،

والمعنى المركزي في الدائره الثانيه هُوَ المُحكّمات، والمعنى المركزي في الدائره الثالثه هُوَ تفاصيل الجزئيات الّتي تسمّى بالمتشابهات، وبيننا سابقاً أنّ مقاصد السور الشريفه في الدرجه الأولى هِيَ شُؤون وبحوث الولاية وهِيَ ذات درجات وَعَلَى طبقات: -

طبقه ولاية الله ثمّ طبقه ولاية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ طبقه ولاية الأئمه عليهم السّلام، والمقصد الثاني المُحكّمات وَهِيَ عَلَى طبقات فمنها: - ما هُوَ أَشَدَّ إِحْكَاماً ومنها ما هُوَ اوسط إِحْكَاماً، وثالثاً ما هُوَ أَقْلَ إِحْكَاماً، وفي المقصد الثالث: المتشابهات وَهِيَ تفاصيل الجزئيات.

تنبيه عَلَى أمر مهم: أهمّيه الأهم لا- تعنى التفريط بما هُوَ أدنى في الأهمّيه والأُمُور النازله، وبنفس الوقت ضبط الأُمُور النازله لا يعنى إغفال وتفريط ما هُوَ أهم.

تنوع دلالة الآيه الواحد في علوم شتى

عَلَى النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ:

الفارق العاشر: تمتاز النَّظَرِيَّةُ الثَّانِيَةُ بِإِنَّ جَمِيعَ الآيَاتِ وَبَرَمَتِهَا يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَفَادَ مِنْهَا فِي عُلُومٍ شَتَّى وَإِنْ كَانَ ابْتِدَاءُهَا وَظَاهِرُهَا الْأَوَّلَى تُصَيِّفُ إِلَى آيَاتٍ فِي أَحْكَامِ الْفُرُوعِ - فقه - أو إِلَى آيَاتٍ فِي الْمَعَارِفِ وَالْعَقَائِدِ أَوْ فِي عُلُومِ الْفَلَكِ أَوْ الطَّبِيعَةِ أَوْ عِلْمِ النَّفْسِ أَوْ آيَاتِ عِلْمِ الْمَرْأَةِ أَوْ عِلْمِ الرَّجُلِ أَوْ... الخ.

بِخِلَافِ النَّظَرِيَّةِ الْأُولَى فَإِنَّهَا تَعَكِفُ عَلَى عِزْلِ مَقَامِ التَّنْظِيرِ عَنِ التَّطْبِيقِ وَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَهَا مَوْرِدٌ لَا تَتَعَدَّاهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَقَدْ تَتَعَدَّاهُ فِي بَعْضِهَا الْآخِرِ. فَمِثْلًا قَوْلُهُ تَعَالَى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) (١) فَقَدْ اسْتَفَادَ مِنْهَا الشَّيْخُ الطُّوسِي حُكْمًا فِقْهِيًّا، وَأَكَّدَ ذَلِكَ السَّيِّدُ الشَّهِيدُ مُحَمَّدٌ بَاقِرُ الصِّدْرِ قَدَّسَ سِرَّهُ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ اقْتِصَادَانَا: - بِأَنْ نَقَلَ السَّيِّدُ الشَّهِيدُ قَدَّسَ سِرَّهُ كَلَامَ الشَّيْخِ الطُّوسِي مِنْ كِتَابِ الْخِلَافِ وَاسْتِفَادَهُ الْعَدَالَةَ فِي تَكَاثُفِ الْفُرْصِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى قَدْرِ الْمَسَاوَاهِ فِي الْمَوَارِدِ الطَّبِيعِيَّةِ الْعَامَّةِ مَعَ أَنَّ هَذَا بَحْثٌ مَعْرِفِيٌّ عَقَائِدِيٌّ، وَمَعَ ذَلِكَ اسْتَفِيدَ مِنْهُ حُكْمًا فِقْهِيًّا، وَهَكَذَا فِي بَحْثِ الْوَصِيَّةِ وَأَيَاتِ الْوَصِيَّةِ (إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ) (٢) فَالظُّهُورُ الْأُولَى لِلآيَةِ اسْتِفَادَةَ الْفُقَهَاءِ مِنْهُ حُكْمًا فِقْهِيًّا، وَلَكِنْ الْمَتَكَلِّمُونَ بَحْثُوا فِي الْوَصِيَّةِ إِلَى مَسْتَوَى عَقَائِدِيٍّ، وَإِنَّهُ كَيْفَ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى يَدِ سَيِّدٍ وَخَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ وَآلِهِ وَآلِهِ وَآلِهِ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى وَلَا يُوصَى فِيمَا هُوَ أَكْبَرُ تَرَاثٍ وَحِيَانِيٍّ وَعَلَيْهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ وَصِيٌّ.

وَمِنْ خِلَالِ هَذَا كُلِّهِ أَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ اسْتِفَادَةِ الْفُقَهَاءِ حُكْمًا مِنْ آيَةٍ فِي الْعَقَائِدِ أَوْ الْأَخْلَاقِ أَوْ عِلْمِ النَّفْسِ أَوْ الْأَمْنِ أَوْ.. الخ وَبِالتَّالِي أَنَّهُ بِحَسَبِ النَّظَرِ الْعَمِيقَةِ يَجْرَى مَفَادُ كُلِّ آيَةٍ إِلَى عِلْمٍ شَتَّى طَبَقَ ضَوَابِطَ وَمَوَازِينَ وَثَوَابِتَ وَكَيْسَ الْأَمْرِ بِالْخِلَاطِ وَالْخَبْطِ.

ص: ١٥٩

١- (١) سورة البقرة: الآية ٢٩.

٢- (٢) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

وَعَلَيْهِ فَمِنْ الْخَطَأِ إِقْعَادُ وَاسْتِظْهَارِ هَيْكَلِ بِنَاءِ نِظَامِ الظُّهُورِ وَالاسْتِعْمَالِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ بِهَيْكَلِ مِتْقَوِّعٍ وَضَيْقِ الْأُفُقِ.

ص: ١٦٠

قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير

على ضوء تفسير أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات، ترسم لنا مخططاً هرمياً أس أساسه الولايه

أقسام الولايه:

إنَّ قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير على ضوء تفسير أمومه الولايه على المحكمات ترسم لنا مُخططاً هرمياً أشبه ما يمكن أن نمثل له بهرم أو بنيان أس أساسه الولايه، والأسَّ الثَّانِي: المُحكِّمات، والأسَّ الثَّالِث: المُتشابهات:

أَمَّا الأُسُّ الأوَّل: - أعنى الولايه، فَهُوَ ينقسم إلى ثلاثه أقسام، بنصَّ القرآن الكريم (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (٥٥) (١).

وهي: أ - ولايه الله عزَّ وجلَّ. ب - ولايه الرسول صَلَّى الله عليه و آله. ج - ولايه أئمه أهل البيت عليهم السلام.

وقمه الولايات الثلاث أولها هي ولايه الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ ولايه

ص: ١٤١

١- (١) سورة المائدة: الآيه ٥٥.

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ الْوَلَايَةِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي وَصَفَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ (وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) فَهِيَ يَاجْمَاعُ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ أَنْهَا نَزَلَتْ فِي حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالْوَلَايَةُ الْأُولَى: وَلَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّيِّ بِالدُّقَّةِ أَنَّهُ إِذَا أُرْدْنَا أَنْ نَصِلَ إِلَى لُبِّ لُبَابِ مَعَانِي الْآيَاتِ وَالسُّورِ هِيَ أَنَّهَا تَقُودُنَا إِلَى شُؤُونِ التَّوْحِيدِ وَإِلَى الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ؛ وَلِذَا نَلَاظُ فِي ذَيْلِ كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ سَيِّمَاتٍ الْمَلْحَمِيَّةِ أَوْ الطَّوِيلَةِ مِنْهَا وَقَدْ ذُكِرَ فِي آخِرِهَا اسْمٌ أَوْ أَكْثَرُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (١) وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٢) وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (٣) وَغَيْرِهَا.

وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَالَجَ مَوْضُوعَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ: -

مِنْهَا: مَا يَخْصُّ أَحْكَامَ الْآيَاتِ فِي فِقْهِ الْفُرُوعِ، وَمِنْهَا: - أَحْكَامَ اجْتِمَاعِيَّةِ، وَمِنْهَا: - تَرْبُويَّةِ، وَمِنْهَا: مَا يَخْصُّ الْمِيرَاثَ، وَمِنْهَا: - مَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ وَتَكْوِينِ الْأَسْرَةِ وَغَيْرِهَا.

وَالنَّسْبَةُ بَيْنَ طَبَقَاتِ الْوَلَايَةِ كَالنَّسْبَةُ بَيْنَ الْوَلَايَةِ وَالْمَحْكَمَاتِ، فَمِثْلَمَا الْوَلَايَةُ مَرْكَزُ مَدَارٍ لِمُحْكَمَاتِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَسَائِرِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ الْأُخْرَى؛ إِذْ

ص: ١٦٢

١- (١) سورة الحجرات: الآية ١.

٢- (٢) سورة المائدة: الآية ٩٧.

٣- (٣) سورة الحجج: الآية ٦١.

تدور عَلَيْهَا كَمَا فِي رَوَايِهِ مَسْعُدِ بْنِ صَيْدَقَةَ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: - «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ وِلَايَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ قُطْبَ الْقُرْآنِ، وَقُطْبَ جَمِيعِ الْكُتُبِ عَلَيْهَا يَسْتَدِيرُ مُحْكَمُ الْقُرْآنِ، وَبِهَا نَوَّهَتْ الْكُتُبُ وَيَسْتَبِينُ الْإِيمَانُ»(١).

كَذَلِكَ وِلَايَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَدُورُ عَلَى وِلَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَى وِلَايَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وِلَايَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَمِنْ هَذَا يُعْلَمُ أَنَّ الْوِلَايَةَ عَلَى دَوَائِرٍ وَمَرَاتِبٍ.

سؤال: ذكرنا قبل قليل أنَّ وِلَايَةَ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ تَقُودُنَا إِلَى شُؤْنِ التَّوْحِيدِ، وَإِلَى الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، وَمُحَصَّلُ السُّؤالِ: - أَنَّهُ كَيْفَ تَقُودُنَا هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتُ الْمَخْتَلِفَةُ الَّتِي عَالَجَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى التَّوْحِيدِ؟ وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوَصُولَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ، - وَإِنْ كَانَ هَذَا بَحْثَ آخِرٍ وَسِيَّاتِي التَّعَرُّضُ إِلَيْهِ وَأَنَّ وِلَايَةَ الرَّسُولِ بَعْدَ وِلَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّ الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ أَوَّلَ وَأَشْرَفَ وَأَكْمَلَ الْمَخْلُوقَاتِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الجواب: سَيَتَبَيَّنُ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ خِلَالِ مَعْرِفَةِ شَخْصِيَّةِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَبَيَانِ ارْتِبَاطِ كُلِّ آيَةٍ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْمَفْرُوضِ أَنَّ كُلَّ آيَةٍ وَكُلَّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ تَدُلُّ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذِهِ تَمَثَّلُ نِهَائِيَّاتٍ مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ النِّهَايَةُ لَا نِهَائِيَّةً وَرَاءَهَا؛ لِأَنَّهَا لَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ مَتْنَهِيٌّ.

ص: ١٤٣

ولذا يستطيع الوصول إلى هَذَا مَنْ أعطاهم الله قدره بَعْدَ ولايه الله وولايه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الذي هُوَ أكرم المخلوقات عَلَى اللهُ تَعَالَى، وَهَذَا يَتَطَلَّبُ معرفه شخصيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لا بما هُوَ بدن مادى ومعرفه شخصيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ مولده وما هِيَ أوصافه البدنيه والخُلُقِيَّه، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ هُوَ شخصيه الرسول بَكُلِّ طبقات ذاته ولا يتسنى لنا معرفه ذَلِكَ إِلَّا مِنْ خِلالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ وَلِذَا يُعَبَّرُ كَثِيرًا فِي أَبْحَاثِ الْمَعَارِفِ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى أَيِّ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَكُونُ ذَلِكَ الْكِتَابَ بِمِثَابِهِ شَرْحٌ لِأَحْوَالِ نَفْسِ ذَلِكَ النَّبِيِّ وَمَقَامَاتِهِ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ النَّظْرِيَّةَ الثَّانِيَةَ فِي قَاعِدِهِ الْجَرِيَّ وَالتَّطْبِيقَ أَوْ التَّعْبِيرَ عَلَى ضَوْءِ مَنْهَجِ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ فَضْلًا عَنِ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي الْقُرْآنِ، لَا- تَتَّبَعِي الْإِغْيَاءَ التَّفَاصِيلِ وَبَقِيَّةِ الْمَنَاهِجِ وَلَا- عَدَمَ جِدْوَانِيَّتِهَا، وَكَذَلِكَ لَا- تَتَّبَعِي النَّظْرِيَّةَ الثَّانِيَةَ الْإِغْيَاءَ الظَّاهِرِ وَالْإِغْيَاءَ الْجَزْئِيَّاتِ، بَلْ تُؤَكِّدُ عَلَى أَهْمِيَّةِ بَقِيَّةِ الْمَنَاهِجِ الْأُخْرَى، وَتُؤَكِّدُ أَنَّ لِلآيَاتِ مَعَانِي تَفْصِيلِيَّةَ جَزْئِيَّةَ إِلَّا أَنَّهُ لَا تَحْصِرُ مَعْنَى الْآيَاتِ فِي التَّفَاصِيلِ الْجَزْئِيَّةِ الْمُتَشَابِكَةِ، فَإِنَّ جَمْلَهُ مِنَ الْآيَاتِ وَإِنْ كَانَتْ وَارِدَةً مَوْجُودَةً بَيَانِ أَحْكَامِ عَمَلِيَّةِ فِي الْقَوَانِينِ الْعَمَلِيَّةِ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَحْصِرُ فِي ذَلِكَ.

الأساس الثَّانِي: الْمُحْكَمَاتِ بِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ أَيْضًا هِيَ الْأُخْرَى عَلَى طَبَقَاتٍ، فَهَنَّاكَ طَبَقَاتٍ:

مِنْهَا: شَدِيدَةُ الْإِحْكَامِ، وَمِنْهَا: مُتَوَسِّطَةٌ، وَمِنْهَا: - نَازِلَةٌ الْإِحْكَامِ

فلدينا طبقه أم الكتاب، وطبقه الكتاب المبين، وطبقه الكتاب المكنون، وطبقه لا يمسه إلا المطهرون... الخ وكل طبقه عليها هي أساس ومركز لطبقه أدون منها تكون أبعد عن المركز، وهذه المراتبيه أمر ضرورى ومصيرى فى منهج أمومه الولايه على المحكمات.

الأساس الثالث: المتشابهات: وهى على طبقات فإنه كلما تنزلت وتشعبت معانى الآيات ازداد التشابه والتشاكل والتماثل مما يزيد فى تطرق الوهم وصعوبه التمييز لكثيره الأمثال المختلفه وتنوع وتضارب الأشباه والنظائر فيتعقد الفصل بينهما، بينما كلما تصاعد المعنى قل التشابه وازداد بساطة ووضوحاً، ومن ثم نجد استعمال المتشابه فى القرآن يطلق على المحكم بالقياس إلى ما هو أشد إحكاماً منه وأن التمسك بما هو دونى من الأحكام وترك ما هو أعلى إحكاماً منه هو من التشبه بالمتشابه فى مقابل ترك المحكم، وعلى ذلك فىكون عنوان وصفه التشابه نسبياً وذات درجات.

وكذلك عنوان المحكم وبالذقة فهما - المتشابه والمحكم - عنوانان متضايغان كالفوق والتحت، فإن ما هو فوق يصدق عليه إنه فوق بالإضافة إلى ما هو تحته، وأما بالإضافة إلى ما هو فوق الثانى فالفوق الأول تحت وكذلك التحتانى بالقياس إلى التحت الثانى فانه فوق وقد مر إطلاق القرآن الظن على الحس وأن الحس يتطرقة التشابه فى قصه ادعاء

قتل عيسى (و ما قتلوه و ما صلّبوه و لكن شبهه لهم و إنّ الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن و ما قتلوه
يقيناً) (١٥٧) (١).

ص: ١٦٦

١- (١) سورة الأنبياء: الآية ١٥٧.

بَعْدَمَا تَبَيَّنَ حَسَبَ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ فِي قَاعَدَةِ الْجَرَى بِمَعْنَى التَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ عَلَى ضَوْءِ مَنْهَجِ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ فِي الْقُرْآنِ، وَعَدَمِ إِقْصَاءِ وَتَهْمِيشِ الْمَنَاهِجِ التَّفْسِيرِيَةِ الْأُخْرَى، وَأَنَّ الْآيَاتِ لَهَا مَعَانٍ تَفْصِيلِيَّةً، وَأَنَّ هُنَاكَ شَبَكَاتٍ مَنْظُومِيَّةً فِي التَّفَاصِيلِ، وَمِنْ الْخَطَأِ حَصْرَ الْمَعَانِي فِيهَا، وَإِنَّمَا هِيَ مَتَشَعَّبَةٌ، وَأَنَّ هُنَاكَ أَحْكَامًا عَمَلِيَّةً فِي الْقَوَانِينِ.

فَمَثَلًا آيَةُ الدِّينِ (إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكُتُبُوهُ) (١).

بتقريب: - وَذَلِكَ لِمَا هُوَ مَقْرَّرٌ مِنْ تَسْلُسِلِ الْأَشْيَاءِ تَعَاقِبًا وَتَرَامِيًا وَرَاءَ بَعْضِهَا الْبَعْضُ بِنَحْوِ الْأَسْبَابِ وَالْمَسَبِّبَاتِ الْفَاعِلِيَّةِ وَالْغَائِيَّةِ، عِلَاوَةً عَلَى الْعَلَّةِ الْقَوَامِيَّةِ لِلشَّيْءِ مِنْ صَوْرَتِهِ وَمَادَّتِهِ، وَفِي مَنْظُومَةِ حَلَقَاتِ هَذَا التَّسْلُسِلِ وَالتَّرَامِي قُرَّرَ أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ يَنْبَعثُ عَنْ صِفَةٍ، وَكُلُّ صِفَةٍ تَنْبَعثُ عَنْ جَوْهَرٍ، أَوْ أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ يَنْبَعثُ عَنْ صِفَةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ، وَكُلُّ صِفَةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ تَنْبَعثُ عَنْ عَقِيدَةٍ قَلْبِيَّةٍ، فَالْعَقِيدَةُ تَكُونُ صِفَةً خُلُقِيَّةً، وَالصِّفَةُ الْخُلُقِيَّةُ تَكُونُ فِعْلًا عَمَلِيًّا، هَذَا بِحَسَبِ قَوْسِ النُّزُولِ فِي عَالَمِ الْخُلُقِ وَالْإِبْرَادِ.

وَأَمَّا بِحَسَبِ قَوْسِ الصَّعُودِ، فَإِنَّ الْفِعْلَ بِتَكَرُّرِهِ وَتَرَاكُمِهِ يُكَوِّنُ صِفَةً خُلُقِيَّةً وَالصَّفَةَ الْخُلُقِيَّةَ بِاشْتِدَادِهَا تَكُونُ عَقِيدَةً، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوَاىَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) (١).

كَمَا يَشِيرُ إِلَى هَذَا التَّرَابُطِ الدَّوْرِي قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّهُ يَصْعَدُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ يَرْفَعُهُ) (٢).

نعم، لا يُحِيطُ بِطَبَقَاتٍ وَحَلَقَاتٍ مَنْظُومَةٍ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ مَا قَدْ يُعْبَرُ عَنْهُ بِعَالَمِ الْمُصْطَفِينَ كَمَا اعْتَرَفَ ابْنُ سِينَا فِي إلهِيَاتِ الشِّفَاءِ.

وَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ هَذِهِ الْقَدْرَةُ مَخْصُوصَةً بِالْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَلَيْسَ مِنْ نَصِيبِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ إِلَّا الشَّيْءُ الْيَسِيرُ وَمَا لَا يُدْرِكُ جُلَّةً لَا يُتْرَكُ كَلَّهُ.

وَلَوْ كَانَ قَلِيلًا، كَمَا وَرَدَ عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «لَوْ شِئْتُ لاسْتَخْرَجْتُ التَّوْحِيدَ كُلَّهُ مِنْ لَفْظِهِ الصَّمَدِ».

وَهَكَذَا مَا بَيَّنَّهُ الْإِمَامُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، فِي الصَّحِيفَةِ السَّجَّادِيَّةِ وَمَا ذَكَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَفْسِيرِ الْحُرُوفِ الْمَقْطَعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ مِثْلَ (حَم) (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) (٣). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (طه

ص: ١٦٨

١- (١) سورة الروم: الآية ١٠.

٢- (٢) سورة فاطر: الآية ١٠.

٣- (٣) سورة الدخان: الآية ١-٢.

(١) ما أُنزِلنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) (١). بتقريب: - إِنَّ الإِمامَ عَلَيْهِ السَّلَامَ بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَنْتَرِعَ مِنْ آيَةِ الدِّينِ فِي التِّجَارَةِ مَطْلَباً أَسَاسِيّاً فِي التَّوْحِيدِ، وَأَنَّ هَذَا التَّشْرِيعَ الْجَزَائِيَّ التَّفْصِيلِيَّ مَبْتَنٍ عَلَى أَسَاسِ تَوْحِيدِيٍّ فِي عَالَمِ الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ الإِلَهِيَّةِ.

وَعَلَيْهِ فَلا يُدَّ مِنَ الإِيْمَانِ بِالْجِزْئِيَّاتِ وَبِالظَّاهِرِ، كَمَا وَلا يُدَّ مِنَ الإِيْمَانِ بِالْبَاطِنِ وَبِالأَصُولِ وَبِالاعتقاداتِ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ العِلْمِ الجَامِعِ حَسَبِ النُّظَرِيَّةِ الثَّانِيَّةِ.

وَإِنَّ ما بَيَّنَّه الإِمامُ زَيْنُ العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِنْ أَنَّ كُحْلَ حَرْفِ مُقَطَّعٍ، وَكُلَّ اسْمٍ مُقَطَّعٍ ابْتَدَأَتْ بِهِ كُلُّ سُورَةٍ ثُمَّ أُردِفَ الاسمُ المَقَطَّعُ بَعْدَ ذَلِكَ ذِكْرَ الْقُرْآنِ وَالكِتابِ، فَإِنَّ ذَلِكَ الاسمَ المُقَطَّعَ هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جِبَالِ مَقاماتِ سَيِّدِ الأنبياءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإِنَّ لِسَيِّدِ الأنبياءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَقاماتٍ وَراءَ الْقُرْآنِ، وَلَهُ لِبَاسٌ مُلْكوتِيٌّ؛ لِأَنَّ نَفْسَ الْقُرْآنِ الكَرِيمِ يَذْكَرُ أَوَّلَ شَيْءٍ ذُكِرَ هُوَ: - حَمٌ، ثُمَّ الكِتابُ المَبِينُ، ثُمَّ يَس - أَيْ بَحْرٌ مِنْ بَحورِ الغَيْبِ اسْمُهُ يَسٌ مِنْ حَقِيقَةِ الذَّاتِ النَبَوِيَّةِ، وَهَكَذَا بَحْرُ حَمٍ، وَبَحْرُ أَلرِّ، وَبَحْرُ حَمَعَسَقٍ ثُمَّ الكِتابُ أَيْ الطَّبَقاتُ العُلَيَّا فِي الْقُرْآنِ ثُمَّ أُمُّ الكِتابِ، ثُمَّ الكِتابُ المَبِينُ ثُمَّ مَقامُ الكِتابِ المَكْنونِ وَ... الخِ وَأَنَّ نَفْسَ هَذِهِ المَقاماتِ الْقُرْآنِيَّةِ هِيَ مَقاماتُ غَيْبِيَّةِ.

ص: ١٦٩

وَعَلَيْهِ فَاَلْمَصْدَرُ الْوَحِيدَ الْمَتَكْفِلُ لِبَيَانِ بَطَاقِهِ وَشَهَادَةِ الْاَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ لِشَخْصِ سَيِّدِ الْاَنْبِيَاءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بَيَانُ هَذَا التَّقَدُّمِ الرَّتَبِيِّ لِمَقَامَاتِ سَيِّدِ الْاَنْبِيَاءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَعَلَيْهِ فَاِنَّ الْاَيَاتِ وَالسُّورَةَ هِيَ الْقَائِدُ الْوَحِيدُ لِمَعْرِفَةِ شَخْصِيَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِشَكْلِ كَامِلٍ وَتَفْصِيلِيٍّ، وَبَعْدَ هَذَا لَا عَبْرَةَ بِكَلَامِ الْفَلَسْفَةِ وَلَا الْمَتَكَلِّمِينَ وَلَا الْعُرَفَاءَ وَلَا... فِي شَخْصِيَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَقَامَاتِهِ.

إِذَنْ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ الْبَابُ الْأَعْظَمُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَعْظَمُ مِنَ الصَّلَاةِ الصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ... الْخِ وَشَخْصِيَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَرِيدُ أَنْ تَرَسُمَ لَنَا قَالِبَ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَرْضَى عَنْهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُرِيدُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا أَنْ نَتَوَلَّاهُ بِدَلِيلِ الْاَيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْمَجَالِ وَالَّتِي تُبَيِّنُ كُلَّ آيَةٍ آيَةً أَنَّ وَايَةَ الرَّسُولِ بَعْدَ وَايَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَوَايَةَ الْأُئِمَّةِ وَالْعَتْرَةِ الطَّاهِرَةِ بَعْدَ وَايَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وَمَحَلُّ الشَّاهِدِ مِنْ هَذَا كُلِّهِ إِنَّهُ كَيْفَ يَا أَصْحَابَ النَّظَرِ الْأُولَى تَعَزَّلُونَ مَقَامَ التَّطْبِيقِ عَنِ مَقَامِ التَّنْظِيرِ، إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ ذَلِكَ، فَهَذَا الْقُرْآنُ يُسَلِّطُ الْأَضْوَاءَ فِي مَقَامِ التَّطْبِيقِ عَلَى أَعْظَمِ وَأَخْطَرِ مَصْدَاقٍ وَشَخْصِيَّةٍ مَخْلُوقَةٍ لَلَّهِ تَعَالَى وَهُوَ شَخْصُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِلَّا - أَيْ إِذَا عَزَّلْنَا جَانِبَ التَّطْبِيقِ عَنِ التَّنْظِيرِ فَمَعْنَاهُ تَخْوِيبُهُ رُوحَ وَجْهِ الْاَيَةِ وَالسُّورَةَ عَنِ حَقِيقَتِهَا، وَأَيْهِ سُورَهُ أَوْ آيَةَ لَا تَعُودُ إِلَى وَايَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الَّتِي هِيَ طَرِيقٌ إِلَى وَايَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا مَعْنَاهُ أَنَّنَا أَخْوِينَاهَا مِنْ حَقِيقَتِهَا، وَصَدَّعْنَا الرُّكْنَ الرَّكِينِ فِي بَنِيَّتِهَا وَلَمْ نَعْقِلْ مَعْنَاهَا، ثُمَّ بَعْدَ وَايَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَأْتِي

ولايه عتره النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَعَلَيْهِ إِذَا قَطَعْنَا مَعَانِيَ الْآيَاتِ وَمَعَانِيَ السُّورِ عَنِ الدَّلَالَةِ - فَكأنَّمَا قَطَعْنَا مَعَانِيَ الْآيَاتِ وَالسُّورِ عَنِ حَقَائِقِهَا أَيْ عَنِ الحُرُوفِ المَقْطُوعَةِ فِي أَوَائِلِهَا هِيَ مَفَاتِيحٌ لِمَجْمُوعِ كُذَّلِ السُّورِ، وَذَكَرْنَا سَابِقاً أَنَّهُ يُذَكَّرُ فِي البَحْثِ العَقْلِيَّةِ وَالفَلَسْفِيَّةِ أَنَّ حَقِيقَةَ مَاهِيَةِ الأَشْيَاءِ وَمَعَانِيهَا بِغَايَاتِهَا أَيْ تَعْرِيفَ الشَّيْءِ بَعْلَتَهُ الغَائِبِ أَيْ وَأَحَقُّ مِنْ تَعْرِيفِ الشَّيْءِ بِصُورَتِهِ وَمَادَتِهِ الصُّورِيَّةِ، وَالمَعْنَى المَادِّي وَالصُّورِي لِلشَّيْءِ لَيْسَ حَقِيقَتُهُ مَكافئُهُ. كَمَا ذَكَرْنَا فِي مَحَلِّهِ لَيْسَتْ حَقَائِقُهُ، وَعَلَيْهِ فَكَيْفَ تَعزِلُونَ يَا أَصْحَابَ النُّظَرِيَّةِ الأُولَى حَقِيقَةَ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ نَفْسَهُ، وَمَا هَذَا إِلَّا إِخْرَاجَ الشَّيْءِ عَنِ حَقِيقَتِهِ، أَيْ قَلْبَ الشَّيْءِ عَنِ حَقِيقَتِهِ.

ضروره رسم المنهج وفق نظام مبرمج

إِنَّ مِنْ أَهَمِّ مُمَيِّزَاتِ الْمَنْهَجِ التَّفْسِيرِيِّ لِأُمُومَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ فَضْلاً عَنِ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي الْقُرْآنِ هُوَ أَنَّهُ يُمَثِّلُ مَنْظُومَهُ هَيْكَلَهُ بِنِيَانِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَقَائِمَ عَلَى هِنْدَسِهِ هَذَا الْمَنْهَجِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كِبَاقِي الْمَنْهَاجِ التَّفْسِيرِيَةِ كَمَنْهَجِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ، أَوْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِأَسْبَابِ النُّزُولِ، أَوْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْإِعْرَابِ وَالْأَبْعَادِ الْأَدْبِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ أَوْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِآيَاتِ الْأَحْكَامِ أَوْ التَّفْسِيرِ الْمَوْضُوعِيِّ، أَوْ... الخ، وَهَيْذِهِ الْهَيْكَلَةُ الَّتِي يَبْنِيهَا مَنْهَجُ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ لَيْسَتْ فَقَطْ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالذِّقَّةِ، وَإِنَّمَا هِيَ بِالْحَقِيقَةِ لِلدِّينِ كُلِّهِ لِأَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الدِّينُ وَالذِّينُ هُوَ الْقُرْآنُ، وَالثَّقَلَيْنِ - الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - هُمَا الدِّينُ، وَالدِّينُ هُوَ الثَّقَلَيْنِ.

وَبِالتَّالِي هَيْذِهِ هِنْدَسَةُ لِلدِّينِ كُلِّهِ وَلَيْسَتْ فَقَطْ لِلْمَعْرِفَةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ التَّفْسِيرِيَّةِ، بَلْ وَلِلْمَعْرِفَةِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي صَارَ حَوْلَهَا لُغَطٌ كَثِيرٌ حَوْلَ رَسْمِ نَظَرِيَّةِ الْمَعْرِفَةِ الدِّينِيَّةِ.

وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَالسُّنَّةَ - أَيْ الثَّقَلَيْنِ - هُمَا مِنْ أَكْبَرِ

منايع نظريه المعرفه الدّينيه. وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نظريه المعرفه الدّينيه قائمه عَلَى محوريه طبقات الولايه ثمّ محوريه طبقات المُحكّمات ثمّ محوريه طبقات المُتشابهات، وَهَذِهِ المنهجه ليست قضيّه رسم هندسي يُسهّل حفظ المطالب وتجميعها كلاً، وَإِنَّمَا هِيَ - المنهجه - ميزان لقواعد المعرفه الدّينيه. وفي نفس المنهجه ارتباط قواعدى فى معرفه الدّين ومعرفه قواعد تفسير القرآن الكريم، وَهُوَ بمثابة إشكال القياس كالاتراني المؤلف من صغرى وكبرى ونتيجته، فالمراد الفكرى الّتى يجب أن تؤلّفها وتنظّمها بشكل كى تنتج النتيجه المطلوبه، فالشكل للأفكار فى الذهن أو للمعاني فى الذهن يقودك إلى استنتاج وإدراك النتيجه، وَعَلَيْهِ فهندسه الأفكار عبارته عَنْ منهاج للتفكير وللمعرفه، لا أنّ القضيّه شكلية فَقَطْ وَمُجَرَّد رسم هيكله أو مُخَطَّط، بَلْ الأمر أبعد مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا صميمى فى مفاصل منهاج التفكير.

جداره تفسير القرآن بالقرآن للسّيد العلامة الطباطبائى قدس سرّه:

وَهَذَا البحث لا يقل أهميه عَنْ علم التفسير، بَلْ حَتَّى فى بحث فقه الفروع فَإِنَّ الفقيه المتضلع لا يُدَّ لَهُ مِنْ مُراعاه هَيْدِهِ المنظومه الهندسيه، فإذا أردت أن تقرأ السيره النبويه بشكل مُبعثر وَمُجَزَّء وَعَيْرُ مُنظَّم ومُهندس بالشكل الذى ذكرناه فسوف تُفتتن فى دينك، وتفتتن غيرك، وهكذا إذا أردت أن تُدرّس مختلف علوم القرآن فلا بُدَّ مِنْ مُراعاه هَيْدِهِ الهندسه المنظوميه وَإِلَّا فسوف تنشأ لك فرقاً جديده مثل فرق الخوارج

والقدرية و لجاروديه و... الخ فإن هذِهِ الفِرَق والآثار السلبِيَّة نشأت أو تنشأ نتيجة القراءة المُجَزَّأه للدين وَغَير المنظمه بنظام يحفظ وحده الدين، وَلَمْ يُرَاعَ فيها طبقات المعرفة، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى ضروره اتباع المنهج المبرمجه عَلَى وفق ضوابط وقواعد، وَهَذَا لَيْسَ مُخْتَصِماً بعلم التفسير وَإِنَّمَا يشمل كافه العلوم وفي مختلف الاختصاصات، فمثلاً في علم أصول الفقه يبحث علماء الأصول الحجج وأقسامها وطبقاتها وعلائق بعضها مَعَ الآخر، وهكذا يبحثون علاقته الأبواب الأصوليه بعضها مَعَ البعض الآخر في بحث منظومي مراتبي، فمثلاً ما التزم به السَّيِّدُ العَلَّامَةُ الطَّبَّاطِبَائِي فِي منهجه التفسيري تفسير القرآن بالقرآن رغم أَنَّهُ منهج صحيح وسديد وأثبت جدارته فِي موقعه فَقَطْ لَا أَنَّهُ منهج مُهَيِّم عَلَى باقي المناهج التفسيريهِ الأخرى، وَلَمْ تَثْبِتْ جدارته فِي غَير موقعه - وَعَلَيْهِ فكون منهج تفسير القرآن بالقرآن صحيح وسديد وكفؤ شيء، وكونه هُوَ المهيمن عَلَى المناهج التفسيريهِ الأخرى شيء آخر، مَعَ غُصَّ النظر عَن المغالطه الموجوده فِي عنوان منهج تفسير القرآن بالقرآن وَأَنَّ العنوان غَير دقيق، وَأَنَّهُ لَا يُطَابِقُ المنهج الذي يُريده السَّيِّدُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ حَسِينِ الطَّبَّاطِبَائِي أو ملا صدرا أو الفيض الكاشاني أو غيرهم مِن أعلام الشيعة أو السُّنَّة، وَسُنِّيِّين المغالطه بين العنوان - تفسير القرآن بالقرآن - وبين ما يريده ويتبناه السَّيِّدُ العَلَّامَةُ قَدَّسَ سِرَّهُ فِي محلِّه المُنَاسِبِ -

وَعَلَيْهِ فجدارته فِي معرفه لا تجعله مهيمناً فِي غَير موقعه عَلَى سائر

ولذا جملة من تلامذه السيد العلامة الطباطبائي قدس سره حكّموا وجعلوا منهج تفسير القرآن بالقرآن هو المهيم على باقى المناهج التفسيرية الأخرى فى الفقه وغيره، ولذا خرجت لديهم نتائج وقناعات شاذة وخطيره وغريبه وبعيده عن مسلمات مدرسه أهل البيت عليهم السلام الفقيهه.

والخلاصه: إن ضبط المنهج وفق موازين وضوابط علميه لا يختص بعلم الفقه أو التفسير أو الأصول أو... الخ.

وعليه فإن منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات فى القرآن يمتاز عن غيره بالهيمنه وكونه منهج قواعدى لأن القرآن هو منبع الدين، وأن المنهج الذى يؤسس فى تفسير القرآن الكريم يضيف بظلاله ويؤثر أثره على الفقه والعقائد والسيره والاخلاق، ولذا فاختيار المنهج التفسيري للقرآن الذى يحافظ على القرآن وأنه كتله منظوميه واحده ضرورى جداً، ولذا القرآن الكريم يوصى بالوحده الواحده - لا- بأبعاض الدين وإن الدين كله كتله واحده، ولذا يقول القرآن (أَفْتُونُونَن بَبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَن بَبَعْضِ) (١). أو قوله تعالى (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) (٩١) (٢).

وعليه فالمنهج التفسيري الذى تترتب عليه نتائج غريبه وخطيره

ص: ١٧٦

١- (١) سورة البقره: الآيه ٨٥.

٢- (٢) سورة الحجر: الآيه ٩١.

وبعده عن مُسَلِّمات مدرسه أهل البيت عليهم السّلام ويفكك وحده القرآن، فمثل هكذا منهج لا يتّصف بالمنهج القواعدي والمهيمن، بخلاف منهجنا المُختار أمومه الولاية على المُحكّمات فضلاً عن المُتشابهات في القرآن الذي يتّصف بالهيمنة ويتكفل وحده وعدم تفكيك كتله الدّين، وَهَذَا ما يمتاز به منهج أمومه الولاية على باقي المناهج التفسيرية الأخرى.

القاعدة: قاعده في موقعها الصحيح

تنبيه هام: من منطلق إن القاعدة قاعدة إذا ثبت موقعها الصحيح - إِيَّاهُ مِنْ الْخَطَأِ وَالْخَطَرِ إِذَا جُعِلَتِ الْقَاعِدَةُ فِي غَيْرِ مَوْقِعِهَا الصَّحِيحِ، فَإِنَّهُ سَوْفَ يَخْتَلُّ الْبُنْيَانُ وَيُنْهَدُّ أَسَاسُ الْأَرْكَانِ - فالمهندس الناجح في هندسته إذا أراد أن يبني بُنياناً مُعَيَّناً فلديه مجموعه قواعد مختلفه في الركنيه والتأثير، وإن كانت كُلُّهَا فِي الْأَسَاسِ قَوَاعِدَ صَحِيحَةٍ إِلَّا أَنَّهَا مُتَفَاوِتَةٌ الْأَهْمِيَّةِ، فَهُنَاكَ قَوَاعِدَ مَرْكَزِيَّةٍ وَمَحْوَرِيَّةٍ هَامَةٍ، وَهُنَاكَ قَوَاعِدَ جَانِبِيَّةٍ، وَهُنَاكَ قَوَاعِدَ مَفْصَلِيَّةٍ وَهُنَاكَ قَوَاعِدَ مُخْتَلِفَةٍ لِأَسَاسٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَإِذَا بَدَّلْتَ مَوَاقِعَ الْقَوَاعِدِ لَا- عَلَى وَفْقِ نِظَامٍ مَبْرَمَجٍ وَدِرَاسَةٍ عِلْمِيَّةٍ وَتَطْبِيقَاتٍ عَمَلِيَّةٍ بِأَنْ جَعَلْتَ الْقَاعِدَةَ الْمَرْكَزِيَّةَ لَا فِي الْمَرْكَزِ، وَجَعَلْتَ الْقَاعِدَةَ الْجَانِبِيَّةَ فِي الْمَرْكَزِ فَإِنَّ الْبِنَاءَ وَالْمَبْنَى سَوْفَ تَنْهَدُّ أَرْكَانَهُ (إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (١).

بتقريب: - إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا، وَلَكِنْ قَدْرُ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرُ قَدْرِ

ص: ١٧٧

الآخر، وَإِنَّمَا يَتَمُّ ذَلِكَ بِمِيزَانِ النِّظَامِ الْعَامِ الْمَجْمُوعِيِّ الرَّاسِمِ لِلْمَنْظُومَةِ الْارْتِبَاطِيَّةِ ذَاتِ الْأَبْعَادِ الْعَرْضِيَّةِ وَالطَّوَلِيَّةِ لِتَرْتِيبِ مَرَاتِبِ الْأَشْيَاءِ وَمَقَامَاتِهَا.

ص: ١٧٨

منظوميه قاعده الجرى على النظرية الثانيه دون الأولى

الالتفاتة الأولى: ذكرنا سابقاً أنّ هُنَاكَ أواصر وقواسم مشتركه بين القواعد الَّتِي تعرَّضنا لبحثها كقاعده التعريض والالتفات وإيّاكَ أعني واسمعي يا جاره، وقاعده استعمال اللَّفْظِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَعْنَى، وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ الَّتِي وصلنا إليها فِي البحثِ فعلاً وَهِيَ قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير وغيرها، إلّا أنّ هَذِهِ الروابط المشتركه خفيّه يصعب اكتشافها على وفق باقى المناهج التفسيريه، بخلاف منهجنا المختار أَيْ منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً على المتشابهات فِي القرآن، وَبَعْدَ التوفيق الإلهي يتفطن المُفَسِّرُ الْمُلتَمِّتُ إِلَى مثل هكذا نكات فَمِنْهَا ما نَحْنُ فِيهِ: - إلى أَنَّهُ لو دَقَّقْنَا فِي هَذِهِ التوسعه لقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير، بلا أن نُسَمِّيها بالتطبيق وَإِنَّمَا قاعده الجرى وَإِنَّ الجرى أعم مِنْ الجرى على الإشارات واللطائف وتعبير وترجمان القرآن، وأعم مِنْ دوريه تطبيق القرآن على مصاديق دوريه مستمره، فإذا دَقَّقْنَا فِي هَذَا التوسّع مِنْ نظريه الجرى فَإِنَّهُ تقريباً يُفْتَحُ لَنَا أَفقٌ مُتطابقٌ مَعَ توسعه معنى قاعده استعمال اللَّفْظِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَعْنَى.

تَقَدَّمَ فِي قَاعِدِهِ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَعْنَى إِنَّ تَوْسِعُنَا بِهَا بِشَكْلِ عَرَضِيٍّ عَلَى مَسْتَوَى الصَّعِيدِ التَّصَوُّرِيِّ وَالاسْتِعْمَالِيِّ وَالتَّفْهِيمِيِّ وَالْجَدِّيِّ، بِخِلَافِ تَوْسِعُنَا فِي قَاعِدِهِ الْجَرِيِّ فَإِنَّهُ تَوَسَّعَ طَوْلِيًّا، بَلَّ الْأَعْظَمَ مِنْ هَذَا إِنَّ قَاعِدَهُ الْجَرِيَّ تُقْحِمُ مَقَامَ التَّطْبِيقِ وَالْمَصْدَاقِ فِي الْاسْتِعْمَالِ وَتَجْعَلُهُ مِنْ الْأُمُورِ الْمُسْتَعْمَلَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُرَادًا عَلَى صَعِيدِ الْاسْتِعْمَالِ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ مُرَادًا عَلَى صَعِيدِ الْمُرَادِ التَّفْهِيمِيِّ التَّنْظِيرِيِّ، وَلَا عَلَى مَسْتَوَى صَعِيدِ تَنْظِيرِ الْمَدَالِيلِ الْجَدِّيَّةِ الْعَامَةِ الْمُنْتَشِرَةِ، وَهَذَا كُلُّهُ لَا يَتَّسِمُ بِطَايِعِ الْأَهْمِيَّةِ وَإِنَّمَا الْمَهْمُ هُوَ عَلَى صَعِيدِ التَّطْبِيقِ وَالْمَصْدَاقِ، فَهَذَا هُوَ الْأَهْمُ فِي نَظَرِ الشَّارِعِ، هُوَ أَحَدُ الثَّمَرَاتِ الْمُهْمَّةِ فِي قَاعِدِهِ الْجَرِيِّ.

الحقيقه أخرى بالاتباع:

الالتفاتة الثانية: إِنَّ عُلَمَاءَ اللُّغَةِ وَالبلاغه والأدب ذكروا في قواميسهم ما حاصله: -

«إِنَّ الْمَصْدَاقَ خَارِجَهُ عَنِ الْمَدَالِيلِ، بِخِلَافِ مَا تَتَبَنَاهُ وَتَفْهَمُهُ قَاعِدَهُ الْجَرِيَّ وَالتَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ حَسَبِ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ عَلَى مُخْتَارِنَا فِي الْمَنْهَجِ التَّفْسِيرِيِّ لِأُمُومَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ فَضْلًا عَنِ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي الْقُرْآنِ»، وَالصَّحِيحُ هُوَ مَا تَبَنَتْهُ النَّظَرِيَّةُ الثَّانِيَةُ مِنْ أَنَّ: - «التَّطْبِيقَاتِ الْمَصْدَاقِيَّةَ لَهَا أَحَدُ مَدَالِيلِ الْكَلَامِ» أَيَّ أَنَّ مَدْلُولَ الْكَلَامِ يَجْرِي إِلَى مَوَاطِنَ وَمَوَارِدَ عَدِيدَةٍ سِوَا مَوَارِدَ مِنْ تَنْظِيرِ الْمَعْنَى إِلَى مَعَانِي جَدِّيَّةِ

متعدده أو موارد تطبيقه فهذه وغيرها كلها يحتوشها عالم مدلولات الكلام وَعَلَيْهِ فيكون التطبيق جزء من مداليل الكلام.

وذكرنا سابقاً أن تبادل هذِهِ المباني الَّتِي عشعشت قرونًا من الزمان في نتاج عُلَمَاء وعلوم دهر من السنين لَيْسَ بالسهل تبديله بعشِيَه وضحاها وتغيره أو معالجه أمر فيه، فالإنصاف الأمر لَيْسَ بالسهل ولكن الحقيقه أحرى بالاتباع فمثلاً قاعده استعمال اللَّفْظ في أكثر من معنى المُتَقَدِّمِه نلاحظ أكثر عُلَمَاءِ البلاغه وَاللُّغَه والأصول والفقه والتفسير قالوا باستحالته وامتناعه لقرون إلى أن وافتنا التحقيقات الأخيره في علوم متعدده أن الأمر ممكن وواقع بكثره كما تَقَدَّمَ في محله (1) وَعَلَيْهِ فلا يظننَّ

ص: ١٨١

١- (١) ينبغي أن نلتفت كباحثين عن الحقائق أن هناك حقائق نكون غافلين عنها فلعل البعض يتسائل ويقول: - كيف علماء ومحققون وباحثون و... الخ لم يلتفتوا إلى أن مثل قاعده استعمال اللفظ في أكثر من معنى ممكنه وواقعه بكثير علماء أنهم كانوا يبنون على استحالتها وعدم وقوعها، والذي تُريد التنبيه عليه هو: - أنه لا- نظن أن حقائق ومناهج نظم اللغه والبيان والنحو والصرف و... الخ اكتُشِفَت من قبل علماء اللغه والأدب والنحو سواء أكانت علوم اللغه واللسان هذه عربيه أو غير عربيه، فالعرب لم تكتشف علم النحو رغم وجود رواد أدب منهم - العرب - لهم الدور الأ-كبر في تلك المؤتمرات والمباريات التي كانوا يعقدونها في مندياتهم الأدبيه أيام الحج في منى وسوق عكاظ والمعلقات السبع و... الخ ومع ذلك لم يكونوا قد اكتشفوا علم النحو وهو امرٌ غريب مع أن العرب من زمن نبي الله إسماعيل عليه السّلام وقبيله جرّهم وقبائل اليمن التي تناكحت مع النبي إسماعيل وولدت قريشاً و... الخ إلى أن جاء زمن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السّلام واكتشف لهم علم النحو ووضع قواعده. وهكذا مثلاً- فن الخط والتنقيط مضت قرون ولم يُكتشفا ولم تُعرفهما البشريه إلى زمان أمير المؤمنين عليه السّلام كما يذكر ذلك حسن الصدر في تأسيس الشيعه لعلوم الإسلام، وإن كان ذلك يجعل لصالح المكتشف إلا أن أصل الالتفات إلى علوم اللغه والنحو والبيان والخط والتنقيط وغيرها هو من أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السّلام.

أحد أن علم اللغه مثلاً كل ما قرّر فيه هو كل شيء وإن كان على ضوء حقيقه بيانات أهل البيت عليهم السلام يجب إعادته كتاب قواعد علم البيان والبلاغه - وغيرها وإن كان علم الألسنيات لا يتقيد بالثوابت والضوابط والمناهج والقواعد الملتزم بها على ضوء منهاج أهل البيت عليهم السلام.

إعادته كتابه قواعد علم البلاغه

على ضوء علم الألسنيات وتعدد القراءه:

لا زال الكثير من قواعد علم البلاغه لم تكتشف أو اكتشف بعضها ولكن يجب إعادته كتابه قواعد علم البلاغه على ضوء القواعد الجديده التي اكتشفت والتي ستكتشف من قبل الأجيال الآتية في المستقبل، وهذا دليل على عدم التسليم بكل ما قاله وكتبه علماء أهل ذلك الفن من قواعد وضوابط، وأن كل ما توصلوا إليه قابل للمناقشه والنقد والتطوير شريطه أن يكون على طبق موازين وأدله.

فمثلاً: إعادته كتابه ما قرّر من قواعد في إرادته المعنى الجدي في علم البلاغه على ضوء القواعد والموازين القديمه مع ما قرّر في بيانات أهل البيت عليهم السلام وما بُرهن عليه في علم الألسنيات وتعدد القراءات بأن المراد الجدي لا يقف عند حد وباختلاف اللغات وإن كانت بلاغه اللغات الأخرى عيال على بلاغه اللغه العربيه إن لم تكن مبالغين في ذلك وإن كانت هذه العلوم قواعد تتخادم فيما بين بعضها البعض.

وَعَلَيْهِ فَمِنْهَاجِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ النَّظَرِيَّةَ النَّسَبِيَّةَ لَيْسَتْ بِمَعْنَى التَّشْكِيكِ، وَإِنَّمَا النَّسَبِيَّةُ بِمَعْنَى أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْوَاسِعَةَ قَدْ يَقْتَنِصُ الْبَاحِثُ وَالْمُفَسِّرُ الْمُتَلَتِّفُ وَالْفَطِنُ مِنْهَا مَرَاتِبَ وَتَخْفَى عَلَيْهِ أُخْرَى.

هَذَا مُضَافًا إِلَى أَنَّهُ قَدْ تَكُونُ أَدْلَتُهُ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا ظَنِّيَّةً فَمِنْهَاجِ يَكُونُ مَا اقْتَنَصَهُ سَرَابٌ بِقِيَعِهِ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَتْ أَدْلَتُكَ يَقِينِيَّةً وَحَقَائِقُ وَلَكِنَّهَا بَعْضُ الْحَقِيقَةِ لَا تَمَامُهَا فَإِنَّهَا سَوْفَ تَقْتَنِصُ حَقَائِقُ لَهَا وَجُودَ وَنَسَبِيَّةَ لَهَا مَرَاتِبَ وَهَذِهِ النَّسَبِيَّةُ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَخْتَلِفُ عَنِ النَّسَبِيَّةِ التَّشْكِيكِيَّةِ السَّفْسَطِيَّةِ عِنْدَ مَدْرَسَةِ الْأَلْسِنِيَّاتِ الْحَدِيثِيَّةِ.

وَالْخِلَاصُ: إِنَّ قَاعِدَةَ الْجُرَى تَفْتَحُ لَنَا نِظَامَ تَعَدُّدِ قِرَاءَةِ النَّصِّ الْمُسْتَفَادِ مِنْ بَيِّنَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حَسَبِ مَنْهَجِ أُمُومِهِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ فَضْلًا عَنِ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي الْقُرْآنِ، وَتَسْتَكْشِفُ لَنَا عَنْ نِظَامِ بَلِّ نِظَامِ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ تَتَجَاوَزُ مَا قَدْ أُنْجِزَ مِنْ قَوَاعِدِ سَابِقِهِ شَرِيحَةً أَنْ يَكُونَ التَّقَدُّمُ إِلَى الْأَمَامِ وَفِي ضَوَابِطِ تَوْسُّسِ قَوَاعِدِ تُبْنِي، وَأَنَّ الْمُرَادَ الْجَدِيَّ لَيْسَ وَحْدَانِيَّ وَأَنَّ الْمُرَادَ التَّطْبِيقِيَّ مِنْ مَدَالِيلِ الْكَلَامِ كُلِّهَا فِي عِلْمِ اللُّغَةِ، وَهَذَا كُلُّهُ اسْتَفْدَانُهُ مِنْ بَيِّنَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَالَّذِي يَتَّبِعُ عَنْ بَيِّنَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنَ الْمَفْسَرِينَ أَوْ الْفُقَهَاءِ أَوْ الْبَاحِثِينَ يَقَعُ فِي الْحَرْجِ أَمَامَ تَفْسِيرِ بَعْضِ الْآيَاتِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْهَمًا) (١).

ص: ١٨٣

بتقريب: - إِنَّ الْمُرَادَ بِهَا عِنْدَ الْمَفْسَّرِينَ مَعْنَى وَمُرَادُ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ أَوْ الْفُقَهَاءِ مِنْهَا مَعْنَى آخَرَ. فَمِثْلًا - فِي الْعُقَائِدِ يُرَادُ مِنَ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ (ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) لِقَاءَ الْإِمَامِ أَمَّا فِي الْفِقْهِ فَالْمُرَادُ مِنْهَا: - قَصَّ الْأَظْفَرَ أَوْ حَلَقَ أَوْ قَصَّ شَعْرَ الرَّأْسِ فَيَكُونُ الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ هُوَ التَّطْهِيرُ الْبَدَنِي الْمُمْتَلِ بِحَلَقِ الرَّأْسِ أَوْ تَقْصِيرِ شَعْرِهِ أَوْ قَصِّ أَظْفَرِهِ أَوْ... الخ: أَمَّا عُلَمَاءُ الْكَلَامِ أَوْ الْعُقَائِدُ فَيُرِيدُونَ مِنْهَا مَعْنَى آخَرَ كَالْتَطْهِيرِ الرُّوحِيِّ مِثْلًا - الْمُمْتَلِ بِالْإِيمَانِ بِأَصُولِ الْإِسْلَامِ وَالْمَذَاهِبِ مِثْلًا، فَمَنْ كَانَتْ نَظْرِيَّتُهُ وَمَسَارُهُ الْعِلْمِي يَتَوَافَقُ مَعَ مَدْرَسَةِ الْوَحْيِ - أَيْ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - فَإِنَّهُ سَوْفَ لَا يَتَفَاجِئُ مَعَ هَكَذَا فَرُوضٍ، بِخِلَافِ مَنْ يَتَّبِعُ مَسَارَهُ عَنِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنَّهُ سَوْفَ يَقَعُ فِي مِثْلِ هَكَذَا انْدِهَاشَاتٍ نَتِيجَةٌ لِفَرْضِهِمْ قَوَاعِدَ مُسَبِّقَةٍ لَا تَصْمَدُ أَمَامَ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ.

وهكذا ما اشتهر بما يُسَمَّى بعلم الألسنيات أي علم قراءه النص وتعدّد القراءه للنص الواحد الذي يُعَبَّرُ عنه بتعابير عديده منها: - الهرمونطيقيا وتشعبت منه علوم متعدده، وعلم الألسنيات: - علم قَمَدُ اكتشفه الغرب قبل قرن من الزمان أو أكثر علماً أَنَّ هَذَا الْبَحْثَ مَوْجُودٌ فِي بَحُوثِ عُلَمَائِنَا الْأَبْرَارِ قَبْلَ قُرُونٍ مِنَ الزَّمَانِ فِي عِلْمِ الْأَصُولِ وَعِلْمِ التَّفْسِيرِ وَ... وَفِي بَيَانَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ.

وحاصل علم الألسنيات: أي علم تعدّد قراءه النص الواحد هُوَ أَنَّ النَّصَّ لَيْسَ الْمُرَادَ الْجَدِي فِيهِ وَاحِدٌ وَإِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْحَقِيقَةُ فِيهِ

مستتره وراء الكلام ووراء المعانى هى حقائق وليست حقيقه واحده، ونقولها وللأسف إلى الآن يوجد من المثقفين الإسلاميين فى المذاهب الإسلاميه الأخرى من إخواننا أهل السنه من هو مقتنع بما قاله الغرب غير المؤمن برسالة الإسلام والقرآن وبالنبى صلى الله عليه وآله وبأئمه أهل البيت عليهم السلام علماً أنه يرد على ما طرحه الغرب ما يلى: -

أولاً: إن الذى طرحه وقامه الغرب بلا- موازين وإن كان فيه إيجابيات مبرهنه لمدى جداره أهل البيت عليهم السلام من النص الواحد يُقرأ بقراءات مختلفه.

ثانياً: إن تعدد قراءه النص اللدنى موجود فى بيانات أهل البيت عليهم السلام قبل أكثر من (١٤) أربعه عشر قرناً. وعلى ضوء علم الألسنيات وتعدد قراءه النص وحسب؛ لأن رحابه مداليل الكلام واسعه، وبهذا كشفنا ظلمه وبهمه أنظمه اللغه وعلومها ولم نقف مع تلك الظلمه وإنما لا بُد من إنارتها وإضائتها بنور العلم لأن العلم والبحث نور يكشف لنا ظلمه هذا الطريق الموجود إذا وقفنا حيث وصل الآخرون ولم ننجز شىء مكرر واكتشفنا بقاع جديده فى العلم والحقائق لم يكتشفها السابقون.

وبعبارة أخرى: إن ما تطوّر إليه الذهن البشرى من تعدد القراءه للنصوص والتمتون أو فلسفه الألسنيات إجمالاً لهو خير شاهد على ما سبقت إليه مدرسه أهل البيت عليهم السلام من تعدد قراءه المتن والنص الواحد

الوحياني وما يُعرَف بتعدّد البطون حتّى أشتهر لدى المخالفين الطعن على مدرسه أهل البيت بأنّها باطنية وما شابه ذلك من الأوصاف الذى بات هَذَا الطعن خيرُ برهان على الرقى العقلى السابق لهذه المدرسه وبدرجه وحيانيه تميّزها دون بقيه مدارس المسلمين، ومن هَذَا القبيل ما تضافرت جهود الإماميه بسبب هَذَا المدرسه من تراكم وتكدّس جهود طوال قرون فى مباحث الألفاظ وما يتصل بها من مباحث الحجج والّتى تصبّ فى نظام طبقات الدلاله وتعدّد المدلول بموازين وضوابط متقنه وإن لم يمنع ذلك من الاختلاف فى التفاصيل والتطبيقات لكنه يُحكّم فى التحكيم بينها قواعد ومن وراءها قواعد أم أُخرى وثابت، وإن كثيراً مما توصلت إليه بحوث الألسنيات لهو ابتدائيات فى مباحث الألفاظ من علم الأصول المشيد إنجازاته فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام.

مُضافاً إلى أنّ بحوث الألسنيات والهرمونطيقيا وأنّ تضمّنت نتائج متينه وبرهانيه على سداد منهج مدرسه أهل البيت فى قرار النصّ الدينى إلّا أنّ الكثير من مسائل ونظريات الألسنيات توظّف إلى الانفلات عن الموازين والقواعد فى قراءه النصّ والسقوط فى قريحه السلائق الذاتيه والشخصيه بعيداً عن الموضوعيه والحياد العلمى، وهَذَا ما يميّز الفكر الأصولى من علم أصول الفقه لدى الإماميه عن مدارس الألسنيات، لا سيّما وأنّ الألسنيات وظفت كثيراً لدواعى السفسطه التشكيكيه الراميه إلى اللامسؤوليه واستباحه كلّ محظور.

تَقَدَّمَ فِي البحوث السابقه أَنَّ فتنه المْتشابهه فِي آيات القرآن وعلم التفسير لا- تنقشع ولا- تزول إِلَّا بعلم التأويل بنص سوره آل عمران (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (١) وبيان أهل البيت عليهم السّلام وفق منهج أمومه ومحوريّه ولايه أهل البيت عليهم السّلام والمُحكّمات فَإِنَّ هَذِهِ المنهجيه هِيَ المهيمنه عَلَى ذَلِكَ، بَلْ وَحَتَّى علم إشارات القرآن فيه مساحات متشابهه هِيَ الأخرى فيها فتق ورثق لا ينقشع إِلَّا بأمومه الولايه عَلَى المُحكّمات فِي القرآن الكريم، وهكذا بالنسبه إلى علم لطائف القرآن قَدْ يكون فيه متشابهات لا- تزول إِلَّا بأمومه الولايه وبمُحكّمات حقائق القرآن وَهِيَ عَلَى طبقات، وَهَذَا هُوَ معنى الأمومه، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قاعد علم التأويل والتعبير والإشاره واللطائف و... الخ فِي القرآن هِيَ قواعد مُتطابقه مَعَ قواعد علم التفسير إِلَّا أَنَّ المواد فِي التأويل أوسع أفقاً ورحابهً وشفافيه مِنْ علم التفسير، وَإِلَّا فالموازين والقواعد فيهما هِيَ هِيَ فَإِنَّهُ لَا يَنْضَبط باطن بلا ظاهر ولا العكس.

فَإِنَّ هُنَاكَ شواهد عَلَى ذَلِكَ كَمَا فِي قول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمُسَلَّمِ بَيْنَ

ص: ١٨٧

الفريقين «إنَّ للقرآن بطن ولبطنه بطن إلى سبعين بطن...» (١).

بتقريب: - إنَّ ذكر السبعين لیس للحصر وإئما كناية عن الكثرة، ثمَّ إذا كان علم التفسير هو الكاشف عن ظاهر قناع فتنه المتشابهات، فليس معناه إنَّ علم التفسير وظاهر القرآن هو كلَّ القرآن، كلا وإئما علم التفسير هو أول علوم القرآن وأول علم في كشف قناع الظاهر، وعليه فلماذا لا نبالي ولا نكثر ببقية علوم القرآن؟

وماذا تعنى طبقات القرآن؟

وخير شاهد ما قاله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ورسم لنا خارطة نبويّه مهيمنه وشامله لجميع العلوم ولم تُركز على جانب دون آخر وهو قوله صلى الله عليه وآله: «إئما العلم ثلاثة: آيه مُحكمه، أو فريضه عادله، أو سنّه قائمه، وما خلاهن فهو فضل».

بتقريب: - إنّه صلى الله عليه وآله أراد من الفريضه العادله هي إشاره إلى فقه الفروع وقوانينها وهي وظائف الأبدان وهو الظاهر والسنّه القائمه إشاره إلى تهذيب النفس والأخلاق ورياضتها وهي باطن وسط، والآيه المحكمه تعنى العقيدته والعقائد التي يُعتقد فيها في القلوب والعقول، وهكذا كناية عن الباطن الخفي.

وهناك تساؤل: إنّه لماذا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله شبك بين المراحل

ص: ١٨٨

١- (١) الكافي: ج ١: ٣٢؛ سنن أبي داود: ج ٢: ٣.

الجواب: - ذكر بعض المحققين إلى أن قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى وجود ترابط بين الأصعدة الثلاث، ولا يمكن أن يكون هُنَاكَ ظاهر وظائف الأبدان بلا باطن وسط وَهُوَ وظائف النفوس الذى هُوَ فقه النفوس، ولا يمكن أن يكون هُنَاكَ باطن وسط بلا ظاهر وظائف الأبدان كَمَا انحرف وللأسف بعض الصوفية، بَلْ وَحَتَّى بعض العُرفاء وَبعض الخطابي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وتركوا الصَّلَاةَ وأنكر عليهم الإمام الصادق عليه السَّلَامَ وَبَيَّن لهم عليه السَّلَامَ (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) (٩٩) (١) وَالْمُرَاد مِنَ الْيَقِينِ هُوَ الموت، وَأَنَّ وظائف الظاهر تلتزم الباطن، ولا باطن وسط ولا ظاهر إِلَّا باطن أعمق وَهُوَ العقول وهكذا.

ص: ١٨٩

لَعَلَّ بَعْضَ الْمَدَارِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمِنْهَا الصُّوْفِيَّةُ الَّتِي ظَنَّتْ أَنَّ مِثْلَ عِلْمِ التَّوْوِيلِ أَوْ عِلْمِ التَّعْبِيرِ أَوْ عِلْمِ الْإِشَارَاتِ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهَا عِلْمٌ مَزَاجِيَّةٌ وَمِنْ بَابِ فَوْضَى الْاِحْتِمَالَاتِ وَ... الخ وَإِنْ كُنَّا نَعْتَرِفُ بِأَنَّ الْكَثِيرَ صَحِيحٌ أَنَّهُمْ مَارَسُوا لِهَذَا النَّمْطَ، وَلَكِنْ هَذَا شَيْءٌ لَمْ يَضْبَطْ فِي الْوَاقِعِ تِلْكَ الْعُلُومَ بِمَا هُوَ مَوْجُودٌ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَبَدَتْ تِلْكَ الْمَدَارِسُ تَقْيِيمَاتِهَا وَمَمَارَسَاتِهَا الْهَلُوسِيَّةَ بِابْتِعَادِهِمْ عَنِ مَدْرَسَةِ الْوَحْيِ وَأَثْمَهُ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلِذَا وَقَعُوا بِمَا وَقَعُوا فِيهِ وَكَتَبُوا الْأَفْوَلِ وَالْفِشْلَ عَلَى مَدَارِسِهِمْ وَمَنَاهِجِهِمُ الَّتِي أَصْبَحَتْ عَاجِزَةً وَغَيْرَ قَادِرَةٍ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ وَلِذَا وَقَعُوا بِمَا وَقَعُوا فِيهِ وَكَتَبُوا الْأَفْوَلِ وَالْفِشْلَ عَلَى مَدَارِسِهِمْ وَمَنَاهِجِهِمُ الَّتِي أَصْبَحَتْ عَاجِزَةً وَغَيْرَ قَادِرَةٍ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى كُلِّ الْمَسْتَوِيَّاتِ لِأَنَّ مَدْرَسَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَنَاطَمُ تُخَبِّ الْعُقُولَ مِنَ الْبَشَرِ عَلَى مَرَّةٍ الْعُصُورَ فَكُلُّ مَنْ ادَّعَى أَنَّهُ يَمِثِلُ الْإِسْلَامَ أَوْ مَدْرَسَةَ إِسْلَامِيَّةٍ أَوْ فِكْرَ مَعِينٍ يُحْسَبُ عَلَى الْإِسْلَامِ عَلَى كَافِهِ الْأَصْعَدُ وَهُوَ مُبْتَعَدٌ عَنِ خَطِّ وَمَنْهَجِ مَدْرَسَةِ

الوحي فَهُوَ لَمْ يُصَبِّ الْحَقُّ وَكُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الْفِشَلُ؛ لِأَنَّ هَكَذَا ادَّعَاءَ ضَخْمٍ وَخَوْضٍ هَكَذَا عِلْمٌ وَمَنَاهِجٌ تَفْسِيرِيهِ بِالْحَقِيقَةِ تَعَجُّزُ
عُقُولِ الْبَشَرِ عَنِ الْخَوْضِ فِيهَا مَا لَمْ تُسَدِّدْ وَتَطْلُبِ الْعَوْنَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَاتَّبَاعِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِأَنَّ تِلْكَ الْمَدَارِسَ
غَيْرَ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قُدْرَاتُهَا مَحْدُودَةٌ وَلِأَنَّهَا عُقُولُ بَشَرٍ تَمْنَهَجُ وَتَحُلُّ وَفِي إِطَارِ مَنْحَصِرِ ضَيْقٍ وَيُنْفِذُ مَا عِنْدَهَا وَلَا
يُوجِدُ مَنْ يَمُدُّهَا بِخِلَافِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنَّهَا مُتَّصِلَةٌ بِالْوَحْيِ وَهُوَ الْمُمَدِّدُ لَهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِذَا ذَكَرْنَا أَنَّ
جَمِيعَ عِلْمِ الْقُرْآنِ وَخَاصَّةً عِلْمِ التَّأْوِيلِ وَالْحَقَائِقِ... الخ لَيْسَتْ بِاسْتَطَاعَةِ الْبَشَرِ لَوْحَدِهِ وَبِمَعزَلٍ عَنِ مَدْرَسَةِ الْوَحْيِ أَنْ يَصِلَ إِلَى
نَتَائِجِ طَيِّبِهِ وَعَمَلِيَّتِهِ وَيَرْتَبِ عَلَيْهِهَا الْأَثْرَ كَلَّا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ ذَلِكَ.

فَمَثَلًا التَّفْسِيرِ الْمَأْثُورَ عَنِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَشْتَمِلُ عَلَى عِلْمٍ جَمَّةٍ وَلَيْسَ فَقَطْ يَشْتَمِلُ عَلَى عِلْمِ التَّفْسِيرِ، بَلْ يَتَعَدَّاهُ إِلَى
غَيْرِهِ مِنَ الْعِلْمِ أَمْثَالِ التَّأْوِيلِ وَاللِّطَائِفِ وَالْإِشَارِيِّ... الخ أَمَّا أَنَّهُ كَيْفَ يَشْتَمِلُ عِلْمُ التَّأْوِيلِ عَلَى عِلْمِ تَفْسِيرِهِ.

وَذَلِكَ لَوْ لَاحِظْنَا جَمْلَهُ مِنَ الرِّوَايَاتِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِيهَا جَمْلُهُ مَعَالِجَاتٌ، مِنْهَا: - تُعَالِجُ التَّرْكِيبَ النَّحْوِيَّ فِي الْآيَةِ،
كَمَا فِي تَفْسِيرِ آيَةِ الْوَضُوءِ وَمَا هُوَ الصَّحِيحُ وَالْمُنَاسِبُ لَهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ مَثَلًا (وَ أَمْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلِكُمْ) (١) بِأَنَّ الْوَاوَ
عَاطِفَهُ وَكَلِمَةَ (أَرْجُلِكُمْ) هَلْ هِيَ مَعْطُوفَةٌ

ص: ١٩٢

عَلَى لَفْظِ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ وَلَهُ مَعْنَى، أَمْ مَعْطُوفُهُ عَلَى مَحَلِّ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ أَيْ بِالْمَعْنَى، وَلَهَا مَعْنَى آخَرٌ وَهَكَذَا.

وَمِنْهَا: تَعَالَجَ التَّرْكِيبِ الصَّوْتِي كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...) (١) وفي روايه تفسيريها خير أمة. وَمِنْهَا تَعَالَجُ: - لغات الآيه، كَمَا فِي الْآيَةِ (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (٢) بتقريب: - الإمام عليه السلام يقول واجعل لنا من المتقين إماماً، وكذا قوله: (لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) (٣). وَقَالَ الْإِمَامُ كَيْفَ يَحْفَظُ مِنْ إِمَامٍ... هل أنتم عرب و... الخ.

وهكذا روايات أهل البيت عليهم السلام الذي هو التفسير المأثور تُعالج وتبين علم تفسير أسباب النزول، وتفسير علم التأويل واللطائف والإشارات وعلم تعبير القرآن الذي يستعرضه القرآن وكأنه مسرح مشاهد حسي يُراد به الوصول إلى الحقيقة الأكبر (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (٤) أو في بعض الموارد تعبيرات القرآن أشبه ما تكون بالصوره المرسومه لكي تحتاج إلى تعبير (يا أبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) (٥) و(ما كانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) (٦)

ص: ١٩٣

١- (١) سورة الفرقان: الآيه ٧٤، مراجعه تفسير البرهان.

٢- (٢) سورة الفرقان: الآيه ٧٤.

٣- (٣) سورة الرعد: الآيه ١١.

٤- (٤) سورة يوسف: الآيه ١١١.

٥- (٥) سورة يوسف: الآيه ٤.

٦- (٦) سورة يوسف: الآيه ١١١.

وَعَلَيْهِ فَالْقُرْآنَ وَإِنْ كَانَ أَكْثَرَ الْمُفْسِرِينَ لَمْ يَخُوضُوا بِهِ بِاعْتِبَارِهِمْ غَيْرَ مَعْصُومِينَ وَعِلْمَ التَّعْبِيرِ يَحْتَاجُ إِلَى قُدْرَةٍ وَمُدَدٍ لَدُنِي مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَبِمَعُونَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَفْسَهُ يُنَادِي كَمَا أَنَّ لِي عِلْمَ تَأْوِيلِ (وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (١).

كَذَلِكَ يُنَادِي الْقُرْآنُ إِنَّهُ لِي عِلْمٌ تَعْبِيرٌ وَلَكِنْ يَحْتَاجُ إِلَى مُعَبَّرٍ إِلَهِي، كَمَا فِي سُورَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَلَدِّينَ (٧) (٢) فَإِنَّ فِي قِصَصِهِمْ عِبْرَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) فَالْسُّؤَالُ هُوَ أَنَّ أَيَّ سَائِلٍ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ هُوَ آيَةُ لِلْمُتَلَدِّينَ أَمْ مَاذَا؟

لَوْ نَظَرْنَا إِلَى كَلِمَةِ [الْمُتَلَدِّينَ] لَوَجَدْنَاهَا جَمَعَ سَائِلٍ، وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ لِلتَّعْرِيفِ أَوَّلًا، وَتَفْيِيدِ الْجِنْسِ، ثَانِيًا، فَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ اسْتِغْرَاقٌ وَالْمَعْنَى هُوَ أَنَّ أَيَّ سُّؤَالٍ تَرِيدُ جَوَابَهُ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجِدَهُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَكِنْ مَنْ يَسْتَطِيعُ وَلَهُ الْقُدْرَةُ أَنْ يَسْتَخْرِجَ كُلَّ أَجْوِبَةٍ الْبَشْرِيَّةِ عَلَى مَرِّ الدَّهْرِ مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ.

وَهُنَاكَ رَوَايَةٌ مَضْمُونُهَا: أَنَّ أَبَا حَمَزَةَ الثَّمَالِيَّ كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَى الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَيَّامِ طَوِيلَةٍ وَالْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُبَيِّنُ لَهُ لَطَائِفَ وَإِشَارَاتٍ فِي سُورَةِ يُوسُفَ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْوَاضِحِ إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْتَخْرِجَ كُلَّ هَذِهِ الْكُنُوزِ إِلَّا الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَلَا أَقْلٌ نَحْنُ نَتَعَلَّمُ

ص: ١٩٤

١- (١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ ٧.

٢- (٢) سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ ٧.

مِنْهُمْ، وَنَطْلُبُ الْعُونَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا لِلنَّهْلِ مِنْ نَمِيرِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمُواصِلِهِ الدَّرْبِ تَحْتَ هِدَايَتِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كُلَّ بِمَقْدَارِهِ وَوَسْعِهِ وَوَلَيْسَتْ مَخْتَصَّةً بِالسَّائِلِينَ فِي زَمَانِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ زَمَانِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ الْخَاتَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَلَّا بَلْ هِيَ آيَاتٌ، لِلْسَّائِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، هَذَا هُوَ مُدْعَى الْقُرْآنِ وَهُوَ كِتَابٌ حَقٌّ، الَّذِي فِيهِ تَبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَعِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى بِكُلِّ مَخْلُوقَاتِهِ وَمِنْهَا الْبَشَرُ فَإِنَّهُ تَعَالَى أَحْصَاهُمْ إِحْصَائِهِ إِلَهِيَّةً دَقِيقَةً لِكُلِّ حَالَةٍ الْبَشَرِ وَظَوَاهِرِهِ الْبَشَرِيَّةِ، فَالْقُرْآنُ لِكُلِّ الْبَشَرِيَّةِ وَلِأَجْلِ هِدَايَتِهَا يَبِينُ هَذَا (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (١) وَ(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (٢).

والخلاصة: - إِنَّ التَّفْسِيرَ بِالْمَأْثُورِ فِي رَوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا يَخْتَصُّ بِعِلْمِ التَّفْسِيرِ فَقَطُّ، بَلْ يَشْتَمِلُ عَلَى عِلْمِ التَّأْوِيلِ بَلْ وَعِلْمِ التَّعْبِيرِ وَعِلْمِ تَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ وَعِلْمِ لَطَائِفِ الْقُرْآنِ وَعِلْمِ إِشَارَاتِ الْقُرْآنِ وَ... الخ وَعَلَيْهِ فَالتَّفْسِيرُ بِالْمَأْثُورِ فِي رَوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِي هُوَ ثِقَلٌ وَعِدْلٌ ثَانِيٌّ لِلْقُرْآنِ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى عِلْمِ طَبَقَاتِهِ لِلْقُرْآنِ وَلَيْسَتْ عِلْمٌ عَرَضٌ وَاحِدٌ.

وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الْعِلْمَ فِي الْمَنَاهِجِ التَّفْسِيرِيَّةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دَائِمًا تَرْسُمُ لَنَا عِلْمَ الْقُرْآنِ إِمَّا بِشَكْلِ عَرَضِيٍّ أَوْ طَوَّلِيٍّ مُتَقَارِبٍ، فَالْعِلْمُ الَّذِي

ص: ١٩٥

١- (١) سورة يوسف: الآية ١١١.

٢- (٢) سورة النحل: الآية ٦٧.

هِيَ بَعْرُضٌ وَاحِدٌ تَقْرِيْباً أَوْ مُتَقَارِبَةً وَإِنْ كَانَتْ بَعْضُهَا يَخْدُمُ بَعْضُهَا مِثْلَ عِلْمِ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَعِلْمِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ وَعِلْمِ الْجِهَاتِ الصَّرْفِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ، وَعِلْمِ لُغَاتِ غَرِيبِ الْقُرْآنِ، وَعِلْمِ تَارِيخِ تَدْوِينِ الْقُرْآنِ، وَعِلْمِ آيَاتِ الْأَحْكَامِ فِي الْقُرْآنِ وَ... الخ.

وَهُنَاكَ عِلْمٌ طَوِيلٌ - أَيْ الْعِلْمُ الَّذِي لَهَا طَبَقَاتٌ وَدَرَجَاتٌ هِيَ مَوْجُودَةٌ فِي كَلِمَاتِ جَمَلِهِ مِنْ أَعْلَامِ الْمَفْسِرِينَ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ أَمْثَالُ مَا صَدَرَ وَالْفَيْضُ الْكَاشَانِيُّ وَالسَّيِّدُ الْعَلَامَةُ الطَّبَاطِبَائِيُّ قَدَّسَ سِرَّهُ مِنَ الْخَاصَّةِ. وَمُحَمَّدٌ رَشِيدٌ رِضَا صَاحِبُ تَفْسِيرِ الْمَنَارِ مِنَ الْعَامَّةِ وَغَيْرِهِمْ - مِثْلَ عِلْمِ التَّأْوِيلِ وَعِلْمِ التَّعْبِيرِ أَيْ تَعْبِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ وَعِلْمِ تَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ، وَعِلْمِ لَطَائِفِ الْقُرْآنِ وَإِشَارَاتِ الْقُرْآنِ وَ... الخ فَإِنَّ هَذِهِ التَّفَاسِيرَ بَعْضُهَا لَهُ الْهَيْمَنَةُ عَلَى الْبَعْضِ الْآخَرِ، وَلَكِنَّ الْمَفْسِرِينَ لِلْأَسْفَلِ لَا يَخُوضُونَ فِي ذَلِكَ وَإِنَّمَا بَعْضُهُمْ يَشِيرُ إِلَى ذَلِكَ إِشَارَةً مُقْتَضِبَةً، وَسَبَبُ ذَلِكَ هُوَ أَنَّ تِلْكَ الْمَنَاهِجَ - عِدَا مَنَهْجِ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ فَضْلاً عَنِ الْمَتَشَابِهَاتِ فِي الْقُرْآنِ - تُنَاسِبُ عِلْمَ التَّفْسِيرِ، وَهِيَ بِالْوَاقِعِ بَابٌ أَوْ فَصْلٌ مِنْ فُصُولِ عِلْمِ التَّفْسِيرِ وَلَا تُشْمَلُ كُلُّ عِلْمِ التَّفْسِيرِ، وَهَذَا بِخِلَافِ مَنَهْجِنَا الْمَخْتَارِ فِي التَّفْسِيرِ مَنَهْجِ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ هُنَاكَ طَرِيقَانِ لِرَفْعِ الْمَتَشَابِهَةِ وَهُمَا: -

الطَّرِيقُ الْأَوَّلُ: الْمُحْكَمَاتِ.

الطَّرِيقُ الثَّانِي: عِلْمُ التَّأْوِيلِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.

تَبَيَّنَ مِنْ خِلالِ ما تَقَدَّمَ أَنَّ هُنَاكَ أُمومَه ثانِيَه غَيرَ أُمومَه الوَلايَه والمُحَكَماتِ الَّتِي عَبَّرَ عَنها القُرآنُ الكَرِيمُ أُمومَه الراسِخونَ فِي العِلْمِ وَهِيَ أُمومَه عِلْمِ التَّأويلِ فِي القُرآنِ، (وَ ما يَعلَمُ تَأويلَهُ) (١) يَيلُ هُنَاكَ أُمومَه الَّذِينَ أُوتوا العِلْمَ وَأُمومَه اللطائفِ والإشاراتِ وترجمانِ القُرآنِ وَسُنِّيَّينَ كُلِّ ذَليكَ مُفصلاً مِنْ محلِهِ المُناسِبِ إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى.

فَإِنَّ كُلَّ هَذا العِلْمِ وطبقاتِها الطويلِة وهيمنه بعضُها عَلَى البعضِ الآخرِ يَبيِّنُها القُرآنُ الكَرِيمُ فِي منهِجِ أُمومَه الوَلايَه عَلَى المُحَكَماتِ الِذِي بِهِ إداره المناهجِ الأخرى الَّتِي اعتمدها أعلامُ المُفسرينَ مِنْ الخاصَّه والعامَّه أمثالِ الشَّيخِ الطبرسيِّ فِي مِجمعِ البيانِ، والطوسيِّ فِي تبيانهِ والفيضِ الكاشانيِّ والزرَكشيِّ و... الخِ فَإِنَّ تلكَ المناهجِ لا نَنكرُ جدوائيتها وفائدتها إِلَّا أَنَّ الناظِمَ لانتظامِها ونَظَمِها هُوَ منهِجُ أُمومَه الوَلايَه والمُحَكَماتِ الِذِي هُوَ قُطبِ رَحي التفسيرِ.

وَعَلَيْهِ فَيَبيِّنُ طبقاتِ عِلْمِ التفسيرِ للقُرآنِ هِيَ مِنْ قِسمِ عِلْمِ ظاهِرِ التفسيرِ والتنزيلِ وعِلْمِ التَّأويلِ والتعبيرِ والترجمانِ واللطائفِ والإشاره وحقائقِ

ص: ١٩٧

القرآن كلَّها موجوده في التفسير المأثور لأهل البيت عليهم السَّلام الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ فِيهِ الْعِلْمَ الطَّبَقَاتِيهِ فَضْلًا عَنِ الْعِلْمِ الْعَرَضِيِّهِ، ولذا نلاحظ أَنَّ الكَثِيرَ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ وَالْبَاحِثِينَ لَا - يَخُوضُ بَلْ وَلَا - يَتَعَرَّضُ لِلتَّفْسِيرِ الْمَأْثُورِ بِسَبَبِ أَنَّهُ إِذَا تَعَرَّضَ أَوْ خَاضَ ذَلِكَ الْمَضْمَارَ سَوْفَ يَتَعَرَّضُ وَيُوجِهُ انفجار معلوماتي غَيْرَ طَبِيعِي، وَلَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَنْظُمُ بَيْنَ تِلْكَ الْمَعْلُومَاتِ؛ لِأَنَّ رِوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ تُبَيِّنُ قَوَاعِدَ وَعِلْمَ مُتَعَدِّدَةً لِلْقُرْآنِ وَلَا تَقْتَصِرُ عَلَيَّ بَيَانِ عِلْمِ التَّفْسِيرِ فَقَطُّ بِالتَّنْزِيلِ، وَمِنْ هَذَا تَتَّضِحُ الْمَسَافَةُ الْكَبِيرَةُ بَيْنَ تَفْسِيرِ الْمَأْثُورِ وَالتَّفَاسِيرِ الْأُخْرَى حَتَّى فِي تَسْمِيَةِ الْكِتَابِ أَوْ الْمَنْهَجِ كَمَا فِي تَسْمِيَةِ تَفْسِيرِ الْبِرْهَانِ وَالْأُولَى بَلْ الْأَصْحَحُ أَنَّ يُسَمِّيَ كِتَابَ الْبِرْهَانِ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ، أَوْ تَفْسِيرِ نُورِ الثَّقَلَيْنِ أَوْ تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقَمِيِّ أَوْ تَفْسِيرِ فِرَاتِ الْكُوفِيِّ أَوْ... الخ فَهَذِهِ التَّفَاسِيرُ لَا - يُبَيِّنُ فِيهَا فَقَطُّ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ، بَلْ يَبَيِّنُ فِيهَا عِلْمَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلامُ يُبَيِّنُ فِي رِوَايَةِ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ تَكْوِينِيَهُ لِلْقُرْآنِ فَحِينَئِذٍ يَرْتَبِكُ أَمْرَ الْبَاحِثِ وَالْمَفْسِّرِ إِنَّ عِلْمَ الْحَقَائِقِ أَيَّ صِلَةٍ وَمَا هُوَ نَوْعُ الصِّلَةِ بِعِلْمِ التَّفْسِيرِ: - هُنَاكَ عِلْمٌ مُتَعَدِّدٌ لِلْقُرْآنِ بَيْنَهَا رِوَايَةُ الْوَاحِدِ وَعَلَيْهِ فَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْبِرْمَجَةِ الْعِلْمِيَّةِ لِمَعْنَى التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ وَالَّذِي هُوَ بِالتَّالِيِ تَمَسُّكُ بِالثَّقَلَيْنِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ.

الأمر الثالث: ثمره قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير.

الثمره المترتبه على هذه القاعده على نمطين: -

النمط الأول: ثمره عامه.

النمط الثاني: ثمره خاصه.

النمط الأول: ثمره عامه:

إن لقاعده الجرى والتطبيق ثمره عامه وهامه تؤرب وتؤول إلى تفعيل حجيه القرآن، وأن مرجعيه القرآن مفعله دائماً وأنه - القرآن - مصدر ومنبع دائماً يُعَرَفُ مِنْهُ وَلَيْسَ مُعْطَلاً أَبَداً - والعياذ بالله - بل بحسب بيانات أهل البيت عليهم السلام المُتَقَدِّمَهُ أَنَّ كُلَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ مُفَعَّلَةٌ وَحَجَّتِهَا حَيَّةٌ وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ مُجَمَّدَةٌ - والعياذ بالله - وَإِنَّمَا كُلُّ آيَةٍ مُفَعَّلَةٌ وَحَيَّةٌ.

ومما ينبغي لالتفات إليه هو أن حيويته آيات القرآن الكريم ليست فوضى ودعوى وإنما لها مواقع من الأحداث البشرية وبيئات البشر، فإن مواضع وموارد إنفاذ أو تطبيق الآيات يختلف باختلاف موارد الآيات وموضوعها ومناسبتها وسبب نزولها... الخ فليس هناك تشابك فوضى في التطبيق، كلا- وإنما هناك نظم، ولا- يُقَالُ: - إن مورد العمل بكل آية آية إذا فرض أنه طُبِقَ وَكَانَ لَهُ مَوْرِدٌ إِنَّهُ قَدْ مَضَى وَتَحَقَّقَ، وَإِنَّمَا تَطْبِيقُهَا تَطْبِيقٌ مَنَوَالِي مُتَعَدِّدٌ أَيْ حَصَلَ لِكُلِّ آيَةٍ مِنْ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ انْطِبَاقٌ وَتَطْبِيقٌ وَجَرَى عَلَى مَوَاقِعٍ أُخْرَى فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَلِذَا يَتَوَهَّمُ وَيَخْطِئُ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ تَفْسِيرَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِلآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ بِالْمَأْثُورِ الصَّادِرِ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ هُوَ خَاصٌّ فِيمَنْ مَضَى مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ أَوْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَلَا تَصْلِحُ لِأَنَّ يَتَمَسَّكَ بِهَا لِمَا سَيَأْتِي.

ص: ١٩٩

وَهَذَا الاعتراض لَعَلُّهُ وللأسف يتوهمه حَتَّى بَعْض مفسرى الخاصه فضلاً عَن مفسرى العامه بدعوى أَنَّ الأخذ بالتفسير المأثور للقرآن عَن أئمه أهل البيت عليهم السّلام هُوَ لازم للجمود أو لازم للتقيّد والأخذ بتلك الروايات فى التفسير وَهَذَا يستلزم تعطيل جملة مِن الآيات والحال أَنَّ القرآن حجّيته حجّيه مفعّله وحّيه لا تموت.

مدفوعه: كيف وَأَنَّ الأئمة عليهم السّلام هُمُ المؤسسون لهذه القاعده - قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير - والمشيدون لمفهوم كُمل آيه آيه وَأَنَّ لها أساس عظيم فى مفهوم حجّيه وحياه القرآن، وَهُم عليهم السّلام المُفعلون للقرآن الكريم، وَعَلَيْهِ فكيف يكون مجموع هَذَا التراث المروى عنهم عليهم السّلام فى تفسير القرآن يؤدّى إلى هَذِهِ النتيجة البسيطة والفهم السطحي والمتساهل مِن المُراد الحقيقى لآيات القرآن.

ولذا وللأسف ذهب جملة مِن مفسرى الخاصه فضلاً عَن مفسرى جمهور عامه المذاهب الإسلاميه الأخرى إلى تفسير آخر مغاير لما هُوَ عَلَيْهِ حقيقه قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير تحت ذريعه وسبب أَنَّهُ لا يُدَى أَن نجعل مِن معنى قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير، أَنَّ لآيات القرآن الكريم معانٍ كُلّيه - وَهَذَا لا اعتراض لنا عَلَيْهِ - وَإِنَّمَا ما وَرَدَ فى التفسير المأثور عَن الأئمه عليهم السّلام لَيْسَ إلَّا تمثيل لنموذج تطبيقات لا دخاله لَهُ فى معنى الآيه ولا يستند إلى هَذَا التفسير المأثور لِأَنَّهُ نموذج تطبيقى لا ارتباط ولا صلة لَهُ بالمعنى الكُلّى للآيه، وَهَذَا معناه أَنَّ ما وَرَدَ فى التفسير المأثور لآيات القرآن الكريم عَن أئمه أهل البيت عليهم السّلام لا يمكن الالتزام

به لِإِتَانَهُ لَيْسَ وَارِدًا فِي تَفْسِيرِ صَمِيمٍ مَعْنَى الْآيَةِ وَإِنَّمَا هُوَ هَامِشٌ تَطْبِيقِي، وَعَلَيْهِ فَيَقَعُ التَّفْسِيرُ بِالْمَأْثُورِ فِي هَامِشِ التَّفْسِيرِ، وَيُؤَيَّدُ ذَلِكَ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ حَتَّى مِنْ الْخَاصَّةِ بِجَعْلِ التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ أَى الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ فِي تَفْسِيرِ آيَةٍ فِي ذَيْلِ التَّفْسِيرِ مِنْ بَابِ أَنَّهُ كَنُموذجٍ تَطْبِيقِي.

وبعبارة أن هَذَا المنهج يُتَّبَعُ فِيهِ إِلَى أَنَّ التَّرَاثَ الْمَأْثُورَ فِي ذَيْلِ الْآيَاتِ لَيْسَ مِنْ قِبَلِ تَفْسِيرِ مَوَارِدِ النُّزُولِ كَتَطْبِيقَاتٍ مُصَدِّقِيَةٍ بَلْ يَلْتَفِتُ إِلَى أَنَّهُ عَدْلٌ لِلْقُرْآنِ فِي كُلِّ طَبَقَاتِهِ وَجَرِيهِ وَحَيَوِيَّتِهِ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَأَنَّ هَذَا التَّرَاثَ نِظَامًا وَمَنْظُومَةً مَنِهْجًا لِلتَّفْسِيرِ وَالتَّوِيلِ، مُضَافًا إِلَى بَحُورٍ مِنْ مَوَارِدِ مَعْلُومَاتِ مَفْرَدَاتِ أَلْفَاظِ الْآيَاتِ.

النمط الثاني: الثمره الخاصه

لقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير:

أحد أهم الثمرات الخاصه العديده لقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير، وَعَلَى كِلَا- النَظَرِيَّتَيْنِ فِي الْقَاعِدَةِ نَظَرِيَّةُ السَّيِّدِ الْعَلَمَامَةِ وَالنَّظَرِيَّةُ الثَّانِيَةِ الْمَخْتَارَةِ حَسَبِ مَنِهْجِ أُمُومَةِ الْوِلَايَةِ عَلَى الْمَحْكَمَاتِ وَهِيَ مَخْتَارَنَا.

الثمره الأولى: تحديد علم التأويل في القرآن عن تفسيره:

حَسَبِ مَخْتَارِ السَّيِّدِ الْعَلَمَامَةِ قَدَّسَ سِرَّهُ وَمَنْ تَبِعَهُ وَهُوَ النَّظَرِيَّةُ الْأُولَى فِي قَاعِدَةِ الْجَرِيِّ الْمُتَقَدِّمَةِ إِنَّ هَذَا الْقَاعِدَةَ تَعَكِّسُ بِظِلَالِهَا عَلَى تَحْدِيدِ عِلْمِ التَّوِيلِ - تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ - عَنْ عِلْمِ التَّفْسِيرِ - تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ - عَلَى أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ يَنْبَغُ

بناءً على نظام التفسير وافتراقه عن نظام التأويل.

فإن هناك تفسير للقرآن الكريم وهناك تأويل، والتأويل علم من علوم القرآن التي ليس من السهل امتطاؤه، وليس من السهل أن يلج فيه كلّ والحج وعزيز المنال على الكثير فإن علم التأويل - تأويل القرآن - من العلوم الصعبة والخطيرة وهو يغير علم تفسير القرآن، فإن كثيراً من المفسرين وللأسف حتى السيد العلامة قدس سره لم يخض بكلّ لباب هذا البحر الخطير أي باب علم تأويل القرآن.

لا- يكثرثون بعلم تأويل القرآن، والمفسرون في هذا الباب قليلون بل نادر ما يقول منهم بذلك، والحال إن أحد ميادين تفعيل التمسك بالقرآن هو الوقوف على تأويل القرآن إلا أنه وللأسف لا يخوض به الكثير من جمهور مفسري الأمة الإسلامية وغيرهم ولا- يعبأون به وكأنهم غير مسؤولين عن التدوين والتمسك به، والحال أنه كما أن علم تفسير القرآن خطير كذلك علم تأويل القرآن خطير، ونحن مسؤولون عن العمل به بمقدار ما يتضح لنا منه، وعليه فإنه بركة قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير على ضوء منهجنا التفسيري المختار أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات أن الصحيح هو: - إن علم التأويل هو المهيم على التفسير ولا يعني هذا إنكار كون علم التفسير هو العلم الأول وبالمرحلة الأولى الذي يقتدر الإنسان عليها ومن ثم بتوسط علم التفسير يصل الإنسان إلى علم التأويل، وبعبارة: المصطلح العلمي إنه

ص: ٢٠٢

مِنْ جِهَةِ الْإِثْبَاتِ أَنَّ عِلْمَ التَّفْسِيرِ مُتَقَدِّمٌ إِثْبَاتًا وَتَعَلُّمًا عَلَى عِلْمِ التَّأْوِيلِ وَإِنْ كَانَ عِلْمُ التَّأْوِيلِ هُوَ الْمَهِيمُ مِنَ الْجِهَةِ الثَّبُوتِيَّةِ وَعَلَيْهِ
فَالْبِنَاءُ عَلَى كَوْنِ عِلْمِ التَّأْوِيلِ مَهِيمًا وَمَسِيطِرًا عَلَى عِلْمِ التَّفْسِيرِ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يَتَنَافَى مَعَ ضَرُورَةِ عِلْمِ التَّفْسِيرِ وَإِنْ كَانَ ابْتِدَاءً
تَعْلِيمَ الْإِنْسَانِيَّةِ لِعِلْمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُوَ عَنْ طَرِيقِ عِلْمِ التَّفْسِيرِ وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ يَبْقَى عِلْمُ التَّأْوِيلِ هُوَ الْمَهِيمُ وَلَا تَنَافَى فِي ذَلِكَ.

مُضَافًا إِلَى أَنَّ الْمُفَسِّرَ حِينَمَا يُحِيطُ خُبْرًا بِعِلْمِ التَّفْسِيرِ فَإِنَّهُ سَوْفَ يَلْحَظُ مَدَى وَكَثْرَةَ تَأْثِيرِ التَّأْوِيلِ عَلَى عِلْمِ التَّفْسِيرِ وَعَلَى مَنْهَجِنَا
الْمَخْتَارِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَهُوَ أَمُومَةُ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ فَضْلًا عَنِ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي الْقُرْآنِ، فَسَوْفَ يَتَبَيَّنُ أَنَّ عِلْمَ التَّأْوِيلِ هُوَ
الْمُحْكَمُ بِالْقِيَاسِ إِلَى عِلْمِ التَّفْسِيرِ، وَأَنَّ عِلْمَ التَّفْسِيرِ هُوَ الْمُتَشَابِهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِ التَّأْوِيلِ وَلَا نَزِيدُ أَنْ نَقُولَ: - إِنَّ عِلْمَ التَّفْسِيرِ مِنَ
الْمُتَشَابِهِ إِذْ هُوَ لَيْسَ بِحُجَّةٍ كَلَامًا وَإِنَّمَا عِلْمُ التَّفْسِيرِ يَلْحَظُ مَا دُونَهُ حُجَّةً، وَلَكِنْ يَلْحَظُ مَا فَوْقَهُ وَالْمَهِيمُ عَلَيْهِ وَهُوَ التَّأْوِيلُ
مَحْجُوجٌ بِحُجَّتِهِ فَوْقَهُ وَهُوَ التَّأْوِيلُ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ إِحْكَامًا.

علم التأويل قطب تدور عليه قطب رحى علم تفسير القران

قطب رحى علم تفسير القرآن:

وَإِنْ كُنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ عِلْمَ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ عِلْمٌ اخْتَصَّ بِهِ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَنَّ أَكْثَرَ
فِيوضَاتِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ الْعِلْمِيَّةِ هِيَ فِي عِلْمِ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ وَخَاضُوهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ بِكُلِّ سَعَةٍ وَرَحَابَةٍ أَفْقٍ

واسع واسترسال عميد عكس الآخريين الذين حاولوا الخوض فيه ولو بشكل بسيط إلا أنه بتلكى وقصور وعجز، مع أن علم التأويل أمر بالغ الأهميه، ويشكل الآن أحد مشاكل المسار الفكرى للأمة الإسلاميه تجاه هذا المصدر العظيم وهو القرآن الكريم، وللأسف علماء المسلمين حسبوا فكر وعقل وثقافه الأمة الإسلاميه على علم تنزيل القرآن فى تفسير القرآن فقط، وهذا طامه ومعناها تعطيل وتجميد لطبقات من القرآن الكريم، وما ذاك إلا بسبب الابتعاد عن مسار أئمه أهل البيت عليهم السلام وهذا الابتعاد هو سبب هذه الأزمه، وكأنما فهموا من أن الذى يقتحم الفكر الإسلامى يجب أن يحبس نفسه فقط فى التفسير ويتجنب علم التأويل، وهذا يؤدى بالاشعور سوء قصيد المفسر ذلك أولاً إلى تعطيل الكتاب فى علم التأويل، وهو من أحد أكبر المحاذير بأن نجعل الكتاب معطلاً وهو من مذهب المعطله، إلا أنه بنفس الوقت هناك جملة من أعلام المفسرين أمثال سيد هاشم البحرانى أو ملا شريف الفتونى أو الحويزى فى نور الثقلين أو القمى أو... الخ.

لم يابهاوا بهذا الضجيج لومه لائم وخاضوا فى علم التأويل بحسب ما يمتلكون من قدرات - جزاهم الله خيراً - والمهم أنهم خاضوا فى ميدان تأويل القرآن الكريم، لأن تعطيل علم التأويل فى القرآن وعدم الخوض به نوع من تجميد القرآن وبالتالي يلزم محذورٌ يشكّل خطراً كبيراً وهو عدم تفعيل حججه القرآن وتعطيلها.

ثم إنَّ اهتمام المفسرين للقرآن فقط في جانب علم التفسير وأنَّ علم التفسير هو أحد معاني القرآن، إلا أنَّه نقول لهم: - وَمَنْ قَالَ إحياء القرآن هو فقط بتشديد جانب علم التفسير؟ فإنَّ هذا أوَّل الكلام.

إذن علم التأويل له موازينه وقواعده وضوابطه الخاصه قبلها من قبل ورفضها من رفض.

وكما أنَّ القرآن الكريم يُنادى بتنزيل الكتاب وتفسيره كذلك يُنادى بتأويل القرآن.

التفسير والتأويل جناحان في القرآن الكريم:

أولاً: من خلال الأبحاث السابقه تبين أنَّ التفسير والتأويل هما جناحان في القرآن وليس من الصحيح أن تُفعل أحدهما دون الآخر بأن تأخذ بجناح وترك الآخر، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم؛ لأنَّ الأخذ بأحد الجناحين دون الآخر يلزم منه عدّه محاذير وفي غايه الخطوره وأحدها وأخطرها هو محذور تعطيل حُجَّيه الكتاب في جانب تأويل القرآن، وهذا باطل.

وثانياً: مُضافاً إلى ذلك يلزم من ترك تفعيل حُجَّيه القرآن في جانب التأويل لمحذور آخر فضلاً عن حبس تجويد القرآن التركيز فقط و فقط على مسابقات حفظ أصوات القرآن، وأمَّا مسابقات حفظ معاني القرآن ومسابقات حفظ علم تأويل القرآن فيدعون دعوى باطله وهي:

- إِنَّ هَذَا غَيْرٌ مِنْهُجِي.

ولكن يمكن أن يُقال لهؤلاء: - إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَيْسَ هُوَ فَقَطْ أَصْوَاتٌ حَتَّى إِنَّكُمْ جَعَلْتُمْ لَهَا مِنْهَاجاً وَمَسَابِقَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَا نُنْكِرُ هَيْذِهِ الْمَرْتَبَةَ الْمُهِمَّةَ وَالْعَظِيمَةَ فِي الْقُرْآنِ وَهِيَ حِفْظُ أَصْوَاتِ أَلْفَاظِ مَفْرَدَاتِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ لِلْقُرْآنِ، إِلَّا أَنَّهُ بِنَفْسِ الْوَقْتِ لَا يُمْكِنُ حَبْسُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِهَا فَقَطْ وَفَقَطْ.

إِذْ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَيْسَ تَلَاوَهُ أَصْوَاتٍ وَأَلْفَاظٍ وَإِنَّمَا هُنَاكَ فِي الْقُرْآنِ تَلَاوَهُ مَعَانِي.

وثالثاً: تدرك عياناً لحقائق القرآن فإنَّ هَذِهِ مَرْتَبَةٌ وَرَاءَ الْمَعَانِي، وَوَرَاءَ طَبَقَاتِ التَّأْوِيلِ، وَسَيَأْتِي الْبَحْثُ فِي نِظَامِ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ فِي مَحَاوِرٍ عَدِيدَةٍ، وَلَهُ ضَوَابِطٌ وَمَوَازِينٌ أَعْقَدُ وَأَصْعَبُ مِنْ صَعُوبِهِ وَإِبْهَامِ ضَوَابِطِ التَّأْوِيلِ رَغْمَ مَا لِلتَّأْوِيلِ مِنْ غَمُوضٍ وَصَعُوبَةٍ عَلَيَّ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ، وَهَذَا يَسَاهِمُ فِي إِحْيَائِهِ الْمَأْثُورِ مِنَ الْحَدِيثِ فِي ذَيْلِ الْآيَاتِ، وَهَيْذِهِ مِنْ الْفَوَائِدِ الْبَالِغَةِ الْخَطُورَةِ لِلتَّرَاثِ الْمَأْثُورِ فِي ذَيْلِ الْآيَاتِ.

ص: ٢٠٦

تلاوه المعانى أهم من تلاوه الألفاظ فى القرآن الكريم

من الواضح لأهل البصيره أن القرآن الكريم ليس تلاوه أصوات وألفاظ، وإنما هناك فى القرآن تلاوه معانى وحقائق، وَعَلَيْهِ فبقدر ما لتنزيل الكتاب من قدسيه فلتأويل القرآن كذلك قداسه، وقداسه التأويل بحسب بيان القرآن أعظم من قداسه التنزيل وقداسه الأقدس لا توجب لنا التفريط بقداسه المقدس، وبنفس الوقت الحفاظ على المقدس لا يدعونا أن نستخف أو نستهين بما هو أقدس، وَعَلَيْهِ فتجب الموازنه فى البين بينهما لا أنه نترك الأقدس، وهو التأويل ونهتم بالتنزيل فقط، علماً أن القرآن الكريم يؤكد على أن التأويل أعظم قدسيه من التنزيل وأن الهدي والبصائر الموجوده فى التأويل أعظم من التفسير، وأن التأويل حاكم على التنزيل والتفسير، وذلك لخطوره التأويل، وهو القطب الأعظم فى القرآن الكريم، والذي يتلجج المفسرون من الخوض فيه إلا أنه له رواده المختصون به ومن سار على نهج مدرستهم وبتوفيق من الله تعالى ورواده هم أهل بيت النبوه عليهم السلام فضلاً عن أهميه الارتباط بحقائق القرآن الذى هو غايه الغايات من التفسير والتأويل، والناس عنه غافلون، ومن أحد المفارقات المهمه والخطيره بين النظرية الأولى والثانية فى قاعده الجرى، هو هذا الأمر فإن النظرية الأولى تجعل من المعنى الاستعمالى او التفهيمى

أو الجدوى القريب غايه غايات القرآن والنهايه المقصوده منه فيكون ذلك حجاباً عن بقيه بحور معانى القرآن فضلاً عن الوصول إلى حقائقه، وهذا بخلاف النظرية الثانية: - وهي المبتنيه على منهج أمومه الولاية على المحكمات فى تفسير القرآن، فإنها على الدوام تؤكد على العبور بتوسط التعبير والتأويل بغير الوصول إلى ما وراء بلا حد يقف عند مقام أو منزل من المنازل وكفى بهذا الفرق فارقاً وأهميه ليس فوقها خطوره، بل هذا الفرق فى الحقيقة ليس فرقا بين النظريتين فى قاعده الجرى فحسب، بل هو بالدقه وليد للفرق بين منهج أمومه المحكمات لتفسير القرآن، وبين عموم المناهج التفسيريه الأخرى.

وهذا مما يثبت المفسر على خطوره اختيار المنهج وتحديدده قبل الخوض فى علم التفسير.

الثمره الثانية: من الثمرات المهمه لقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير حسب النظرية الثانية هو أن الآيه الواحده يمكن أن يستدل بها لبيان المراتب العاليه وكذلك يمكن أن يستدل بها على بيان المراتب النازله من دون تجافى من المعانى العاليه إلى المعانى النازله كما فى قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) [\(١\)](#) وَالَّتِي هِيَ بصدد بيان المكنون الغيبى للقرآن، والتدبر بآياته وهم أهل آيه التطهير الذين هم فقط ينالون المكنون الغيبى للقرآن وأن القرآن محفوظ وفى منأى عن يد البشر أو فكره أو عقله فإن للقرين

ص: ٢٠٨

طبقات عاليه هي أسرار القرآن، كذلك يمكن الاستدلال بنفس الآيه المباركه على بيان الطبقات النازله وهو المس في مرتبه نازله، والمعنى الهابط الذي ينصرف إلى المس المادى بخلاف النظرية الأولى فإنها تتبنى تحديد المراد في خصوص المعنى بقالب وإطار وإن كان كلياً وعمماً إلا أنه لا يعنى ولا يتكفل بخصوصيات وتفصيل المصاديق فلا يستنبط من الآيه كل ذلك، حسب النظرية الأولى بخلافه على النظرية الثانية.

الثمره الثالثه: حسب النظرية الأولى - للسيد العلامة الطباطبائي ومن تبعه - في قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير، لا نستطيع تمييز الآيات القرآنيه وما هي اختصاصاتها فإذا عزلنا الجانب التنظيري عن التطبيقى كيفى نستكشف أن هذه الآيه المباركه مثلاً لا يمسها إلا المظهرون (٧٩) هي آيه من آيات الأحكام الفقهيه أو العقائديه أو الأخلاقيه أو من آيات العالم النفساني في القرآن.

وأما بحسب النظرية الثانية فيحصل التمييز والتلوين وأن هذه الآيه المباركه من آيات الأحكام الفقهيه أو من آيات العقائد أو من آيات المنظومه الأخلاقيه في القرآن أو... الخ. وهذا كثيراً ما يؤكد عليه أهل البيت عليهم السلام من عدم حبس الآيه في الأفق الضيق، فإن عظمه وسعه رحابه قائلها وهو الله تعالى لا تدركها أيها المفسر وتحبس الآيه المباركه في أفق ضيق وتقول هذا المراد منها فقط و فقط ليس الأمر كذلك لأن الآيه كالكنز والمعدن كل يستطيع أن يغرف منها بحسب ما أوتي من سعة رحابه فكر وعقل.

ولا يعنى ذلِكَ قوقعه معنى الآيه بَلْ يعنى ما مرَّ فى الثمره السابقه مِنْ استفاده التفاصيل مِنْ الآيات: - إِذْ هَذِهِ الثمره مترتبه عَلَى ما سبق.

ص: ٢١٠

بمعنى التطبيق أو التعبير

نذكر أمثله تطبيقه متنوعه لقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير عَلَى ضوء النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ فِي قَاعِدِهِ الْجَرِيِّ حَسْبَ مِنْهَاجِ أُمُومِهِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ مِنْهَا فِي ضَمَنِ آيَاتٍ وَأُخْرَى فِي ضَمَنِ رَوَايَاتٍ.

أَمَّا الْآيَاتُ:

النموذج الأول: قوله تَعَالَى: (وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) (١).

عَنْ عمر بن يزيد قَالَ: - قلت لأبي عبد الله عليه السَّلام: الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ؟ قَالَ: «نزلت في رَجْمِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ قَدْ تَكُونُ فِي قَرَابَتِكَ. ثُمَّ قَالَ: فلا تَكُونَنَّ مِمَّنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ: إِنَّهُ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ» (٢).

بتقريب: - إِنَّ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلامَ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لِعمر بن يزيد مورد نزول الآية وَأَنَّهَا نزلت فِي قَرِيبِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَيْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، أَرَادَ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلامَ أَنْ يُبَيَّنَّ: - أَنَّهُ لَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ يَعْنِي الْآيَةَ أَنَّهُ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ كَلَّا وَ إِنَّمَا قَدْ

ص: ٢١١

١- (١) سورة الرعد: الآية ٢١.

٢- (٢) أصول الكافي للكليني: ج ٢، ب ٦٨، صله الرجم: ص ١٦٣ ح ٢٨.

يكون نزوله في شيء، ولكن يمكن أن تعممه والاستفاده منه في موارد أخرى إذا كانت التعديده مُبتنيه على ضوابط وثوابت فحينئذ لا مانع من ذلك، وإن كان مقدرا استفاده المُفسّر من هذه التعديده ليست بالحجم الذي يستفاده أهل البيت عليهم السلام، ولكن لا- بمعنى إقصاء التنظير عن التطبيق ونفكك بينهما، وهذا التفكيك قطعاً مرفوض حسب النظرية الثانية على ضوء المنهج التفسيري أمومه الولايه على المُحكّمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن وَعَلَيْهِ فَالآيات لا تنجس في موارد نزولها مع اختلاف طبقات ودرجات المعاني والمعاني ليست في درجه واحده شدّه وضعفاً وقوّه ودنواً وعلواً و... الخ.

إذن الإمام عليه السّلام أراد أن يبيّن أن الآية إذا نزلت في شيء ليس معناه إنّها نزلت في هذا الشيء الواحد فقط وانتهى الأمر، ليس الأمر كذلك وإنما يُراد بالآيه بيان أشياء أُخر، مُضافاً إلى أن نفس أهل البيت عليهم السّلام المُطهرين هم على درجات، ففي الدرجه الأولى الخمسه أصحاب الكساء، ثمّ التسعه المعصومين في الدرجه الثانية، وحسب بيانات أهل البيت عليهم السّلام هناك مرتبه ثالثه لدائرته أهل البيت عليهم السّلام وتطهرهم، وهم نظير أبناء الأئمه عليهم السّلام الذين بدى الله تعالى في إمامتهم كإبراهيم بن النّبى الأكرم صلى الله عليه وآله الذي قال فيه النّبى صلى الله عليه وآله لو كان ابني حياً لكان نبياً وهذا لا يُنافي إنّّه لا- نبى بعدى وإنما النّبى صلى الله عليه وآله في مقام بيان قابليته ابنه إبراهيم عليه السّلام لذلك، أو بيان الإمام الصادق عليه السّلام حقّ ابنه إسماعيل المدفون في المدينة

المنوره قول الإمام الصادق عليه السلام: مراجعه الكشَى...

قول الهادى: عِنْدَ وفاه ابنه أحدث لله شكر...

أو السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بن الإمام الهادى عليه السلام المعروف بسبع الدجيل والمدفون فى منطقه الدجيلى وغيرهم.

الخلاصه: مِنْ كُلِّ هَيْدَا فَإِنَّ نزول الآيه القرآنيه قَدْ يكون هَيْدَا النزول عندنا جرى فيه مِنْ المرتبه النازله إلى العالیه، وَقَدْ يكون بالعكس، أَى فى قاعده الجرى يوجد قوس صعود وقوس نزول بقرينه ما قاله الإمام عليه السلام: «فلا تكونن ممن يقول للشىء أَنَّهُ فى شىء واحد» وَالْقُرْآن استعمل كُلِّ مِنْ قوس الصعود والنزول.

أَمَّا قوس الصعود كَمَا فى قوله تَعَالَى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) (٧٧) فى كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لا- يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) (١) بمعنى التَّدْبِرِ فى العالى وَهُمْ أَهل آيه التطهير هُمْ الَّذِينَ فَقَطْ ينالون المكنون الغيبى للقرآن، إِنَّهُ لقرآن كريم أو كتاب مكنون ومحفوظ فى منأى عَن يد البشر أو فكر أو عقل البشر، فَإِنَّ فى القرآن طبقات عالیه هى أسرار القرآن.

(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) (٢١) فى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢) (٢).

وَأَمَّا قوس النزول: فَإِنَّهُ يمكن الاستدلال بنفس الآيات السابقه للمرتبه النازله كَمَا فى قوله تَعَالَى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) (٧٧) فى كِتَابٍ مَكْنُونٍ

ص: ٢١٣

١- (١) سورة الواقعة: الآيه ٧٧-٧٩.

٢- (٢) سورة البروج: الآيه ٢٢.

(٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) .

بتقريب: - إِنَّهُ يَحْرَمُ مَسَّ الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ وَهَذَا الْمَسُّ مَرْتَبَةٌ نَازِلَةٌ نَظِيرَ الَّذِي يَتَطَهَّرُ بِالْوَضُوءِ فَهُوَ أَيْضاً مَرْتَبَةٌ نَازِلَةٌ لِأَنَّهُ يَوْجَدُ الطَّهَارَةَ لِنَفْسِهِ بِخِلَافِ الْمُطَهَّرِ الَّذِي يَتَطَهَّرُ بِالرُّوحِ أَوْ الَّذِي طَهَّرَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَهَذَا ذُو مَرْتَبَةٍ عَالِيَةٍ وَالَّذِينَ هُمُ أَهْلُ آيَةِ التَّطْهِيرِ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (١).

وَعَلَيْهِ فَهَذَا آيَةٌ وَإِنْ كَانَتْ قَدْ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ آيَةِ التَّطْهِيرِ - أَصْحَابِ الْكِسَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَفِي بَيَانِ الْمَوْقِعِ الْغَيْبِيِّ لِلْقُرْآنِ لَكِنَّ ذَلِكَ لَا يُنَافِي الْأَسْتِفَادَةَ مِنَ آيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي مَعَانِي نَازِلَةٍ، وَهَذَا أَحَدُ ثَمَرَاتِ قَاعِدَةِ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ مِنْ أَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَسْتَدَلَّ فِي آيَةِ الْوَاحِدَةِ عَلَى بَيَانِ الْمَعَانِي الْعَالِيَةِ وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ لَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى بَيَانِ الْمَعَانِي النَّازِلَةِ مِنْ دُونِ تَجَافِي بَيْنِ الْمَعْنِيَيْنِ - الْعَالِيَةِ وَالنَّازِلَةِ - وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى سَعَةِ شَمُولِيَةِ الْقَاعِدَةِ عَلَى حَسَبِ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ، نَ وَمَدَى إِحْيَاءِ وَحْيِيَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى وَفْقِ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ.

النموذج الثاني: قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (٩٠) (٢).

ص: ٢١٤

١- (١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

٢- (٢) سورة النحل: الآية ٩٠.

بتقريب: - إِنَّ الْآيَةَ الْمَبْرُوكَةَ بَيَّنَّتْ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ يَأْمُرُ بِهَا اللَّهُ تَعَالَى وَهِيَ: -

١ - العدل. ٢ - الإحسان. ٣ - إتياء ذى القربى.

ونَهتَ عَنْ ثَلَاثَةٍ: ١ - المنكر. ٢ - البغى. ٣ - الفحشاء.

وَكُلٌّ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ السُّتَّةِ فِي جَانِبِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ هِيَ عَلَى دَرَجَاتٍ، فَمِثْلًا، الْمُنْكَرُ عَلَى دَرَجَاتٍ وَرَأْسُ الْمُنْكَرِ أَيْنَ؟ وَكَذَا رَأْسُ الْفَحْشَاءِ وَالْبَغْيِ.

وَأَنَّ أَوَّلَ وَأَعْظَمَ مَصْدَاقٍ يَأْمُرُ بِهِ الْبَارِي تَعَالَى بَعْدَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ هُوَ إِيْتَاءُ ذَا الْقُرْبَى بِمَعْنَى صَلَاتِهِمْ وَمَوَاصِلَتِهِمْ الَّتِي هِيَ فِي حَدِّهَا فِي كَفِّهِ، وَالذِّينَ كُفِّ فِي كَفِّهِ أُخْرَى هَذَا بِحَسَبِ بَيَانِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (١).

بتقريب: - إِنَّ مَوَدَّةَ قُرْبَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَعَلَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بِمِثَابَةِ الذِّينِ كُفِّ بِمَا فِيهِ التَّوْحِيدَ وَالْعَقَائِدَ؛ وَلِذَا أَعْظَمَ شَيْءٌ شَدَّدَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بِحَسَبِ بَيَانَاتِهِ فِي كَمَلِّ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْبِرْزَخِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ عَلَى جَمِيعِ طَبَقَاتِهَا مِنْ نَاحِيَةِ أَنْ يَسُودَ الْعَدْلُ فِي الدُّنْيَا يَحْصُلُ ذَلِكَ بِصَلَةِ قُرْبَى النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَمِنْ نَاحِيَةِ الْجَانِبِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ وَالْعِلْمِيِّ وَ... الخ

ص: ٢١٥

١- (١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

فعلیکم بولایہ النبی صلی اللہ علیہ و آلہ و قریبہ - صلوات اللہ علیہم أجمعین - وَعَلَيْهِ فَبِحَسَبِ النَّظَرِ الْأُولَى فِي قَاعِدِهِ الْجَرَى الَّتِي يَتَبَاهَا السَّيِّدُ الْعَلَمَاءُ الطَّبَاطِبَائِيُّ وَمَنْ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ تَقُولُ: - اعزل الجانب التنظيري عَن التطبيق المصادقي، وَهَذَا مَعْنَاهُ النَّظَرُ فَقَطُ وَفَقَطُ إِلَى مَفْهُومِ الْعَدْلِ مِنْ دُونِ النَّظَرِ إِلَى التَّطبيقاتِ، وَهَكَذَا النَّظَرُ فَقَطُ إِلَى مَفْهُومِ الْقُرْبَى بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْمَصَادِقِ وَهَكَذَا، وَهَذَا مِمَّا لَا تَرْتَضِيهِ النَّظَرِيَّةُ الثَّانِيَّةُ الَّتِي تَبْنَاهَا مِنْهَا مَوَاهِجُ الْوَلَايَةِ وَالْمَحْكَمَاتِ وَأَنَّ كُلَّ مَرَادَاتِ الْآيَةِ هِيَ مُرَادَةٌ لَنَا، فَهِيَ آيَةٌ فِي النَّظْمِ الْعَقَائِدِيِّ، وَآيَةٌ فِي النَّظْمِ الْقَانُونِيِّ وَفِي النَّظْمِ الْأَخْلَاقِيِّ وَالْأُسْرِيِّ وَالْفَرْدِيِّ... الخ.

فَهَذِهِ الْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ كَأَطَارٍ تَسْتَوْعِبُ كُلَّ هَذِهِ الْأَصْعَدِ وَالْأَنْظُمِ لَا سِيَّمَا الْأَنْظُمِ وَالْأَسْعَدِ الْعَالِيَةِ مِنْهَا، وَعَلَيْهِ فَيَتَّضِحُ جَلِيًّا بَيْنَ أَنْ نَعْزِلَ التَّنْظِيرَ عَنِ التَّطْبِيقِ وَنَجْعَلَ التَّنْظِيرَ قَشْرِيًّا جَافًا وَبِمَعْزَلٍ عَنِ مَقَامِ التَّطْبِيقِ وَتَكُونَ الْآيَةُ سَوَاءً فَهْمِيَّةً أَوْ عَقَائِدِيَّةً أَوْ أَخْلَاقِيَّةً أَوْ... الخ أَوْ تَكُونَ مُجَرَّدَ تَوْصِيَّاتٍ فَهْمِيَّةً أَوْ عَقَائِدِيَّةً أَوْ أَخْلَاقِيَّةً.

فَلَوْ بَقِينَا نَحْنُ وَالنَّظَرِيَّةُ الْأُولَى وَعْزَلَهُ التَّنْظِيرَ عَنِ التَّطْبِيقِ كَيْفَ نُمَيِّزُ الْآيَاتِ فِيمَا بَيْنَهَا وَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ آيَاتِ الْأَحْكَامِ فِي الْفِقْهِ، أَوْ أَنَّهَا مِنْ آيَاتِ الْعَقَائِدِ أَوْ مِنْ آيَاتِ الْمَنْظُومَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، أَوْ مِنْ آيَاتِ الْعَالَمِ النَّفْسَانِيِّ فِي الْقُرْآنِ أَوْ... الخ فَإِنَّهُ لَا نَسْتَطِيعُ التَّفْرِيقَ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْآيَاتِ إِلَّا عَلَى وَفْقِ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَّةِ فِي قَاعِدِهِ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ عَلَى ضَوْءِ مَوَاهِجِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ فَضْلًا عَنِ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ.

تنبيه: علماً أنّ هـذِهِ المؤاخذه - وهى عدم التمييز بين آيات القرآن - لا تسجل فقط على منهج السيد العلامة فقط، بل حتى على المنهج الفقهى الذى عزل آيات الأحكام عن آيات العقائد، كما بينا فى محلّه مفصلاً.

والخلاصه: إنّ قاعده الجرى حسب النظرية الثانية وفق منهجنا التفسيرى للقرآن أمومه الولايه تختزن فى دلالتها ومفادها مؤديات ومفادات عمده فليس هناك تصنيف آيات أحكام الفروع وآيات معارف فى العقائد، وآيات فى الأخلاق وفى الفيزياء وفى الكيمياء والفلك والرياضيات والطبيعه و... الخ فإنها بحسب ظاهرها الأولى تصنف الآيات إلى علوم عديده، إلا أنه وفق قاعده الجرى على طبق منهج أمومه الولايه تكون كل آيه فيها مكنوز لا ينفذ لكل علم.

وعليه لا مانع من استفاده الفقيه حكماً فقهياً من آيه معينه، وفى نفس الوقت يمكن الاستفادة من الآيه فى علم آخر كعلم المعارف والعقائد أو الأخلاق أو... الخ.

فمثلاً آيه الوصيه (إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ...) (١) يُستفاد منها

ص: ٢١٧

حكماً فرعياً فقهياً، والمتكلمون بحثوا في مبحث الوصية شيئاً فشيئاً حتى استفادوا منها مطالباً عقائدياً مثل: - كيف أن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله يرحل إلى الرفيق الأعلى ولا يوصى فيما هو أكبر تراث وحياني وهو غير ممكن ولا يُبد من وصى ووسيط عنه في الأمر، وهكذا قوله تعالى: (خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) (١) فقد استدل الشيخ الطوسي قدس سره في كتابيه المبسوط والخلاف على لزوم تساوي الفرص وتكافؤها في الاستفادة من الموارد الطبيعية العامة، وهذا حكم فقهي مع أن الظهور الأولي للآية هو في مبحث عقائدي ومع ذلك استفيد منه حكماً فقهياً.

إذن تمتاز النظرية الثانية عن الأولى بأن جميع الآيات القرآنية وبرمتها يمكن أن يستفاد منها علوم شتى من كل آية آية وإن كان الظاهر والابتداء الأولي لها تصنف في علم معين إلا أنها وبحسب النظر العميقة والدقيقة يجرى مفاد كل آية آية إلى علوم شتى طبق ضوابط وموازين وليس الأمر مبنياً على الخلط والخبط.

ولذا من الخطأ في نظام الظهور والاستعمال في آيات القرآن الكريم إقعاده واستظهار هيكل بنائه بشكل متفوق وضيق في موارد معينه، فلو رجعنا إلى بيانات أهل البيت عليهم السلام نجد إلى ما شاء الهل من الآيات العديده هي في مجال، ولكن أهل البيت عليهم السلام يبينون مفادها أنها في مجال آخر أيضاً.

ص: ٢١٨

وفى روايه عن الإمام الباقر عليه السّلام: «لو وجدتُ لعلمى الذى آتانى الله عزَّ وجلَّ حَمَلَهُ لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدّين والشرائع من الصمد وكيف لى بذلك ولم يجد جدى أمير المؤمنين عليه السّلام حمله لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ويقول على المنبر (سلونى قبل أن تفقدونى)...»(١).

ومن الواضح أنّ قدره أئمه أهل البيت عليهم السّلام تميّزت عن قدرات غيرهم لأنّها وحيانيه وليس فقط يستفيد الإمام عليه السّلام هذا كلّهُ من آيه واحده بل له القدره على الاستفاده من لفظه واحده يمكن أن يستخرج منها مكنوز ومخزون كبير، وكذا المفسر المتتبع لمنهجم عليهم السّلام فإنّه بإمكانه استفاده ذلك في مجالات عديده وبضوابط وثوابت مع ملاحظه كلا منطقتى التنظير والتطبيق حسب النّظريّه الثانيه.

وأما الروايات:

النموذج الثالث: ما رواه الطبرسى في الاحتجاج عن الباقر عليه السّلام قال الك قال النّبى صلّى الله عليه وآله في خطبه يوم الغدير(٢) ما نصّه في الاحتجاج للشيخ

ص: ٢١٩

١- (١) التوحيد للصدوق، ص ٩٤.

٢- (٢) لا يخفى على المتتبع أن خطبه الغدير لها نسخ متعدده ولعلّ صاحب كتاب الغدير العلّامة الأمينى رحمه الله ركّز على بيان بعض فقراتها، ومن خلال التتبع لاحظ شيخنا الأستاذ محمد السند - دام عزّه - أن كثيراً من الرواه لهذه الخطبه الشريفه والنفيسه ليوم الغيدر غفلوا عن العديد من فقراتها، والخطبه التى خطبها النّبى صلّى الله عليه وآله عندما ارتقى تلك الهوادج بعد جمعها وجعلها كمنصّه ويراها صلّى الله عليه وآله الجميع وكان قد أخذ صلّى الله عليه وآله بيد على عليه السّلام وعن يمينه الإمام الحسن عليه السّلام وعن شماله الإمام الحسين عليه السّلام وهذا المنظر الرباعى لا- الثنائى، وهذا له مفرعاً، وهنا توجد عدّه ملحوظات: -الأولى: إنّ الخطبه طويله وربما استغرقت ساعه أو أكثر - والله العالم - بحسب فقراتها.

«... معاشر الناس هَذَا عَلِيٌّ أَنْصِرْكُمْ لِي وَأَحِقِّكُمْ بِي وَأَقْرِبْكُمْ إِلَيَّ وَأَعَزِّكُمْ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَا(١) عنه راضيان وما نزلت آية رضىَ إِلَّا فِيهِ، وما خاطب الله الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا بَدَأَ بِهِ، ولا- نزلت آية مدح في القرآن إِلَّا فِيهِ، ولا- شهد بالجنه في هل أتى عَلَيَّ الْإِنْسَانَ إِلَّا لَهُ وَلَا أَنْزَلَهَا فِي سِوَاهُ وَلَا مَدْحَ بِهَا غَيْرَهُ... معاشر الناس إِنَّ فَضَائِلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ أَنْزَلَهَا فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ أَحْصِيهَا فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ، فَمِنْ أَنْبَاءِكُمْ بِهَا وَعَرَفَهَا فَصَدَّقُوهُ...»(٢).

ص: ٢٢٠

١- (١) وأنا: - أي رسول الله صَلَّى الله عليه و آله.

٢- (٢) الاحتجاج للطبرسى: ج ١، ص ٧٤-٨٠ في احتجاج النبي صَلَّى الله عليه و آله يوم الغدير على الخلق كلهم وفي غيره من الأيام بولايه على بن أبي طالب عليه السلام، ومن بعده ولده من الأئمة المعصومين عليهم السلام.

وَهَذِهِ الْخُطْبَةُ بَيَّنَّتْ فَضَائِلَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَقَامًا فِي غَيْبِ الْغَيْبِ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ غَيْرَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَحَتَّى غَيْرَ مَا فِي الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَقَامٌ يَقْرَبُ مِنَ السَّدَنَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَيْ السَّرَادِقَاتِ وَالْعَصْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يُبَيِّنَ فَضْلَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ مَنْزِلَهُ وَمَقَامَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَسَاسِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ أَنْزَلَهَا عَلَى الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْقُرْآنِ، وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصِيَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، فَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَكَرَ فِي حَقِّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ «وَلَا نَزَلَتْ آيَةٌ مَدْحٍ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِيهِ، وَلَا شَهِدَ بِالْجَنَّةِ فِي هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ آيَةٌ... وَمَا مِنْ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا عَلَى أَمِيرِهَا» وَيَتَحَمَّلُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَسْئُولِيَّةَ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَقَامًا غَيْبِيًّا رَفِيعًا فَقَطْ مَا تَعْرِفُهُ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَرْوَاحُ وَالسَّمَاوَاتُ وَالْجَنَانُ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لَا يَعْرِفُكَ يَا عَلِيُّ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَا».

مُضَافًا إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي خُطْبَةِ الْغَدِيرِ لَمْ يُؤَكِّدْ فَقَدْ عَلَى وَوَلَايَةَ إِمَامِهِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ وَآكَّدَ عَلِيُّ إِمَامَةَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ بِخُصُوصِهِمَا وَأَيْضًا ذَكَرَ حَدِيثَ الثَّقَلَيْنِ وَالتَّأَكِيدَ عَلَى جَمِيعِ عَتْرَتِهِ وَهُمْ أُمَّةٌ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي خُطْبَةِ الْغَدِيرِ: -

«... مَا جِئْتُ بِهِ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ وَلِدِهِ... مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّكُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَصَافِقُونِي بِكَفْرِ وَاحِدٍ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ آخُذَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمْ الْإِقْرَارَ بِمَا عَقَدْتُمْ لِعَلِيِّ مِنْ إِمْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْأُمَّةِ مِنِّي وَمِنْهُ عَلِيُّ مَا أَعْلَمْتُمْكُمْ

.... نُطِيعُ اللَّهَ وَنَطِيعُكَ وَعَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَدَهُ الْأَثَمَةَ الَّذِينَ ذَكَرْتَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ صُلْبِهِ بَعْدَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ الَّذِينَ قَدْ عَرَفْتُمْ مَكَانَهُمَا مِنِّي وَمَحَلَّهُمَا عِنْدِي وَمَنْزِلَتَهُمَا مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ... وَقُولُوا أَطَعْنَا اللَّهَ بِذَلِكَ وَإِيَّاكَ وَعَلِيًّا وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالْأَثَمَةَ الَّتِي ذَكَرْتَ... الخ» ١ .

وَعَلَيْهِ الْغَرَضُ مِنَ الْإِسْتِشْهَادِ بِهَذِهِ الرِّوَايَةِ عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهَا جَانِبَ تَطْبِيقِي مُحَضَّرٍ كَمَا تَبَيَّنَتْ ذَلِكَ النَّظَرِيَّةُ الْأُولَى فِي الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ الَّتِي يَعْتَمِدُهَا السَّيِّدُ الْعَلَمَاءُ قَدَّسَ سِرَّهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَعْلَامِ الْمُفَسِّرِينَ، بَلْ الْجَانِبُ التَّطْبِيقِي هُوَ الْأَصْلُ وَبَيَانُ مَقَامِ وَمَنْصَبِ الْوَلَايَةِ جَانِبَ مُعْتَمِدِ أُسَاسِي وَفِيهِ مَحْطٌ وَنَظَرٌ لِلخُطَابِ الْإِلَهِيِّ، فَنَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ الرَّأْيَ السَّيِّدِي فِي خُطَابِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالنَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَكُلِّ خُطَابَاتِ الشَّرِيعَةِ وَالْوَحْيِ مِنْ قَبْلِهَا لَيْسَ الْمَخَاطَبُ فِيهَا الْمَشَافَهِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَخَاطَبُهُمْ وَيَشَافَهُهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْمَسْجِدِ، بَلْ وَلَيْسَ الْمَخَاطَبُ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنْ غَابُوا وَلَمْ يَحْضُرُوا مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِنَّمَا الْمَخَاطَبُ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ عَمُومِ أَجْيَالِ الْبَشَرِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْخُطَابَ وَالْمَخَاطَبَ هُوَ مِنْ مَدْلُولِ الْكَلَامِ، وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَ الْخُطَابُ وَالْمَخَاطَبُ مِنْ مَدْلُولِ الْكَلَامِ فَكَيْفَ يَكُونُ جَانِبَ التَّطْبِيقِ مَعْرُوضًا عَنِ جَانِبِ التَّنْظِيرِ؟

نعم، لا نقول أن التَّنْظِيرَ مَنَحْبِسُ فِي تَطْبِيقِ لِمُورِدٍ وَاحِدٍ، وَلَكِنْ

بنفس الوقت لَيْسَ التنظير منعزلاً عَن التطبيق وَإِنَّمَا يجرى فِي المعنى وَيجرى فِي التطبيق عموم المعنى.

وَعَلَيْهِ فيكون قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «وما خَاطَب اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا بِدَأْبِهِ» هُوَ نفس نظام منهج أمومه الولايه عَلَى المُحكَمات فِي القرآن، وَأَنَّ معنى الأمومه عِنْدَمَا يُقال ابتداءً بما هُوَ المصداق الأعظم لا أَنَّهُ انحصر به ولا منافاه بين البُداء به وبين أَنَّ يشمل غيره وعدم الانحصار به.

صحيح أَنَّ المصداق الأعظم فِي الجانب التطبيقي هُوَ المحور وَهُوَ المركز ولكن لَمْ يَنحصر به، وَعَلَيْهِ فالمقام يكون ذا جنبتين: - جنبه توسعه ورحابه أفق. وجنبه أُخْرَى: محوريه لذلك المصداق الأعظم أَي محوريه الولايه، مثلاً- قوله تَعَالَى (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ) (١). فالمُحكَمات هِيَ الأم والمحور هِيَ بعضُ والبعض الآخر متشابهات ولا تنافى فِي التبعض، ولكن لَيْسَ بعضٌ فِي مصافٍ وعرضٍ بعضٍ، فَهَذِهِ الآيه مثلاً ليست منحصره فِي أهل البيت عليهم السَّلام ولا مانعٌ مِنْ اندراج أهل البيت عليهم السَّلام مَعَ غيرهم فِي تصوير معنى الآيه وفي عرض واحد مَعَ بقيه المصداق، هَذَا كُلُّهُ بحسب النَّظْرِيَّةِ الثَّانِيَةِ، فحينئذٍ هَذِهِ هِيَ المؤاخذه والإخفاق فِي الوصول إِلَى حقيقه حاق معنى الآيه عَلَى حسب النَّظْرِيَّةِ الْأُولَى.

ص: ٢٢٣

١- (١) سورة آل عمران: الآية ٧.

والخلاصه مِنْ كُلِّ هَذَا: إِنَّ القاعده الجاربه فى القرآن الكريم كَمَا قَالَ الإمام الباقر عليه السّلام: «... وما نزلت آبه رضى إلاً فىه، وما خاطب الله الَّذِينَ آمَنُوا إلاً بدأ به ولا نزلت آبه مدح فى القرآن إلاً به...» لَيْسَ معنى هَذَا الحصر بمصداق واحد ولا تغييب التطبيق عَن التنظير ولا بمعنى تساويهما - التطبيق والتنظير - وإنما يريد أن يُبين صلى الله عليه وآله أن المدايل القرآنيه وأُمّ التطبيقات وأسسها هُو المصداق الأعظم والأتم الذى هُو نفس منهج أمومه الولايه والمحكمات والمدار عَلَى المحور والمصداق الأعظم ثم يأتى مجال المصدايق الذى هُو أقل شأنًا حتّى تتخفف لونا، وَعَلَيْهِ فأراد النَّبِىَّ صلى الله عليه وآله أن يُبين أن آيات الرضا وآيات المدح وآيات الإيمان وآيات تحمل المسؤوليّه... الخ فإن لها قَمّه الهرميّه وَالتّى تبدأ بعلى عليه السّلام فتتنزل إلى مصدايق وطبقات أُخْرَى بشكل أخفّ وبشكل أقلّ لونا فأقلّ هرميّه إلى أن تصل إلى سائر المؤمنين.

والشاهد مِنْ خطبه الغدير هُو: «... وما نزلت آبه رضى إلاً فىه، ما خاطب الله الَّذِينَ آمَنُوا إلاً بدأ به ولا نزلت آبه مدح فى القرآن إلاً فىه ولا شهد بالجنّه فى هل أتى عَلَى الإنسان إلاً لَهُ ولا أنزلها فى سواه ولا مدح بها غيره و... الخ».

بتقريب: - حسب النَّظْرِيّه الثّانيه فى قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير أن مقام التنظير لا يُعزل عَن التطبيق، وَإِلاً إِذَا عزلنا التنظير عَن التطبيق أو العكس لأصبح إخواءً لهما وَإِلاً فما معنى ما نزلت آبه رضى

إِلَّا فِيهِ أَى فِي عَلَى عَلَيْهِ السَّلَام، أَوْ مَا خَاطَبَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا بِدَأْبِهِ... الخ أَى بَعْلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَام، فَنَلْحَظُ الْجَانِبَ التَّنْظِيرِيَّ، وَهُوَ آيَةُ الرِّضَا لَا- يُمْكِنُ عَزْلُهُ عَنِ الْمَصْدَاقِ الْأَعْظَمِ وَالْأَخْطَرِ وَلَوْ عَزَلَهَا لَقَالَ: - وَمَا نَزَلَتْ آيَةُ رِضَا ثُمَّ يَسْكُتُ فَتَبْقَى الْعِبَارَةُ فِيهَا نَقْصٌ عَلَى مَسْتَوَى الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي، وَهَكَذَا الْفَقَرَاتُ الْأُخْرَى.

وَمِنْ خِلَالِ هَذَا كُلِّهِ نَسْتَفِيدُ أَنَّ الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ فِيهِ تَبْيَانٌ وَتَرْكِيزٌ وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَقَامَ التَّطْبِيقِ مَعْنَى وَمَرَادٌ وَلَيْسَ مَعزُولًا عَنِ جَانِبِ التَّنْظِيرِ، بَلْ الْجَانِبُ التَّطْبِيقِيُّ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ وَالْأَهْمُ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِالْحَصْرِ فِيهِ فَقَطٌ وَإِنَّمَا مَعَ ذَلِكَ لَهُ سَعَةٌ فِي غَيْرِهِ.

وَعَلَيْهِ فَالصَّحِيحُ حَسَبَ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ عَلَى ضَوْءِ مَنْهَجِ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمَحْكَمَاتِ أَنَّ تَنْظِيرَ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرَهَا لَيْسَ عَلَى عَزْلِ مَقَامِ التَّنْظِيرِ عَنِ مَقَامِ التَّطْبِيقِ، بَلْ امْتِزَاجُ التَّطْبِيقِ بِالتَّنْظِيرِ لَكِنَّ مَعَ سَعَةِ فِي الْآفَاقِ لَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ إِنَّهُ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ وَلَا- سَعَةٌ وَلَكِنْ كُفْلٌ ذَلِكَ عَلَى دَرَجَاتٍ؛ وَلِذَا يَنْبَغِي مَلَاخِظُهُ طَبَقَاتُ الْجَرَى فَإِنَّهَا كُلُّهَا مَدَالِيلُ قُرْآنِيَّةٍ فَإِنَّ التَّطْبِيقَ مَعْنَى وَمَرَادٌ، وَكَذَا مَقْصُودُ التَّنْظِيرِ مَعْنَى وَمَرَادٌ لَكِنَّ الْإِرَادَةَ وَالْمُرَادَ الْجَدِّيَّ وَالْمَقْاصِدَ عَلَى دَرَجَاتٍ؛ وَلِذَا مِنْ الضَّرُورِيِّ مَلَاخِظُهُ الْمَرْتَبَةُ الْعُلْيَا فَصَدُّ تَكُونِ الْمَرْتَبَةِ الْعُلْيَا أَيْدِيَهُ وَأَزْلِيَّتُهُ كَمَرْتَبَةِ عَقَائِدِهِ وَالْمَرْتَبَةُ الدُّنْيَا فَرَعِيَّةٌ فَقَهِيَّةٌ، وَفِي مَرْتَبَةِ ثَلَاثَةِ أَخْلَاقِيَّةٍ وَرَابِعِهِ... الخ وَأَمَّا كَوْنُ مَعْنَى الْآيَةِ يَنْحَصِرُ فِي الْمَرَاتِبِ الْعُلْيَا فَهَذِهِ دَعْوَى لَيْسَتْ

موجوده فى الروايات الواردة عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السّلام وتقدّم فى الروايه عَنْ الإمام الصادق عليه السّلام: «... ولا تكوننّ ممّن يقول للشىء أنّه فى شىء واحد».

والأئمه عليهم السّلام يدعون إلى عدم انحصار الشخص الواحد، بل نفس الإمام الصادق عليه السّلام يقول: «وقد يكون فى قرابتك لكنّ ولاؤك لقرابتك ليس كولاؤك ووصلتك بقرابه النّبىّ صلى الله عليه وآله».

مُضَافاً إلى أنّ كلاً من الفريقين يروون هذه الروايه: «لا يكمل إيمان عبدٍ حتّى يؤمن بالله ورسوله وقرابه رسول أحب إليه من نفسه ومن قرابه نفسه».

وعليه فليس المنظور درجات تلك الوصله العقائديه، وإنّما المنظور الأقل منها أو الدرجه الفقيهيه أو الأخلاقيّه وغيرها.

وهكذا: (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) (١).

وعليه فإنّ مثل هذه الشواهد من الآيات والروايات وغيرها ما هو الموقف منها وكيف تُخرّج على مبنى السّيد العلامه الطباطبائى، فإنّها آيه واحده يُستفاد منها عدّه جنّبات: - جنبه أخلاقيّه وهى ثواب صلّه الرّحم، وجنبه فقهيه، وجنبه عقائديه وغيرها،

والمهم الذى نريد أن نذكره هو أنّ التّظريّه الثانيه هى الكفيله فى

ص: ٢٢٤

جمع هذه الوجوه والجنبات المختلفه للآيه الواحده: لا النَّظْرِيَّهَ الْاُولَى الَّتِي تَبَنَّاها السَّيِّدُ الْعَلَّامَه قَدَّسَ سِرَّهُ.

شاهد آخر: قول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِابْنَتِهِ السَّيِّدَه وَالده الحَجَّجِ فَاطْمَه الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ: «إِنَّكَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ» (١).

بتقريب: - إِنَّ الرَّسُولَ الْأَعْظَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيَّنَّ الْمَصْدَاقَ الْأَعْظَمَ وَالْأَخْطَرَ مِنْ بَيْنِ النِّسَاءِ هُوَ فَاطْمَه الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَأَنَّهَا وَصِفَتْ بِهَذَا الْوَصْفِ الْعَظِيمِ وَهُوَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٢).

ص: ٢٢٧

١- (١)

٢- (٢) وقول الزهراء عليها السلام لأبيها أليست مريم بنت عمران عليها السلام سيده نساء العالمين؟ فأجابها النبي صلى الله عليه وآله: إنها سيده نساء عالمها، وتلك مريم الصغرى وأنت يا فاطمه مريم الكبرى وأن مريم الصغرى طاهره بطهاره صغرى، وأنت يا فاطمه طاهره بطهاره كبرى، وأن الذي نزل في مريم كان المقصود الأول منه هو فاطمه قبل أن يكون لمريم: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) بتقريب: أَنْ هَذَا مُرَادٌ نَعْتِي لِلْبَارِي تَعَالَى. ومعنى مريم بالعبريه: - هِبَةُ اللَّهِ وَهُوَ نَعْتُ، وأبرز مصاديق هذا النعت هو فاطمه الزهراء عليها السلام. ففي الروايات أن جبرائيل عند ما أتى مريم بنت عمران تمثّل لها بشراً سوياً، بينما توجد روايه من طرقنا - الخاصه - أن كلاً من جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أتوا فاطمه عليها السلام وجلسوا جلسه العبد حتى فرغت فاطمه عليها السلام ساعات طويله من تهجدها في الليل فأتوها بمصحف فاطمه عليها السلام، علماً أن إسرافيل لا ينزل إلّا في المهام الخطره والصعبه، وبعد ذلك انظر الفرق بين مريم عليها السلام وبين فاطمه عليها السلام؟ أين تعبير القرآن في حق مريم: (فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) (١٧) قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً (١٨). سورة مريم: الآيه ١٧-١٨. بتقريب: - إنها حاله وجل وذعر وخوف لمريم عليها السلام، وأين جلسه ثلاثه من رؤوس الملائكه جلسه العبد عند فاطمه الزهراء عليها السلام حتى تفرغ من تهجدها، كل ذلك حسب ما جاء في زياره الجامعه لأئمه المؤمنين والمسلمين عليهم السلام بسند معتبر: «... حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم... إلّا عرفهم جلاله أمرهم وعظم خطرهم وكبر شأنهم...» عدا

والخلاصه: إنَّ الروايه الشريفه ترسم لنا هندسه تامَّه لمعنى قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير، وكيف أَخَذَ مقام التطبيق في مقام التنظير، وكيف أنَّ التنظير والتطبيق عَلَى طبقات ودرجات مُرَّاده، ولكن

ص: ٢٢٨

بنحو طبقات ودرجات أمومه.

فمثلاً المدلول التنظيري للمتشابهات يتدخل في المحكمات، كما في الآية (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) (١).

وبالتالي إذا أردت أن ترفع لَبَسَ المتشابهات فارجع إلى أمر المتشابهات إلى الأم أي إلى المُحْكَمَاتِ، وَعَلَيْهِ فَأَصْبَحَ دور المحكمات في المتشابهات دوراً مُدَاخِلِي فِي المدلول التنظيري، فإذا كانت المحكمات كَذَلِكَ فالولاية أعظم في دخلتها في رسم وتنظير مدلول الآيات القرآنية.

فالقُرْآنُ الكَرِيمُ يرسم بهذه الآية المباركة نظاماً علمياً لنفسه في محوريه أمومه الولاية، ولذا عِنْدَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «... وما خاطب الله الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا بِدَأْ بِه» أي بعلى عليه السَّلام، ولماذا بدأ بعلى عليه السَّلام وَلَمْ يبدأ بغيره، وَعَلَيْهِ فَالْبَدَأُ بعلى عليه السَّلام يكون المعنى تاماً وبمستوى كامل.

النموذج الرَّابِعُ: ... حُثْرَانُ بْنُ أَعْيُنَ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ: «ظَهَرَ الْقُرْآنُ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمْ، وَبَطْنُهُ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ» (٢).

بتقريب: - إِنَّ ظَهَرَ الْقُرْآنَ الَّذِي نَزَلَ فِيهِمْ مُعَلَّنٌ فِي هَؤُلَاءِ، وَأَنَّ

ص: ٢٢٩

١- (١) سورة آل عمران: الآية ٧.

٢- (٢) تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٦ باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

ظهره وبطنه تأويله منه ما مضى، ومنه ما لم يكن بعيد يجرى كما ترجى الشمس والقمر، فإن الذين عملوا بمثل أعمالهم يجرى فيهم ما أنزل في أولئك وعليه فلا تستطيع أن نقول الذى نزل فيهم غير معينين بالتطبيق؛ بحجه أن التطبيق غير التنظير كلا فإن كلا من التطبيق والتنظير مراد، فكما أن الذين نزل فيهم القرآن غير منعزلين عن التنظير كذلك فيمن يجرى فيهم.

والشياء الجديدة الذى يؤكده الإمام عليه السلام ويوضحه لنا هو أن حتى مداليل القرآن الكريم حيه متجدده متوسعه على جرى واتساع آفاقها وهي كما هو واضح من الأصل معلومه عند الباري ولكنها بالنسبه إلينا تتكشف وتظهر شيئاً فشيئاً فهي سابقاً كانت بالنسبه إلينا كامنه وباطنه فتظهر شيئاً فشيئاً والكل معنى بذلك لأنه تقدم إن بحث التطبيق مرتبه من مراتب المراد الجدوى؛ ولذا المصديق النبي خاطبهم القرآن الكريم أمثال أبي جهل أو الوليد بن المغيرة أو فرعون الذى قال (ذرنى و من خلقت وحيداً) (١) (١) صحيح أن الباري تعالى من أول الأمر لم يرد فرعون مصر فقط، وإنما قصده وقصد كل فرعون وفى كل زمان ومكان، وهذا معنى سارى وجرى فى هذا القالب إلى يوم القيامة، وهكذا همام وكل متجبر ومتكبر لا يؤمن بيوم الحساب (فرعون و همام و جنودهما) (٢) أى

ص: ٢٣٠

١- (١) سورة المدثر: الآية ٧٤.

٢- (٢) سورة القصص: الآية ٦.

هامان وفرعون كُلَّ عصر ومكان، وكذا نمرود... فَإِنَّهُ أريد مِنْ ذِكْر هَذِهِ المصَاديق المعنى العام وَلَيْسَ المراد أَنْ تنظر إلى التطبيق بعيداً وبمعزل عَنِ التَّنْظِيرِ، فمثلاً- لو أبعَدتْ شخصيه النمروديه عَنِ تَنظِيرِ معنى الآيات الوارده فى معنى نمرود فَإِنَّ تلك الآيات أصلاً تصيح خاويه عَنِ معناها، وَعَلَيْهِ: - لا- يمكن إقصاء وعزل التَّنْظِيرِ عَنِ التطبيق، ولكن هَذَا التطبيق لَيْسَ حادثاً للآيه كَمَا يتوهمه أصحاب النَّظَرِيَّه الأولى الَّذِينَ عزلوا التَّنْظِيرِ عَنِ التطبيق خوفاً مِنْ محذور الحبس والعكس هُوَ الصحيح إذ لا انحباس فى امتزاج وتداخل التَّنْظِيرِ مَعَ التطبيق وَإِنَّمَا فيه نوع مِنْ بناء الظهور وعظمه مفاد الآيه لما أُريد مِنْ مغزاها العظيم وَالْمُهْمُ المحافظه عَلَى ذَلِكَ المغزى المهم للآيه مَعَ توسعها وجريانها.

وهكذا البيانات النبويه الَّتِي خوطبت بها مريم بنت عمران وَهِيَ المخاطب الأصيلى والجدى، ولكن هُنَاكَ مخاطب وراء الجدى هُوَ مريم الكبرى أَى فاطمه الزهراء عليها السَّلام لذلك وَرَدَ أَنَّ مريم مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ بِفاطمه عليها السَّلام ومعنى المَثَلُ هُوَ أَنْ لا تقف عِنْدَ المُمَثَلِ به أو المُمَثَّلُ لَهُ واعبره وتجاوزه وَالْقُرْآنُ يأمركَ بذلك العبور وَأَنْ لا تجمد عَلَى الممثل به. وما ذكر فى البيان النبوى مجاز عقلى وَعَلَيْهِ فكيف ينظر مثل السَّيِّدِ العلامه الطباطبائى قدس سره إلى المقام وفق ما تبناه مِنَ النَّظَرِيَّه الأولى القائمه عَلَى عزل التَّنْظِيرِ عَنِ التطبيق والنظام الاستعمالى فى الْقُرْآن هُوَ الذى عَمَّقَ اللُّغَةَ العربيه فى الْقُرْآن.

وَعَلَيْهِ فَاكْتِشَافِ النَّظَامِ اللَّغْوِيِّ أَوْ الِاسْتِعْمَالِيِّ أَوْ... الخ وتوسعته وعميقه لا- ينحصر بما اكتشفه وأسسه البلاغيون والنحويون والصرفيون وعلماء الأدب أو المفسرون وليس الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه والكسائي والفراء... الخ قد اكتشفوا قواعداً لم يكتشفها قبلهم علماء الفن، وعليه فما بال هؤلاء لهم الحق في الاكتشاف ولا- نكتشف نحن من بيانات القرآن وأهل البيت عليهم السلام قواعداً للنظام اللغوي بلغه القرآن ولسان عربي فصيح.

إذن قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير مأخذه من تعبير القرآن الذي هو علوم القرآن وهو تعبير حقائق لا تعبير أحلام، وإنما إعبّر وتجاوز من (لقد كان في قصصهم عبرة) (١) أو (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) (٧) (٢) إلى الجمال المحمدي والعلوي والفاطمي والحسني والحسيني... والمهدوي صلوات الله عليهم أجمعين وعجل الله فرجهم ففيه علامه للعبور.

وهذا يدل على أن قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير بهذا البيان فيها فضاء وعالم آخر من نظام الاستعمال وإن كان القرآن يقول: ذكرتها لكم هيذه الأمثلة واستعملتها وأردتها جداً ولكن لا تقفون عندها المراد الجدى فقط وإنما عبروا إلى جدى وراءه وهكذا.

ص: ٢٣٢

١- (١) سورة يوسف: الآية ١١١.

٢- (٢) سورة يوسف: الآية ٧.

والنتيجة: إِنَّهُ صِيحَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ يُشَافَهُ كُلُّ إِنْسَانٍ بِكُلِّ آيَةٍ آيَةٍ وَمِنْ هَذَا يُعْلَمُ أَنَّ كَافَ الْخُطَابِ فِي الْآيَةِ لَيْسَ مُخْتَصًّا بِمَنْ خَاطَبَهُ وَالَّذِينَ نَزَلَتْ فِيهِمْ وَهَذَا نَظِيرُ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي مَعْنَى بَعْدَ أَنْفَاسِ الْبَشَرِ لِلرَّوَايَةِ: «مَا مِنْ آيَةٍ يَقْرَأُهَا الْقَارِئُ لِلْقُرْآنِ إِلَّا وَهِيَ تَخَاطَبُهُ إِنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ خَيْرِهَا أَوْ مِنْ أَهْلِ شَرِّهَا».

فَإِنَّ هَذِهِ الْقُدْرَةَ فِي اسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِلْمَعَانِي وَسَعَةِ الْخُطَابِ لَا تُؤْمِنُهَا النَّظَرِيَّةُ الْأُولَى فِي قَاعِدَةِ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ عِنْدَ السَّيِّدِ الْعَلَّامَةِ الطَّبَاطِبَائِيِّ قَدَّسَ سِرَّهُ، وَإِنَّمَا تُؤْمِنُهَا النَّظَرِيَّةُ الثَّانِيَّةُ فِي قَاعِدَةِ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ.

وَعَلَيْهِ فِدَائِهِ مَدْلُولُ الْخُطَابِ الْقُرْآنِيِّ تَشْمَلُ التَّنْظِيرَ وَالتَّطْبِيقَ مَعاً (١).

النموذج الخامس: فِي كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «... وَإِنْ كَانَتِ الْآيَاتُ فِي ذِكْرِ الْأَوْلِينَ فَمَا كَانَ مِنْهَا خَيْرًا فَهُوَ جَارٍ فِي أَهْلِ الْخَيْرِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَمَا كَانَ مِنْهَا فِي شَرِّ فَهُوَ فِي أَهْلِ الشَّرِّ».

بتقريب: - إِنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ الَّتِي بَيْنَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الصَّرِيحَةُ فِي مَعْنَى الْجَرَى وَأَنَّ مَا ذُكِرَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعَلَامَاتِ وَالْأَمْثَالِ... الْخ فِي الْأَوْلِينَ فَالْخَيْرِ فِيهَا جَارٍ فِي أَهْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَمْ يَنْحَصِرْ تَطْبِيقُهُ بِأَهْلِ خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي وَقْتِ صُدُورِ هَذَا الْبَيَانِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ وَإِنَّمَا سَارَى

ص: ٢٣٣

١- (١) فمثلاً بلعم بن باعوره الذي كان قد أتى شىء من المقامات الغيبية العاليه لكن سرعان ما نكث وغدر حينما تمثلت له الدنيا بجمال امرأه فتبعها وباع كل ما أعطى من منزله عظيمه بلذّه دنيويه حقيره ومؤقته، وعليه فمدلول الخطاب القرآني شامل للأنس والجن والملائكه.

وَعَلَيْهِ فَمَا ذَكَرْتَهُ الْآيَاتِ وَالْبَيِّنَاتِ النَّبِيِّهِ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ لَيْسَ الْمُرَادُ الْجَدِي لِلْقُرْآنِ وَلِلْبَيِّنَاتِ النَّبَوِيهِ يَقِفُ وَيَنْتَهِي عَلَى أَهْلِ الْخَيْرِ مِنْ الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ أَحَدُ مَرَادَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْجَدِيهِ وَإِنَّمَا هُنَا مَرَادُ جَدِي آخِرِ يَجِبُ أَنْ نَعْبُرَ مِنْهُ إِلَى آخِرِ.

تنبيه: ينبغي الالتفات إلى نقطه مهمه جداً وهي أنه عندما نقول هناك مراد جدى آخر يجب العبور إليه، فمثلاً في الآيات التي يُصَيَّرَحُ بها باسم الشخص كالنبي يوسف عليه السّلام مثلاً (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ) (١) لَيْسَ معناه أن المعاني الاستعماليه والتفهيميه لا تراعى كلا...

فإن كلمة (يوسف) المقصود منها يوسف النبي صلى الله عليه وآله كمراد جدى وليس هناك أى تغيب لموازن الاستظهار في الآيات الكريمه إلا أن الكلام كل الكلام الذى هو محط النظرية الثانية في قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير حسب منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن، هل المراد الجدى يقف عند ذكر هذا المثال أو المصداق أو يتعداه ويتشف المراد الجدى ويكون المراد الجدى من النبي يوسف عليه السلام ليس خصوص النبي يوسف عليه السلام وإنما يتعدى لمن بعده وإلى كل من هو حجه الله ومصطفى؟

وَعَلَى النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ يَتَعَدَّى إِلَى كُلِّ حُجَّةِ اللَّهِ مِصْطَفَى وَهَذِهِ الْآيَاتُ وَالْعَلَامَاتُ آيَاتُ لِلْسَّائِلِينَ وَأَيْضاً هَذِهِ الْآيَاتُ تَصْلِحُ لِلْإِجَابَةِ عَنْ أُمُورٍ أُخْرَى، كَمَا لَوْ كَانَ عِنْدَكَ سُؤَالَ عَنْ غَيْبِ حُجَّةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ مِثْلَ هَذَا التَّسْأُولِ مَوْجُودٌ فِي قِصَّةِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ حُجَّةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَيَغِيبُ عَنْ أَنْظَارِ النَّاسِ لَا أَنَّ ذَلِكَ يَعْنِي أَنَّهُ تَغِيبُ مَعْرِفَتِهِ عَنَّا فَإِنَّهُ مُتَوَاجِدٌ فِيمَا بَيْنَنَا وَنَاشِطٌ وَفَاعِلٌ وَيَقُومُ بِإِنْقَاذِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ أخطر الكوارثِ مِنْ دُونِ أَنْ تَشْعُرَ الْبَشَرِيَّةُ بِإِنْقَاذِ حُجَّةِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ.

إِذْ يُمكِنُ أَنْ تَسْتَنْطِقَ آيَاتِ سُورَةِ قِصَّةِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَيَسْتَظْهَرُ مِنْهَا الْإِجَابَةَ عَنْ التَّسْأُولَاتِ حَوْلَ غَيْبِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ وَأَنَّ الْقُرْآنَ أَرَادَ مِنْ ذِكْرِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الصَّدِيقِ هُوَ ذِكْرُ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَا يَعْنِي هَذَا أَنَّ يَوْسُفَ آلَ يَعْقُوبَ لَيْسَ مُرَاداً كَلَاماً- إِنَّهُ مُرَادٌ جَدِي أَوَّلُ وَهُنَاكَ مُرَادٌ جَدِي ثَانِي وَثَالِثٌ وَ... الخ.

وَهَذَا شَاهِدٌ عَلَى قَاعِدَةِ الْجُرَى بِحَسَبِ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ وَإِلَّا لَوْ كَانَ مُرَادَ الْآيَةِ الْأَعْظَمِ هُوَ النَّبِيِّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَطَّ حَسَبِ النَّظَرِيَّةِ الْأُولَى الَّتِي يَتَبَنَّاها السَّيِّدُ الْعَلَّامَةُ وَغَيْرُهُ الْقَائِمَةُ عَلَى عِزْلِ مَقَامِ التَّنْظِيرِ عَنِ التَّطْبِيقِ فَإِنَّهُ مَا الْفَائِدَةُ فِي قِصَصِهِمْ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي قِصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لَمَا نَحْنُ فِيهِ وَلَمَا هُوَ رَاهِنٌ لِدُنْيَا؟!

وَمَا الْفَائِدَةُ فِي الْإِعْتِقَادِ بِنُبُوهِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ الْخَاتَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ آدَمَ لَوْ لَمْ تَرْتَبْ عَلَيْهَا غَايَةَ وَرَائِيهِ نَهَايَةَ وَإِلَّا تَتَعَامَلُ مَعَهَا كَحَدِثٍ تَارِيخِي وَتَتَفَاعَلُ مَعَهُ

إِلَّا أَنْ هَذَا لَيْسَ مُرَادًا حَسَبَ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ الْقَائِلَةِ بِمَزْجِ التَّطْبِيقِ مَعَ التَّنْظِيرِ وَأَنَّ أَصْلَ اعْتِقَادِنَا بِنُبُوهِ الْأَنْبِيَاءِ هُوَ فَرِيضُهُ عَقَائِدِيهِ لَا يُبَدُّ مِنْهَا لَا أَنَّا نَتَعَامَلُ مَعَهَا كَحَدِثٍ تَارِيخِيٍّ وَإِنَّمَا نُرِيدُ أَنْ نَرْتَبِ الْغَايَةَ الْوَرَائِيَّةَ النَّهَائِيَّةَ وَهُوَ جَرَى مَدَالِيلِ الْقُرْآنِ حَسَبَ بَيَانَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ التَّسْأُولَاتِ حَوْلَ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالتَّسَعَةَ الْمَعْصُومِينَ وَقَائِمَهُمُ الْمَهْدِيَّ عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ، فَكُلَّ هَذِهِ التَّسْأُولَاتِ وَغَيْرَهَا تَجِدُونَ أَجْوَبَتَهَا فِي الْقِصَصِ الَّتِي اسْتَعْرَضْنَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١).

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نِظَامَ قَاعِدِهِ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ حَسَبَ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ لَا يُفْرَغُ وَيُخَوَى الْأَلْفَاظَ عَنْ مَرَادَاتِهَا الِاسْتِعْمَالِيَّةِ وَالتَّفْهِيمِيَّةِ وَالْجَدِّيَّةِ، وَإِنَّمَا هُوَ مُرَادٌ لَهَا جَدًّا، غَايَةُ الْأَمْرِ لَيْسَ هُوَ الْمُرَادُ الْجَدِّيُّ النَّهَائِيُّ، وَإِنَّمَا هُنَاكَ مَرَادُ جَدِّي ثَانٍ وَثَالِثٍ وَرَابِعٍ وَ... الخ.

ص: ٢٣٦

١- (١) وَكُلَّ هَذِهِ التَّسْأُولَاتِ وَأَجْوَبَتَهَا بَيْنَهَا سَمَاحَةُ الشَّيْخِ الْأُسْتَاذِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ السَّنْدِ - حَفْظُهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ الظُّوَاهِرِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ أَيْ ظُوَاهِرِ قُرْآنِيَّةِ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أُرِيدَ مِنْهَا كِفَايَةَ جَدِّيَّةِ هُوَ الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ بِاعْتِبَارِ أَنَّ التَّسْأُولَاتِ وَالْعَطَشَ الْمَعْرِفِيَّ لِدَى الْبَشَرِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِإِمَامِهِمُ الْحُجَّةَ عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ فِي الْأَرْضِ فِي الْعَصْرِ الرَّاهِنِ.

يُستفاد من كثير من النصوص القرآنية التي تخص الجانب الأمنى وسريته وتبين حدوده وتفهم معنى الإمامه أى القيادة فى الأرض وإداره شؤون البشر فى كافة مجالات الحياه وتعاملاتهم المعيشية والاجتماعيه والسياسيه والأمنيه والاقتصاديه ... الخ. كل ذلك بحسب النظرية الثانية فى قاعده الجرى.

فمثلاً فى بيان القرآن لقصه لقاء موسى عليه السلام الذى هو نبي من أنبياء أولوا العزم مع العبد الصالح الخضر عليه السلام وما جرى بينهما وقاما به من أدوار سريه فى الأرض بإيعازات من الله تعالى وأديا أدوراً إصلاحية فى الأرض من دون أن يشعر بهم البشر، وعليه إذا كانت المهمة الأمية والإصلاحية التي قام بها موسى عليه السلام والخضر عليه السلام فلما يستعرضها لنا القرآن الكريم يريد أن يثبت الأمة إلى أن دور الإمامه والقيادة لا ينحصر بالظاهر والمكشوف المعلن عنه والمصرح به، وإنما هناك أدوار أمية إصلاحية سريه للغاية حتى فى تعبير القرآن وإن كان أعلن عنها وظهرها إلى الملاء ومع ذلك لا زالت تقسم بجانب السريه والأمن وعدم التصريح حتى بالاسم؛ ولذا القرآن يقول فى جانب إخفاء الاسم (فوجدنا عبداً

مِنْ عِبَادِنَا) (١) ولقاء النَّبِيِّ موسى عليه السَّلَام بالخضر عليه السَّلَام فِي غَايَةِ الصَّعُوبَةِ وَالسَّرِيَّةِ وَالطَّرِيقِ الْأَمْنِيَةِ الْإِلَهِيَةِ الْمَعْقَدَةِ جَدًّا وَبَعِيدًا انْتِهَاءَ الْمُهْمَةِ الْأَمْنِيَةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ لِلْمَجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ افْتَرَقَ موسى عليه السَّلَام عَنْ الخضر عليه السَّلَام، إِلَّا أَنَّهُ مَنْ يَعِي هَذِهِ السَّرِيَّةَ التَّامَّةَ بَيْنَهُمَا؟!!

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ هِيَ حُدُودُ الْعَمَلِ الْأَمْنِيِّ الْإِلَهِيِّ الَّذِي بَيْنَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَأَنَّهُ لَا هَوَادَةَ فِيهَا، وَبِهَذَا الْإِسْتِعْرَاضِ الْقُرْآنِيِّ لِحُدُودِ الْعَمَلِ الْأَمْنِيِّ يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ: - أَنَّ الْمَسْئُولِيَّةَ الْإِلَهِيَّةَ الْخَفِيَّةَ وَالسَّرِيَّةَ الْعَظِيمَةَ وَأَنْكُمْ فِي الْعَصْرِ الرَّاهِنِ وَالْحَاضِرِ هَكَذَا تَدَارُونَ بِنِظَامِ وَبِرِنَامِجِ أَمْنِيٍّ فِي غَايَةِ الْخَفَاءِ وَالسَّرِيَّةِ فِي الْأَرْضِ وَلَا تَتَوَهَّمُوا أَنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ فَقَطْ مَنْحَصَرَةٌ بِالْجَانِبِ الْإِعْلَامِيِّ الظَّاهِرِ مِنْهَا وَهُوَ الرِّئَاسَةُ وَالزَّعَامَةُ وَالزُّوْبَعَةُ الْإِعْلَامِيَّةُ.

وَعَلَيْهِ فَهَذَا بُرْهَانٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَفَهَمَ مَعْنَى الْإِمَامَةِ وَالْقِيَادَةِ وَكَيْفَ تَدَارُ شُؤُونَ الْأَرْضِ بِسَّرِيَّةٍ وَبِلَا إِعْلَامٍ حَتَّى لَا يَدْخُلَ الدَّجَلُ لِأَنَّ أَوَّلَ عِلْمِهِ لِلْكَذِبِ هُوَ الْإِعْلَامُ وَالِدَعَايَةُ، وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُبَيِّنُ لَنَا الْآلَافَ مِنَ الْمُرَادَاتِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي مَخْتَلَفِ الْقِصَصِ الْقُرْآنِيِّ وَالْمَوَاقِفِ... الْخَ فَإِنَّ هَذِهِ الْمُرَادَاتِ الْجَدِيدَةَ سَوْفَ تَطْرَحُ جَانِبًا حَسَبَ النَّظَرِيَّةِ الْأُولَى فِي قَاعِدِهِ الْجَرِيِّ بِخِلَافِ النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمُرَادَاتِ الْجَدِيدَةَ وَرَائِهَا مَدَالِيلٌ وَرَاءَ بَعْضِهَا بَعْضٌ وَكَلَامٌ مُرَادُهُ لَيْسَتْ فَقَطْ

ص: ٢٣٨

١- (١) سورة الكهف: الآية ٦٥.

بالدلالة الجديّة الأولى بل مُرادهُ بالمراد الجدّي الأوّل والثاني والثالث و... الخ وإن أريد النبي موسى عليه السّلام كنبى والعبد الصالح الخضر كخضر إلّا أنّه يُتعدى إلى موسى والخضر هَذَا الزمان أيضاً.

إذن انظر إلى دقّه وعمق تعبير النبي الأكرم صلى الله عليه وآله «وإن كانت الآيات في ذكر الأولين فما كان فيها من خير فهو جارٍ في أهل خير هذه الأئمة، وما كان منها في شر فهو جارٍ في أهل شر هذه الأئمة» وهذه الطبقات من المداليل إنّما تتوافق مع النظريّة الثانيه في قاعده الجرى وأنه كيف لا- تكون غايه الغايه أكثر جدّيّه من الغايه، وعليّه فالجری هو جری في المداليل سواء كان المدلول على صعيد التطبيق أو المعنى المدلول فإنّها كلّها مداليل مُرادّه.

النموذج السّادس: روى العياشى عن عمر بن حنظله عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «عن قول الله عزّ وجلّ (قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) (١) الرعد، فلما رآني أتبع هذا عمرو بن حنظله (٢) وأشباهه من الكتاب (٣) قال له الإمام الصادق عليه السّلام: «حَسْبُكَ يَا عَمْرُو كُلُّ شَيْءٍ مِنْ الْكِتَابِ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ مِثْلَ هَذَا فَهُوَ فِي الْأَئِمَّةِ وَقَدْ عُنُوا بِهِ».

بتقريب: - إنّ الإمام عليه السّلام بيّن ضابطه عامّه وهي أنّ الأئمة عليهم السّلام موجودون في كلّ آيه آيه من فاتحه الكتاب إلى آخر آيه وهي الخاتمه.

ص: ٢٣٩

١- (١) سورة الرعد: الآية ٤٣.

٢- (٢) وعمر بن حنظله فقيه كبير من أصحاب الصادق عليه السّلام.

٣- (٣) يعنى ما يرتبط بولايه أهل البيت عليهم السّلام ومقاماتهم.

فمثلاً في سورة الفاتحة قوله تَعَالَى: - (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) فالأئمة عليهم السلام موجودون ولا يقتصر تطبيقها على الأنبياء والمرسلين وإن كَانَ المصداق الجدى الأول لها هم الأنبياء والمرسلين، ولكن هناك مراد جدى ثانى وثالث ورابع... حسب النَّظَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ فِي قَاعِدَةِ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ، وَأَنَّ هَذِهِ مَعَانِي مُرَادِهِ وَالْإِمَامَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرِيدُ أَنْ يَبَيِّنَ أَنَّ الْأئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عُنُوا بِهَا وَأَنَّ هَذَا التَّطْبِيقَ مَدْلُولٌ مَعْنَى مُرَادٌ لَا أَنَّهُ مُجَرَّدُ تَطْبِيقٍ مَنعَزَلٍ عَنِ التَّنْظِيرِ الْمَعْنَوِيِّ.

وَعَلَيْهِ فَهَذَا التَّعْبِيرُ مِنَ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخَالِفُ دَعْوَى النَّظَرِيَّةِ الْأُولَى فِي قَاعِدَةِ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ الَّتِي تَبَنَّاها السَّيِّدُ الْعَلَّامَةُ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ حَسِينُ الطَّبَّاطِبَائِي قَدَّسَ سِرَّهُ وَمِنْ تَبِعِهِ.

كَمَا أَنَّ فِي الرِّوَايَةِ تَصْرِيحٌ عَلَى أَنَّ الْمَصَادِقَ مِنَ الْمَعْنَى الْمَدْلُولِ لِلْكَلامِ فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَأَنَّ الْمَصْدَاقَ مَحَلَّ عَنَايَةِ إِرَادَةِ الدَّلَالَةِ فِي الْكَلَامِ الْإِلَهِيِّ، وَهَذَا مَا لَمْ يُبَيَّنْ أُسُسُهُ وَنِظَامُهُ بِشَكْلِ كَامِلٍ مُتَكَامِلٍ بَعْدُ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

مَنْ لَمْ يَعْرِفْ تَأْوِيلَ عِبَادَتِهِ فَهِيَ خُدَاجٌ:

النَّمُودَجُ السَّابِعُ: رَوَاهُ: «بَيْنَمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَارًا بِفَنَاءِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ إِذْ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَصَلِّي فَاسْتَحْسَنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَلَاتَهُ فَقَالَ: يَا هَذَا الرَّجُلُ أَتَعْرِفُ تَأْوِيلَ صَلَاتِكَ، قَالَ الرَّجُلُ يَا بَنَ عَمِّ خَيْرٍ خَلَقَ اللَّهُ وَهَلَّ لِلصَّلَاةِ تَأْوِيلَ غَيْرِ التَّعْبُدِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: - اعْلَمْ يَا هَذَا الرَّجُلُ: إِنَّ اللَّهَ

تَبَارَكَ مَا بَعَثَ نَبِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا وَلَهُ مُتَشَابِهٌ وَتَأْوِيلٌ وَتَنْزِيلٌ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ التَّعْبُدِ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ تَأْوِيلَ صَلَاتِهِ فَصَلَاتِهِ خُدَاجٌ مَخْدُوشَةٌ مَنْقُوصَةٌ» (١).

بتقريب: - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا بَعَثَ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ سِوَا آيَاتِ الْقُرْآنِ أَوْ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَكُلُّ مَا لَهُ نَسَبُهُ إِلَى الشَّرْعِ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَلَهَا تَأْوِيلٌ وَلَهَا تَنْزِيلٌ وَلَهَا مَدَارِجٌ مِنَ الْمَعَانِي وَمَدَالِيلٌ، وَإِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْمَفْسَّرُ مِثْلًا هَذِهِ الْمَدَالِيلَ فَهُوَ لَا زَالَ تَفْسِيرَهُ نَاقِصًا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَتَكَامَلَ وَإِلَّا لَا- يُسَمَّى مَفْسَّرًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ صَلَاتُهُ وَصُومُهُ وَحُجَّتُهُ تَامًّا لَا نَاقِصًا وَعَلَيْهِ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ تَأْوِيلَ صَلَاتِهِ وَصُومِهِ وَحُجَّتِهِ وَ... الخ فَإِنَّ صَلَاتَهُ خُدَاجٌ، وَكَذَا صُومُهُ خُدَاجٌ وَحُجَّتُهُ خُدَاجٌ أَيْ نَاقِصَةٌ.

فمِثْلًا- فِي بَابِ الصَّلَاةِ الْمُكَلَّفِ إِذَا لَمْ يَأْتِ بِالْأَمْرِ الْإِنْشَائِيِّ الْمَعْنَوِيِّ فِي الصَّلَاةِ، فَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِرُوحِ الصَّلَاةِ، وَإِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْمَصْلَى مَعْنَى رَفْعِ يَدَيْهِ فِي تَكْبِيرِهِ الْإِحْرَامِ أَوْ مَدَّ الْعُنُقَ أَثْنَاءَ الرُّكُوعِ، وَمَا مَعْنَى السُّجْدَةِ الْأُولَى وَمَا مَعْنَى السُّجْدَةِ الثَّانِيَةِ وَ... الخ وَعَلَيْهِ إِذَا أُتِيَ بِالصَّلَاةِ مَعْنَاهُ إِنَّكَ تَرِيدُ مِنْهَا هَذِهِ الْمَعَانِيَ الْمَعْنِيَةَ وَإِلَّا فَصَلَاتُكَ خُدَاجٌ أَيْ نَاقِصَةٌ لِأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ مَعْنَى التَّكْبِيرِ وَرَفْعِ الْيَدَيْنِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَ... الخ وَتَكُونُ صَلَاتُكَ بِاللَّهِ تَعَالَى غَيْرَ تَامَةٍ وَمَنْقُوعَةٌ وَلَمْ يَتِمَّ الْوَصَالُ.

ص: ٢٤١

١- (١) الوسائل، أبواب الصلاة:....

والشاهد في هذه الرواية: - إنَّ إسناده مادّه وعنوان المعرفة إلى تأويل عنوان الصّلاه مما يُؤكّد على أنّ تأويل الشّيء بكلّ طبقات التأويل ودرجاته ولو المصداقيه دخيله في معرفه الشّيء وبالتالي في معرفه عنوان ومعنى الشّيء نفسه، وههنا مؤشّر على أنّ مقام التحقّق معنى في معنى الشّيء.

النموذج الثامن: عن الإمام الصادق عليه السّلام: «إنَّ الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضلنا وجعلنا أمنائه وحفظته وخزانه على ما في السموات وما في الأرض، وجعل لنا أصدقاءً وأعداءً فسَمَّانا في كتابه وكَتَبَ عن أسمائنا بأحسن الأسماء واحبها إليه، وسَمَّى أعدائنا وأضدادنا في كتابه، وكَتَبَ عن أسمائهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه، وإلى عباده المتقين».

مُحمَّد بن الحسن (صاحب الوسائل) عن علي بن إبراهيم عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «إنَّ الله طهرنا وعصمنا، وجعلنا شهداء على خلقه وحجته في أرضه، وجعلنا القرآن (والقرآن) معنا لا نفارقه ولا يفارقنا»(١).

بتقريب: إنَّ القرآن الكريم حاشد ومحتفى بذكر أهل البيت عليهم السّلام غايه الأمر هذا الذكر ليس بالأسماء التصريحيه وإنما بالكنايه، والكنايه

ص: ٢٤٢

نوع من الاستعمال المباشر التصريحي وإنما بمداليل متعدده هَذَا فِي حَقِّ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وكذلك الحال في أعداء أهل البيت عليهم السلام والإمام الصادق عليه السلام يُبَيِّنُ فِي حَدِيثِهِ أَنَّ هَذِهِ الْمَحُورِيَّةَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَهَا مَنْشَأٌ وَسَبَبٌ أَلَا وَهُوَ أَنَّهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَمَمُ الْفَضَائِلِ لِإِنَّهُ تَقَدَّمَ فِي احْتِجَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ الْغَدِيرِ عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ: «... معاشر الناس هَذَا عَلَيَّ أَنْصِرْكُمْ لِي وَأَحْتَكُمُ بِي وَأَقْرِبْكُمْ إِلَيَّ وَأَعِزَّكُمْ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَا عَنْهُ رَاضِيَانٌ... وَمَا نَزَلَتْ آيَةٌ رِضًا إِلَّا فِيهِ وَمَا خَاطَبَ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا بِدَأْبِهِ، وَلَا نَزَلَ آيَةٌ مَدْحًا فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِيهِ وَ... الخ»(١).

بتقريب: - إنَّ السَّبَبَ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَعَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكُلِّ هَذِهِ الْمَدَائِحِ وَالْأَوْسَمِ الْمُشْرِفِ هُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْدَعَ أَكْمَلَ الْكِمَالَاتِ فِي عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يُعَلِّلَ أَنَّهُ نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَمْ كُنَّا عِنَّا بِأَسْمَاءٍ شَتَّى فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّ أَسْمَاءَ الْفَضَائِلِ يُرِيدُ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذِكْرِهَا مَصَادِيقَ وَتَلَكَّ الْمَصَادِيقِ التَّامَّةَ وَالْعُظْمَى مَوْجُودَةٌ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا فَأَكْرَمَ خَلْقَنَا وَفَضَّلَنَا وَجَعَلَنَا أُمَمًا وَحَفِظَنَا وَخَزَّانَهُ عَلَيَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...» وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ خُزَّانَةَ عَلِيِّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُمُ الْمَصْدَاقُ الْأَعْظَمُ وَالْأَتَمُّ بَعْدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنَّهُمْ مَجْمَعُ كُلِّ عِلْمٍ وَمَعَالِمِ وَكَمَالِ

ص: ٢٤٣

١- (١) الاحتجاج: ج ١، ص ٧٤-٨٠ في احتجاج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ الْغَدِيرِ عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ بُولَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِنْ بَعْدِهِ وَلَدِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وكمالات ما فى السموات والأرض، وَعَلَيْهِ فَكَيْفَ لَا يَكُونُونَ مَعْنِيُونَ بِذَلِكَ وَمَنْ ثَمَّ كُنْتُ الْبَارِي عَنْهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ فِي مَجْمَلِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى الْخَلْقِيَّةِ، لَا الْأَسْمَاءَ الْإِلَهِيَّةَ فَإِنَّهَا لِلَّهِ تَعَالَى مَخْتَصَّةٌ بِهِ «... وَكُنْتُ عَنْ أَسْمَائِنَا بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ وَاحِبَهَا إِلَيْهِ». وفى مورد آخر «وأسماءكم فى الأسماء» بتقريب: - إنَّ الإِسْمَ الْحَسَنَ مَا يَكُونُ سِمَةً وَعِلَامَةً وَعَنْوَانًا لِلْكَمَالِ، فَإِنَّ أَسْمَاءَكُمْ هِيَ مِنْ أَسْمَى سَمُو النَّعُوتِ وَالْكَمَالَاتِ فَلَهُمُ الْأَسْمَاءُ الْخَلْقِيَّةُ لَا الْأَسْمَاءَ الْإِلَهِيَّةَ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى الْخَلْقِيَّةَ لَهُمْ خَيْرُ الْأَسْمَاءِ، وَأَنَّ أَسْمَاءَهُمْ فِي الْأَسْمَاءِ لَهَا سَمُوٌّ وَسَنَاءٌ، (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (١) يَهْدِي لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِنَّهُ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَحْسَنُ وَمُنْتَهَى مَجْمَعِ الْكَمَالَاتِ وَالْأَسْمَاءِ الْخَلْقِيَّةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وما أرسله العياشى بسنده عن علي بن حمزة عن أبي جعفر عليه السلام: «(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا) يعنى ولقد ذكرنا علياً فى القرآن وهو الذكر فما زادهم إلَّا نفوراً» (٢).

إذْ النَّمُودَجُ التَّطْبِيقِيُّ الْأَعْظَمُ وَالْأَهَمُّ وَالْقَالِبُ الْحَسَنُ الَّذِي يَرِيدُ الْقُرْآنَ أَنْ يَهْدِيَ إِلَيْهِ هُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِأَنََّّهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَسَارٌ وَبَابُ الْكَمَالِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا بَيَانٌ لِنَوْعٍ مِنْ عَمَلِيَةِ الْجَرَى

ص: ٢٤٤

١- (١) سورة الإسراء: الآية ٩.

٢- (٢) العياشى: ج ٣، ص ٥٣، ح ٧٨.

الذى تكون الولايه فيه لله وللرسول صلى الله عليه وآله ثم لأهل البيت عليهم السلام محورياً أساسياً ثم يأتى دور منظومه المحكمات ثم دور منظومه تفاصيل المتشابهات ثم موارد النزول ثم أحكام فرعيه أخرى ثم قواعد تفصيليه مختلفه.

والخلاصه من كل هذا هو أن قول الإمام الصادق عليه السلام بمثابه تعليل لإكرام الله تعالى لهم بأصل الخلقه والتفضيل وجعلهم عليهم السلام حفظه وخزان على ما فى السموات والأرض.

ومحل الشاهد: فإن هدف القرآن من هذا كله هو مزج الجانب التنظيرى مع التطبيقى لا عزل أحدهما عن الآخر، ولا يتم هذا المزج بينهما إلا على ضوء النظرية الثانية فى قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير.

هَذَا كُلُّهُ بحسب منطوق قول الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا فَأَكْرَمَ خَلْقَنَا» وَإِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُمْ غَايَةُ وَأَقْصَى دَرَجَةِ الْكَمَالِ بَعْدَ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. وَأَمَّا بِحَسَبِ الْمَفْهُومِ فَيَكُونُ الْمَفْهُومُ أَنَّ أَعْدَاءَهُمْ وَأَضْدَادَهُمْ يَكُونُونَ فِي أَقْصَى دَرَجَاتِ الرَّذِيلَةِ وَالشَّرِّ وَأَنَّ فَوْقَ كُلِّ ذِي شَرٍّ شَرًّا وَيَكُونُ أَعْدَاؤُنَا - أَعْدَاءُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - بِحَسَبِ الْمَفْهُومِ هُمْ الْمَعْنِيُّونَ بِالشَّرِّ بِهَذَا اللَّحَاطِ.

وأخطر وأشد ما يتخوفه البارئ تعالى على خلقه من الشر الأهركى إذا قيل أن المراد من كل مثل شر ضربه القرآن أن المراد به

أعداؤهم باعتبارهم شرُّ الأشرار، أليس القرآن وصف قاتل ناقة صالح أنه قال أشقاها وهنالك أشقى (إذ اتبعت أشقاها) (١٢) (١).
وهنالك أئمة كفر وضلال - والعياذ بالله تعالى - كذلك من يُعادى أهل البيت عليهم السلام ممن يلد في العداوة للنبي صلى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام يكون أكثر عتواً من الجبابرة والفراعنة من أمثال النمرود وفرعون ذو الأوتاد وعاد وشمود، فهؤلاء ذكروهم القرآن من باب الأمثلة لمن هو أعظم منهم. وسيأتي - إن شاء الله تعالى - في بحث قاعده المثل مسأله العبور إلى المصداق الأعظم والأشد لا العبور إلى المصداق الأقل والأدون، وستوضح نكت ذلك في محله.

ولا يخفى إن الروايه تُشير إلى أن جيل يَلُ كُل استعمال قرآني هو استعمال كِنائِي وفي الاستعمال الكِنائِي يكون المُكَنَّى عنه خفياً ولكنه مُرادٌ بإرادته جديده يَلُ قِيلَ أَنَّهُ مراد بإرادته استعماليه حسب الاختلاف بين أقوال البلاغيين، وعلى ضوء ذلك يتبين أنهم عليهم السلام معنيون بمدلول الآيات الواردة في الاخبار استعمالاً أو تفهيمياً أو جدّاً، كما أن أعدائهم معنيون في الآيات الواردة في الأشرار استعمالاً أو تفهيمياً أو جدّاً وبالتالي فإنَّ المعنى التنظيري والاستعمالِي لِجُلِّ الآيات معنى مُوطِئ توطئه للمعنى الجدي المُراد والأهم والنهائي.

إلفات نظر: إن الروايه التي ذكرناها في المورد الثامن عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضلنا وجعلنا أمناؤه وحفظته

ص: ٢٤٤

وَحَزَانَهُ عَلَيَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ...».

هَذِهِ الرَّوَايَةُ بِالْحَقِيقَةِ لَيْسَتْ رَوَايَةً وَاحِدَةً وَإِنَّمَا هُنَاكَ رَوَايَاتٌ مُسْتَفِيضَةٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَالْمُضْمُونِ وَأَنْ تَجِدَ الْخَيْرَ مَجْمَعُ كَمَالِهِ وَقَمْتُهُ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَتَجِدَ الشَّرْقَمَةَ فِي أَعْدَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأَنَّ رَوَادَ سَبِيلِ الشَّرِّ هُمْ أَعْدَاءُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِينَ صَيَّرَفُوا وَحَرَمُوا الْبَشَرِيَّةَ الْإِسْتِفَادَةَ مِنْ أَكْبَرِ كَمَالٍ وَسَعَادَةٍ دَائِمًا يَكُونُونَ أَعْتَى وَأَكْثَرَ شَرًّا عَلَيَّ الْبَشَرِيَّةِ وَمَمْنٍ مَانِعِ الْبَشَرِيَّةِ عَنِ السَّعَادَةِ الْمَتَوَسِّطَةِ وَنَذَكَرَ بَعْضُ تَلَكَّ الرَّوَايَاتِ:

الرَّوَايَةُ الْأُولَى: عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَيَّ أَرْبَعَةَ أَرْبَاعٍ: رُبْعٌ فِينَا، وَرُبْعٌ فِي عَدُوِّنَا، وَرُبْعٌ فِي فِرَائِضٍ وَأَحْكَامٍ، وَرُبْعٌ سُنَنِ وَأَمْثَالٍ، وَلَنَا كِرَائِمُ الْقُرْآنِ»^(١).

الرَّوَايَةُ الثَّانِيَّةُ: عَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ أَثَلَاثًا ثَلَاثًا فِينَا وَفِي عَدُوِّنَا، وَثَلَاثُ سُنَنِ وَأَمْثَالٍ، وَثَلَاثُ فِرَائِضٍ وَأَحْكَامٍ»^(٢).

ص: ٢٤٧

١- (١) تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٤، باب ما أنزل في القرآن والكافي: ج ٢، ص ٤٥٩.

٢- (٢) المصدر السابق: ح ٣.

[لماذا يُؤكّد القرآن على ذكر جانب الشر]

هَذَا خَيْرٌ دَلِيلٍ وَشَاهِدٍ عَلَى رِبْطِ مَقَامِ التَّنْظِيرِ بِالتَّطْبِيقِ وَعَدَمِ الاِقْتِصَارِ عَلَى ذِكْرِ المَصَادِيقِ بِلِحَازِ حَقْبِهِ زَمْتِيهِ مُعَيَّنِهِ وَالاِقْتِصَارِ عَلَيْهِمَا، يَلْبَسُ يَتَعَدَّاهَا إِلَى كُلِّ مَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ الجَانِبِ التَّنْظِيرِي فَمِثْلًا يَذْكُرُ الْقُرْآنُ جَانِبَ الخَيْرِ وَالكَمَالَاتِ فِي الأُمَّمِ السَّابِقَةِ فَبِذِكْرِ المُرَادِ الجَدِّي مِنْهَا يَذْكُرُ بَعْضَ المَصَادِيقِ وَيَتَعَدَّى مِنْهَا إِلَى كُلِّ مَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ ضَابِطُ الخَيْرِ كَمَا فِي أَهْلِ البَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِينَ هُمْ مَجْمَعُ الكَمَالَاتِ وَالفَضَائِلِ، وَإِلَّا لَوْ اِقْتَصَرَ عَلَى الجَانِبِ التَّنْظِيرِي فَقَطُّ لَمَاتَتِ الآيَةُ بَانْتِهَاءِ مَخَاطِبِهَا، وَكَذَا إِذَا اِقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ بَعْضِ مَصَادِيقِهَا فِي ذَلِكَ الوَقْتِ وَالجَمُودِ عَلَيْهِمْ وَعَدَمِ التَّعَدِّي إِلَى غَيْرِهِمْ.

وهكذا جانب الشرِّ فَإِنَّ أَهْلَ الشرِّ مَعْتَبُونَ فِي الْقُرْآنِ قِطْعًا بَلَّ أَكْثَرَ جَدِيهِ فِي إِرَادَتِهِمْ مِنْ بَقِيَةِ مَرَاتِبِ الشرِّ وَالأَشْرَارِ، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الصَّادِقِ وَالصَّحِيحِ الآنَ عِنْدَمَا نَقُولُ: -

بِأَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَكْتَرِثُ بِذِكْرِ مَصَادِيقِ بَعْضِ الظُّلْمَةِ وَالفِرَاعِنَةِ وَالمُتَجَبِّرَةِ كَالنَّمْرُودِ الَّذِي يَقَابِلُ فِي العِدَاوَةِ النَّبِيَّ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، بِقَدْرِ مَا

يُحذّر من النمرود الذي يقابل سيد الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أو بقدر ما يوقى البشرية من فرعون الذي يقابل سيد الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعِترته أو قارون أو هامان أو غيرهم من الأشرار، وَعَلَيْهِ فَخاطب القرآن النَّبِيَّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَأَنْهُمَا فِي مَصَافِ سِيدِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا خَاطَبَ الْقُرْآنُ بِهِ شَرِيْعَهُ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ فِي خِضْمِ شَرِيْعِهِ سِيدِ الْأَنْبِيَاءِ.

وهكذا قاتل ناقه صالح شقّي ولكن في نفس سورة الشمس ذكر بعض المفسرين بناءً على بعض التفسيرات الروائية أنّ المراد من قاتل ناقه صالح هو عبدالرحمن ابن ملجم وإرادته أشدّ اهتماماً من إردته نفس قاتل ناقه صالح، فإنّ عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله عَلَيْهِ أَشَقَى الْأَوْلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَهَلْ يُظَنُّ بِالْبَارِي تَعَالَى إِنَّهُ غَيْرٌ مُلْتَفِتٌ أَوْ غَيْرٌ مُلَمِّ بِمَجْرِيَاتِ الْأُمُورِ وَالْمَصَادِقِ أَيَّ طَبِيعِهِ وَآيَ مَعْنَى وَآيَ عِنْوَانٍ، - والعياذ بالله - بَلْ قَطَعَا الْبَارِي مُلْتَفِتٌ إِلَى ذَلِكُكَ وَعَالَمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَأَنَّ الْخُطَابَ الْقُرْآنِيَّ لِأَجْلِ إِرْشَادٍ وَهَدَايَةٍ الْبَشَرِ فِي أَفْقِ التَّطْبِيقِ.

وَعَلَيْهِ عِنْدَمَا يُقَالُ: - أَنَّ الْقُرْآنَ عَنِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَنْهُمْ مَجْمَعُ الْفَضَائِلِ وَهُمْ قَمَّةُ الْمَعْنِيِّينَ بِذَلِكَ هُوَ لَيْسَ نَوْعٌ مِنَ الْإِنْفِعَالِ الْعَاطِفِيِّ، وَأَنَّ أَعْدَاءَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُمْ قَمَّةُ الْمَعْنِيِّينَ بِالرِّذَائِلِ، فَهَذَا لَيْسَ مَجَازٌ وَلَا تَصْوِيرٌ شِعْرِيٌّ وَشَاعِرِيٌّ خِيَالٌ، بَلِ الْبَارِي تَعَالَى دَائِمًا يَحذَّرُ مِنَ الْأَخْطَرِ وَالْأَعْظَمِ، وَهَكَذَا شَأْنُ كُلِّ حَكِيمٍ فَإِنَّ نَفْسَ اهْتِمَامِهِ وَاعْتِنَائِهِ بِالْخَطَرِ دَلِيلٌ عَلَى خَطُورِهِ النَّتَائِجِ الْمُرْتَبَةِ عَلَى عَدَمِ الْإِهْتِمَامِ، وَعَدَمِ التَّحذِيرِ مِنْ هَكَذَا

خطر قبل وقوعه وعدم غفلته.

وَعَلَيْهِ فَتَحَسَّسَ الْقُرْآنَ لِمَا هُوَ رَاهِنٌ غَايَهُ لِمَا سَيَأْتِي، وَبِعِبَارِهِ أُخْرَى إِنَّ اهْتِمَامَ الْقُرْآنِ بِمَوَارِدِ نَزُولِ الْآيَاتِ مِمَّا هُوَ مَعْنَى وَمَقْصُودٌ لِلْقُرْآنِ بِلِحَازِ التَّنْزِيلِ مَعَ كَوْنِهِ فِي الْأَهْمِيَّةِ مَسَاوٍ لِمَا سَيَأْتِي أَوْ دُونَهُ فَكَيْفَ لَا يُفَرِّضُ اهْتِمَامَ الْقُرْآنِ مَعْنَى وَمَقْصُوداً عَلَى صَعِيدِ الْمَدْلُولِ بِمَا سَيَأْتِي مَنْ هُوَ أَعْظَمُ أَوْ مَسَاوِي فِي الْأَهْمِيَّةِ مِمَّا هُوَ مُورَدٌ تَأْوِيلِيًّا لِلْقُرْآنِ كَاهْتِمَامِ بِمَوَارِدِ التَّنْزِيلِ.

مَنْ هُوَ أَعْظَمُ شَأْنًا وَغَايَهُ لِمَنْ هُوَ رَاهِنٌ حَاضِرٌ عِنْدَ نَزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَالَّذِي هُوَ رَاهِنٌ وَحَاضِرٌ فِي نَزُولِ الْقُرْآنِ هُوَ نَمْرُودُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ نَمْرُودُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ أَوْ نَمْرُودُ نِفَاقِ الْإِسْلَامِ أَوْ نِفَاقِ الْإِيمَانِ، وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَوْلَئِكَ يَعْنِي مُرَادٌ لَهُمْ جَدًّا، وَكَذَلِكَ مُرَادٌ جَدًّا لِمَا وَرَاءَهُ بِلَا مَنَافَاهُ فِي ذَلِكَ الْمُرَادِ الْجَدِّي لَكِنَّ الْمُرَادَ الْجَدِّي الثَّانِي أَوْ الثَّلَاثُ أَوْ... الْخ يَكُونُ مُرَادًا جَدًّا أَكْثَرَ تَشَدُّدًا.

تنبيه هام

فِي نَهَايَةِ الْكَلَامِ عَنِ قَاعِدَةِ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ نَوْدُ الْإِشَارَةِ إِلَى مَطْلَبِ مَهْمٍ وَحَاصِلِهِ أَنَّهُ عِنْدَمَا نَعْبُرُ فِي قَاعِدَةِ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ أَنْ نَعْبُرَ بِالْقَاعِدَةِ وَالضَّابِطَةِ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا لَيْسَ ضَابِطَ خِيَالِي شَاعِرِي، وَإِنْ كَانَ لِلْأَسْفِ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ الْمُتَقَفِينَ أَوْ غَيْرِهِمْ عِنْدَمَا

يقفون على مثل هكذا روايات وهكذا مضامين يقول هذه من مشرب الغلاة! والواقع خلافه فإنه مشرب عقلي صافٍ نهله ونمير عذب فإن أئى مقنن إذا لم يلتفت إليه سواء على صعيد القانون أو غيره عند ما يضع ويقنن قانون جنائى فإن أهم شىء لديه هو ذكر المصاديق الخطيره لا المصاديق المتوسّطه أو الأقل خاصه إذا كان يعلم بها ذلك المقنن وأن المصاديق المتوسّطه أو الدانيه سوف تكون بالتبع وبالعرض مشموله لهذا التقنين، هذا على صعيد التقنين البشرى، فكيف بتقنين (و ما خلقت الجنّ و الإنس إلا ليعبدون) (١).

إذن أهميه وخطوره المصداق الأعظم يُعبأ بها ولا يعنى ذلك تجاهل المصاديق المتوسّطه أو الدانيه كلا ولا منافاه، فمثلاً عباره رسول الله صلى الله عليه و آله الذى هو المصداق الأعظم أين عبادته صلى الله عليه و آله من عباده رجل صالح؟

وإن كان الله غنياً عن عباد العباد، إلّا أنّ الاكتراث الإلهى يعتنى، ويعنى بمعنى التقسيم والتقدير بعباده سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله، ولذلك إذا كانت غايه الخلقه هى الخضوع لله وإظهار عظمه الله على يدى أهل بيته ولا تُقاس بإظهار عظمته تعالى على يدى جبرائيل وميكائيل فإنه يوجد فرق بين العبادتين؛ ولذا ورد فى زيارات أهل البيت عليهم السلام نعت: «لا يُضادكم ذو ابتهاج وخشوع» أى مهما ابتهل وتضرّع وتضعضع الداعى من ملكٍ مُقرب أو نبي مُرسل فإنه لا يمكن أن يُضادكم وكيف له أن يضادكم وما قد ألموا به من معرفه الله فوق معارف سائر الخلائق بنصّ

ص: ٢٥٢

القرآن الكريم الذى هُوَ مُهيمن عَلَى بَقِيَّةِ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ مِنْ صَحْفِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتُورَاهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنْجِيلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ... الخ.

وَبَيَّنَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَرِاثَةَ عَتْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلْكِتَابِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَنَصَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (٧٩) ١ مِنْ أَهْلِ آيَةِ التَّطْهِيرِ وَهُمْ عَتْرَةُ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذْ ذُنُ (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (٥٦) ٢ أَى لِيَعْرِفُونَ إِنَّهُ لَوْلَا الْإِمَامُ الْحُجَّةُ عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ حُجَّجَهُ اللهُ فِي أَرْضِهِ، لَسَاخَتْ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا ٣: الْإِمَامُ الَّذِي هُوَ حُجَّجَهُ اللهُ فِي الْأَرْضِ هُوَ الْقَمَّةُ الْعَالِيَةُ لَا الْهَدَفَ الْمَتَوَسِّطَ، وَإِنْ كَانَ اللهُ تَعَالَى غَتِيًّا عَنْ عِبَادِهِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ بِمَا فِي ذَلِكَ عِبَادَهُ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّمَا سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقِيرٌ وَمُحْتَاجٌ إِلَى رَبِّ الْأَرْبَابِ تَعَالَى إِلَّا أَنَّ الْاِكْتِرَاثَ الْإِلَهِيَّ بِالْآيَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَالْجَمَالَ وَالْكَمَالَ الرَّبَّانِيَّ، هُوَ الْمَصْدَاقُ الْأَعْظَمُ وَهُوَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ فَإِنَّهُ الْمَصْدَاقُ الْأَتَمُّ وَهُوَ الْمَعْنَى بِالْآيَةِ وَبَقِيَّةِ الْمَصَادِقِ مُرَادَهُ بِالتَّبَعِ وَالظَّلْمِ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْإِرَادَةَ فِي الْمَدَالِيلِ فِيهَا شِدَّةٌ وَضَعْفٌ وَلَمْ يَذْكُرْهَا عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ وَالْأَصُولِ وَالْفَقْهِ، فَإِنَّ الدَّلَالَهَ تَابِعَهُ إِلَى الْإِرَادَةِ، وَالْإِرَادَةَ فِيهَا شِدَّةٌ وَضَعْفٌ، وَكَذَا الْمَدْلُولُ فِيهِ شِدَّةٌ وَضَعْفٌ وَكَأَنَّمَا الدَّلَالَهَ عَمَلِيَّةً تَرْكِيْزِيَّةً وَإِضَاءَةً وَنُورًا وَشِعَاعًا شَدِيدَةً عَلَى الْإِرَادَةِ، وَالْمُرَادُ الْأَتَمُّ، وَالْمَدْلُولُ الْجَدِي

أشدّ مما تركز الدلالة على المراد ذو الإرادة المتوسّطه أو الدانيه فإنّ إضاءته خافتة.

وهذا مما اعترفوا به ارتكازاً ألم يقولوا بأنّ الدلالة فيها نصّ وفيها صريح وفيها ظهور أقوى وظهور متوسّط وظهور ضعيف، وهذا معناه الدلالة على درجات وكذلك الحال في المدليل الحقيقي بحسب الإرادة، وعليه فهناك إرادته جديّه أشدّ وهناك إرادته جديّه متوسّطه وهناك أقلّ وهكذا.

خاتمه

إنّ المصاديق وإن اشتهرت بين البلاغيين أنّها خارجة عن محيط الدلالة والمدلول وأنّ الكلام إنّما يستعمل في الصور الذهنيه من المفاهيم والمعاني إلّا أنّ الدلائل التي مرّت داله على أنّ صقع المصاديق داخله في دائره المدلول ولا سيما في الكلام الإلهي ولو بتوسّط مرآتيه المعاني والمفاهيم للمصاديق الخارجيه ومقام التطبيق، وبالتالي فالصور والمعاني والمفاهيم في الذهن هي بدورها أيضاً دوال انضماميه للكلام لاستعمالها حاكياً وداله على المصاديق فالمدلول الملحوظ غايه هو المصداق في مقام الاستعمال والدلالة لا سيما المصداق الأعظم، فكما أنّ التلفظ بأصوات اللّفظ وحروف الكلام أو نقش كتابته هو لغايه الدلالة على ما وراءه وليس مقصوداً لذاته، فكذلك المعاني والمفاهيم في الذهن ليس مقصوده ومعنيّه في الدلالة لذاتها،

بَلْ لَغَايَهُ وَقَصْدُ الْمَصَادِقِ وَاهْمَهَا الْمَصَادِقُ ذَاتَ الشَّأْنِ الْكَبِيرِ فِي الطَّبِيعَةِ الْكَلِيَّةِ.

وبعبارة أُخْرَى: فَكَمَا أَنَّ الْحَالَ فِي الْمَعْنَى وَالْمَفَاهِيمِ الذَّهْنِيَّةِ قَدْ تَقْصِدُ لِمَعْنَى أُخْرَى وَرَائِهَا وَالْمَعْنَى لِأُخْرَى قَدْ تَقْصِدُ أَيْضاً لِمَعْنَى ثَالِثَةٍ وَالثَّالِثَةُ لِرَابِعَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْمَعْنَى وَالْمَفَاهِيمِ الْمُتَعَاقِبَةِ وَالْمُتْرَامِيَّةِ، وَهَيْذَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَرَى وَالتَّعْبِيرِ وَالْعُبُورِ، وَكَذَلِكَ حَرَكَةُ الْجَرَى مِنْ الْمَعْنَى إِلَى الْمَصَادِقِ وَلَا سَيِّمًا الْهَامَ وَالخَطِيرَ مِنْهَا.

ص: ٢٥٥

القاعده السادسة: قاعده الذكر في القرآن الكريم

اشاره

ص: ٢٥٧

الفهرس الإجمالى:

* المقدمه.

* معنى القاعده.

* مدرك القَاعِدَه.

* الذكر صفة لمراتب وجوديه متكثّره.

* حقيقه الإعجاز فى القرآن وصله ذَلِكَ بِأَنَّ حقيقته ذكرٌ.

* السّر فى عدم اكتشاف إعجاز القرآن.

* طبيعه حقيقه القرآن أَنَّهُ يُفْعَلُ كُلَّ عِلْمٍ.

* ما معنى الذِّكْر.

* التذكر مِنْ شرائط قراءه القرآن المستحبه.

* الذكر بمتابه الأصل الذى انحدر مِنْهُ القرآن الكريم.

* ضروره تأسيس الجانب العملى والعلمى للمفسّر فى قَاعِدَه الذِّكْر.

* الحقيقه لا تقتنص بالتنظير الفكرى فَقَطُّ.

* تأثير العداله والتقوى عَلَى الجانب العلمى.

* الطهاره الروحيه ودخالتها فى جانب التفسير.

* أهم مميزات قاعده الذكر.

* الفرق بين الندبه بالذكر والندبه بالنياحه.

* أهم الشرائط المُعتبره فى المفسر للقرآن الكريم، طهاره المُفسر سبب لوصوله إلى حقيقه الذكر فى القرآن الكريم.

* لَيْسَ كُلُّ تَهْذِيبٍ أَخْلَاقِيٌّ ذِكْرٌ.

* المعانى الأخرى لقاعده الذكر.

* تنبيه: - كُلُّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ لَهَا وَزْنٌ مُّعَيَّنٌ وَتَفْعَلِيهِ خَاصَّةٌ.

* كيفيه استكشاف قواعد الذكر.

* الذِكرُ هُوَ أَحَدٌ مَعَانِي أَشْهَدُ أَنَّكَ تَلَوْتَ الْكِتَابَ حَقًّا تِلَاوَتَهُ.

* المفسر الناجح مَنْ يَسْتَطِيعُ التَّمْيِيزَ بَيْنَ آيَةِ الْأَمِّ وَغَيْرِهَا..

* أهميه وخطوره علم التفسير فى تنظيم متطلبات أفراد المجتمع فى يومياتهم.

* علم التفسير هُوَ لِلْمَفْسَّرِ النَّاجِحِ الَّذِي يُلَبِّي حَاجَةَ الْبَشَرِ أَيْنَمَا مَا كَانَتْ.

* أهم ثلاث مميزات لقاعده الذكر.

المقدمه:

لا يخفى عَلَى الْمُتَّبِعِ الْكَرِيمِ أَنَّ أَسْلُوبَ الْقُرْآنِ هُوَ أَسْلُوبٌ ذِكْرِيٌّ، وَجَارِيٌّ عَلَى الْأَمْثَالِ، وَقَبْلَ الْخَوْضِ فِي تَفَاصِيلِ هَيْذِهِ الْقَاعِدَةِ الْخَطِيرَةِ وَالْمُهْمَّةِ نَذِّكُرُ بِجَمَلِهِ أُمُورًا:

الأمر الأول: إِنَّ بَعْضَ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْبَاحِثِينَ وَإِنْ كَانَ قَدْ عُنُونَهَا بِعنوانٍ آخَرَ وَهُوَ: - قَاعِدَةُ الذِّكْرِ وَالْأَمْثَالِ أَوْ الْمَثَلِ فِي الْقُرْآنِ، وَأَنَّ هَيْذَا الْعنوانَ يُوْحِي أَنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى قَاعِدَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَّا أَنَّ الْوَاقِعَ هُمَا قَاعِدَتَانِ مُنْفَصِلَتَانِ، وَلِكُلِّ قَاعِدَةٍ مَعْنَاهَا وَمَدْرَكُهَا عَلَى حِدَةٍ، كَمَا سَوْفَ نَبْحَثُهَا عَلَى ضَوْءِ مَنْهَجِنَا التَّفْسِيرِيِّ أُمُومَهُ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ، وَنظراً لِتَشَابُكِهَا وَتَقَارُبِ الصِّلَةِ الْوَطِيدَةِ بَيْنَهُمَا عَلَى رَأْيِ بَعْضِ الْمَنَاهِجِ دُمِجَ الْكَلَامِ عَنْهُمَا تَحْتَ عِنْوَانٍ وَاحِدٍ، وَإِنْ كَانَتْ قَاعِدَةُ الذِّكْرِ مِنْ أَعْظَمِ مُحْكَمَاتِ قَوَاعِدِ التَّفْسِيرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَبِلا مَنَازِعَ، وَأَنَّ قَاعِدَةَ الْأَمْثَالِ، إِنَّمَا هِيَ إِعْدَادٌ لَهَا، وَالْغَايَةُ هِيَ الْقَاعِدَةُ الْأُولَى - قَاعِدَةُ الذِّكْرِ - وَالثَّانِيَةُ - قَاعِدَةُ الْأَمْثَالِ مُمَهَّدَةٌ لَهَا.

الأمر الثاني: إِنَّ قَاعِدَةَ الذِّكْرِ وَكَذَا الْأَمْثَالِ الَّتِي سَيَأْتِي بِحَثِّهَا لِاحْتِقَاقِ لَيْسَتْ مُكْتَشَفَةً الْأَبْعَادَ، وَإِنَّمَا خَوْضُنَا فِيهِمَا مِنْ بَابِ التَّنْوِيهِ وَالتَّنْبِيهِ رَجَاءً أَنْ تَنْكَشِفَ جَمَلُهُ مِنْ جِهَاتِ الْقَاعِدَةِ الْمَذْكُورَةِ.

ص: ٢٤١

والتركيز على جعل قاعده الذكر من قواعد التفسير العظيمه والخطيره، مما قد ينفرد به خواص منهج أمومه الولايه على المحكمات دون باقى المناهج التفسيريه الأخرى، ولنلاحظ أن هذه القاعده هى حصيله منظومه قواعد ولكن بنظم وتركيب قرآنى خفى، وأنها ليست قاعده منزهة عن بقية قواعد التفسير، وليست هى كذلك مستنتجه من قاعده فارده، أو قاعدتين، أو بضع قواعد فى التفسير، بل هى نظام مجموع قواعد التفسير، بل ومنظومه طبقات أنظمته.

الأمر الثالث: إن هذه القاعده تمتاز بمميزات نذكرها فى محلها يجمعها: - أن الذكر هو نظام العلوم يوظفها إلى الكمال، وأنها بمثابة العلامه البوصليه لسلامه المنهاج التفسيري، وهذه القاعده قاعده منهجيّه راسمه لمختلف علوم تفسير القرآن وقواعده، كما سوف يتضح كل ذلك فى محله - إن شاء الله تعالى -

يقع الكلام فى أمور: -

الأمر الأول: معنى القاعده.

الذكر لغه: - قال الخليل: - الذكر: - هو الحفظ للشىء تذكّره، وهو منى على ذكر، والذكر: - الشرف والصوت، قال الله عز وجل: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ) (١).

ص: ٢٤٢

١- (١) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

والذكر: الكتاب الذى فيه تفصيل للدين، وكل كتاب للأنبياء ذكر.

وقال ابن دريد: - الذكر ضد النسيان.

الذكر بالمصطلح التفسيري: ذكر الفخر الرازى أن المراد بالذكر هو القرآن كما قال الله تعالى: (و هذا ذكر مبارك أنزلناه) (١) (و إنّه لذكر لك) (٢) و (ص و القرآن ذى الذكر) (١) (٣) و (و ما يأتيهم من ذكر) (٤) و (يا أيها الذى نزل عليه الذكر) (٥).

وقال الفخر الرازى، ثم فى تسميته القرآن بالذكر وجوه: -

أحدهما: - إنّه كتاب فيه ذكر ما يحتاج إليه الناس من أمر دينهم ودنياهم.

وثانياً: إنّه يذكر أنواع آلاء الله تعالى ونعمائه ففیه التذكير والمواعظ.

وثالثاً: فيه الذكر والشرف لك ولقومك على ما قال: (و إنّه لذكر لك و لقومك) (٦)، واعلم أنّ الله تعالى اسمه تسمى كل كُتبه ذكراً فقال: (فَسئَلُوا

ص: ٢٦٣

١- (١) سورة الأنبياء: الآية ٥٠.

٢- (٢) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

٣- (٣) سورة ص: الآية ١.

٤- (٤) سورة الأنبياء: الآية ٢.

٥- (٥) سورة الحجر: الآية ٦.

٦- (٦) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١) (٢).

وَقَالَ السَّيِّدُ الْعَلَّامَةُ الطَّبَاطِبَائِيُّ: - الْمُرَادُ مِنَ الذِّكْرِ هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، أَوْ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَارِفِ الْمَتَنَوِّعَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ بِهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حَقَائِقٍ وَقِصَصٍ وَعِبَرٍ وَأَخْلَاقٍ وَشَرَائِعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ (٣).

وَعَلَيْهِ فَلَوْ عَمَّمْنَا صِفَةَ الذِّكْرِ لِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّتِي يُقَابِلُ الشَّعْرَ كَمَا فِي الْآيَةِ (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) (٤)).

بتقريب: - أَنَّ الذِّكْرَ يُقَالُ لَهُ شَعْرٌ حَتَّى فِي وَقْعِ التَّفْعِيلِ وَتَرْتِيبِ الْقَافِيَةِ الصَّوْتِيَةِ وَالسَّجْعِ الصَّوْتِيِّ.

وَلِذَا عِنْدَمَا نَقَرَأُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ نَجِدُ أَنَّ هُنَاكَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ يَصِفُ الْقُرْآنَ بِهَا نَفْسَهُ بِأَنَّهُ ذِكْرٌ، كَمَا سَيَأْتِي بِحُثِّهَا فِي الْأَمْرِ الثَّانِي - مَدْرَكِ الْقَاعِدَةِ - وَسَيَأْتِي تَقْرِيرٌ مَعْنَى الذِّكْرِ عَلَى مَخْتَارٍ مِنْهُجٍ أَمُومَةٍ الْوَلَايَةِ فِي نَهَايَةِ الْقَاعِدَةِ.

الأمر الثاني: مدرك القاعده:

أَوَّلًا: قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

ص: ٢٦٤

١- (١) سورة النحل: الآية ٤٣.

٢- (٢) تفسير الفخر الرازي: ج ٣٢، ص ١١٣.

٣- (٣) تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي: ج ١٤، ص ٢٠٩.

٤- (٤) سورة يس: الآية ٦٩.

وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (٦٩) (١). بتقريب: - إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بَيَّنَّ أَنَّ حَقِيقَةَ الْقُرْآنِ سِوَاءَ عَلَيَّ صَعِيدِ الْكَلَامِ الصَّوْتِي وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ مِنْ مَرَاتِبِ الْقُرْآنِ لَيْسَ تَرْكِيْبٌ صَوْتِي لِتَحْرِيْكَ خِيَالِ الْإِنْسَانِ وَعَوَاطِفِهِ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الشَّعْرِ، بَلْ هُوَ يُعَبِّدُ الطَّرِيْقَ لِيُحْصَلَ حَالَهُ التَّذْكَرُ لَدَى الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ مِنْ قِرَاءَتِهِ وَالْعَمَلُ بِهِ، فَمِنْ ثَمَّ حَارَ الْأَدْبَاءُ فِي تَشْخِيْصِ حَقِيقَةِ مَا هِيَ التَّرْكِيبُ الْأَدْبِي لِلْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ هَلْ يَدْخُلُ فِي الشَّعْرِ، أَوْ فِي السَّجْعِ وَفِي الْغَزْلِ أَوْ فِي الْحِمَاسِ، أَوْ فِي الْأَسْلُوبِ الرَّمْزِيِّ، أَوْ فِي النُّثْرِ الْقِصْصِيِّ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الْأَدَبِ فِي اللُّغَةِ.

وَلَمْ يَفْطَنُوا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا لِقَوَاعِدِهِ فِي التَّرْكِيبِ الْبَلَاغِيِّ، وَأَنَّهُ مِنْ أَى شَاكَلِهِ.

وَفِي الْحَقِيقَةِ: - أَنَّ سَبَبَ هَذَا التَّحْيِيْرِ هُوَ أَنَّ مَا هِيَ التَّرْكِيبُ اللَّغَوِي وَالْبَلَاغِي لِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ هِيَ مَا هِيَ التَّرْكِيبُ الذِّكْرِي، أَى الَّذِي يُوْجِبُ التَّذْكَرَ، لَا الَّذِي يُوْجِبُ إِثَارَةَ الْخِيَالِ مِنْ حَيْثُ هُوَ خِيَالٌ، وَلَا إِثَارَةَ الْعَاطِفَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ عَاطِفَةٌ، وَلَا إِثَارَةَ الْوَهْمِ وَالْوَاهِمَةِ فِي هَيْمَانِ مَعَانِي، وَلَا إِثَارَةَ شُعُورِ الْإِحْسَاسَاتِ وَالْحَسِّ وَالتَّحْسِيْسِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَلَا إِثَارَةَ جُزْأِيَّةِ الْفِكْرِ مِنْ حَيْثُ هُوَ تَحْلِيْقٌ فِكْرِي، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ إِثَارَةِ أَفْعَالِ قُوَى النِّفْسِ مِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ، بَلْ هُوَ تَوْظِيْفٌ كُلُّ ذَلِكَ فِي مَسِيرِهِ

ص: ٢٦٥

ومسار حصول التذکر والذکر للإنسان لما مرَّ به مِنْ عوالم أخذت عَلَيهِ الموائيق فِي تركيب فطرته وذاته.

ثُمَّ إِنَّ تَوْصِيفَ مَا نُزِّلَ عَلَي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْكِتَابِ بِأَنَّهُ ذِكْرٌ، ثُمَّ تَوْصِيفُهُ بِالْقُرْآنِيَّةِ، دَالٌّ عَلَي نَقْدِ وَعُلُوِّ مَرْتَبَةِ الذِّكْرِ لِلْقُرْآنِ عَلَي مَرْتَبَةِ قُرْآنِيَّةِ الْكِتَابِ.

٢ - قوله تَعَالَى: (إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (٨٧) (١).

بتقريب: - إِنَّ هَيْذِهِ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ تَشِيرُ إِلَى أَنَّ الذِّكْرَ الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْظَمِ غَايَاتِ الْقُرْآنِ لَيْسَ غَايَةً خَاصَّةً بِالْإِنْسَانِ، بَلْ الْقُرْآنُ غَايَتُهُ الذِّكْرَ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ.

٣ - قوله تَعَالَى: (وَ هَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ) (٢).

بتقريب: - إِنَّ فِي الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ حَقِيقَةَ الذِّكْرِ عُلُوِّيَّةٌ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا إِلَّا بِالْعُرُوجِ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ الذِّكْرَ عَلَي مَرَاتِبٍ وَأَقْسَامٍ فَوْقَ أَنْ تُحْصَى.

٤ - قوله تَعَالَى: (ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ) (٥٨) (٣).

بتقريب: - وَفِي الْآيَةِ مَقَابَلَةٌ بَيْنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى عُلُوِّ

ص: ٢٤٤

١- (١) سورة ص: الآيه ٣٨.

٢- (٢) سورة الأنبياء: الآيه ٥٠.

٣- (٣) سورة آل عمران: الآيه ٣.

حقيقه الذّكر وأنّ الآيات المباركه تنزلات له، وهو مطابق لما تقدّم في سورة يس من كون الذّكر أعلى مقاماً لحقيقه الكتاب من مرتبه قرآنيه الكتاب.

٥ - قوله تعالى: (أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا) (١).

٦ - قوله تعالى: (وَ قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) (٢).

والآيتان الخامسة والسادسه بنفس مضمون تقريب الآيه الرابعه.

٧ - قوله تعالى: (وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٤٤) (٣).

بتقريب: - إن هذه الآيه المباركه فيها إشاره إلى أنّ الذّكر مع كونه ذكراً إلا أنّه يحتاج إلى بيان وتبيان وترجمان.

٨ - قوله تعالى: (فَالْتَالِيَاتِ ذِكْرًا) (٣) (٤).

٩ - قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ) (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (٥٥) وَ مَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) (٥).

ص: ٢٤٧

١- (١) سورة الأعراف: الآيه ٧.

٢- (٢) سورة الحجر: الآيه ٥.

٣- (٣) سورة النحل: الآيه ١٦.

٤- (٤) سورة الصافات: الآيه ٣٧.

٥- (٥) سورة المدثر: الآيه ٥٤-٥٦.

بتقريب: - إِنَّ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ التَّذْكَرَ بِالْقُرْآنِ لَا يَحْصُلُ إِجْءَاءً قَهْرِيًّا، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ إِرَادِهِ وَمَشِيئِهِ مِنَ الْإِنْسَانِ أَيْضًا فَهُوَ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ.

١٠ - قوله تَعَالَى: (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا) (١٠) رَسُولًا - يَتْلُوا عَلَيْكُمْ (١). بتقريب: - حسب ما وَرَدَ فِي الروايات فالذكر هو رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، والأئمة أهله (٢).

١١ - قوله تَعَالَى: (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) (٢) إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣) (٣).

بتقريب: - فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ التَّذْكَرَ لَا يَحْصُلُ مِنْ قِرَاءَةِ الْمَصْحَفِ وَالتَّدَبُّرِ بِالْمَعْنَى إِلَّا بِالتَّقْوَى وَحصول الخشيته القلبي، مما يُشير إلى ما مرَّ مِنْ أَنَّ التَّذْكَرَ وَالتَّذْكَرَ لَهُ مَرَاتِبٌ فَوْقَ بَعْضِهَا الْبَعْضُ مُتصاعده إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ.
ثانيًا: الروايات:

الروايه الأولى: الحسن بن مُحَمَّد الطوسي فِي (المجالس) عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الْمُفِيدِ، عَنْ الْمُظْفَرِ الْبَلْخِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هَمَامٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ الْحَمِيرِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مَجُوبٍ، عَنْ أَبِي حَمزَةَ الثَّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي

ص: ٢٤٨

١- (١) سورة الطلاق: الآية ١٠-١١.

٢- (٢) مستدرک سفینه البحار: ج ٣، ص ٤٢٥ للشيخ حسين بن علي النمازي.

٣- (٣) سورة طه: الآية ٢-٣.

جعفر مُحَمَّد بن علي الباقر عليه السَّلام، قَالَ: «لا- يزال المؤمن في صلاه ما كَانَ فِي ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، قائماً كَانَ أو جالساً أو مضطجعاً، إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) (١)»

(٢).

الرُّوَايَةُ الثَّانِيَّةُ: ... عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلام، قَالَ: «... ما مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ إِلَّا الذِّكْرَ فَلَيْسَ لَهُ حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ، فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْفَرَائِضَ، فَمَنْ أَدَاهُنَّ فَهُوَ حَرِّدَهُنَّ وَشَهْرَ رَمَضَانَ فَمَنْ صَامَهُ فَهُوَ حَدَّهُ، وَالْحَجَّ فَمَنْ حَجَّ فَهُوَ حَدَّهُ، إِلَّا الذِّكْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَرْضَ مِنْهُ بِالْقَلِيلِ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ، ثُمَّ تَلَا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) (٤١) وَ سَبَّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (٤٢) (٣). فَقَالَ: لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ، قَالَ: وَكَانَ أَبِي كَثِيرَ الذِّكْرِ، لَقَدْ كُنْتُ أَمْشِي مَعَهُ وَإِنَّهُ لِيَذْكُرُ اللَّهَ، وَآكُلُ مَعَهُ الطَّعَامَ وَإِنَّهُ لِيَذْكُرُ اللَّهَ، وَلَقَدْ كَانَ يَحْدُثُ الْقَوْمَ وَمَا يَشْغَلُهُ ذَلِكَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَكُنْتُ أَرَى لِسَانَهُ لَازِقًا بِحَنَكِهِ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ يَجْمَعُنَا فَيَأْمُرُنَا بِالذِّكْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ - إِلَى أَنْ قَال: - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَلَا- أَخْبَرَكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ لَكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ فَتَقْتُلُوهُمْ وَيَقْتُلُوكُمْ؟ فَقَالُوا: بَلَى، فَقَالَ ذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا، ثُمَّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْمَسْجِدِ؟ فَقَالَ:

ص: ٢٤٩

١- (١) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

٢- (٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ٧، كتاب الصلاة، أبواب الذكر: ب ١، ح ٥، ص ١٥٠.

٣- (٣) سورة الأحزاب: الآية ٤١-٤٢.

أكثرهم لله عزَّ وجلَّ ذكراً (١).

وَمِنْ كَلَامِ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: - عِنْدَ تَلَاوَتِهِ (رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ) (٢). قَالَ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جَلَاءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرِه وَتَبْصُرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْعَانِدَةِ (٣).

الرُّوَايَةُ الثَّلَاثَةُ: عَنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ الْمَجْتَبِيِّ، قَالَ: - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَادِرُوا إِلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَقَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ، قَالَ: حَلَقَ الذِّكْرَ (٤) إِضْحَاحَ ذَلِكَ - كَمَا فِي مُسْتَدْرَكِ سَفِينَةِ الْبَحَارِ: ج ٣ ص ٤٣٠ - الْمُرَادُ مِنْ حَلَقِ الذِّكْرِ: - الْمَجَالِسُ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا عَلَى قَانُونِ الشَّرْعِ، وَيُذَكَّرُ فِيهَا عُلُومُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَفَضَائِلُهُمْ، وَمَجَالِسُ الْوَعظِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا وَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ، لَا الْمَجَالِسُ الْمَبْتَدَعَةَ الْمُخْتَرَعَةَ الَّتِي يُفَضِّي اللَّهُ فِيهَا، فَإِنَّهَا مَجَالِسُ الْغَفْلَةِ لَا حَلَقِ الذِّكْرِ.

وَذَكَرَ الْمَوْلَى النَّرَاقِيُّ فِي مَشْكَالَاتِ الْعُلُومِ إِنَّهُ ذُكِرَ فِي بَعْضِ

ص: ٢٧٠

١- (١) الوسائل: ج ٧، كتاب الصلاة، أبواب الذكر: ب ٥ ح ٢، ص ١٥٤، ط مؤسسه آل البيت عليهم السلام.

٢- (٢) سورة النور: الآية ٣٧.

٣- (٣) سفينة البحار، للشيخ عباس القمي: ج ٣، ص ٢٠٩، عن كتاب الإيمان: ٣٧/٣٠٤، ج: ٣٢٥/٦٩، والوقرة: بالفتح هي الثقل في الأذن أو ذهاب السمع كله، وهنا من بركات الذكر أن يُذهب الثقل في السمع، والعشوة: مثلثة العين هي الأمر الملبس وأن يركب الشخص أمراً بجهاله لا يفرق وجهه، وهنا من بركات الذكر أنه سوف تزول ظلمه الأمر.

٤- (٤) معاني الأخبار للصدوق: ٢٠٠.

الأخبار: - لَيْسَ الذِّكْرُ مِنْ مِرَاسِمِ اللِّسَانِ وَلَا مِنْاسِمِ القَلْبِ: مِنْ أَنَّ الذِّكْرَ التِّيَامَ الحَقِيقِي لَيْسَ مِنْ وِظَائِفِ اللِّسَانِ فَقَطُّ، وَلَا مِنْ وِظَائِفِ القَلْبِ فَقَطُّ، بَلْ لِأَيِّدٍ أَوْلَى أَنْ يَدْخُلَ فِي الذِّكْرِ - بَضْمِ الذَّالِ - أَيُّ القَلْبِ وَالخَاطِرِ، ثُمَّ فِي الذَّاكِرِ بَعِينِ اللِّسَانِ، وَالْمَحْصَلُ أَنَّ الذِّكْرَ اللِّسَانِي فَقَطُّ، أَوْ القَلْبَ فَقَطُّ، لَيْسَ ذِكْرًا كَامِلًا، بَلْ لِأَيِّدٍ أَنْ يَكُونَ بِالقَلْبِ وَاللِّسَانِ مَعًا.

الرُّوَايَةُ الرَّابِعَةُ... عَنْ عَبْدِ الحَمِيدِ بْنِ أَبِي الدَّيْلَمِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَقَلَ حَدِيثًا طَوِيلًا فِيهِ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (فَسَيُتْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٤٣) (١) قَالَ الكِتَابُ الذِّكْرَ وَأَهْلَهُ آلَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسؤالِهِمْ، وَلَمْ يُؤْمَرُوا بِسؤالِ الجِهَالِ، وَسَيَمَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ القُرْآنَ ذِكْرًا، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٤٤) (٢).

الرُّوَايَةُ الخَامِسَةُ: فِي بَابِ مَجْلِسِ ذِكْرِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ المَأْمُونِ فِي الفِرْقِ بَيْنَ العِتْرَةِ وَالْأُمَّةِ حَدِيثٌ طَوِيلٌ فِيهِ قَالَتِ العُلَمَاءُ: - فَأَخْبَرْنَا هَلْ فَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الاِصْطِفَاءَ فِي الكِتَابِ؟ فَقَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَسَّرَ الاِصْطِفَاءَ فِي الظَّاهِرِ سِوَى البَاطِنِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ مَوْضِعًا وَمَوْضِعًا، فَأَوَّلَ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى أَنْ قَالَ: وَأَمَّا التَّاسِعَةُ فَنَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ الذِّينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى)

ص: ٢٧١

١- (١) سورة الأنبياء: الآية ٧.

٢- (٢) أصول الكافي: ج ١، ٢٩٣، كتاب الحجج الإشاره والنص على أمير المؤمنين عليه السلام: ج ٣.

فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) (١).

فَنَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ فَاسْأَلُونَا إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، فَقَالَتِ الْعُلَمَاءُ: إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، هَلْ يَجُوزُ ذَلِكَ إِذَا يَدْعُونَا إِلَى دِينِهِمْ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ الْمَأْمُونُ فَهَلْ عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ شَرْحٌ بِخِلَافِ مَا قَالُوا يَا أَبَا الْحَسَنِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ الذِّكْرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَحْنُ أَهْلُهُ وَذَلِكَ بَيْنَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُ يَقُولُ فِي سُورَةِ الطَّلَاقِ (فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا- يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ) (٢). فالذِّكْرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَحْنُ أَهْلُهُ، فَهَذِهِ التَّاسِعَةُ (٣).

الرُّوَايَةُ السَّادِسَةُ: مَا أَرْسَلَهُ الْعِيَّاشِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا» يَعْنِي وَلَقَدْ ذَكَرْنَا عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ وَهُوَ الذِّكْرُ فَمَا زَادَهُمْ إِلَّا نَفُورًا (٤).

فَعَلَيْهِ فَالذِّكْرُ صِفَةٌ وَحَقِيقَةٌ تَعْمَ حَتَّى أَوْصَافُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، بَلْ وَتَعْمَ كَيْفِيَّةُ تَرْتِيبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَعْنِي فِي مَقَابِلِ خُطَابِهِ فِي مَقَابِلِ اللَّهْوِ وَالغِنَاءِ وَالْمُوسِيقَى وَالشَّرُورِ، بَلْ الذِّكْرُ يَعْمَ حَتَّى الْحَالَاتِ

ص: ٢٧٢

١- (١) سورة الأنبياء: الآية ٧.

٢- (٢) سورة الطلاق: الآية ١٠-١١.

٣- (٣) عيون الأخبار: ص ١٧٩ ب ٢٣ ح ١ عنه تفسير نور الثقلين للحويزي: ج ٤، ص ٦٨.

٤- (٤) تفسير العيَّاشي: ج ٣، ص ٥٣، ح ٧٨.

النفسية، بل قد مرَّ إنَّ الذكر أم حقائق القرآن العلوية.

الذكر صفه لمراتب وجوديه متكثره:

من خلال ما تقدّم يُعلم أنَّ الذكر صفه لمراتب وجوديه متكثره تبدأ من الصوت إلى أعماق الرُّوح، فمثلاً أحد أبعاد المادّه المعنويّه الخياليّه الموجوده في الشعر ليس فقط الوزن الصوتي لتفعيله ألفاظ الشعر، بل هناك أبعاد أُخرى للشعر؛ أحدها: - ارتسام المعاني الخياليه فيه.

وعليه فعندما يقول القرآن [ذكر] يعنى ليست معانيه خياليه، وإنّما الذكر معناه: - إنَّ مجموعه أصوات وألفاظ حُبكت في القرآن الكريم تصبّ في تذكّر الإنسان ولا تؤدي به إلى الخفّه والمجون واللهو والاستهتار.

فالقرآن عندما يكون سبباً لإثاره الذكر فإنَّ إثارته للذكر ليست كإثاره الموسيقى والغناء التي هي سبب لإثاره الغريزه الشهويّه، كما في وصف رسول الله صلّى الله عليه وآله للغناء وأنه رقيه الزنا، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «الغناء رقيه الزنا»^١، وعن الإمام الصادق عليه السلام «الغناء يورث النفاق»^٢.

بخلاف ترتيل القرآن وتجويده وتفسيره... فإنّها أسباب داعيه إلى الذكر فإنَّ النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله عندما كان يقرأ القرآن حين نزوله، فإنَّ قلوب رؤوس أئمه الكفر وفراعنه الأئمّه أمثال أبي جهل وأبي سفيان

وشبيهه وربيعه والوليد بن المغيرة وعتبه و... الخ تصغى إلى القرآن الكريم ولا يمتلكون أنفسهم وقلوبهم فهى تهوى وتصغى إليه، فإن صوت ونغمه وترنيمه النبى صلى الله عليه وآله وترتيله للقرآن كان بنغمه ذكرىه وليست بنغمه مجونيه لهويه ولا شعريه ولا خطاييه ولا فوضويه خلطييه ومن هنا تبين دقه معنى الذكر وأنه من الصفات الكيفيه أيضاً وهكذا الحال بالنسبه إلى باقى أئمه أهل البيت عليهم السلام إذا قرؤوا القرآن يحدث لدى السامع موعظه وخشوع يجذب القلب.

ولذا وردت روايات تقول: نزل القرآن بحزن فاقرؤه بحزن، أى النغمه التى يقرأ فيها هى أقرب إلى الحزن وأقرب إلى ترتيل القرآن من النغمه التى فيها ابتهاج وسرور فإن نغمه الحزن تثير الذكر.

ولذا ورد عن عبدالرحمن بن سائب قال: - قد مرر علينا سعد بن أبى وقاص فأتيته مسليماً عليه فقال مرحباً بابن أخى بلغنى أنك حسن الصوت بالقرآن قلت: نعم والحمد لله، قال: - فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: - «إن القرآن نزل بالحزن فإذا قرأتموه بكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا» (١).

بتقريب: - إن القراءه بصوت حزين ليست فقط بخصوص قراءه القرآن بل حتى باقى الكتب السماويه كما فى قول الصادق عليه السلام: - إن الله

ص: ٢٧٤

١- (١) بحار الأنوار: ج ٨٩ ب ٢١ من أبواب كتاب القرآن: ص ١٩١ ح ٢.

تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيَّ فَقِفْ وَقِفِ الدَّلِيلَ الْفَقِيرَ، وَإِذَا قَرَأْتَ التَّوْرَةَ فَاسْمَعْنِيهَا بِصَوْتِ حَزِينٍ، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَرَأَ كَانَتْ قِرَاءَتُهُ حُزْنًا وَكَأَنَّمَا يُخَاطَبُ إِنْسَانًا(١).

إِذْ الذِّكْرُ صِفَةٌ لِلْقُرْآنِ عَلَى مَعَانِي وَمُدَارِجٍ كَثِيرَةٍ؛ وَلِذَا هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَالْكَلِمَاتِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي الْغِنَاءِ وَأَلْحَانِهَا وَأَطْوَارِهَا وَبَيْنَ مَفْرَدَاتِ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ وَمَفْرَدَاتِ الْغِنَاءِ مَجُونِيَّةٌ حَتَّى لَوْ لَمْ تُقْرَأْ بِأَطْوَارِهَا وَأَلْحَانِهَا الْخَاصَّةِ بِهَا وَإِنَّمَا مُجَرَّدُ الْأَلْفَاظِ وَكَلِمَاتُ يَرُدُّهَا الْقَارِئُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بِتَنْغِيمٍ حَازِقٍ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - تَوَجَّبَ الْمَجُونُ وَالْخَفَّةُ وَالطَّرْبُ، وَبِالتَّالِي فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ فِي بَحْثِ الْفُقَهَاءِ كَمَا فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، بِخِلَافِ مَعَانِي مَفْرَدَاتِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ فَإِنَّهَا تَوَجَّبَ حِصُونَ الْخَوْفِ وَحِصُونَ الرِّكَادَةِ التَّوَدُّدِ وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةَ فِي نَفْسِ الْقَارِئِ لَهَا.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ وَبِكُلِّ مَرَاتِبِهِ وَأَبْعَادِهِ وَزَوَايَاهُ يُحَدِّثُ ذِكْرًا.

وَالْخِلَاصُ: إِنَّ قَاعِدَةَ الذِّكْرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَهَا أَبْعَادٌ عَدِيدَةٌ كَمَا سَوْفَ يَتَّضِحُ خِلَالَ الْبَحْثِ فَمَثَلًا أَحَدُ أَبْعَادِهَا حَتَّى فِي طَرِيقِهِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ كَطَرِيقِهِ قِرَاءَةُ الشَّعْرِ أَوْ النَّثْرِ؛ وَلِذَا وَرَدَتْ

ص: ٢٧٥

توصيه خاصه - كَمَا تَقَدَّمَ - فى قراءه القرآن الكريم (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) (٤) (١). بتقريب: - أن الترتيل وإن كان له معانى عديده، بخلاف النثر فإنه لا يرتل به، وإنما يرتجز به وله هزائر، وعلية نفس طريقه قراءه القرآن سواء كانت تجويد أو ترتيل هى بالحقيقه ذات صلته بكون القرآن الكريم ذكر وأن طابع وقاعده الذكر تأخذ شكلاً وإطاراً وقالباً فى كل صعيد بنحو خاص به، كما ورد فى روايات أهل البيت عليهم السلام فى معنى الترتيل مثلاً، والمراد فى هذا الصعيد هو الترتيب اللفظى لوجود قرينه فى المقام قال عليه السلام: «بينه تبياناً لا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل» (٢).

بتقريب: - إن الشعر فيه نغمات وأصوات صاعده ونازله مما تحدث هزه، ومثل هذا اتركه فى قراءه القرآن، وقرأ القرآن على وتيره واحده مبيته، فإن طور الأداء الصوتى للقرآن يختلف من زوايا عديده مع الشعر ومع النثر... الخ ولكن اقرأ القرآن بترتيل فإن هذا الطور الأدائى الصوتى يؤثر فى القلوب القاسيه، وبالتالى يسبب لها الذكر، حتى معارف القرآن ليست كالمعارف الفلسفيه فإنها أفكار تجريديه ونثر وانتشار للأفكار وتشتهها بخلاف المعارف القرآنيه، فإنها نوع من نسق الأفكار بنحو يؤدى بالإنسان إلى الذكر، فحتى فى باب العقائد والمعارف

ص: ٢٧٦

١- (١) سورة المزمل: الآية ٤.

٢- (٢) الكافى: ج ٢، ص ٥٧٨، ترتيل القرآن بالصوت الحسن، بينه تبياناً: - دل على أن الترتيب هو إخراج الحروف من مخارجها، والهز هو سرعه القطع، والرمل عند نثره يقع متباعد الحيات أراد التنبيه على أن الترتيل هو إخراج الحروف من مخارجها بحيث تظهره متميزه عن بعضها البعض.

فَقَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ مِتْشَاغِلًا بِهَا وَلَكِنْ هَذَا التَّشَاغُلُ لَيْسَ كَشَاكِلِهِ الْمَنْظُومَةِ الْقُرْآنِيَةِ أَيْ بِمَا يُخْبِرُ لَهُ ذِكْرًا، وَهَكَذَا الْعَابِدُ قَدْ يَتَشَاغَلُ فِي عِبَادَتِهِ، وَلَكِنْ أَيْضًا فِي بَعْضِ حَالَاتِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ مَتَلْبَسٌ بِالْعِبَادَةِ إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَتْ ذِكْرًا، وَلِذَلِكَ آخِرُ مَا اسْتَقْرَرَتْ عَلَيْهِ سُنَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا فِي رَوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي اسْتِحْبَابِ صَوْمِ يَوْمِي الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَصُومُهَا أَوْ يَصُومُ أَيَّامَ الْبَيْضِ أَوْ كُلِّ أَرْبَعَاءٍ... إِلَّا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنْدَمَا يَصُومُهَا كَعِبَادَةٍ يُخْبِرُ لَهُ ذِكْرًا بِخِلَافِ مَا إِذَا صَامَ الْإِنْسَانُ أَيَّامَ شَهْرِ رَجَبٍ أَوْ شَعْبَانَ فَإِنَّهُ يَسْتَحِبُّ صِيَامَهَا إِلَّا أَنَّهُ يَقْطَعُ صِيَامَهُ وَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَمِرَّ وَيَتَحَسَّسَ حَالَهُ الذِّكْرَ حِينَمَا يَتَقَطَّعُ خِلَالَ الصَّوْمِ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَحْدِثْ لَهُ حَالَهُ الذِّكْرَ فَحِينَئِذٍ يَصْبِحُ الْأَمْرُ عَادَةً اعْتَادَهَا خَاصَّةً إِذَا تَعَوَّدَ أَنْ يَصُومَ يَوْمًا وَيَفْطِرَ آخَرَ، وَهَذَا بِالتَّالِي يُكُونُ أَكْثَرَ شَائِكِهِ عَلَى الْإِرَادَةِ.

وهكذا مثل صلاه الليل فَإِنَّ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَصَلِّهَا فِي مَجْلِسٍ وَوَرَدَ وَاحِدٌ وَإِنَّمَا يُقْطَعُهَا إِلَى رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى يَسْتَمِرَّهَا وَيَجْنِي مِنْهَا ثَمْرَةَ الذِّكْرِ وَالتَّوَجُّهَ وَالانْقِطَاعَ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَإِلَّا إِذَا لَمْ تَحْدِثْ لَهُ حَالَهُ الذِّكْرَ يَصْبِحُ الْأَمْرُ أَنْ يَنَامَ الْإِنْسَانُ ثُمَّ يَقُومُ ثُمَّ يَنَامُ، وَهَكَذَا لَا يَسْتَفَادُ مِنْهُ شَيْءٌ.

وَمِنْ بَابِ الْكَلَامِ يَجْزَى الْكَلَامُ نَذْرًا: - أَنْ مَسْأَلَهُ تَقْطِيعَ وَتَفْرِيقَ صَلَاةِ اللَّيْلِ هُوَ أَمْرٌ شَاقٌّ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَفِي رَوَايَةٍ عَنِ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّمَا عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَأْتِيَ بِالصَّلَاةِ وَلَوْ فِي وَرْدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَذْهَبُ حَيْثُ يَشَاءُ»

وإن كَانَ هَذَا أدنى درجات الفضيله، إلاً أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَن يَسْتَوْحِيَ مِنَ الصَّلَاةِ الذِّكْرَ فَعَلَيْهِ بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَ رَكَعَاتِهَا حَتَّى تَحْدُثَ لَهُ حَالَهُ الذِّكْرِ.

وَهُنَاكَ رَوَاهُ مِضمونها: - أَنَّ زرارهُ بنَ أَعينَ قَمَالَ للإمامِ الصادقِ عليه السَّلَامُ صَلِيَتْ نوافِلَ الظُّهْرِ وفَريضَتِها ونوافِلَ العِصرِ وفَريضَتِها دَفَعَهُ واحِدَهُ وبِلا فاصِلٍ، وَكُنْتُ صائِماً ولِما خَرَجْتُ ومَرَرْتُ مِنْ بَعْضِ مَساجِدِ المَدِينَةِ وَجَدْتُ أَنَّهُمْ لَمْ يَصَلُوا الظُّهْرَ بَعْدُ، فَقَالَ لَهُ الإمامُ الصادقُ عليه السَّلَامُ: «إِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ لِمِثْلِ هَذَا».

بِتَقْرِيْبٍ: - إِنَّهُ ما الثَّمَرَةُ فِي أداءِ هَكَذا مَسْتَحَباتٍ ونوافِلٍ وواجباتٍ بِلا إِحداثٍ حالَهُ الذِّكْرِ وَإِنْ كانَ الَّذِي يَأْتِي بِها أَفضَلَ مِمَّنْ لا يَأْتِي بِها أَصْلاً، إلاً أَنَّ الَّذِي يَأْتِي بِها إِذَا أَرَادَ أَن يَسْتَوْحِيَ مِنَ الصَّلَاةِ حالَهُ الذِّكْرِ وَالتَّوَجُّهُ فَعَلَيْهِ بِالفِصْلِ بَيْنَ رَكَعَاتِها - كُلِّ اثْنَيْنِ عَلى حِدَةٍ مَعَ الفاصِلِ - مَعَ مِراعاهِ عِدمِ خِروِجِ وَقْتِ الفِضيلِهِ.

وَعَلَيْهِ فَحَتَّى الطَّقْسِ العِبادِي لَهُ نَمَطٌ بِوصفِ القُرْآنِ يَمْكَنُ أَنْ يُوَدِّيَ إِلى حالِهِ الذِّكْرِ القَلْبِي وَالرُّوحِي وَالْأَخْلاقِي، وَلِذا فَإِنَّ كُلَّ صَعِيدٍ مِنَ الأَصْعَدِ لَهُ نَمَطٌ خَاصٌّ مِنَ المِمارِسَةِ.

إعجاز القرآن البلاغى

إنَّ قَوَاعِدَ الذِّكْرِ لَمْ تَبْحَثْ بِالْمَسْتَوَى الْمَطْلُوبِ إِلَى الْآنَ - وللأسف - لَا مِنْ قِبَلِ عُلَمَاءِ الْبَلَاغَةِ، وَلَا عُلَمَاءِ النُّحُو، وَلَا الصَّرْفِ، وَلَا الْمَنْطِقِ وَلَا التَّجْوِيدِ وَلَا التَّرْتِيلِ وَلَا غَيْرِهَا فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا بَحْثَ قَاعِدِهِ الذِّكْرِ فِي مَجَالَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنْ عُلُومِ عَدِيدَةٍ لِآلِيَاتِ عَدِيدَةٍ تُحَدِّثُ الذِّكْرَ.

وإنَّ كَانَ عَدَمُ تَوْصُلِهِمْ إِلَى ذَلِكَ هُوَ أَحَدُ أَسْبَابِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، بِخِلَافِ الشِّعْرِ مِثْلًا، سِوَاءٍ مِنْ جِهَةِ التَّرْكِيبِ الصَّوْتِيِّ أَوْ جِهَةِ الْمَعْنَى، أَوْ سَائِرِ تَرَاقِيْبِهِ، أَوْ مِثْلِ قَوَاعِدِ عِلْمِ الْمَنْطِقِ، أَوْ فَنِّ الْخِطَابَةِ وَقَوَاعِدِ الْجَدْلِ وَالْمِغَالِطَةِ وَغَيْرِهَا.

فَإِنَّ آلِيَاتِ عَمَلِهَا وَتَعَدُّدَ جِهَاتِهَا فِي عُلُومِ وَفُنُونِ عَدِيدَةٍ تَمَّ اكْتِشَافُهَا، بِخِلَافِ قَوَاعِدِ الذِّكْرِ فَإِنَّهَا لَمْ تَكْتَشَفْ، فَهَذَا هُوَ أَحَدُ الْمَعَانِي الَّتِي تُفَسِّرُ بِهَا إِعْجَازَ الْقُرْآنِ اللَّغَوِيَّ وَالْبَلَاغِيَّ.

وَعَلَيْهِ فَمَا هِيَ الْقَوَاعِدُ الْبَلَاغِيَّةُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُؤَثِّرَ وَتُجْمَعُ وَتُنظَّمُ وَتُؤَدِّيَ إِلَى التَّأْثِيرِ فِي إِحْدَاثِ الذِّكْرِ؟

ولكن إلى الآن لم يبحثها علماء البلاغه، لذلك لا زال سر معرفه إعجاز القرآن باث مسدود أمام عقل البشر وفكره ونظره.

فإن الأسلوب القرآني الرائع إذا أخذته من أي اتجاه من اتجاهات علوم اللغه والأدب بلاغه أو نحواً، أو صرفاً، أو اشتقاقاً وغيرها.

فإن هذه الاتجاهات والقواعد موجوده في نظام ألفاظ القرآن الكريم وتؤدي إلى الذكر، إن استعملت وفق موازين قاعده الذكر، إلا أنه إلى الآن لم يخض علماء هذه الفنون في بحث وبيان هكذا قواعد.

فمثلاً قوله تعالى: (بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ) (١)، وقوله تعالى: (أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) (٢).

ففي هذه الآيات المباركه وغيرها احتمالات أبداها الكفار في التعرف على حقيقه القرآن.

حقيقه الإعجاز في القرآن وصله ذلك بأن حقيقته ذكر:

الاحتمال الأول: قوله تعالى: (بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ) (٣) قالوا أضغاث أحلام حيث أنهم رأوا أن القرآن مُشتمل على تنبئات فعزوها إلى أنها حصيله من رأى مناميّه غير معلومه الصدق، فإن القرآن الكريم فيه

ص: ٢٨٠

١- (١) سورة يوسف: الآية ٤٤.

٢- (٢) سورة سبأ: الآية ٨.

٣- (٣) سورة يوسف: الآية ٤٤.

أضغاث أحلام؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ وَإِنْ كَانَ فِيهِ تَصْوِيرٌ وَإِنْ ذَارَ شَبِيهَ بِالْمَشْهَدِ الْمَنَامِيِّ وَالْحَلْمِ الَّذِي يُحْلِمُهُ النَّائِمُ الَّذِي يُبَيِّنُهُ عَنْ شَيْءٍ وَيَحْكِي عَنْهُ، وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُبَيِّنُكَ وَيُؤَدِّي بِكَ إِلَى الذِّكْرِ.

الاحتمال الثاني: قوله تعالى: (أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) (١) وقوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتِرَاءٍ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) (٢).

فإن الافتراء: شبيهه بالأسلوب القصصي الأسطوري الخرافي، بخلاف القرآن فإنه ليس كذلك؛ وإنما للقرآن أسلوبه وأدبه الخاص، والقرآن وإن كان به أسلوباً قصصياً ولكن قصصه تؤدي إلى الذكر وإلى حقائق تختلف عن قصص وكتابات الروائيين والقصصيين في قصة المسرح، أو الأفلام فإنها روايه أسطوريه تداعب الخيال والوهم بخلاف ذكر القرآن وحبكه لقصه قرآنيه حباكه تؤدي إلى الذكر.

وعليه فقواعد أسلوب القرآن الكريم تختلف عن قواعد كتابه القصصه الروائيه الأسطوريه، وللأسف فإن كثير من المفسرين يظنون أن القرآن الكريم عندما يعبر في قاعده الأمثال وضربها (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٢١) (٣).

ص: ٢٨١

١- (١) سورة سبأ: الآية ٨.

٢- (٢) سورة الفرقان: الآية ٤.

٣- (٣) سورة الحشر: الآية ٢١.

بتقريب: - فإنهم - المفسرون - يزجون بالآيات والسور وتفسيرها إلى نظام القصة الرواية - والعياذ بالله - ومثل هكذا زج خطأ وخطر كبير مترتب عليه وهو: - إنه سوف تُبنى هذه الحقائق على أن معاني القرآن ليست حقائق، وكأنهم بين نارين: -

نار الحقائق ونار الخرافات والأسطورات، وهذا من المباحث الحساسة والمهمّة جداً، وبالتالي نصل إلى هذا الأمر الحساس والخطير وهو وجود الفرق بين أسلوب القرآن في أصعده عديده لفظيه صوتيه ترتيبيه ذو معاني وعلوم وفنون ومهارات تختلف عن أساليب القصصيين أو البلاغيين أو المؤرخين وغيرهم.

وبالتالي فإنّ فنّ الذكر غير فنّ الأسطوره وفنّ القصة.

الاحتمال الثالث: قوله تعالى (بل هو شاعر) (١) بتقريب: - أي نسيج قوه الخيال كما هو الحال في الشعر فإنّ أعدبه أكذبه، حيث يقوم الشاعر بتلفيق وترتيب صور بتصرف من قوه الخيال والمخيّله، يتوخى فيها قوه الإثارة والاستقطاب الروحي لكن بدعايه التصوير ورسم المعاني والصور بنحو يُثير الحفيظه ويحرّك ويهيّج الأحاسيس، وهذا بعيد كلّ البعد عن حقيقه القرآن، فإنّه لا يعتمد إلّا على رباط الحقيقه وترابط الحقائق وانتظام الواقعيه بالواقعيات.

ص: ٢٨٢

نعم كشفه للمجهولات من الحقائق في العوالم المختلفه مهولٌ مُذهِلٌ مُثيرٌ مُقرِّعٌ لا بدعايه أوهام الخيال التي قد تُنشئ عوالم من سراب، وأين هذا من صور للحقائق لا تحزم المطابقه للحقائق قيد شعره.

وكذا قوله تعالى: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠) (١)).

بتقريب: - أن المُلَفَت في الآيه المُبَارَكه بَعَدَ نَفِي كُون حَقِيقَه الْقُرْآنِ مِنْ الشَّعْرِ بَيَّنَّت الآيه المُبَارَكه: - أن حَقِيقَه الْقُرْآنِ: -
أَوَّلًا: إِنَّهُ ذِكْرٌ.

ثانيًا: إِنَّهُ قُرْآنٌ مُبِينٌ، فَحَقِيقَه الذِّكْرُ أَصْلٌ فِي وَاقِعِهِ الْقُرْآنِ.

ثالثًا: أمَّا بالنسبه إلى تراكيب القرآن المقروءه، والبيئه الدلاله فهى فرع ثانٍ وبالتبع لحقيقته الأولى، ووصفه ليُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا مناسباً لحقيقته الأولى وهو كونه ذكر، كما أن في ذلك إشاره إلى أن التركيب الذكري لألفاظ القرآن لارتباط ذلك التركيب بالحقيقه العينيه له، والتي هى حقيقه الذكر.

وهكذا قوله تعالى: (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَبَّحُوا بِإِنْمَا صَبَّحُوا بِكَيْدِ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) فَأَلْقِ السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ

ص: ٢٨٣

وَ مُوسَى (٧٠) (١). بتقريب: - إِنَّ السَّاحِرَ قُوَّتُهُ مَحْدُودَةٌ، وَأَفْكَارُهُ وَصِفَاتُهُ مَنْحَرَفَةٌ، وَلَمَّا كَانَ السَّحْرَ عَمَلًا مَنْحَرَفًا، وَفِيهِ نَوْعٌ مِنْ الْخُدْعَةِ وَالْمَكْرِ، فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى وَضْعِ رُوحِي يَنْسَجِمُ مَعَهُ، فَإِنَّ السَّاحِرَ خَدَّاعٌ مَا كَرَّ يُمْكِنُ مَعْرِفَتُهُ بِسُرْعَةٍ مِنْ خِلَالِ مَطَالَعَةِ نَفْسِيَّتِهِ. وَالنَّتِيجَةُ: إِنَّ كُلَّ مَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ السَّاحِرُ مِنْ سِحْرِهِ هُوَ خِيَالٌ بَاطِلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَلَا سَعَادَةَ يَظْفِرُ بِهَا فِي أَمْرِ خِيَالِي مُوْهُومٌ لَا وَاقِعَ حَقِيقِي لَهُ.

الاحتمال الرَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا) (٤) (٢).

بتقريب: - إِنَّ الْقُرْآنَ عِبَارَةٌ عَنْ تَلْفِيْقٍ مَشْتَرَكٍ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَعُونَةٍ آخِرِينَ وَمُنْتَجِحٍ مِنَ الْمَجْمُوعِ، وَهَذَا الْاِحْتِمَالُ يُلْحِظُهُ خُرُوجَ هَذَا الْمَنْظُومِ الْقُرْآنِيِّ بِتَرْكِيْبِهِ وَعِظَمِ مَعَانِيهِ وَحَقَائِقِهِ عَنْ قَدْرِهِ الْبَشَرِيِّ، وَقَدْ تَصَدَّى الْقُرْآنُ لِرَدِّ هَذَا الْاِحْتِمَالِ فِي عِدَّةِ مَوَارِدٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (٨٨) (٣) وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ

ص: ٢٨٤

١- (١) سورة طه: الآيه ٦٩-٧٠.

٢- (٢) سورة الفرقان: الآيه ٤.

٣- (٣) سورة الإسراء: الآيه ٨٨.

فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) (١).

الاحتمال الخامس: قوله تَعَالَى: (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (٥) (٢).

بتقريب: - احتمال الكفار أن منبع حقيقه القرآن هو الكتب الموروثة من القرون القديمه، سواء كانت سماويه كالتوراه والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وآدم وغيرها، أو كانت بشريه.

فأجابهم القرآن الكريم: بأن هذه المعلومات الموجوده في القرآن هي أسرار في شؤون السماوات والأرض ليست بمقدره البشر.

الاحتمال السادس: قوله تَعَالَى: (وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهْمُ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (١٠٣) (٣).

بتقريب: - ما قاله على بن إبراهيم القمي في تفسيره: - وهو لسان: أي فكيهه مؤلى بنى الحضرمي كان أعجمي اللسان، وكان قد أتبع نبي الله وآمن به، وكان من أهل الكتاب، فقالت قريش هذا - والله - يعلم

ص: ٢٨٥

١- (١) سورة هود: الآية ١٣.

٢- (٢) سورة الفرقان: الآية ٥.

٣- (٣) سورة النحل: الآية ١٠٣.

محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَّمَهُ بِلِسَانِهِ يَقُولُ اللهُ (وَ هَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (١).

الاحتمال السَّابِع: قوله تَعَالَى: (وَ مَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ) (٢١٠) وَ مَا يَتَّبِعِي لَهُمْ وَ مَا يَشِيطُوعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (٢١٢) (٢).

بتقريب: - إِنَّ هَذَا الاحتمال يغير احتمال الكهانه الآتى ذكره، فى أَنَّ مُؤَدَى هَذَا الاحتمال فى أَنَّ القائل به يُسَلِّمُ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهُ، ولكن يزعم احتمال دخول الشياطين فى عمله التنزيل، وَهَذَا ما يرفع الأمان والاطمئنان عَنْ كونه كلام الله، وَأَنَّهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ وَلَمْ يتبدل بخلاف الكهانه، فَإِنَّهَا - كَمَا سَيَأْتِي - قول تنشأه الشياطين.

وملخص هَذَا الاحتمال أَنَّ الكفار احتملوا أَنَّ القرآن - والعياذ بالله - مِنْ إِيحَاءِ ووحى الشياطين، إِلَّا أَنَّ القرآن الكريم رَدَّه برَدِّين:

أحدهما: إِنَّهُمْ - الشياطين - لا- يتمكنون مِنْ تنزيل القرآن، وَذَلِكَ لِأَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عازِلٌ للشياطين عَنْ توكيلهم فى أى مأموريه إلهيه، وما ينبغى لله تَعَالَى أَنْ يوَكِّلهم فى ذَلِكَ إِذْ هُوَ خِلاف الحِكمه والرُّشد، إِذْ لا- يتناسب الكلام والوحى الإلهى الذى هُوَ مِنْ سنخ النور مَعَ استيمان مخلوقٍ لا حيطه ولا إحاطه لَهُ بِهَذَا السنخ مِنَ النور الإلهى.

والآخر: إِنَّ الشياطين - كَذَلِكَ - لا قُدْره لهم، بَلْ ولا تمكن لهم مِنْ

ص: ٢٨٤

١- (١) تفسير القمى: ج ١، ص ٣٩٢.

٢- (٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٢.

تلقى الوحي الإلهي وإيصاله إلى النبي صلى الله عليه وآله، وذاتك لعزلهم وحجبهم عن قدره والتمكن من سمع الوحي والكلام الإلهي، وهَذَا نظير قوله تعالى في نفس سورة الشعراء: (هَلْ أُبَيِّنُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ) (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣) (١).

بتقريب: - إنَّ الشياطين وإنَّ حاولوا السمع إلَّا أَنَّهُمْ لَا يَتِمَكُونُ مِنْهُ، كَمَا أَنَّهُمْ لَا يَتِمَكُونُ مِنَ النَّزُولِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ لِأَنَّ الْمَهْدَ الْبَشْرِيَّ الَّذِي يَتِمَكُونُ مِنَ النَّزُولِ عَلَيْهِ هُوَ كُلُّ أَفَّاكٍ مَنَعِمَسٍ بِالْإِثْمِ وَالْآثَامِ، وَقَدْ عَلِمَتْ قَرِيشٌ أَرْبَعِينَ عَامًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، فَكَيْفَ تَتِمَكَّنُ الشَّيَاطِينُ مِنَ التَّمَكَّنِ عَلَيْهِ.

وَهَذِهِ سُنَّةٌ تَكْوِينِيَّةٌ يَفْصَحُ عَنْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَهِيَ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى أَيْضًا (وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَ لَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) (٢).

بتقريب: - إِنَّهُمْ - الْجَنَّةُ - فِي الْعِزِّ مَقِيمُونَ وَمَسِيطِرٌ عَلَيْهِمْ، فَأَنَّى لَهُمْ تَلَكُ الْقَدْرَةِ وَالسِّيْطَرَةَ.

الاحتمال الثامن: قوله تعالى: (أَ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ) (٢) (٣).

ص: ٢٨٧

١- (١) سورة الشعراء: الآيه ٢٢١-٢٢٣.

٢- (٢) سورة الصافات: الآيه ١٥٨.

٣- (٣) سورة يونس: الآيه ٢.

وقوله تَعَالَى: (وَ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) (٤) (١).

وقوله تَعَالَى: (وَ أَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَبَّحُوا بِمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَ لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) (٦٩) فَأَلْقَى السَّحْرَهُ سُجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَ مُوسَى (٧٠) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَ لَأَصِيَّبَنَّكُمْ فِي يَوْمِ النَّخْلِ وَ تَعْلَمَنَّ أَنِّيَأْ أَشَدُّ عَذَابًا وَ أَبْقَى) (٧١) (٢). بتقريب: - إِنَّ هَذَا الاحتمال هُوَ الآخر يُغَايِر الكهانه، كَمَا يُغَايِر تنزّل الشياطين به، ووجه المغايره: - بين الكهانه وتنزّل الشياطين، فَقَدْ مرَّ بيانه آنفًا - وَأَمَّا السحر: فَلَيْسَ هُوَ مِنْ إِنْشَاء الشياطين كالكهانه، وَ لَا مِنْ وَسْطَةِ الشياطين فِي تنزِيل الوحي الإلهي، بَلْ عباره عَنْ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ تراكيبه جَذَابَه ومؤثره كتركيب كتابه العزائم والطلسمات - والعياذ بالله - وَمِنْ قبيل النفث بالعقد المعقوده للسحر، ويشير إلى هَذَا القول قوله تَعَالَى: (ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ... سَأَرْهَقُهُ صَيْعُودًا) (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ (١٨) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) (٣).

بتقريب: - حَيْثُ رأى زعماء قريش أَنَّهُمْ لَا يملكون أَنفُسَهُمْ مِنْ

ص: ٢٨٨

١- (١) سورة ص: الآيه ٢.

٢- (٢) سورة طه: الآيه ٦٩-٧٢.

٣- (٣) سورة المدثر: الآيه ١١-٢٥.

جاذبيته استماع القرآن كلما تعاهدوا بينهم أن لا يستمعون إلى القرآن ينكث كل منهم عهده فيذهب للاستماع إليه حتى انفضح أمرهم فيما بينهم مرّات وكُرّات، وجرى مثل ذلك للوليد بن المغيرة، وكان الوليد شيخاً كبيراً مجرباً من دهاة العرب، وكان من المستهزئين برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ يَقْعِدُ فِي الْحَجْرِ (١). وقرأ القرآن، فاجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيرة، فقالوا: يا أبا عبد شمس ما هَذَا الذي يقول مُحَمَّدٌ؟ أَشِدَّ عَزُّهُ أَمْ كِهَانُهُ أَمْ خُطْبٌ؟ فَقَالَ دَعُونِي أَسْمَعُ كَلَامَهُ، فَدَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: - يَا مُحَمَّدُ أَنْشِدْنِي مِنْ شِعْرِكَ، قَالَ: مَا هُوَ شِعْرٌ، وَلَكِنْ - وَلَكِنَّهُ - كَلَامَ اللَّهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِمَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، فَقَالَ: إتلِ عَلَيَّ مِنْهُ شَيْئاً، فَقَرَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «حَمَّ السَّجْدَةِ»، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ (فَيَا أَعْرَضُوا) (٢). يَا مُحَمَّدُ يَعْنِي قَرِيشاً (فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) (٣).

قَالَ: فاقشعر الوليد، وقامت كُلُّ شَعْرَةٍ عَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، وَمَرَّ إِلَى بَيْتِهِ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى قَرِيشٍ مِنْ ذَلِكَ، فَمَشُوا إِلَى أَبِي جَهْلٍ، فَقَالُوا يَا أبا الْحَكَمِ: - إِنَّ أبا عَبْدِ شَمْسٍ صَبَا (٤) إِلَى دِينِ مُحَمَّدٍ، أَمَا تَرَاهُ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْنَا؟ فَعَدَا أَبُو جَهْلٍ إِلَى الْوَلِيدِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِّ نَكَسْتَ رُؤُوسَنَا وَفَضَحْتَنَا،

ص: ٢٨٩

١- (١) حجر إسماعيل عليه السلام في البيت الحرام.

٢- (٢) سورة فصلت: الآية ١٣.

٣- (٣) سورة فصلت: الآية ١٣.

٤- (٤) صبا فلان أي خرج من دين إلى دين آخر.

وأشمت بنا عدونا وصيَّبوت إلى دين مُحَمَّد؟ فَقَالَ ما صبوتُ إلى دينه ولكن سمعت كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود، فَقَالَ أبو جهل: أَخْطَبٌ هُوَ؟ قَالَ لا، إِنَّ الْخُطْبَ كَلَامٌ مُتَّصِلٌ وَهَذَا كَلَامٌ مَنْثُورٌ وَلَا يَشْبَهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، قَالَ فَشِعْرٌ هُوَ؟ قَالَ: لَا أَمَّا إِنِّي سَمِعْتُ أَشْعَارَ الْعَرَبِ بَسِيطَهَا وَمَدِيدَهَا وَرَمَلَهَا وَرَجَزَهَا وَمَا هُوَ بِشِعْرٍ، قَالَ: دَعْنِي أَفَكِّرْ فِيهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالُوا لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ مَا تَقُولُ فِيمَا قَلْنَا؟ قَالَ: قَوْلُوا هُوَ سِحْرٌ فَإِنَّهُ أَخَذَ بِقُلُوبِ النَّاسِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي ذَلِكَ (ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) (١١) وَإِنَّمَا سُمِّيَ لِأَنَّهُ قَالَ لِقُرَيْشٍ: إِنِّي أَتَوَحَّدُ بِكَسْوَةِ الْبَيْتِ سَنَهُ، وَعَلَيْكُمْ بِجَمَاعَتِكُمْ سَنَهُ... (١).

وَقِيلَ فِي سَبَبِ النُّزُولِ: - أَنَّ الْوَلِيدَ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى مَجْلِسَ قَوْمِهِ مَخْزُومًا، فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ آتِنَا كَلَامًا مَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ، وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ، وَإِنَّ لَهُ لِحَلَاوَهُ، وَأَنَّ عَلَيْهِ لَطَاوَهُ (٢) وَإِنَّ أَعْلَاهُ الْمَثْمَرُ وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لِمَعْدَقٍ (٣) وَأَنَّه لِيَعْلُوا وَمَا يُعْلَى، ثُمَّ انصرفت إلى منزله (٤).

فخافت قريش أن ينتشر قول الوليد فيؤمن الناس بمحمد صلى الله عليه وآله

ص: ٢٩٠

١- (١) تفسير القمي: ٢٩٢/٢ مع اختلاف يسير.

٢- (٢) الطلاوه: الحُسن والبَهجه والقبول.

٣- (٣) والمعْدق: كُؤْلُ غِصْنٍ لَهُ شَعْبٌ، وَالْمَذَقُ الْمَعْنَى أَزْهَرُ.

٤- (٤) تفسير القمي: ٣٩٣/٢ مع اختلاف يسير مع المطبوع، وتصرف بسيط، عنه تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني: ج ٨ ص ١٥٧، تفسير نور الثقلين للحويزي: ج ٨ ص ٤٨، ٤٩.

فأَلَحُوا عَلَى الْوَلِيدِ أَنْ يَنَالَ مِنْ مَقَامِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَأَجَابَهُمْ، وَمَاذَا أَقُولُ عَنْهُ؟ هَلْ أَقُولُ مَجْنُونًا؟ وَمَنْ يُصَيِّدُ؟ أَمْ أَقُولُ: كَاهِنٌ؟ وَمَا تَكْهَنُ قَطُّ، أَمْ أَقُولُ شَاعِرٌ وَمَا نَطَقَ بِالشَّعْرِ، أَمْ كَاذِبٌ وَمَا جُرِّبَ عَلَيْهِ أَحَدٌ شَيْئًا مِنَ الْكُذْبِ... ثُمَّ فَكَّرَ - الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ - فَلَاحَ لَهُ أَنْ يَصِفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالسَّاحِرِ وَأَنَّهَ أَخَذَ الْقُرْآنَ عَنِ الْكُهَنَةِ وَالسَّيْحَرِ، مَا هُوَ إِلَّا سَاحِرٌ مَا رَأَيْتُمُوهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَمَوَالِيهِ، وَمَا يَقُولُهُ سِحْرٌ يُوَثِّرُ عَنْ أَهْلِ بَابٍ فَتَفَرَّقُوا مَعْجِبِينَ مِنْهُ (١).

فَأَجَابَ الْقُرْآنَ عَنْ ذَلِكَ: بَأَنَّ هَذِهِ سُنَّةُ الْأَقْوَامِ الْمُخْتَلَفَةِ فِي جُحُودِهِمْ وَإِنْكَارِهِمْ لِأَنْبِيَائِهِمْ حَيْثُ يَرُونَ مَدَى تَأْثِيرِ الْأَنْبِيَاءِ وَانْجِدَابِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ، بَلْ انْجِدَابِهِمْ - الْكَافِرُونَ - أَنْفُسُهُمْ لِلْأَنْبِيَاءِ رَغْمَ جُحُودِهِمْ لَهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ انْجِدَابٌ تَسْلِيمٌ وَانْقِيَادٌ، فَيَعزُونَ هَذَا التَّأْثِيرَ إِلَى السِّحْرِ كَمَا فِي قَوْلِ فِرْعَوْنَ لِلآيَاتِ الْمَعْجِزَةِ الَّتِي شَاهَدَهَا مِنَ النَّبِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَوْتِيرِهِ وَاجْتِدَادِهِ، فَإِنَّ الْكُفَّارَ الْجَاهِلِينَ لِعَالَمِ الْآخِرَةِ عِنْدَمَا يُشَاهِدُونَ لِمَعَانِ نُورِ الْغَيْبِ الظَّاهِرِ فِي مَعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا هِيَ الْحَالُ فِي مَعْجِزَةِ الْقُرْآنِ لَا يَتِمَّ الْكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ التَّأْثِيرَ وَالْانْجِدَابَ وَلَكِنَّهُمْ يَجْحَدُونَ كُونَ هَذَا التَّأْثِيرِ مِنْ عَالَمِ غَيْبِ الْمَلَكُوتِ، فَهَذَا الْإِحْتِمَالُ وَالْقَوْلُ يَتَضَمَّنُ وَيَنْطَوِي عَلَى الْإِقْرَارِ بِقُدْرَةِ وَقُوَّةِ الْمَعْجِزَةِ كَالْقُرْآنِ وَإِنْ جُحِدَ التَّسْلِيمُ بِهَا وَبِحَقِيقَتِهَا.

ص: ٢٩١

الاحتمال التاسع: قوله تَعَالَى: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) (٥٢) أ تَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَ ذَكَرَ فَإِنَّ الدُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) (١).

وقوله تَعَالَى: (وَ يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ) (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) (٢).

بتقريب: - إِنَّ هَذَا الاحتمال فى الغالب يُطْلَقُ المعانِدون، وَهُوَ الجنون مرددين بينه وبين الشَّعْر، أو السَّحْر، أو شىء آخر مؤثِّر؛ فَإِنَّهُمْ بَعِيدٌ أَنْ يَعْتَرَفُوا بِالتَّأثير إِلَّا أَنَّهُمْ يَرِيدُوا أَنْ يوصموا حقيقه القرآن بالعشوائيه والفوضى واضطراب المعلومات وإرباك المضامين إِنَّ هَذَا هُوَ طابع وضابط الجنون - والعياذ بالله - إِلَّا أَنْ فسق نظام المعلومات فى القرآن وعظمتها يدحض قول هؤلاء المعاندين، فَإِنَّ نَسَقَ النظام المعلوماتى فى كُلِّ حقل يتحدَّث عنه القرآن، وَعَنْ كُلِّ عالم يُفِيض فى شؤونه علوم القرآن فلعجزهم وتعاجزهم عَنْ الإحاطه بِهَذَا الهول مِنْ المعلومات والحقائق يرتكون ويضطربون وتغش عقولهم عَنْ التمكن مِنْ وعى أدنى مستوى مِنْ هَذِهِ المعلومات، فيصفون الحال الَّتى تصيبهم ويلصقونها بالقرآن.

الاحتمال العاشر: قوله تَعَالَى: (فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمِهِ رَبِّكَ

ص: ٢٩٢

١- (١) سورة الطور: الآية ٥٥.

٢- (٢) سورة الصافات: الآية ٣٦-٣٧.

بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَبِّبَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ
أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) (١).

وقوله تَعَالَى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ
مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ
عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) (٢).

بتقريب: - إِنَّ هَذَا الاحتمال - كَمَا مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ إِجْمَالًا - فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ وَصْفِ حَقِيقَةِ الْقُرْآنِ بِحَالِهِ الْكُهَانَةِ وَالْكَهَانِ، حَيْثُ
يُرْتَاضُ الْكَاهِنُ بِالاتِّصَالِ بِأَحَدِ مَرَدِّ الشَّيَاطِينِ فَيُغْوِصُ فِي خِلْسَةِ الْغَيْبِ بِعِبَرِ حَرَكَاتٍ وَرِيَاضَاتٍ لِكَيْ يَنْقَطِعَ عَنِ الْحَسِّ الظَّاهِرِ
إِلَى الْحَسِّ الْبَاطِنِ فَيَتَمَّ اتِّصَالُهُ بِمَارِدِ الشَّيَاطِينِ، ثُمَّ يَقُومُ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ بِالْإِيْحَاءِ بِالْأَقْوَالِ إِلَى ذَلِكَ الْكَاهِنِ، فَيُصْحَوْنَ وَيُخْبِرُ عَمَّا
أَخْبَرَهُ ذَلِكَ الْمَارِدُ مِنَ الشَّيَاطِينِ.

ويجيب القرآن الكريم عَنْ هَذَا الْقَوْلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ
وَلَوْ

ص: ٢٩٣

١- (١) سورة الطور: الآيه ٢٩-٣٤.

٢- (٢) سورة الحاقة: آيه ٤٠-٤٨.

كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) (١).

بتقريب: - إِنَّ الْأَنْسَ مَعَ كَوْنِهِمْ أَقْوَى فِي الْقَوَى الْعَقْلِيَّةِ مِنَ الْجِنِّ لَوْ اجْتَمَعُوا جَمِيعًا لَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَأْتُوا بِسُورِهِ وَاحِدَةً، وَهَذَا مَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ الْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) (٢).

وكذلك قوله تَعَالَى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣).

بتقريب: - إِنَّهُ إِذَا كَانَ جَمِيعُ الْإِنْسِ مَتَظَاهِرِينَ بِشُرَكَائِهِمْ مِنْ جَمِيعِ الْجِنِّ وَغَيْرِهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ فَكَيْفَ بِمَا وَرَدَ مِنْ مَرَدِّ الشَّيَاطِينِ تَكُونُ لَهُ الْقُدْرَةُ.

ص: ٢٩٤

١- (١) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

٢- (٢) سورة البقرة: الآية ٢٣-٢٤.

٣- (٣) سورة يونس: الآية ٣٨-٣٩.

إنَّ إعجاز القرآن الكريم البلاغى مثلاً معناه البحث عن سببه وتفسيره؟ فقد حارت العقول في اكتشاف القواعد البلاغية والنظام البلاغى في القرآن، وكذا حارت في اكتشاف النظام اللغوى والصرفى والنحوى و... الخ في القرآن.

نعم قواعد علم البلاغه والنحو والصرف واللغه والاشتقاق و... الخ معروفه في علومها كل بحسبه وهى قواعد مارسها القرآن الكريم، وهى لا ينكره أحد والكلام ليس فيما عرف من القواعد المختلفه لعلوم مختلفه واستخدمها القرآن الكريم وإنما الكلام فى القواعد الأدبيه من بلاغه ونحو وصرف ولغه واشتقاق و... الخ المفعلة فى القرآن الكريم ولم تكتشف إلى الآن وهى مجهوله وبالتالي هى غير مقدروه، ومعنى العجز يعنى عدم القدره، وعدم القدره أحد الأسباب السياسيه فى كون القرآن معجز.

ومعنى عدم القدره يعنى الجهل وعدم العلم ببلاغه القرآن الكريم فإنه معجز، وكذا أسلوب النظام الأدبى فهو معجز أيضاً. وسبب العجز هو عدم امتلاك كل أجيال البشر إلى يوم القيامة، القدره على العلم بقواعد العلوم تفصيلاً، وإن علم منها شيئاً بسيطاً بما يتمشى مع

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْأَسَاسَ فِي عَدَمِ الْقَدْرِهِ هُوَ عَدَمُ الْعِلْمِ بِتَمَامٍ وَمَجْمُوعِ الْقَوَاعِدِ لِعُلُومٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي الْقُرْآنِ مِنَ اللُّغَوِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ وَالِاشْتِقَاقِيَّةِ وَ... الخ الَّتِي اسْتَثْمَرَهَا وَأَعْمَلَهَا الْقُرْآنُ فِي نِظَامِهِ الْأَدَبِيِّ وَالْبَلَاغِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَ... الخ.

وَعَلَى هَذَا يَتَرْتَّبُ أَمْرًا آخَرَ أَلَا وَهُوَ أَنَّ هَذَا الْجَهْلَ وَعَدَمَ الْعِلْمِ بِقَوَاعِدِ الْعُلُومِ كَالْبَلَاغَةِ وَغَيْرِهَا فَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَمْ يُجَدِّدْ مَعَالِمَهُ اللُّغَوِيَّةَ وَالْأَدَبِيَّةَ، وَإِلَى الْآنَ لَمْ يَتَحَدَّدْ وَلَمْ يَعْرِفْ مَا هُوَ أُسْلُوبُ الْقُرْآنِ هَلْ هُوَ أُسْلُوبُ شِعْرٍ؟ كَلَّا لَيْسَ بِشِعْرٍ هُوَ أُسْلُوبُ قِصَصِي؟ كَلَّا، هَلْ هُوَ أُسْلُوبُ نَثْرِي مَسْجَعٍ الْقَوَافِي؟ كَلَّ، لَيْسَ ذَاكَ وَ... الخ.

إِذَنْ لَمْ تَكْتَشَفْ إِلَى الْآنَ تَمَامَ مَنْظُومَةِ قَوَاعِدِ الْبَلَاغَةِ وَالنَّحْوِ وَالصَّرْفِ وَاللُّغَةِ وَالِاشْتِقَاقِ وَ... إِذْ لَوْ اكْتَشَفْتَ لِاسْتِطَاعَةِ الْبَشَرِ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ الْقُرْآنِ، وَعَلَيْهِ فَالْقُرْآنُ مَنْظُومَةٌ خَاصَّةٌ مِتْرَابِطَةٌ مِنَ الصَّوْتِ إِلَى الْهَيَأَةِ إِلَى الْمَعْنَى إِلَى الْجَوْ الْقُرْآنِيِّ كُلُّهُ بِرِسْمِ هِنْدَسِيٍّ إِلَهِيٍّ خَاصٍّ، وَبِاعْتِرَافِ عُلَمَاءِ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ وَالْبَلَاغَةِ وَاللُّغَةِ وَ... الخ وَأَنْتُمْ يُذْعِنُونَ أَنَّ هُنَاكَ بَحُوثًا نَحْوِيَّةً وَصَّرْفِيَّةً وَ... فِي الْقُرْآنِ لَمْ يَسْتَطِعْ عُلَمَاءُ هَذِهِ الْفَنُونِ أَنْ يَضْبُطُوهَا وَهِيَ حَتْمًا عَلَى الْقَوَاعِدِ، وَلَكِنْ تِلْكَ الْقَوَاعِدُ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا إِعْرَابُ الْقُرْآنِ أَوْ اشْتِقَاقُهُ لَمْ تَكْتَشَفْ كُلَّهَا بَعْدُ، بَلْ حَتَّى تَوْجِدَ اشْتِقَاقَاتٍ لِلْمَصَادِرِ فِي الْقُرْآنِ وَهِيَ قَلِيلَةٌ لِاسْتِعْمَالِ مَعَ أَنَّا عِنْدَمَا

نقرأها في القرآن الكريم نقرأها بكل طراوه وبلاغه وجمال بديعي رهف، ولكن مع ذلك حيتي في يوميات الأدب العربي تتقاصر عن الاستثمار والاقْتباس من هذه البدايع البلاغيّة، فإنّ هذه الاشتقاقات خلّابه وبديعه وعجيبه جدّاً في القرآن.

تنبيه: إيّانا أن نتوهم أنّ الإعجاز الأدبي محصور فقط و فقط في علم البلاغه من معاني وبيان وبديع كلا، وأنّما الإعجاز الأدبي أحد مباحث قواعد علم التفسير، وعليه فإنّ تفسير الإعجاز القرآني لا ينحصر بعلم من علوم الأدب، فإنّ القرآن الكريم فيه نحو تراكيب وقواعد نحويّة وبلاغيّة وصرفيّة واشتقائيّة... الخ يعجز علماء ومُتخصّصوا كلّ فن عن اكتشافها وإن كانت هذه العلوم مُتقاربه وموادّها اللغويّة جزله وخلّابه وموجوده في القرآن، فإنّ الإنسان العربي وغيره تتقاصر همهم أو قدراتهم عن الاستفادة من تلك المواد، بينما القرآن استعملها واستفاد من تلك القواعد أعظم استفاده حتّى وصلت إلى حدّ الإعجاز.

إذن هناك أبعاد عديده في الحقيقة في القرآن في جانب علوم الأدب وغيرها أعجز القرآن علماء تلك العلوم من أن يحيطوا بنظام منظومه القواعد المرثية في القرآن التي استخدمها وفعلها وأعجز البشر عن إدراك قوتها وجمالها وبديع بريقها في أبعاد مُختلفة، واللطف أنّ الجامع لها كلّها هو عنوان الذكر أيّ أنّ أسلوب ومعلم معالم القرآن هو الذكر.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ لَا تُخَيِّدُ لِلْإِنْسَانِ طَرِبًا وَلَا خِفَةً وَلَا مَجُونَ وَلَا إِثَارَةَ الْغَضَبِ وَلَا إِثَارَةَ الشَّهْوَةِ، وَإِنَّمَا فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ تَوْجِدُ إِثَارَةِ لِدَفَائِنِ الْعُقُولِ وَمَنْسَى الْفِطْرَةِ، وَإِلَى الْآنِ لَمْ يَتِمَّكَنْ عُلَمَاءُ الْأَخْلَاقِ مِنْ التَّوَصُّلِ إِلَى مَوَازِنِهِ فِي كُلِّ الْفَضَائِلِ كَفَضَائِلِ فَقَطُّ لِأَجْلِ أَنْ تُخَيِّدُ فِي الْإِنْسَانِ ذِكْرًا، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ تَنَاسُبٌ وَتَنَاسُقٌ مَعِينٌ فِي الْفَضَائِلِ يُخَيِّدُ فِي الْإِنْسَانِ ذِكْرًا وَلَكِنَّهُمْ إِلَى الْآنِ لَمْ يَتَوَصَّلُوا إِلَيْهِ.

طبيعته حقيقة القرآن أنه يفعل كل علم:

وَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «مَنْ انْهَمَكَ فِي طَلْبِ النَّحْوِ سَلِبَ الْخُشُوعَ» (١).

بتقريب: - إنَّ مَنْ تَعَمَّقَ فِي طَلْبِ النَّحْوِ سَلِبَ الْخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ أَوْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ الْأَذْكَارِ مَعَ أَنْ مَا فِي الصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ يَوْجِدُ إِعْجَازًا وَتَعَمُّقَ نَحْوِيٍّ فِي تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ لَا يَسْلُبُ الْخُشُوعَ، بَلْ يَوْجِدُ الْخُشُوعَ وَالذِّكْرَ، فَإِنَّ طَبِيعَةَ حَقِيقَةِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ يُفَعِّلُ كُلَّ عِلْمٍ فِي مَسِيرِ الْوُصُولِ إِلَى الْقِمَّةِ وَالْكَمَالِ وَإِلَى الذِّكْرِ، فَمِثْلًا النَّظَامِ النَّحْوِيِّ فِي الْقُرْآنِ لَيْسَ نِظَامًا يَسِيرٌ وَيَصِبُّ إِلَى الرَّدِيِّ أَوْ إِلَى الْإِلَهَادِفِ كَلَا، وَإِنَّمَا يَسْتَعْمِدُ الْقُرْآنُ وَبِنَحْوِ إِعْجَازِيٍّ، إِلَّا أَنْ هَذَا الْإِعْجَازُ لَا يَكُونُ عَائِقًا وَمَكْبَلًا لِلْإِنْسَانِ وَمُقْعِدًا لَهُ عَنِ الْمَسِيرِ، بَلْ بِالْعَكْسِ دَافِعًا لَهُ بِقُوَّةِ إِلَى

ص: ٢٩٨

المسير للأمام، أمّا أنّه كيف يمكن أن يتسخدم القرآن هذِهِ العلوم بنمط ذكرى ويخدم بنحو يدفع الإنسان في مسيره نحو الكمال والتكامل، فذاك بحث يتّضح من خلال المباحث الآتية، وهُنَا يكمن سرّ إعجاز القرآن.

ص: ٢٩٩

لا يمكن لأحد أن يفهم ويفقه معنى الذكر إلا أن يكون نفس الإنسان متذكراً، وأعظم متذكر هو النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، بدليل أن القرآن لم ينعت أحداً بأنه ذكر أو جسّد الذكر إلا سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله دون بقية الأنبياء والأوصياء.

كما في قوله تعالى: (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا) (١٠) رَسُولًا- يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (١).

كما أن القرآن الكريم لم ينعت أحداً بأنه كتله وحيّ مجسّده، وحيّ بتمام وجوده إلا سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله (إنّ هو إلا وحيّ يوحي (٤) (٢) فإنّ بعض المفسّرين فسّره في خصوص نطق النبي صلى الله عليه وآله، وفي خصوص ما يبلغه عن الوحي فقط دون سائر نطق النبي صلى الله عليه وآله، فضلاً عن بقية أفعاله وسائر شؤونه وحالاته ومقاماته ومراتب ذاته، أيّ دون تمام حقيقه النبي صلى الله عليه وآله وهذا غير صحيح، وإنّما الصحيح هو أنّ الضمير (هو) في الآية يعني به تمام حقيقه النبي صلى الله عليه وآله فبدنه وحيّ وهديّته وحيّ وجلوسه وحيّ وقيامه وحيّ، وعلمه وحيّ ونوره وحيّ و... الخ (لقد كان لكم في رسول الله أسوة

ص: ٣٠١

١- (١) سورة الطلاق: الآية ١٠-١١.

٢- (٢) سورة النجم: الآية ٤.

وهكذا هُناك وصفاً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْقُرْآنِ لِتَمَامِ وَجُودِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَ مَا يَتَّبِعِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ) (٢).

بتقريب: - إِنَّ النعت الأول للقرآن هو الذكر، فَإِنَّ هَذَا النعت (الذكر) كَمَا هُوَ نعت للقرآن كَذَلِكَ هُوَ نعت للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَهَذَا يُوضِّح لنا أَنَّ الْقَاعِدَةَ الشريفة - قَاعِدَةُ أَنَّ الْقُرْآنَ ذِكْرٌ - يعنى فيما تعنيه، وَأَنَّ علم التفسير ليس علم بقواعد وعلوم نظريه فقط، وَأَنَّ علم التفسير يحتاج من المفسر أن يكون متذكراً بقدر ما عنده من ذاكره، وَأَنَّ يكون ذكره لله عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يستوعب من حقائق ومعاني القرآن أكثر فأكثر.

وَأَنَّ هُنَاكَ مِنْ قَوَاعِدِ علم التفسير برنامج عملي وليس فقط برنامجاً نظرياً وفكرياً، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ المنهج التفسيري الأمثل والمتكامل هُوَ مَا كَانَ فِيهِ جناحان وبرنامجان أحدهما نظري فكري، والآخر منهاج عملي، والبرنامج العملي متمثل بأن تكون أيها المفسر مُتَذَكِّراً غَيْرَ مَفْتَنِّينَ بالنزوات فحينئذٍ تستطيع أن تستوعب من معاني وحقائق القرآن أكثر فأكثر.

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ وصيته متكرره من القرآن في سورة وآياته: (وَ لَقَدْ

ص: ٣٠٢

١- (١) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

٢- (٢) سورة يس: الآية ٦٩.

يَسْرُونَ الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ (١٧) (١).

وإنَّ كُلَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَتَذَكَّرَ وَيَصِيرَ ذَكْرِيًّا فَلَا بُدَّ أَنْ يَحِيطَ وَيَلْتَمَّ بِكُلِّ مَا هُوَ مُرْتَبَطٌ بِالذِّكْرِ فَإِنَّهُ مُرْتَبَطٌ بِمَعْرِفَةِ الْقُرْآنِ وَعِلْمِ الْقُرْآنِ.

التذكر من شرائط قراءة القرآن المستحبه:

إذن أهم ما تتميز به قاعده كون القرآن ذكر هو أنها ليست فقط برامجاً أو قاعده فكريه وتنظيريّه بحتّه، بل لها جنبه ومسيحّه عمليّه، وهذنا يلزم مراعاته في كّل قاعده من قواعد تفسير القرآن الكريم، وهذيه الجنبه العمليّه في قاعده الذكر ترتبط بعمل الإنسان، وعمل نفس الذات النفسانيه في الإنسان بغض النظر عن القرآن والتفسير، فإنّ التذكر والمتذكر من شرائط قراءة القرآن الكريم المستحبه، وكذا من الشرائط المستحبه أن يكون الإنسان مُتَطَهَّرًا في غير الأوقات التي تُؤدّى بها العبادات المشروطه بالطهاره.

من الضروريات للمفسر تأسيس الجنبه العلميه

والعمليه التطبيقيه:

وعليه لأجل أن يؤسس المُفسِّرُ في كيان نفسه وفي مساره العلمى جنبه تطبيقيه لقاعده الذكر، وقبل أن يردّ ويخوض في بحر أنوار القرآن الكريم، عليه أن يُراعى تأسيس الجانب العلمى والتطبيقي، واستفاده

ص: ٣٠٣

هَيْدِهِ التَّوَصِيهِ وَالْفَاعِلِ قَدْ تَمَّتْ مِنْ فَحْوَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (٧٩) (١) فَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ هَيْدِهِ الْآيَةُ الْمُبَارَكَةَ خَاصَّةً بِأَهْلِ آيَةِ التَّطْهِيرِ، إِلَّا أَنَّ فَحْوَاهَا لِلْمَرَاتِبِ النَّازِلَةِ عَامَّةً تَشِيرُ إِلَى مَعَادِلِهِ التَّنَاسُبِ الطَّرْدِيِّ بَيْنَ طَهَارَةِ الْإِنْسَانِ وَقَدَرِ نَيْلِهِ مِنْ دَرَجَاتِ بَوَاطِنِ الْقُرْآنِ.

كَذَلِكَ هُنَاكَ آيَاتُ قُرْآنِيَّةٍ وَرَوَايَاتُ وَصَفَتْ وِلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِوَصْفِ الذِّكْرِ وَالتَّذْكَرِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ) (٤٨) (٢) مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضِيلِ عَنِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَاضِي عَلَيْهِ السَّلَامُ: - أَنَّ وِلَايَةَ عَلِيِّ لَتَذْكَرُهُ لِّلْمُتَّقِينَ الْعَالَمِينَ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مَكْذِبِينَ، وَأَنَّ عَلِيًّا لِحَسْرَةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَأَنَّ وِلَايَةَ عَلِيِّ لِحَقِّ الْيَقِينِ... الخ (٣).

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِ مُعْرِضِينَ) (٤٩) (٤) يَعْنِي عَنِ الْوِلَايَةِ.

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (كَأَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ) (١١) (٥) وَقَوْلُهُ: (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ) يَعْنِي الْوِلَايَةَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَى وَ ذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي) (٦) فَفِي رِوَايَةِ كَنْزِ

ص: ٣٠٤

-
- ١- (١) سورة الواقعة: الآية ٧٩.
 - ٢- (٢) سورة الحاقة: الآية ٤٨.
 - ٣- (٣) الكافي: ج ١، ص ٣٥٩ ح ٩١ عنه البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: ج ٢٦ جلد ٨ ص ١١٠.
 - ٤- (٤) سورة المدثر: الآية ٤٩.
 - ٥- (٥) سورة المدثر: الآية ٥٤.
 - ٦- (٦) سورة الأنبياء: الآية ٢٤.

الكراجكى عَنْ الكاظم عليه السلام فى هذِهِ الآيه قَالَ: (ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَى) عَلِيٌّ ذِكْرٌ (وَ ذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِى) الأنبياء والأوصياء(١).

وكقوله تَعَالَى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) قَالَ: الَّذِينَ آمَنُوا: الشيعة، وذكر الله: أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام، ثُمَّ قَالَ: - ألا بذكر الله تطمئن القلوب(٢). وكقوله تَعَالَى: (لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي) (٣).

الذكر بمثابه الأصل الذى ينحدر منه القرآن الكريم:

والمتحصل مِنْ هَذِهِ الآيات وغيرها أَنَّ توصيف أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام بأنه ذِكْرٌ هُوَ بحكم التنزيل لا التأويل، كَمَا وَرَدَ هَذَا العنوان فى شأن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، والوجه فيه: أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام بمنزله نفس النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بنص آيه المباهله (وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ) وَ هَذَا مقام عظيم لأميرا لمؤمنين عليه السلام بَعْدَمَا بَيَّنَّ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَ مَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُّبِينٌ) (٦٩) (٤) مِنْ أَنَّ مقام الذكر بمثابه الأصل الذى ينحدر منه القرآن.

ص: ٣٠٥

١- (١) الكافى للكلىنى: ج ١، كتاب الحججه: ب ١٦٥، نكت و ننف من التنزيل فى الولاية: ص ٥٠٤ ح ٩١، يعنى الولاية لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

٢- (٢) وَيُستفاد مِمَّا تقدم أن الذكر فى القرآن على سته وجوه: - القرآن، والنبي، وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام والولاية، والإمامه، وطاعتهم، ومعناه المُتعارف، مستدر ك سفينه البحار، مادّه ذكر، للشيخ حسن النمازى: ج ٣، ص ٤٢٧.

٣- (٣) سوره الفرقان: الآيه ٢٩.

٤- (٤) سوره يس: الآيه ٦٩.

وهكذا ما ورد في زيارات أمير المؤمنين عليه السلام من أنه عليه السلام ذكر.

وأما الروايات:

فقد روى ابن المغازلي في مناقب الإمام على عليه السلام: - عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وإن لأدناهم في حج الوداع بمنى، قال صلى الله عليه وآله: - لا أفينكم ترجعون بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله إن فعلتموها لتعرفني في الكتيبة التي تضربكم ثم التفت إلى خلفي، ثم قال: - أو علي، أو علي ثلاثاً فرأينا أن جبرائيل غمزه وأنزل الله عز وجل على أثر ذلك (فإما نذهب بك فإننا منهم منتقمون) (٤١) بعلي بن أبي طالب عليه السلام - (أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون) (٤٢) ثم نزلت، (قل رب إما تريني ما يوعدون) (٩٣) رب فلا تجعلني في القوم الظالمين (٩٤) ثم نزلت (فان شمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم) (٤٣) وإن علياً لعلم للساعة، (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) (٤٤) عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وما أرسله العياشي بسنده عن علي بن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام: «(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا) يعني ولقد ذكرنا علياً في القرآن وهو الذكر فما زادهم إلا نفوراً» (١).

ص: ٣٠٦

ضروره تأسيس الجانب العملي للمفسر في قاعده الذكر:

ولأجل أن يؤسس المُفسِّرُ في كيان نفسه وفي مساره العلمي جنبه تطبيقيه لقاعده الذكر، وقبل أن يَرُدَّ ويخوض في بحر أنوار القرآن الكريم، لا بُدَّ أن يُراعى تأسيس الجانب العملي والتطبيقي عنده إلى حدِّ ما شبيه ما يُقال، أو يقتبسه الفلاسفه على مدرسه الإشراق، أو على العرفاء في مدرستهم العرفانيه، إنَّ أحد القنوات الموصله للمعرفه ليس قناه الفكر، وإنَّ كان صحيحاً أنَّه وَرَدَ ما مضمونه - تفكر ساعه خير من عبادته سبعين سنه، وأنَّ أحد نوافذ المعرفه هو الفكر إلَّا أنَّه هُنَاكَ نافذه عملاقه كبيره أُخْرَى، وهِيَ قناه القلب لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.

وَعَلَيْهِ فَالذِّكْرُ عِبَارَةٌ عَنْ نِظَامٍ مِنْ عُلُومٍ مُخْتَلِفَةٍ يَخْتَلِفُ عَنْ الْأَنْظُمَةِ بِالْعُلُومِ، فَمِثْلًا لِعِلْمِ النَّحْوِ أَوْ الشَّعْرِ، أَوْ الصَّرْفِ أَوْ غَيْرِهَا قَوَاعِدٌ وَتَفْصِيْلَاتٌ وَأَوْزَانٌ خَاصَّةٌ كَمَا ذَكَرْنَا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ ذَكَرَ لَهُ أَوْزَانَ فِي بَعْضِ اللَّفْظِيِّ مِنَ الذِّكْرِ، فَضِلًّا عَنْ قَوَاعِدِ الذِّكْرِ فِي تَرْكِيبِ الْمَعْنَى بَدَأَ مِنَ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنَ الْمَعْنَى وَتَصَاعَدًا إِلَى الدَّرَجَاتِ الَّتِي لَا تَنْفِذُ مِنْ طَبَقَاتِ الْمَعْنَى، فَضِلًّا عَنْ أَوْزَانِ وَقَوَاعِدِ الذِّكْرِ فِي حَقَائِقِ الْقُرْآنِ الْعَيْتِيَّةِ، وَارْتِبَاطِ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِ بِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ فِي قَلْبِهِ وَرُوحِهِ (١).

ص: ٣٠٧

١- (١) صدر الحديث ذكره البخاري في صحيحه في كتاب العلم وفي كتاب الأضاحي رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان في كتاب القسامه، رواه أبو داود، والترمذي، وأحمد بن حنبل أما غمز

الواضح أنَّ الحقيقه والصواب لا- يقتنص بالتنظير فقط، يَلَّ لا بُدَّ أَنْ يَفْتَرْنَ ورَعَّ وزهد وجانب عملى وطيران عَرْنَ حضيض الغرائز(١) وَعَلَيْهِ فالعلم بمفرده أى القوه الفكرية لوحدها لا- تؤمن لك إصابه الحقيقه والصواب، وَعَلَيْهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَفْتَرْنَ العلم والقوى الفكرية بجانب العمل، حَتَّى يُؤْمَنَ لك بَعْض الحقيقه؛ لِأَنَّ العلم يهتف بالعمل فَإِنَّهُ صدقه وَإِلَّا ارتحل هكذا جاء فى كلمات المعصومين عليهم السلام(٢).

فَإِنَّ هَذَا الْمُنْظَرُ حَتَّى لو كَانَ عبقرياً فى أى علم مِنَ العلوم فَإِنَّهُ إِذَا نَحَى جانب العلم والقوى الفكرية التنظيرية فَقَطُّ فيمكن أَنْ يُسَيِّسَ ذَلِكَ العلم والعالمِ سواءً فى علم الفيزياء أو الكيمياء أو الأحياء أو الجغرافيه أو التاريخ أو المال أو... الخ وتنتج بَعْدَ ذَلِكَ نتائج فيزيائيه مسيسه، أو كيميائيه مسيسه أو تاريخ مسيس أو سياسيه ماليه، ولذا نسمع بين الآونه وَالْأُخْرَى الأكذوبات العلميه فى مختلف العلوم لأنها سَيِّسَتْ وَنَحَتْ جانب التنظير فَقَطُّ ولذا وقعت فى الخلط والخبط والحيص بيص.

ص: ٣٠٨

- ١- (١) ومنه لُقِبَ جعفر بن أبى طالب عليه السلامَ لِأَنَّهُ طار وَتَخَلَّصَ من حضيض الغرائز وجذباتها وطار عن حبس الذات؛ ولذا يطير مع الملائكه فى الجنه، وهكذا أبو الفضل عليه السلام العباس ابن على بن أبى طالب عليه السلام حصل على مقام الطيران فضلاً عن المعصومين عليهم السلام فإنهم حصلوا على هذا المقام السامى.
- ٢- (٢) عوالى اللئالى: ٢٦/٤٤/٤.

وَعَلَيْهِ فَالْعُلُومُ بِشَيْءٍ أَنْحَائِهَا لَا يُمْكِنُهَا أَنْ تَصِفَ فِقَّ وَتَطِيرَ بِجَنَاحٍ وَاحِدٍ وَهُوَ جَانِبُ الْقُوَى الْفِكْرِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّنْظِيرِيَّةِ، وَإِنَّمَا لِأَبَدٍ مِنْ ضَمِيمِهِ جَنَاحٌ آخَرَ وَهُوَ الْجَانِبُ الْعَمَلِيُّ الَّذِي يَشْكَلُ أَزْمَهُ بَيْنَ حَضَارَةِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَبِالذَّاتِ حَضَارَةِ مَنْهَاجِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالْأَطْرُوحَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، أَوْ حَتَّى فِي الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْآخَرَى فِي أَطْرُوحَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَلَا يُمْكِنُ رَفْعُ الْيَدِ عَنْ أَطْرُوحَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّتِي تَمَثَّلُ الْعَدْلَ وَالْعَدَالَةَ الْمَتَمَثِّلَةَ بِالْجَنْبِ الْعَمَلِيَّةِ.

وهكذا الحال في علم التفسير، فإنَّه وعلوم القرآن الأخرى كعلم ونور لا يمكن الظن بالوصول من خلالها إلى حقائق بمجرد التنظير، وإذا أردت أيها المفسر الكريم أن تصبح مفسراً ناجحاً وقديراً وتخرج بدوره تفسيريته قديره عليك أن تتطهر أيها المفسر في أخلاقك وعملك وذاتك حتى تحصل على نتائج تفسيرية طيبة بقدر ما يتطهر كما بينا ذلك سابقاً، ولذا يشترط في الفقيه في مدرسه أهل البيت عليهم السلام أن يكون عادلاً، وهكذا تشترط العدالة في القاضي.

تأثير العدالة والتقوى على الجانب العملي:

صحيح أن القضاء مهنة علمية واحتراف مهني، ولكن ما ربط تأكيد الآيات والروايات على العدالة والورع مع الجنبه العلميه، وهكذا الحكم عبارته عن السياسي الذي له القدره والمراس في فن إداره المتغيرات

وتناسقها مع المصالح، وَعَلَيْهِ فَمَا رَبَطَ اشْتِرَاطَ الْعَدَالَةِ وَالْوَرَعَ بِمَنْصَبِ الْحَاكِمِ وَأَدَائِهِ؟

وفى معرض الجواب عَنْ ذَلِكَ، أَنَّ الْقُرْآنَ ذَكَرَ هَذَا الرِّبْطَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) (١)).

بتقريب: - إِنَّا إِذَا أَرَدْنَا نَتَاجَ سَدِيدٍ وَسَلِيمٍ فَلَا بُدَّ مِنْ اشْتِرَاطِ الْعَدَالَةِ وَالْوَرَعِ بِالْفَقِيهِ وَالْقَاضِيِ وَالْحَاكِمِ وَغَيْرِهِمْ.

فَإِنَّ النَتِيْجَةَ الْعَمَلِيَّةَ مِنْ اشْتِرَاطِ ذَلِكَ هُوَ الْهَدَايَةُ لِلْمُتَّقِينَ مَمْرُوجَةً بِالْجَانِبِ الْعَمَلِيِّ (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) (٢)).

فَإِنَّ الْقُرْآنَ لَهُ مَقَامَاتٌ غَيْبِيَّةٌ وَدَرَجَاتٌ مِنَ الطَّهَارَةِ خَاصَّةً وَإِقْرَأْ وَارْقُ.

فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَهُ نَافِذَةٌ لِلْعِلْمِ غَيْرِ الْفِكْرِ وَلَا يُبَدَّ مِنْ جَمْعِهَا مَعَ الْفِكْرِ، أَلَا وَهِيَ نَافِذَةُ الطَّهَارَةِ، وَالرِّيَاضَةُ الرُّوحِيَّةُ وَالنَّفْسَانِيَّةُ فِي الرُّوحِ وَالنَّفْسِ.

هَذَا وَقَدْ بَنَى الشَّهِيدَ الثَّانِيَّ قَدَّسَ سِرَّهُ عَلَيَّ إِنَّ مَلَكَةَ الْجَهَادِ مَلَكَةٌ قُدْسِيَّةٌ لَا فِكْرِيَّةٌ بَحْتَهُ، بَلْ طَهَارَةُ الرُّوحِ مُؤَثَّرَةٌ فِيهَا.

ص: ٣١٠

١- (١) سورة البقرة: الآية ١.

٢- (٢) سورة الواقعة: الآية ٧٧-٧٩.

وَقَدْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ: - بَأَنَّ الْمَلِكَةَ الْعَلْمِيَّةَ مَلِكَةً فِكْرِيَّةً لَا رِبْطَ وَلَا صِلَةَ لَهَا بِأَلْيَاتِ الْعَمَلِيَّةِ فِي النَّفْسِ سِوَاءَ كَانَتْ الْهَيْئَةُ النَّفْسَانِيَّةَ الْمُتَوَلِّدَةَ مِنَ الْعَمَلِ نُورَانِيَّةً، أَوْ ظَلْمَانِيَّةً.

إِلَّا أَنَّ الصَّحِيحَ هُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّهِيدُ الثَّانِي قَدَّسَ سِرَّهُ إِجْمَالًا، فَإِنَّ صَفَاءَ وَشَفَافِيَّةَ الرُّوحِ بِالْغَةِ التَّأثيرِ فِي جُودِهِ وَطَهَارِهِ صَفَاءَ مَرآةِ الْفِكْرِ لِإِدْرَاكِ الْمَطَالِبِ، بَلَّ الْمَحْكِي عَنْ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبُوغِ وَالْإِخْتِرَاعِ أَنَّهُمْ لَا يُوَفِّقُونَ إِلَى اكْتِشَافِ الْإِخْتِرَاعَاتِ إِلَّا بَعْدَ صَفَاءٍ وَتَشْفِيفِ الرُّوحِ وَشَفَافِيَّةِ خُلُقِيَّةِ تَعْتُورِهِ.

وَحَاصِلُ مَا أَشْكَلَهُ مَنْ تَأَخَّرَ عَنِ الشَّهِيدِ الثَّانِي قَدَّسَ سِرَّهُ: - إِنَّهُ إِذَا اعْتَمَدَ عَلَى الْجَنْبِ الْفِكْرِيَّةِ، يُمْكِنُ الْحُصُولُ عَلَى نَتَائِجِ طَبِيبِهِ، وَلَا يَشْتَرِطُ وَجُودَ الْجَنْبِ الْعَمَلِيِّ فِي الْحُصُولِ عَلَى النَتَائِجِ الطَّبِيبِيَّةِ وَإِنْ كَانَ لَا تَنْكُرَ أَهْمِيَّةَ الْجَنْبِ الْعَمَلِيِّ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ شَرْطًا فِي دَلِيلِكَ! وَيُؤَيِّدُ دَلِيلَكَ مَا فِي حَقِيقَةِ زِيَارَةِ الْمُعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنَّ الْبَعْضَ يَدَّعِي أَنَّ الزِّيَارَةَ هِيَ مُحَضُّ جَنْبِ عَمَلِيَّةِ وَعَمَلٍ فَقَطُّ، وَأَنَّ الزَّائِرَ الْكَرِيمَ تَرَكَ الْعِلْمَ لِجَنْبِ الْعَمَلِ إِلَّا أَنَّ هَيْدَةَ الدَّعْوَى مَدْفُوعَةٌ: مَنْ قَالَ بِأَنَّ الزِّيَارَةَ كُلَّهَا عَمَلٌ مُحَضٌّ وَأَنَّهُ تَرَكَ الْعِلْمَ لِجَنْبِ الْعَمَلِ، كَلَّا لَيْسَ كُلُّهُ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الزِّيَارَةَ صَحِيحٌ فِيهَا جَنْبُ عَمَلٍ، إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي عَدَمَ الْغَفْلَةِ عَنِ بَعْضِ الْجِهَاتِ وَالْبِنُودِ الْعَلْمِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي فِقْرَاتِ الزِّيَارَةِ، فَإِنَّ الزِّيَارَةَ عِبَارَةٌ عَنْ تَرْوِيضِ عِلْمِيٍّ وَدَوْرَةٍ وَمَنْظُومَةٍ مَعْرِفِيَّةٍ عَقَائِدِيَّةٍ مُتَكَامِلَةٍ، وَلَا يَدَّ مِنْ تَطْهِيرِ الْقَلْبِ وَتَنْوِيرِهِ فَحِينَئِذٍ تَزْدَادُ

قابليتك كلما ازدادت طهارتك النفسيه والروحيه، ولذا فإن الإخفاقات الكثيره التي نلاحظها في المعارف أو العقائد ما هي إلا نتيجة ضعف القوى الفكرية للباحث الكريم، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى (أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ) (٧٥) (١).

بتقريب: - إنّه تعالى أعزى وأسند إخفاق إبليس لعنه الله عليه في الإيمان و المعرفة إلى استكباره، وهوى هيئه عمليه من أفعال القلب والنفس تؤثر سلباً على القوى الفكرية والقلبية الإدراكية لذات الإنسان.

وعليه فالجانب العملي لوحده لا يوصلنا إلى نتائج طيبه وإتباعه لوحده مُشكِل ولا النظر وحده، ولذا إبليس عندما حُجِب بسبب استكباره، مؤشراً على أنّه ليس الخطأ سببه في التصور والفكر فقط، ولذا فَمِنْ لطفه منهجنا التفسيري أمومه الولايه على المُحكّمات في القرآن بتفسير سديد في حمل الأطراف والآفاق والمراحل، إلا إذا كان عنده تولى لأولياء الله، والتولى والولايه لأولياء الله ليس فيه جنبه نظريه فقط، وإنما فيه جنبه وسلوك عملي نفساني وقلبي كذلك.

وإلا يكن هناك في البين (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً) (٢).

نتيجة أعمالهم، بخلاف ما أشارت إليه الآية الكريمة (إِنَّهُمْ فِيئُهُ

ص: ٣١٢

١- (١) سورة ص: الآية ٧٥.

٢- (٢) سورة البقره: الآية ٧.

آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) (١).

بتقريب: - إنَّ زياده الهُدَى هِيَ زياده فى الإيمان والمعرفة، وَهَذَا حاصل نتيجة شيئين وَهُمَا: - الفكر والعمل، لا أحدهما مِنْ دون الآخر.

وَمِنْ هَذَا البحث يفتح المجال أمام بحوث مِنْهَا: -

الشعائر الحسينيه وَقَاعِدِهِ الذِّكْر:

لَعَلَّ الكثير يتساءل عَنْ مسأله البكاء عَلَى الحسين عليه السَّلَام وَغَيْر البكاء فلماذا العاطفه الشديده؟ وَلَعَلَّ أيسر ما يُجاب عَنْ هَذَا:

يَأْنُ الجانب النظرى وَالْأُمُور الفكرية لا تكفى لوحدها لفهم ما قام به الحسين عليه السَّلَام، وَعَلَيْهِ فإِذَا كَانَ السائل متوَحِّل بِبرائن المعصيه، فلا- يمكنه أَنْ يفهم، ولو ببعض ما قام به الإمام الحسين عليه السَّلَام ما لَمْ يَتَطَهَّر وَيَتَنَطَّف مِنْ تلك المعاصى، وَهَذَا يحتاج إلى جنبه عملى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ ترك تلك المعاصى عملاً وخارجاً.

فالعاطفه لها دورٌ مهمٌ فى صقل الفكر وقوّه إدراكه، إِذْ مِنْ دونها لا يستعد فكر الإنسان لإدراك جملهِ مِنْ حقائق المعانى فضلاً عَنْ قصور الفكر لتناول الحقائق العينية، فضلاً عَنْ تأثير العاطفه عَلَى تصديق وتسليم القلب والنفس للحقائق، والإذعان بالعلم المطابق للحقائق العينية؛ فَإِنَّ الجانب الفكرى مهما تضخم وتكاثر فَإِنَّهُ لا يوجب إرعواء النفس للإخبات للحقائق وعدم التمرّد عَلَيْهَا، كَمَا تشير إليه الآيه الْمُبَارَكَة

ص: ٣١٣

١- (١) سورة الكهف: الآيه ١٣.

(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ) (١).

فَإِنَّ بَعْضَ الْأُمُورِ الْفِكْرِيَّةِ لَيْسَ مَقْدَمَتِهَا الْفِكْرَ فَقَطُّ، وَإِنَّمَا مَقْدَمَتُهَا الرِّيَاضَةُ الرُّوحِيَّةُ السَّلِيمَةُ.

الطهاره الروحيه ودخالها في جانب التفسير:

والخلاصه مِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ تَحَصَّلَ مَا يَلِي:

إِنَّ الْمَفْسَّرَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى جَانِبِ إِمَامِهِ بِقَوَاعِدٍ عَدِيدَةٍ مَعِينَةٍ، أَنْ يَخُوضَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ حَالَهُ التَّطْهِيرِ وَالرِّيَاضَةِ الرُّوحِيَّةِ حَتَّى تَنْفَتِحَ لَهُ الْآيَاتُ أَكْثَرَ فَاكْثَرَ، وَإِلَّا فَلَا تَنْفَتِحُ أَمَامَهُ وَهَذَا جَانِبٌ عَمَلِيٌّ يَجِبُ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ الْمَفْسَّرُ وَهُوَ أَحَدُ أَبْعَادِ قَوَاعِدِ مَوَازِينِ الْفِكْرِ وَتَوَازِنِهِ.

ص: ٣١٤

١- (١) سورة النمل: الآية ١٤.

إشارة

إنَّ أهم ما تتميز به قاعدة الذكر عن سائر القواعد الأخرى هو:

الربط بين الذكر والترتيل والتلاوة:

أولاً: إنَّ قاعدة الذكر تتأطر وتتقوَّب وتتشكَّل في كُلِّ صعيد بنحو خاص به، كما وردَ في روايات أهل البيت عليهم السَّلام في معنى الترتيل للقرآن، وأحد المعاني المراد من الترتيل في هذا الصعيد هو الترتيل اللفظي.

كما في روايه عبدالله بن سليمان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السَّلام عن قول الله عزَّ وجلَّ (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) (١)، قال: أمير المؤمنين عليه السَّلام بيَّنه تبياناً (٢) ولا تهذه هذ الشعر (٣) ولا تنثره نثر الرَّمْل (٤) ولكن أفرعوا قلوبكم القاسيه (٥) ولا يكن

ص: ٣١٥

١- (١) سورة المزمل: الآية ٤.

٢- (٢) دلَّ على أن الترتيل هو إخراج الحروف من مخارجها، بحيث تظهر متميزه بعضها عن بعض عند السامع؛ ولذا يقال ترتيل وترسيل.

٣- (٣) الهد: سرعه القطع، وهذا القرآن هذاً إذا أسرع في قراءته كما يسرع في قراءه الشعر.

٤- (٤) الرَّمْل عند نثره يقع على الأرض متباعده حباته، وكأنه أراد بذلك التنبيه على المطلوب من الترتيل إخراج الحروف من مخارجها بحيث تظهر متميزه بعضها عن بعض، ولكن ليس بحيث تخرج الحروف متقطعه منفصلاً بعضها عن بعض كحبات الرَّمْل عند نثرها، وذلك لطول الفواصل بينها.

٥- (٥) أي أضيفوا قلوبكم الغليظه بالتدبر في آياته وما وردَ فيها من أخبار الأمم السالفه وكيف كفرت بالله

نعم لِقَاعِدِهِ الذِّكْرَ وَارْتِبَاطَهَا بِالتَّلَاوَةِ مَرَاتِبٌ أُخْرَى مِنْ تَلَاوَةِ الْمَعَانِي فِي مَوَاطِنِهَا الْمُنطَبِقَةِ عَلَيْهَا وَتَنْزِيلِهَا فِي الْمَوَارِدِ الْمَسْتَحَقَّةِ لَهَا فَضْلاً عَنْ مَرْتَبَةِ قَاعِدِهِ الذِّكْرَ فِي الْحَقَائِقِ الْمُرْتَبِطَةِ بِتَرْتِيلِ رَتْلِ الْحَقَائِقِ وَتَلَاوَةِ وَبَعْضِهَا تَلَوَ بَعْضٌ، وَحَيْثُ إِنَّنَا فِي مَقَامِ بَيَانِ قَوَاعِدِ النِّظَامِ اللَّفْظِيِّ، فَالتَّعَرُّضُ مَتَمَكِّزٌ فِي قَاعِدِهِ الذِّكْرَ فِي بُعْدِهَا اللَّفْظِيِّ.

ثانياً: إِنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي مَنْهَجِ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ دُونَ بَاقِي الْمَنَاهِجِ التَّفْسِيرِيَةِ الْأُخْرَى، وَلَوْ نَسَبِيًّا.

وثالثاً: إِنَّهَا تَمْتِيزُ بِأَنَّ لَهَا جَنْبَتَانِ نَظْرِيَّةً وَعَمَلِيَّةً كَمَا تَقَدَّمَ.

رابعاً: يُشْتَرَطُ فِي هَذِهِ الْقَاعِدَةِ لِأَجْلِ الْغُورِ إِلَى أَعْمَاقِ الْقُرْآنِ لَا يُبَدَّ أَنْ يَكُونَ الْمُتَدَبِّرُ مُتَطَهِّراً بِطَهَارِهِ فِي عَقْلِهِ، وَفِي عَقِيدَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَحَالَاتِهِ الْخُلُقِيَّةِ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى أَعْمَاقِ الْقُرْآنِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا أُوتِيَ مِنْ دَرَجَةِ الطَّهَارَةِ.

ص: ٣١٦

١- (١) أَيْ أَهْمِيَّتُهُ أَنْ يَصِلَ إِلَى آخِرِ السُّورِ فَيَسْرِعُ فِي قِرَاءَتِهِ كَسُرْعَتِهِ فِي قِرَاءَةِ الشَّعْرِ فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى مَعَانِيهِ وَلَا يَدْرِكُ مَغَازِيهِ.

٢- (٢) الْكَافِي لِلشَّيْخِ الْكَلِينِيِّ: ج ٢، ص ٥٧٨ ب ٢٧٨ تَرْتِيلُ الْقُرْآنِ بِالصَّوْتِ الْحَسَنِ.

الفرق بين الندبه بالذكر والندبه بالنياحه:

خامساً: لا تُستعمل قاعده الذكر على صعيد النظام الاستعمالي فحسب، بل تستعمل على صعيد أنظمه قرآنيه مُتعدده، كنظام معانى القرآن الكريم، ونظام الحقائق القرآنيه وغيرها، فإن قاعده الذكر لها ألوان ووجوه ودرجات فمثلاً هناك فرق بين الندبه بالذكر، فإن الندبه بالنياحه الذى هو كيفيه صوتيه يختلف عن لندبه بالذكر فإن الندبه بالذكر أعظم تأثيراً من الندبه بالنياحه، وإن كانت النياحه بالحق على أئمه المسلمين عليهم السلام أمرٌ راجحٌ، ولكن الندبه لمصاحبهم عليهم السلام بطور الذكر أعظم تأثيراً من الندبه بالنوح، وعليه فإن قاعده الذكر حتى في علم الأداء الصوتي النغمي للقرآن يختلف عن النياحه كذكر.

سادساً: تختلف قاعده الذكر في بعدها وضوابطها اللفظيه عن الشعر، ولذلك إلى الآن القرآن الكريم يتحدثى الشعراء وعلماء الموسيقى وعلماء الغناء وعلماء التجويد في اكتشاف حقيقه القواعد اللفظيه للذكر.

إذن قاعده الذكر تمثل تحدياً ماثلاً أمام البشريه منذ اربعة عشر قرناً والقرآن يُنادى ويتحدى فن هندسه الصوت وعلماء الموسيقى و... الخ.

إن استطعم أن تأتوا بنغمه صوتيه لا- تثير الغرائز الحيوانيه ولا- توجب خفه العقل ولا- تجعل الإنسان نزوى فهاتوا ما عندكم إن استطعتم،

فَإِنَّ قَاعِدَهُ الذِّكْرَ تَمَثَّلَ تَحْدَى إِلَهِي إِلَى الْآنَ عُلَمَاءُ كُلِّ الْفُنُونِ وَمَعَاهِدُ الْمَوْسِيقَى فِي الْعَالَمِ عَاجِزُونَ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ نِعْمَةِ الذِّكْرِ، بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ النَّدْبَةَ الْقُرْآنِيَّةَ هِيَ نَوْعٌ مِنَ الذِّكْرِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَنْدُبُ مَظْلُومِينَ كَثِيرِينَ كَالْأَنْبِيَاءِ وَالَّذِينَ قُتِلُوا كَهَابِيلَ وَأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّ نَدْبَةَ الْقُرْآنِ لَهُمْ تَوْجِبُ وَقَعاً تَعَاطَفَ الْإِنْسَانَ بِشَكْلِ شَدِيدٍ مَعَ هَؤُلَاءِ الْمَظْلُومِينَ وَلَكِنْ هَلْ يَنْدُبُهُمُ الْقُرْآنُ بِنُوحٍ وَنِيَاحِهِ؟ كَلَّا مَعَ أَنَّ النِّيَاحَةَ مَشْرُوعَةً وَسَائِغُهُ فِي الْحَقِّ وَإِنَّمَا يَحْرَمُ النُّوحَ بِالْبَاطِلِ.

وَالْخِلَاصُ: - إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَمْ يَسْتَعْمَلِ النَّدْبَةَ بِالنُّوحِ وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلَ النَّدْبَةَ بِالذِّكْرِ، فَمِثْلًا دَعَاءِ النَّدْبَةِ لِصَاحِبِ الْعَصْرِ وَالزَّمَانِ الْإِمَامِ الْحُجَّةِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ (١) إِذَا قَرَأَ الْإِنْسَانَ بِتَرْتِيلٍ وَتَرْكِيْزٍ يَتَصَدَّعُ قَلْبُهُ وَتَتَفَجَّرُ دَمُوعُهُ لَكِنَّ لَا بِنِعْمَةِ صَوْتِيهِ وَنِيَاحِهِ، وَإِنَّمَا بِنَمَطٍ آخَرَ وَجَانِبٍ وَمَعْنَى فَقَطٌ مِنْ دُونَ أَنْ يَسْتَعْمَلَ أُطْوَاراً مُتَكَلِّفَةً يُفَجِّرُ بِهَا الدَّمْعَ وَإِنَّمَا يَتَفَجَّرُ بِهَا جَيْشَانُ الْقَلْبِ بِذِكْرِ طَرِيقِهِ الذِّكْرِ.

سَابِعاً: إِنَّ قَاعِدَةَ الذِّكْرِ الَّتِي نَحْنُ بِصَدْدِهَا غَيْرُ مَكْتَشَفَةِ الْأَبْعَادِ، وَإِنَّمَا خَوْضُنَا فِيهَا مِنْ بَابِ التَّنْوِيهِ وَالتَّنْبِيهِ رَجَاءً أَنْ تَنْكَشِفَ جَمْلُهُ مِنْ جِهَاتِ قَاعِدَةِ الذِّكْرِ.

ص: ٣١٨

١- (١) فِيهِ رَوَايَتَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ صَادِرٌ مِنْ نَفْسِ الْإِمَامِ الْحُجَّةِ عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفِ مِنْ جِهَةِ النَّاحِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ وَالْآخَرُ: إِنَّهُ صَادِرٌ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الذكر ميزان في الكشف عن الوحي:

ثامناً: تمتاز قاعده الذكر بأنها قاعده عظيمه تمثل شموخ نتاج القرآن وعظمه أثر القرآن في كل صعيد من أصدده القرآن، وأن زواره عند ما سأل الإمام الباقر عليه السلام سيدي بم عرف رسول الله صلى الله عليه وآله إن الذي يأتيه ملك من الله هو جبرائيل لا- الشيطان؟ قال عليه السلام: «عرف أن الآتي من الله عز وجل بالسكينة والوقار» يعنى الذكر انظر إلى دقه سؤال زواره والإمام عليه السلام أجابه بأن صمام أمان نبوه النبي صلى الله عليه وآله هو الذكر.

تاسعاً: الذكر هو نظام في العلوم يوظفها إلى الكمال والذكر وله - الذكر - قواعد وأوزان لم تكتشف إلى الآن.

عاشراً: إن فرق قاعده الذكر عن سائر العلوم الأخرى كالنحو والصرف والاشتقاق واللغة والبلاغه و... الخ، هو أن قاعده الذكر توظف هذه العلوم بشكل معادلي متوازن يصب في الذكر، وهو بالتالي يرجع إلى كيفية بناء شخصيه المفسر العلميه وتوفر العناصر المطلوبه في المفسر من الفطنه والالتفات وطهاره النفس و... الخ، فإذا توفرت هذه العناصر وغيرها في المفسر وصل إلى نتائج طيبه تصب في قاعده الذكر وتوجب ذكراً للمؤمنين وللشريه لا- أنه يتوسع في التفسير تجريداً عن الحقائق والعرو فيها ووغولاً في بحر التنظير الفكرى بعيداً عن الحقائق

الحادى عشر: إنَّ قَاعِدَهُ الذِّكْرَ قَاعِدَهُ مِنْهُجِيهِ خَطِيرِهِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ تُبْعَدُ عَنَّا الْحَشْوُ وَالْفُضُولُ إِلَى مَا هُوَ بِنْيَوِي وَأَسَاسِي فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ وَكَشَفِ أَرْكَانِ دَعَائِمِ الْقُرْآنِ.

الثَّانِي عشر: قَاعِدَهُ الذِّكْرَ عِلْمَهُ بَوْصَلِيَّتِهِ لِسَلَامِهِ الْمُنْهَاجِ التَّفْسِيرِي فَمَا دَامَ التَّفْسِيرُ يَحْدُثُ ذِكْرًا فَهُوَ فِي الْمَسِيرِ الصَّائِبِ وَالسَّيِّدِ.

الثَّالِث عشر: إِنَّهَا قَاعِدَهُ مِنْهُجِيهِ رَاسِمَهُ لِمَخْتَلَفِ عِلْمِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمُهَيْمِنَهُ عَلَى كُلِّ بَحْثِ التَّفْسِيرِ وَفِي أَيِّ مَجَالٍ مِنْ مَجَالَاتِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ وَعَلَى مَخْتَلَفِ الْأُصْعَدِ سِوَاءَ عَلَى صَعِيدِ الْمَفْهُومِ وَالْمَعْنَى أَوْ عَلَى صَعِيدِ الْمُنْهَجِ الْأَكْمَلِ الَّذِي يَرَسِمُهُ لَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي الذِّكْرِ وَفِي أَيِّ مَجَالٍ مَفْهُومِي يُؤَدِّي إِلَى الذِّكْرِ وَالتَّذَكُّرِ وَأُوبِهِ وَتُوبِهِ الْإِنْسَانِ لَا أَنْ يَمَارِسَهُ كَيْفَ مَا شَاءَ فَإِنَّهُ سَوْفَ يَصْبِحُ مَجْمُوعَ تَرَكَمِي مِنْ الْمَفَاهِيمِ وَالْمَعْلُومَاتِ بِلَا- تَوْضِيْفِ لَهَا بِالصُّوْرَةِ الصَّحِيْحَةِ وَالْمَطْلُوبِ بِإِلِّ حَتَّى عَلَى الْفَضَائِلِ وَالرِّذَائِلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، فَفِي الرِّعَايَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ إِذَا أُرِدَتْ أَنْ تَلْزِمَ نَفْسَكَ وَتَطْبَعَهَا عَلَى فَضِيلِهِ مَعْيِنَهُ أَوْ تَقْلَعَهَا عَنْ رَذِيلِهِ مَعْيِنَهُ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ هَذَا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ كَلَّا، وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَمَا تَكُونُ عِنْدَكَ مَنَظُومَةٌ وَمَجْمُوعَةٌ مِنْ بِنُودِ الرِّعَايَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي تَوْصَلُكَ إِلَى الذِّكْرِ وَإِلَّا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - قَدْ يَكُونُ غُرُورُكَ أَوْ ابْتِهَاجُكَ وَسُرُورُكَ بِفَضِيلِهِ يَغْرُوكَ وَيَحْجِبُكَ الْإِقْلَاعَ الْمَزْبُورَ عَنْ رِذَائِلِ أُخْرَى فَمَا الْفَائِدَةُ فِيهِ؟

طهاره المفسر سبب لوصوله إلى حقيقه الذكر في القرآن الكريم

إن أهم ما يعتبر كشرط أساسي في المُفسر الناجح للقرآن الكريم هو ما يلي: -

أولاً: أن يكون الإنسان مُتَطَهِّراً من جوانب عديده كالجانب الأخلاقي والعقائدي والمعرفي والسلوكي و... الخ.

فإنَّ القرآن الكريم كتابٌ محبوبٌ - إنَّ صحَّ التعبير - وأُوجِدَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِإِيجَادٍ وَبِنَاءٍ وَنِظَامٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَفْتَحِمَ أَعْمَاقَ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الْقُرْآنِيَةِ إِلَّا بِقَدْرِ مَنْ دَرَجَةِ الطَّهَارَةِ الَّتِي أُوتِيَهَا الْإِنْسَانُ مِنْ طَهَارَةِ عَقْلِهِ وَعَقِيدَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَحَالَاتِهِ الْخُلُقِيَّةِ، فلاحظ قوله تعالى: (وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) (١٠٠) (١).

بتقريب: - القصور في عقل الإنسان بنحو يوجب الظلم والسقوط في غمرتها هو مرتبه من مراتب الرجاسه.

ص: ٣٢١

وقوله تَعَالَى: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) (١).

بتقريب: - إِنَّ الشُّرُكَ فِي الْعَقِيدَةِ وَرَجَاسُهُ الرِّذَالُ تُخَيِّدُ رَجَاسَهُ وَنَجَاسَهُ فِي الْقَلْبِ، وَرَجَاسُهُ فِي صِفَاتِ النَّفْسِ وَخَوَاطِرِ وَأَحْوَالِ جَوَامِحِ النَّفْسِ، وَمِمَّا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عِنْدَنَا فِي الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ عَنْ أُمَّهِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كَمَا فِي رَوَايِهِ...
عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَالَ: - «رِيحُ الْكِنِيفِ وَالطِّيبِ سَوَاءٌ؟! قُلْتُ لَا، قَالَ: - إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا هَمَّ بِالْحَسَنَةِ خَرَجَ نَفْسُهُ طَيْبَ الرِّيحِ، فَقَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ لَصَاحِبِ الشَّمَالِ، قُمْ فَأَثْبِتْهَا لَهُ، وَإِذَا هَمَّ بِالسَّيِّئَةِ خَرَجَ نَفْسُهُ مِنْتَنِ الرِّيحِ، فَيَقُولُ صَاحِبُ الشَّمَالِ لَصَاحِبِ الْيَمِينِ: قِفْ، فَإِنَّهُ قَدْ هَمَّ بِالسَّيِّئَةِ، فَإِذَا هُوَ فَعَلَهَا كَانَ لِسَانُهُ قَلَمَهُ وَرِيقُهُ مَدَادَهُ فَأَثْبِتْهَا عَلَيْهِ» (٢).

وَمِنْ هَذَا يُعْرَفُ أَنَّ الطَّهَارَةَ وَالرَّجَاسَةَ عَلَى دَرَجَاتٍ فَإِنَّ آيَاتِ وَسُورِ الْقُرْآنِ فِيهَا مِنْ الْحَقَائِقِ وَالْخَزَائِنِ وَالْكَنُوزِ لَا تَفْتَحُ لِأَيِّ شَخْصٍ إِلَّا بِقَدْرِ مَا أُوتِيَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ أَيْ الطَّهَارَةِ، كَمَا بَيَّنَّهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (٧٩) (٣).

بتقريب: - إِنَّ آيَةَ التَّطْهِيرِ وَإِنْ كَانَتْ خَاصَّةً بِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إِلَّا أَنَّ لَهَا مَدَالِيلَهَا الْإِلْتِمَامِيَّةَ وَالِاقْتِضَائِيَّةَ عَلَى دَرَجَاتٍ، كَمَا ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ

ص: ٣٢٢

١- (١) سورة التوبة: الآية ٢٨.

٢- (٢) وسائل الشيعة: ج ١، أبواب مقدمات العبادات: ب ٧، ص ٥٨، ح ٣.

٣- (٣) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

الكريم فى قوله تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) (١)).

بتقريب: - إن درجات الهدايه والاستهداء والتقوى فى القرآن الكريم مُخْتَلَفَه.

وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ دَائِمًا يَرْبِطُ بَيْنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْهُدَايَةِ (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) (٢) وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) (٣) وقوله تعالى: (... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٤) وقوله تعالى: (إِنَّهُمْ فِيئْتَهُ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) (٥).

فَهَذَاكَ تَرْابُ مَا بَيْنَ اسْتِخْرَاجِ الْهُدَايَةِ وَمَعَانِي حَقَائِقِ الْقُرْآنِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْهُدَايَةِ، هَذَا مُضَافًا إِلَى أَنَّهُ تَقَدَّمَ فِي الْقَاعِدَةِ السَّابِقَةِ - الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ - إِنَّهُ يُمْكِنُ الْعُبُورَ وَالتَّعْرِيفَ بِالْآيَةِ (لا- يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (٧٩) لِغَيْرِ الْمُعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأَنَّ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ تَجْرَى فِي غَيْرِ أَهْلِ آيَةِ التَّطْهِيرِ مِنْ عَادَى الْبَشَرِ بِشَكْلِ مُخَفَّفٍ وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَمَسَّ الْقُرْآنَ بِقَدْرِ مَا أُوتِيَ مِنْ طَهَارِهِ وَتَطْهِيرِهِ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْعُقَاوِدِ وَالنَّفْسِ وَ... الخ فَإِنَّ أَحَدَ قَوَاعِدِ عِلْمِ التَّفْسِيرِ هُوَ طَهَارَةُ الْأَخْلَاقِ، فَإِذَا أُرِدَتْ أَنْ تُبْصَرَ مَفَادِ الْآيَاتِ جَيِّدًا فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُطَهِّرَ أَخْلَاقَكَ وَكُلَّمَا تُطَهَّرَ أَخْلَاقَكَ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فِي يَوْمِيَّاتِ الْإِنْسَانِ يَنْفَتِحُ لَهُ فَهْمٌ وَإِدْرَاكٌ مِنْ بَاطِنِ

ص: ٣٢٣

١- (١) سورة البقرة: الآية ٢.

٢- (٢) سورة الشورى: الآية ٢٦.

٣- (٣) سورة الأنفال: الآية ٢٩.

٤- (٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

٥- (٥) سورة الكهف: الآية ١٣.

الْقُرْآنُ أَمْطَارٌ مُنْعَشِهٌ مِنَ الْإِدْرَاكِ وَالتَّعْقَلِ، فَمِثْلَمَا نَزَلَ الْأَمْطَارُ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعِيدًا مَوْتَهَا كَمَا ذَلِكِ الْقَلْبُ الَّذِي هُوَ أَرْضُ الرُّوحِ وَأَنَّ أَرْضَ الْعَقْلِ الْإِنْسَانِي لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْتَمَطِرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا بِقَدْرِ طَهَارَتِهِ، هَكَذَا ذَكَرَ الْأَكْبَرُ مِنْ ذَوِي الْقَدَمِ الرَّاسِخِ فِي تَهْذِيبِ النَّفْسِ وَعِلْمِ الْأَخْلَاقِ وَالتَّقْوَى، فَإِنَّهُمْ ذَكَرُوا ذَلِكَ انْطِلَاقًا مِنْ هَذِهِ الْبَيِّنَاتِ فِي الْآيَاتِ وَالرَّوَايَاتِ وَتَجْرِبِهِ عَمَلٍ مُصَيِّدٍ لَهُذِهِ الْحَقَائِقِ الْوَحْيَاتِيَّةِ فِي يَوْمِيَّاتِ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ تَنْزِلُ عَلَيْهِ الْخَيْرَاتُ بِقَدْرِ طَهَارَتِهِ.

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٩٦) (١).

بتقريب: - إِنَّهُ تَفْتَحُ الْبَرَكَاتُ مِنَ سَمَاءِ الْقُرْآنِ عِنْدَمَا تَكُونُ هُنَاكَ تَقْوَى وَطَهَارَةٌ رُوحِيَّةٌ وَنَفْسِيَّةٌ بِخِلَافِ مَا إِذَا عَصُوا وَعَتَوْا فَإِنَّ الْأَرْضَ تَجْذِبُ وَالسَّمَاءَ تَمْنَعُ قَطْرَهَا وَهَذَا لَيْسَ مِنْ فِرْطِ الْخِيَالِ وَالشُّعْرِ وَإِنَّمَا حَقَائِقُ بَيْنَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فَإِنَّ عِلْمَ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عِلْمٌ فَرِيدٌ مِنْ نَوْعِهِ وَلَيْسَ كِبَاقِي الْعِلْمِ كَعِلْمِ الْفِيزِيَاءِ وَالْكَيمِيَاءِ وَ... الخ.

إِذْ قَاعِدَهُ الذِّكْرُ الْمُبَارَكُ بِهَذَا الْمَعْنَى وَالتَّفْسِيرُ كَمَنْهَجِ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ هِيَ تَوَلَّى وَسِيرَ عِلْمِي وَعَمَلِي وَتَبَيَّنَ كَيْفَ لِلْوَلَايَةِ دَوْرٌ بِقَدْرِ مَا تَتَطَهَّرُ يَشْتَدُّ وَلَاؤُكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَسْتَمَطِرُ حِينَئِذٍ عَلَيْكَ أَنْوَارُ الْبِرْهَانِ أَكْثَرَ فَأَكْثَرُ.

ص: ٣٢٤

إشاره

ثانياً: أن يكون المُفسِّر ذا رياضه روحيه خاصه فإنَّ شرط معرفه بعض أسرار القرآن أن يمتلك المُفسِّر رياضه روحيه متميزه، فإنَّ القرآن الكريم كثيراً ما يُشارط ويُراهن في معرفه القرآن أو في معرفه مغازي بيان كلام الله تعالى في كتابه على أن يكون عند المُفسِّر أو الباحث رياضات روحيه على أوسمه ومقامات في السلوك النفسى والرُّوحى.

فَهَنَّاكَ بحث ذكره الشَّهيد الثَّانِي رحمه الله حول الاجتهاد وَأَنَّهُ ملكه روحيه و قدسيه نوريه ولا يمكن أن يتَّصف بها غير العادل وَعَغير المُتَّقَى.

إِلَّا أَنَّ المُتَأَخِّرِينَ أَشْكَلُوا عَلَى الشَّهيد الثَّانِي رحمه الله بما حاصله: - هَذَا حُسن ظَنٍّ مِنَ الشَّهيد الثَّانِي رحمه الله مِنْ أَنَّ الاجتهاد أو الفقاهه ملكه قدسيه نوريه، وَإِنَّمَا الاجتهاد: - ملكه تقوُّم قوه الفكر في الإنسان ولا صلته لها بالجانب العملى وَإِنَّمَا لها صلته ما بالجانب العملى وليست لها علاقته وصلته وطيده به - أَى بالجانب العلمى كَمَا يدَّعيه الشَّهيد الثَّانِي.

وحاصل إشكال المُتَأَخِّرِينَ: - أَنَّ الاجتهاد ملكه علميه وليست علميه كَمَا يستظهره الشَّهيد الثَّانِي وَأَنَّهُ ملكه قدسيه نُوريه.

وبعبارة أُخْرَى: أن ما ذهب إليه الشَّهيد الثَّانِي رحمه الله في تعريف الاجتهاد صحيح من جهة، وما ذهب إليه المُتأخِّرين صحيح من جهة أُخْرَى.

فَمِنْ جِهَةِ المُتأخِّرين أن الاجتهاد مُجَرَّد نتاج قوَّة فكريه وأنَّ الاجتهاد بنحو متوازن يصيب إرادة الله تَعَالَى ومسير رضا الله تَعَالَى ويوازن الأمور بسداد وصواب وبصيره، بخلاف ما ذهب إليه الشَّهيد الثَّانِي رحمه الله أن الاجتهاد ملكه ونور قُدسي ولا يمكن أن يأتي إلى الإنسان إلَّا عَنْ طريق الورع وَهُوَ الجانب العملي في الإنسان، وأمَّا الجانب الفكري لوحده فلا يُمكنُ الفقيه أو المستنبط من تحزِّي الصواب والسداد ويؤيِّده ما ذكره الشَّيخ جعفر كاشف الغطاء رحمه الله في أوَّل كتاب منهاج الرشاد في الرد على مُحَمَّد بن عبد الوهاب ما حاصله: «... إنَّ الفقه إذا كَانَ بمعنى العلم الفكري وَمُجَرَّد القوَّة الفكريه فَقط وبلا- وَرَعَ فَإِنَّ الفقيه يستطيع - والعياذ بالله - أن يشكّل مِنْ طينه المواد الفقهيه وأدلتها ما يشتهي هواه أو هوى غيره، والفقيه الجامع للشرائط أمينٌ لا يخون ولا يتلاعب لِأنَّهُ مؤتمن ويحمل أمانه علميَّة لا بُدَّ مِنْ إيصالها بكلِّ نزاهة إلى الناس...»(١).

ولذا نقرأ في زياره أمير المؤمنين عليه السَّلام: «السَّلامُ عليك يا أمين الله الأوفى» لَيْسَ فَقطُ أمين الله وَإِنَّمَا أوفى الأوفياء في أداء أمانه الله عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَيْهِ فيمكن

ص: ٣٢٤

١- (١) منهاج الرشاد في ردِّ محمد بن عبد الوهاب وإجابته على الملك عبدالعزيز آل سعود ومراستله إيَّاه، جعفر كاشف الغطاء.

التلاعب بالقانون إذا غابت الأمانه، أمّا إذا وجدت الأمانه فهُنّا يَكُون القانون ذو سداد وحقيقه وصواب، ولذا لا تقتنص الحقيقه بالتنظير فَقَط.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الحركه الفكرية والسعى العلمى هُوَ الآخر عملٌ وَإِنْ كَانَ متعلقه المعلومات والإدراك الذهنى.

ثالثاً: مِنْ الشرائط الأساسيه الّتى يجب توفّرها عِنْدَ المُفَسِّر هُوَ طهاره النفس، وَأَنْ يَكُون كُلُّ مُفَسِّرٍ عنده برنامج تطهير نفسانى وتطهير معرفى وعقائدى، وتطهير أحوال نيات النفس، وَمِنْ ثَمَّ يُقَدِّم عَلَى التدبّر فى القرآن - ولذا أفردنا هَذَا الشرط عَنِ الاول لأهميه تأثير الأخير عَلَى المُفَسِّر وَإِنْ كَانَ بينهما أوجه شبه - ولذلك أصحاب التقوى والعلم يُوصون بالتدبّر فى القرآن الكريم فى أوقات صفاء أعمال الإنسان وصفاء نيّاته، ولذا ما وَرَدَ عَنِ أهل البيت عليهم السلام مِنْ التأكيد عَلَى قراءه القرآن أَوَّلَ الصباح خاصّه بَعْدَ صلاه الصبح وَبَعْدَ الطلوعين فَإِنَّ هَذَا الوقت لَهُ مغزى باعتبار الصباح ابتداء أَوَّلَ اليوم وصفاء النفس بَعْدَ لَمْ يَتَلَوْتُ، فَإِنَّ القرآن الكريم يَمطر حينئذٍ عَلَى أرض النفس بمعلومات نورِيّه مُضِيئّه لظلمات النفس، وما للقرآن مِنْ أثر ووقع خاص فى تربيّه وصقل النفس والالتفات إلى أسرار القرآن الشىء الكثير خاصّه فى وقت ما بين الطلوعين وَإِنْ كَانَ القرآن مَأدبه الله فى أى وقت تستطرق للقانع والمعتز، ولكن تلك الأفراد أكثر تأثيراً.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أَحَدَ مَعَانِي قَاعِدِهِ أَنَّ الْقُرْآنَ ذَكَرَ هُوَ أَنْ يَكُونَ نَفْسَ الْمُفَسِّرِ مُتَذَكَّرًا وَكَأَنَّمَا يَقُولُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لَنَا إِنَّ الصَّاحِبَ الْمَطْلُوقَ وَالْمَعْلَمَ الْأَكْبَرَ لِلْقُرْآنِ هُوَ الطَّاهِرُ الْمَعْصُومُ وَيَعْتَبَرُ هَيْدًا أَحَدَ بَرَاهِينِ ضَرُورِهِ وَجُودِ مَعْلَمِينَ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْقُرْآنِ هُوَ الْمَطْهَرُ لِأَنَّ الْقُرْآنَ كِتَابَ هِدَايَةٍ لِلْمُتَّقِينَ لَا لِلْفَاسِقِينَ، فَإِنَّ مَنْ بَدَعَ وَعَظَّمَهُ وَمَعَجَزَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ الَّذِي هُوَ خَزِينُهُ مَمْلُوءٌ بِالْجَوَاهِرِ وَلَكِنَّهَا لَا تَفْتَحُ الرَّقْمَ السَّرِّيَّ لِكُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ هَذِهِ الْخِزَانَةِ إِلَّا لِبَابِ الطَّهَارَةِ وَالتَّرَكِيهِ وَالتَّذَكُّرِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَضُنُّ وَيُمْسِكُ بِهَا عَلَيَّ غَيْرَ ذَلِكَ - أَيُّ لَا تَفْتَحُ لِغَيْرِ الطَّاهِرِ الْمُطْهَّرِ -.

ولذا يعتبر هذا الشرط القرآني المهم أحد براهين ضروره العصمه ووجود المعصومين فيما إذا كان القرآن كتاب هدى للمتقين، وَعَلَيْهِ كَلَّمَا أَزْدَادَ الْإِنْسَانَ تَقْوَى أَزْدَادَ هِدَايَةٍ فَكَيْفَ إِذَنْ يَدَّعَى الْبَعْضُ وَيَقُولُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ، أَوْ بَعْضُهُمْ يَدَّعَى أَنَّهُ أَتَقَى الْمُتَّقِينَ وَإِذَا كُنْتُ أَتَقَى الْمُتَّقِينَ فَحِينَئِذٍ تَكُونُ مُعَلِّمَ الْقُرْآنِ.

وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى يَشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (١).

ونفس سورة البقره تُفسَّرُ مَنْ هُمْ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ (هُدَى لِلْمُتَّقِينَ) (٢) (٢).

ص: ٣٢٨

١- (١) سورة آل عمران: الآية ٧.

٢- (٢) سورة البقره: الآية ٢.

بتقريب: - هُم ذو التقوى وإنَّ الإنسانَ كُلِّما ازداد تقوى صار راسخاً في العلم وفي القرآن إلى أن يبلغ ما يبلغ، وَحَيْثُ أَنْ هُدَايَه الْقُرْآنَ غَيْرَ مَحْدُودَه (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ) (١). وَعَلَيْهِ فَلَا يُبَدَّ مِنْ مَدَى غَيْرِ مَحْدُودٍ فِي التَّقْوَى، أَيْ لَا يُبَدَّ مِنْ اسْتِمْرَارِ إِبْقَائِهِ عَلَى التَّقْوَى وَلَيْسَ ذَلِكَ فَحَسَبَ بَلْ لَا يُبَدَّ أَيْضاً مِنْ التَّرْقِي طَوْلاً وَارْتِفَاعاً فِي الدَّرَجَاتِ، وَإِلَّا سَوْفَ تَكُونُ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَحَقَائِقُهُ مَعْطَلَةٌ وَمُجَمَّدَةٌ وَحَاشَا لِكِتَابِ مِنْ ذَلِكَ لِإِنَّهُ أَنْزَلَ مِنْ رَبِّ الْعَزَّةِ يَكُونُ مُجَمَّداً وَإِنَّمَا لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُفَعَّلاً وَالَّذِي يَصِلُ إِلَى مَا لَا نَهَايَةَ وَمَا لَا مَحْدُودِيَّةَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ تَقْوَاهُ غَيْرَ مَتْنَاهِيَّةٍ وَلَا تَقِفَ عِنْدَ حَدٍّ، وَهَيْذَا هُوَ مَعْنَى الْعَصْمَةِ الَّتِي يُنَادِي الْقُرْآنُ بِوُجُودِهَا وَبِوُجُودِ الْمَعْصُومِ الَّتِي هُوَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ وَعَدْلُهُ وَهُوَ الثَّقَلُ الثَّانِي وَمِنْ دُونِهِ يَعْطَلُ الْكِتَابُ، وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الْقُرْآنَ كِتَابٌ مُخْتَلَفٌ عَنْ بَقِيَّةِ الْكُتُبِ وَلَيْسَ كِتَابُ عِلْمٍ أُخْرَى إِنَّمَا الْقُرْآنُ كِتَابٌ يَشْتَرِطُ تَوَاجُدَ صِفَاتٍ عَمَلِيَّةٍ خَاصَّةٍ فِي الْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ، وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَنْقُبَ فِي الْحَقَائِقِ أَكْثَرَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَلْتَفِتَ إِلَى أَصْحَابِ الْعِلْمِ الْأُخْرَى حَتَّى التَّجْرِبِيُّ مِمَّنْهَا كَعِلْمِ الْفِيْزِيَاءِ وَالْكَيمِيَاءِ وَالْأَحْيَاءِ وَ... السِّخِّ وَالْعِلْمِ الْإِنْسَانِيَّةِ، بَلْ وَأَيُّ عِلْمٍ مِنَ الْعِلْمِ الَّتِي يَتَدَاوَلُونَهَا وَيَتَعَاطَاهَا النَّوَابِغُ مِنَ الْبَشَرِ فَهَمْ يَذْكُرُونَ فِي مَذَكَّرَاتِ تَرَاجُمِ حَيَاتِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَصِلُونَ إِلَى اكْتِشَافِ عِلْمِي إِلَّا أَنْ يَتَطَهَّرُوا خُلُقِيًّا وَرُوحِيًّا وَطَهَارَهُ

ص: ٣٢٩

١- (١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

خاصّه، وتكون اكتشافاتهم على قدر ما لهم من طهاره (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) ١).

فإنّ هذه الاكتشافات تحتاج إلى شفافيته نفسانيه وصفاء روي لذيذ جدّاً لم نعايشه في حياتنا إلّا في تلك اللحظه.

وبالتالي هذا يدلّ على أنّ الباري تعالى في كلّ علم من العلوم يُمطرُ سماء الفيض فيها مع درجه خاصّه من الطهاره.

وهذا ما صرّح به برفسور مسلم باستاني تلميذ أحد النوايغ في علم الفيزياء وكتابه موجود يجمع به كلمات النوايغ.

ليس كلّ تهذيب أخلاقي ذكر:

لو لاحظنا ما يصدر الآن من العرفاء أو الصوفيّه أو أصحاب السير والسلوك وما يطفح منهم من شدوذات ونشوزات وعجرفات فهذه ليست ذكراً وسببها أنّهم لم يكتشفوا قواعد نظام الذكر؛ فإنّ الذكر نظام خلقي معين ونظام اعتقادي معيّن لم يكتشف من قبل أكثر مشارب بحوث المتكلمين في مدارس إسلاميه عديده، ولذا أمثال الخوارج وغيرهم صاروا أشبه بالقدرية والمرجئه بسبب عدم التفاتهم لمثل نظام الذكر وباقي الالتفاتات العلميه الدقيقه؛ ولذا وقعوا في هيدا التخبط والانحراف؛ لأنّ النظام العقائدي نظام ذكر خاص له درجات معينه وبناء هذا النظام

العقائدى الذى طرف منه عند الناس وطرف منه عند الله، فإنه يتدخل فى أغلب العلوم إن لم نقل كلها فإنه يتدخل فى علم الأخلاق والعقائد والاقتصاد والتجارة و... الخ ولأجل أن تكون نتائج ذلك العلم متينه ومنضبطه لا بيد من أعمال قواعد الذكر، ولعله أحد تفاسير الآيه المباركه (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) (١).

بتقريب: - أمّا الإمام عليه السلام أجابهم بروايه: - لا- أنهم لا- يتاجرون ولا يتبايعون، عن أسباط بن سالم قال: دخلت على أبى عبدالله عليه السلام... يقول الله عز وجل: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) إلى آخر الآيه إن القوم لم يكونوا يتجرون كذبوا، ولكنهم لم يكونوا يدعون الصلاة فى ميقاتها، وهو أفضل ممن حضر ولم يتجر [الكافى: ج ٥، ص ٧٥، ح ٨] عنه تفسير البرهان للسيد هاشم البحرانى: ج ٥، ص ٣٩٦، ح ٥؛ الطبرسى فى معنى الآيه، قال روى عن أبى جعفر وأبى عبدالله إنهم قوم إذا حصرت الصلاة، تركوا التجارة وانطلقوا إلى الصلاة، وهم أعظم أجراً ممن يتجر، [مجمع البيان للطبرسى: ج ٧، ص ٢٥٤] ولكن هناك تجاره لها نظام ذكر خاص؛ لأن هناك نوع من التجاره يكون لهوياً ورأسمالياً وهناك تجاره فرضيه مافويه، وبنفس الوقت هناك تجاره ذكر؛ لأن الذكر يدخل فى كل شىء فهناك - أكل ذكر، وشرب ذكر، نكاح ذكر، وسياحه ذكر، أمّا أنه كيف يصب هذه فى الذكر وكيف يصب الذكر فى كل هذه

ص: ٣٣١

القنوات فَهَذَا معلّم آخر يأتي توضيحه.

صفتان مختصتان بالنبى الأكرم صلى الله عليه وآله:

من بديع نعوت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وما يرتبط بمقامات النبوه وَلَمْ يصف الله بهما بشر ولا ملك قط، لا من قبل ولا من بعد ولا... الخ عدا وَصَفُ أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام بالذكر - كَمَا تَقَدَّمَ - لِأَنَّهُ بمنزله رسول الله صلى الله عليه وآله (و انفسنا و انفسكم)(1).

والصفتان هُما: -

الصفة الأولى: إِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَيُّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى (4) (2) بتقريب: - إِنَّ الضمير (هُوَ) لَيْسَ عائداً إلى نطق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَبْلِيغِهِ، بَلْ يَعود إلى تمام مراتب ذاته الشريفه بمقتضى وحده مرجع الضمير المُقَدَّر في الآيه السابقه (ما ضَلَّ صاحبُكُمْ وَ ما غَوَى (2) وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) (3). فوصف تمام مراتب ذاته بذلك دالٌّ عَلَى أَنَّ قَالب وجوده - صلوات الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقوالب مراتبه بناءً عيني للوحى فى الخارج، فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بتمام شؤونه يُجَسِّدُ الوحى لا بمعنى عَلَى أَنَّهُ أَوْجَدَ وَخَلَقَ عَلَى طبق مواصفات الوحى، بَلْ هُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَيُّ عيني خُوطِبَ به الآخرون وَأُنزِلَ إِلَيْهِم.

ص: ٣٣٢

١- (١) سورة آل عمران: الآيه ٦١.

٢- (٢) سورة النجم: الآيه ٤.

٣- (٣) سورة النجم: الآيه ٢-٣.

الصفة الثانية: إِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَكَرٌ فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذَكَرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) (١)، وقوله تَعَالَى (إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذَكَرٌ لِلْعَالَمِينَ) (٢٧) (٢)، وقوله تَعَالَى (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا) (١٠) رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ) (٣)، وغيرها.

وهذا النعت والصفة الثانية تطابق الأولى من جهة أن الذكر هو أساس وأصل الأصل الذي انحدر منه القرآن الكريم، كما يشير إليه عطف القرآن الكريم على الذكر في سورة يس / ٦٩ (إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذَكَرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) بتقريب: - إِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَاتَهُ عَيْتِيهِ لِلْوَحَى انْحَدَرَتْ مِنْهَا حَقِيقَةُ الْقُرْآنِ، وَمِنْ ثَمَّ فِي وَصْفِهِ الْأَوَّلِ - إِنَّهُ وَحِيٌّ - إِنَّهُ لَمْ يَحْدُدْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةَ مِنَ الْوَحَى الَّتِي يَوْصَفُ بِهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بَلْ أُطْلِقَ الْوَصْفَ بِلاَ تَحْدِيدٍ وَلاَ تَقْدِيرٍ، وَلاَ وَقُوفٍ عِنْدَ حَدِّ حَيْثُ وُصِفَ بِجَمَلِهِ الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ الْمُسْتَمَرِّ، وَبِالرَّغْمِ أَنََّّهُ وَصِفَ بِالِاسْمِ مِنْ مَادَّةِ (وَحِيٌّ) إِلَّا أَنَّهُ أَكَّدَ بِجَمَلِهِ الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ الْمُسْتَمَرِّ - يَوْحَى - لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْاسْتِمْرَارِ بَقَاءً وَارْتِفَاعاً فِي الدَّرَجَاتِ، وَأَمَّا الْوَصْفُ بِالِاسْمِ - وَحِيٌّ - فَهُوَ مَدْلُولٌ آخِرٌ وَهُوَ عَيْتِيهِ وَتَجْسِيمٌ مَعَ أَنَّ عَيْنَ عَيْتِيهِ الْوَحَى، وَبِالْأَخِيرِ فَإِنَّ بَيْنَ الْوَصْفِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي لِلذِّكْرِ تَنَاغُثٌ وَتَشَاهُدٌ كَبِيرٌ.

ص: ٣٣٣

١- (١) سورة ص: الآية ٨٧.

٢- (٢) سورة التكوير: الآية ٢٧.

٣- (٣) سورة الطلاق: الآية ١٠-١١.

أيضاً من مميزات أوصاف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام هو أنه دائماً ذكرهما مقترن مع ذكر الله تعالى، فإنَّ البعض - والعياذ بالله - من السلفيَّة والوهابيَّة وأضرابهم أصحاب الأفكار والآراء المتطرِّفه والناصبِي العداء لأنَّهم أهل البيت عليهم السلام ولشيعتهم، بل وَحَتَّى للصوفيَّة وغيرهم، تنطلي عَلَيْهِ شَبَهَةٌ يُشِيرُهَا هُوَلاء وَهِيَ: لماذا تغرقون في ذكر النبي صلى الله عليه وآله.

وجواب هَذِهِ الشبَهه يتلخَّص بما يلي: -

أولاً: إِنَّ القرآن الكريم نصَّ عَلَى هَذَا الاقتِران بقوله تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (٥٦) (١).

بتقريب: - إِنَّ القرآن الكريم يُريدُ دائماً وأبداً وفي كُلِّ وقت هَذِهِ العباده، حَتَّى في وقت الصَّلَاة المفروضه في الأوقات الخمسه فإنَّها - الصَّلَاة المفروضه - هِيَ ذكر الله، فاذكروا الله ذكراً كثيراً، فلاحظ التتطابق بين ذكر الله تَعَالَى وبين ذكر النبي صلى الله عليه وآله.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أحد مقامات النبوه هِيَ مقام - إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا - مُطْلَقاً لِيلاً

ص: ٣٣٤

ونهاراً في حال الصّحه والسقم، وحال الاحتضار للموت، وأَنَّهُ مِنْ الرَّاجِحِ عِنْدَ احتضار الموت وغرغره الرُّوحُ فِي الحلقوم وَأَنْتِ يُسَاقُ بِكَ إِلَى عَالَمِ البِرْزَخِ أَنْ تَذَكَرَ اللهُ، وَمِنْ ثَمَّ بَيَّنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ هَذَا الْمَقَامَ الَّذِي بَيَّنَّتْهُ الْآيَةُ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ مَقَامِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا) (١).

وَالرُّوَايَةُ هِيَ: الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الدِّيَلَمِيُّ فِي إِرْشَادِ الْقُلُوبِ: - بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ فِي جَوَابِ الْيَهُودِيِّ، الَّذِي سَأَلَ عَنْ فَضْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَذَكَرَ الْيَهُودِيُّ أَنَّ اللَّهَ أَسْجَدَ مَلَائِكَتَهُ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَدْ أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ صَلَّى عَلَيْهِ، وَأَمْرَ مَلَائِكَتِهِ أَنْ يَصَلُّوا عَلَيْهِ، وَتَعَبَّدَ جَمِيعَ خَلْقِهِ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ (إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (٥٦) (٢) فَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي حَيَاتِهِ وَلَا بَعْدَ وَفَاتِهِ، إِلَّا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ عَشْرًا، وَأَعْطَاهُ مِنْ الْحَسَنَاتِ عَشْرًا، بِكُلِّ صَلَاةٍ صَلَّى عَلَيْهِ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ أَحَدٌ بَعْدَ وَفَاتِهِ، إِلَّا وَهُوَ يَعْلَمُ بِذَلِكَ، وَيَرُدُّ عَلَى الْمُصَلِّيِ السَّلَامُ مِثْلَ ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ، جَعَلَ دَعَاءَ أُمَّتِهِ فِيمَا يَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، مَوْقُوفًا عَلَى الْإِجَابَةِ، حَتَّى يَصَلُّوا عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

ص: ٣٣٥

١- (١) سورة البقرة: الآية ٣٤.

٢- (٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

فَهَذَا أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِمَّا أُعْطِيَ اللَّهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ ذَكَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَيَانِ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ أُمَّتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمِنْهَا: -
إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِمَنْ صَلَّى عَلَيَّ نَبِيٍّ، عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمِحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ صَلَاتِهِ عَلَيَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (١).

بتقريب: - إِنَّ الْآيَةَ وَالرُّوَايَةَ بَيَّنَّتَا امْتِيَازَ مَقَامِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ مَقَامِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ جِهَاتٍ عِدَّةٍ: -
الْجِهَةُ الْأُولَى: أَنَّ صَلَاةَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَلَائِكَتِهِ فِي أَعْلَى مَلَكُوتِهِ، بَيْنَمَا سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ لِآدَمَ فِي الْأَرْضِ، أَيَّ فِي سُلْطَانِ الْمَلَكُوتِ مُقَرَّرًا لِخَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، بِخِلَافِ سُلْطَانِ النَّاسُوتِ الْأَرْضِيِّ.

الْجِهَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّ فِي فَضِيلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَخْتَصَّةِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شُؤْنَ نَفْسِهِ أَوَّلَ الْمُصَيَّلِينَ عَلَيَّ نَبِيٍّ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ فِعْلِ الْمَلَائِكَةِ، وَهُوَ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَا فَوْقَهُ مِنْ تَعْظِيمٍ، وَذَلِكَ لِكَوْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَابَ أَبْوَابِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الْجِهَةُ الثَّلَاثَةُ: إِنَّهُ جَعَلَ الصَّلَاةَ بِصَيْغَةِ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ الْمُسْتَمِرِّ (يُصَلُّونَ)، بَيْنَمَا فِي السُّجُودِ لِآدَمَ جَعَلَ السُّجُودَ بِصَيْغَةِ الْفِعْلِ الْمَاضِي وَالْمُنْصَرِمِ وَالْمَنْقُضِي (فَسَجَدُوا) وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَارِقِ، مَعَ أَنَّ مَقَامَ الْخِلَافَةِ مُقَرَّرٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْأَصَالَةِ وَلِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّبَعِ.

ص: ٣٣٦

١- (١) مستدرک الوسائل للمحدث النوری قدس سره: ج ٥، ٣٣٢، ٣٣٣، ح ٦٠٢٠/١١.

ثانياً: هُنَاكَ نصوص قُرْآنِيَّة أَكَّدت وَنصَّت عَلَيَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُجَسِّم الذِّكْرِ اللهُ تَعَالَى، وَكَلَّمَا ذَكَرْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَكَرْتَ اللهُ تَعَالَى، وَهَكَذَا كَلَّمَا صَلَّيْتَ عَلَيَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي تَمَامِ وَجُودِهِ ذِكْرٌ، وَفِي تَمَامِ وَجُودِهِ وَحْيٌ، فَيَاذَا ابْتَعَدْتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّكَ ابْتَعَدْتَ عَنِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ اقْتَرِبَ مِنْ ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُسِهِمْ وَرَأَيْتَهُمْ يُصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) (١).

وَعَلَيْهِ فَهَيَّا بَابَ التَّوْبَةِ وَالْأُوبَةَ إِلَى اللهِ تَعَالَى تَمَامَهُ ذِكْرٌ وَوَحْيٌ (وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (٦٤) (٢).

بِتَقْرِيْبٍ: - أَنَّ أَوَّلَ وَأَهْمَ شَيْءٍ يَقُومُونَ بِهِ هُوَ الْإِتْيَانُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَنَّ الْمَجِيءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ مَجِيءٌ إِلَى اللهِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ (جَاؤُوكَ) فَاسْتَغْفَرُوا اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَأْتِي شَفَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللهُ تَوَّابًا رَحِيمًا فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَمَامَهُ ذِكْرٌ، وَالْإِغْرَاقُ فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ إِغْرَاقٌ فِي ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَإِغْرَاقٌ فِي وَحْيِ اللهِ، وَمِنْ ثَمَّ قَرَنَ اللهُ ذِكْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذِكْرِهِ تَعَالَى كَمَا يَشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَ رَفَعْنَا لَكَ

ص: ٣٣٧

١- (١) سورة المنافقون: الآية ٥.

٢- (٢) سورة النساء: الآية ٦٤.

ذِكْرَكَ (١) الآية. بتقريب: - إِنَّهُ قَرَنَ ذِكْرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى أَيْنَمَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى.

ثالثاً: الإغراق في آل النبي صلى الله عليه وآله هو أيضاً إغراق في النبي صلى الله عليه وآله وبالتالي هو إغراق في الله تعالى، وهؤلاء السلفيه يقولون هو إغراق في الصنميه - والعياذ بالله - وإغراق في ذكر الحسين عليه السلام وَنَحْنُ نَقُولُ لَهُؤُلَاءِ: - إِنَّ الإغراق في ذكر الحسين هو إغراق في ذكر النبي صلى الله عليه وآله والإغراق في ذكر النبي صلى الله عليه وآله هو إغراق في ذكر الله، وإِنَّمَا الصِّنْمِيَّةُ فِي الْإِبْتِعَادِ عَنِ ذِكْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنْ تَنْوَأَ عَنِ ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَذَكَرَ عَلَى وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَعَلَيْهِ فَمِنْ تَمَامِ التَّوْحِيدِ وَالْعِبُودِيَّةِ أَنْ تَدَاوِمَ عَلَى ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأَطْهَارِ. وَأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ هِيَ تَهْلِيلٌ وَتَسْبِيحٌ وَتَحْمِيدٌ.

وَهُنَاكَ رَوَايَةٌ مَضْمُونُهَا: «أَنَّهُ أُجْلِسَ مُؤْمِنٌ مِنْ قَبْلِ مَنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَأَرَادُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ مَنْ رَبُّكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ وَمَنْ إِمَامُكَ؟ قَالَ: - اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، قَالَا - الْمَلِكَانِ - كَفَى» (٢).

بتقريب: - أَنَّ سَوَالَ مَنْكَرٍ وَنَكِيرٍ كُلَّهُ فِي الْقَبْرِ يَكْتَفَى بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَسِوَاهُ فِي سَكْرَاتِ الْمَوْتِ أَوْ فِي الْبَرْزَخِ، أَوْ عَلَى الصَّرَاطِ فَإِنَّهُ ذَكَرَ دَائِمًا، وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَ الْحَالُ كَذَلِكَ حَرَّمَ السَّلْفِيُّونَ وَغَيْرُهُمْ أَنْفُسَهُمْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ الْوَاسِعَةِ. وَأُبْلِسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِنَائِهِمْ عَنِ ذِكْرِ

ص: ٣٣٨

١- (١) سورة الشرح: الآية ٤.

٢- (٢)

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلَى وَفِاطْمِهِ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَبِالتَّالِي نَأْوَا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ الْوَاسِعَةِ، - أَعَاذَنَا اللهُ
وَإِيَّاكُمْ - مِنْ هَذَا الْخَطِّ وَالْخَطِّ الْأَوْكَسِ.

ص: ٣٣٩

على المحكمات فى القرآن

إن أبواب وأساليب القرآن الكريم فى حين أنها متمايزه مع قواعد الأسلوب الاستعمالى هى كذلك متداخله فيما بينها وبينهما وحده نظام، وَعَلَيْهِ فالتفكيك والتمييز بين القواعد كما هو مطلوب فى منهج قواعد تفسير القرآن الكريم كانضباط منهجى ونظامى، ولكن مع ذلك فإن الوقوف واكتشاف الارتباط بين القواعد أيضاً مطلوب.

واكتشاف الارتباط بين تلك القواعد ليس على صعيد سطح القواعد أو تداعياتها وآثارها بل اكتشاف الارتباط حتى على مستوى وصعيد ذات مفاد تلك القواعد، وهذا أمر ليس بالسهل، وحتى هذا المنهج الذى نحن فيه أى منهج أمومه الولايه على المحكمات فإن التعمق فيه وتفعيله على درجات.

ونحن الآن فى الخطوه الأولى ونشير فقط إلى بادره الالتفات والاكتشاف إلى هذا المنهج، أمّا تفعيله وأنه له طبقات وأطوار وأنماط فلا زلنا فى بدايه الطريق، وربما تأتى بعض الأجيال القادمه من له القابليه على التعمق فى هذا المنهج بدرجات وأعماق متطوره متكامله وقويه جداً وغايه ما نتعاطاه الآن هو عمليات ابتدائيه أو كبادئ أمر.

وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْمَفْسَّرَ كُلَّمَا تَدَرَّبَ أَكْثَرَ وَمَارَسَ قَوَاعِدَ أَكْثَرَ عَلَيَّ هَذَا الْمَنْهَجِ - أَيْ مَنْهَجِ أُمُومِهِ الْوَلَايَةِ عَلَيَّ الْمُحْكَمَاتِ فِي الْقُرْآنِ - وَصَلَ إِلَى نَتَائِجٍ وَمَحَطَّاتٍ مُهِمَّةٍ وَخَطِيرَةٍ جَدًّا، وَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنْ مَا نَشِرُهُ الْآنَ هُوَ نَهَايَةُ الْمَطَافِ أَبَدًا بَلْ هُوَ بَدَايَةُ الْمَطَافِ وَالْبَابِ مَفْتُوحٍ وَالطَّرِيقِ مَسْلُوكٍ يَحْتَاجُ إِلَى هِمَمٍ لَطِيئَةٍ.

مُضَافًا إِلَى أَنَّهُ تَقَدَّمَ فِي بَحْثٍ سَابِقِهِ إِلَى أَنَّ طَبِيعَةَ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ قَوَاعِدِ هَذَا الْمَنْهَجِ - أُمُومِهِ الْوَلَايَةِ عَلَيَّ الْمُحْكَمَاتِ - لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يُدْخَلَ عِنْوَانِ بَابٍ مَعِينَهُ تَحْتَ أَكْثَرِ مِنْ بَابٍ، فَمِثْلًا - بَابٌ هُوَ فِي الْأَمْثَالِ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ نَفْسَ هَذَا الْبَابِ، بَابِ حُكْمِهِ وَبَابِ إِحْكَامِهِ فَمِثْلًا آيَةٌ وَاحِدَةٌ فِي بَابِ الْمَعَارِفِ يَسْتَفِيدُ مِنْهَا الْفُقَهَاءُ حُكْمًا فِقْهِيًّا وَعَلَيْهِ لَا تَنْحَصِرُ آيَاتُ الْأَحْكَامِ بِخَمْسَاتِهِ آيَةٌ أَوْ أَكْثَرُ بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَنَّ الْفَقِيهَ كُلَّ الْفَقِيهِ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَشْمِرَ آيَاتٍ عَدِيدَةٍ فِي أَبْوَابٍ عَدِيدَةٍ لِلْأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ، وَالْعَكْسُ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْبَاحِثَ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالْعَقِيدَةِ لَا يَتَنَصَّرُ فِي بَحْثِهِ عَلَيَّ جَمْلَةٍ مِنَ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ بَدْوًا فِي الْعُقَائِدِ حَتَّى فِي آيَاتِ الْأَحْكَامِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَلِ الْبَاحِثُ الْمَلْتَفَتِ وَالْفَطْنِ مِنْهَا مَطْلَبًا عَقَائِدِيًّا وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) (١)). مِنْ أَنَّ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ وَإِنْ كَانَتْ الْمُرَادُ بِهَا هُمْ أَهْلُ آيَةِ التَّطْهِيرِ إِلَّا أَنَّهُ يُمْكِنُ الْعُبُورُ وَالتَّعْرِيزُ - كَمَا مَرَّ فِي قَاعِدَةِ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ - لغير

ص: ٣٤٢

المعصومين من أهل آية التطهير لكنّها تجرى بشكل مخفّف مع عادى البشر، ويمكن أن يمَسَّ القرآن بقدر ما أوتى من طهاره فى الأخلاق، فإذا أردت أن تُبصّر مفاد الآيات جيّداً فيجب عليك أن تطهّر أخلاقك، وكلّما تطهّر أخلاقك أكثر فى يوميات الإنسان تنزل عليه من باطن القرآن أمطار منعشه، مثلما نزول الأمطار يحيى الأرض بعيد موتها فإن القلب أرض الرّوح وأن أرض العقل الإنسانى لا تستطيع أن تستمطر من السّماء إلّا بقدر طهارته.

قاعده الذكر بالمعنى الذى ذكرناه:

إنّ قاعده الذكر بالمعنى الذى ذكرناه على ضوء منهج أمومه الولاية غير موجود فى منهج تفسير القرآن بالقرآن الذى تبناه السيّد العلّامة الطباطبائى قدّس سرّه وإن كان السيّد العلّامة يعترف بهذه الحقيقة، إلّا أنّه لم يدرجها فى تفسيره، وكذلك غير موجوده فى باقى المناهج التفسيرية الأخرى للقرآن.

وعليه فقاعده الذكر بحسب منهج أمومه الولاية فيها صفات نظريه وصفات عمليه، وإن كان هناك شخصاً أمياً بحسب الظاهر - بأن لا يقرأ ولا يكتب - بأن لم يقرأ التفسير ولكنه طاهر القلب والنفس والعمل فإنه يُبصر من وصايا وأنوار الآيات والسور ما لم يُبصره مفسر آخر يقرأ ويكتب وعنده اطلاع على التفاسير، فلماذا القرآن الكريم يكرم

ذاك ويخل على هذا؟

الجواب: يقول القرآن الكريم هناك شرط لا بُدَّ من توفرها في المُفسِّر لكي يُبصِّر وصايا وأنوار الآيات والسور وهي طهاره النفس بطهاره إلهيه قدسيه مقدسه، فإنه بقدر طهارته وقدسيته، ينهل من تلك الأنوار والوصايا (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (٢) (١).

بتقريب: - هدايه من يُنادى بها القرآن الكريم؟ هل هدايه للمفسرين بحسب الإحاطه النظرية؟ كلا، هل هو هدايه للمتقين، وربط التقوى كبرنامج عملي بينها وبين العلم بالكتاب والاهتداء به؟ كلا، وإنما هناك نوع من ربط القرآن أي طبيعه كتاب لا ينفصل فيه العمل عن العلم ولا العلم عن العمل فإنهما متلازمان مُصافاً إلى شرط آخر وهو الإيمان بالغيب فإن الإنسان إذا لم يكن مؤمناً بالغيب لا يستطيع أن يلج بحور علوم القرآن فإن علوم القرآن محميه وقلعه مسوره بسياج كبير.

المعاني الأخرى لقاعده الذكر:

من معاني قاعده الذكر أن للقرآن طبقه صوتيه خاصه ورنين صوتي خاص ويشير إلى ذلتك النبي صلى الله عليه وآله: «إن القرآن نزل بالحزن فإذا قرأتموه بكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا» (٢).

ص: ٣٤٤

١- (١) سورة البقره: الآيه ١-٢.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٧٩ ص ٢٤٧، ح ٢٦.

إِذْ نُنزِّلُ الْقُرْآنَ لَهُ تَجْوِيدٌ ذَكَرِي لَا تَجْوِيدَ الْأَهَازِيحِ أَوْ التَّوَاشِيحِ وَإِنَّمَا تَجْوِيدٌ وَلَحْنٌ صَوْتِي خَاصٌّ يُسَمَّى بِاللَّحْنِ الذِّكْرِيِّ، وَتَقَدَّمَ إِلَى أَنَّ عُلَمَاءَ التَّجْوِيدِ لَمْ يَكْتَشِفُوا التَّرَكِيبَ النُّحَوِيَّ وَلَا الصَّرْفِيَّ وَلَا اللَّغَوِيَّ وَلَا الْاِشْتِقَاقِيَّ وَلَا الْبَلَاغِيَّ وَلَا... الْخَ الَّتِي يَسْتَعْمَلُهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، فَإِنَّ لِهَذِهِ التَّرَاكِيبَ الْمَذْكُورَةَ الَّتِي يَسْتَعْمَلُهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ صِفَةً ذَكَرَ خَاصَّةً، وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ التَّرَكِيبُ النُّحَوِيَّ فِي الْقُرْآنِ غَيْرَ التَّرَكِيبِ النُّحَوِيَّ فِي شِعْرِ الرَّجَزِ، وَهَكَذَا بَاقِي التَّرَاكِيبِ الْأُخْرَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ غَيْرُهَا فِي بَاقِي الْعُلُومِ الْأُخْرَى.

الفرق بين نداء القرآن

وعرض أصحاب علم الهندسه الصوتيه:

هُنَاكَ فَرْقٌ مَهْمٌ جَدًّا يَنْبَغِي مَلَاظَمُهُ هَذَا الْفَرْقَ عَلَى الْبَاحِثِ الْمَتَّبِعِ بَيْنَ نِدَاءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيْنَ عَرْضِ أَصْحَابِ عِلْمِ الْهِنْدَسَةِ الصَّوْتِيَّةِ، فَالْقُرْآنُ يُنَادِيهِمْ بِأَعْلَى صَوْتِهِ صَرِيحًا يَا أَصْحَابَ عِلْمِ الْهِنْدَسَةِ الصَّوْتِيَّةِ وَالْمَلْحَنِينَ لِمَاذَا لَا تَصْدُرُونَ وَتَبْثُونَ وَرُودَ الْكَمَالِ وَالْأَزْهَارِ الْجَمِيلَةِ ذُو الرَائِحَةِ الْعَطْرَةِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الْبَشَرِ، وَإِنَّمَا فَحَقُّ تَبْثُونَ وَتَضْحُونَ وَرُودَ الْخَفِّهِ وَالِاسْتِخْفَافِ وَالْمَجُونِ وَاللَّاعِقَلَاءِ لِلْبَشَرِ كَالْغِنَاءِ وَالرَّقْصِ وَكُلِّ مَا تُبْتَدِلُ بِهِ كِرَامَةَ الْإِنْسَانِ وَيَتَرْتَبُ بِالتَّالِيِ عَلَى بَثِّ هَكَذَا حَالَاتٌ جُنُونِيَّةٌ نَوْعٌ مِنَ الْهَيْجَانِ وَالِاسْتِقْرَارِ عَكْسَ مَا يَبْنِيهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ،

لقارئه ومتدبره ومتأمله من سكينه وطمأنينه وهداوه وثقل، فالقرآن الكريم حتى إذا أراد أن يث قضيته فيها جانب إثارة شهويته وجنسيته أو غضبيته أو... الخ فإن هذا مرتبط بجانب المعاني القرآنية والبلاغية والادبية فإنه يستعرضها بذكر عبئه وطمأنينه وسكينه لا بشكل مجونى مبتذل - والعياذ بالله - والقرآن الكريم إنما يسلط الأضواء في عرض هكذا قضايا على الجانب النورى فيها لا على الجانب الشهوى فإنه مبتذل وحقير وأما الجانب النورى والربانى فهو عظيم الذكر.

وذلك كما في قصه يوسف عليه السلام وفيما يستعرضه القرآن الكريم من لذائذ في الأطمعه والأشربه والأنكحه الأخرويه كما في سورة الرحمن، قال رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسير قوله تعالى: (وَ الْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) (١٠) (١) قال للناس: (فيها فاكهه والنخل ذات الأكمام) (١١) (٢) قال يكبر تمر النخل من القمع، ثم يطلع منه، (وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَ الرِّيحَانُ) (١٢) (٣) قال: الحب: الحنطة والشعير والحبوب، والعصف: التبين والريحان ما يؤكل منه (٤). وكما يستعرضه القرآن من تعبته للقوة الغضبية فإنه يوجهها إلى الخير وإقامه العدل والدفاع عن المحرومين والمستضعفين لا في طريق الفرعنه والتجبر والاستكبار.

ص: ٣٤٦

١- (١) سورة الرحمن: الآية ١٠.

٢- (٢) سورة الرحمن: الآية ١١.

٣- (٣) سورة الرحمن: الآية ١٢.

٤- (٤) تفسير الثرهان للسيد هاشم البحرانى: ج ٢٧، مج ٧ ص ٣٨٣، ٣٨٤.

الفرق بين القرآن الكريم كقاعده ذكر وبين الشعر:

القرآن الكريم بَعْدَمَا تحَدَى البلاغيين والنحويين واللغويين والشعراء والأدباء و... الخ والكفار بَعْدَمَا عَجَزُوا عَنِ التعرف عَلَى نظام الذكر وحقيقته إِذْ التَعَرَّفَ عَلَى نظام الذكر وحقيقته يحتاج إلى إنسان طاهر مُطَهَّر مُتَطَهَّر، كَمَا تَقَدَّمَ - فَتَعَدَّ حَاحول الكفار والمشركون بَعْدَ عجزهم عَنِ وصف الذكر لأنهم تاره وصفوه بأنه أضغاث أحلام، وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَأُخْرَى وصفوه بأنه افتراء أى أسلوب قصصى روائى مختلف فيه، وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ إِذْ لَيْسَ الْقُرْآنُ بشعر لأنهم قالوا (بَيْلٌ هُوَ شَاعِرٌ) (1) بتقريب: - أن القرآن ليس بشعر فإن بين القرآن والشعر بوْنٌ كبيرٌ، فإن الشعر فى هيئة الكلام يعتمد على أوزان وفى المضمون يعتمد على المخيله فإن أعذبه أكذبه، وعليه فإن الشعر يعتمد على قوّه الخيال بخلاف القرآن فإنه يعتمد على أوزان قاعده الذكر، تحدى علماء النحو والصرف واللغه والاشتقاق والشعر و... الخ على أن يكتشفوا قواعد علم الذكر، ومن آيات تأثير الذكر القرآنى وافتراقه عن الموسيقى والشعر والغناء وأى خطاب فكرى آخر أنه لا- يُبَيِّن القوى الغريزيه بانفلات عن سيطره العقل وهيمنه الحكمه ولا يُمَيِّتُهَا جامِده، بل يُثِيرُها موجهة هادفة، كما أنه لا يُعَيِّش الإنسان فى جوِّ واحد غير متوازن ومتعادل مع أجواء أخرى بل يعبر به الى عوالم أخرى كثيره متنوّعه متوازنه.

ص: ٣٤٧

تنبيه: كُملَّ سورة في القرآن الكريم لها وزن مُعيَّن ولها تفعيله خاصه، فمثلاً سورة القمر لها قافيه معينه، والمدثر كذلك لها قافيه ونغمه صوتيه وذكرته خاصه بها، وهكذا باقى السور فإنَّ لكلِّ سورة لها وَقْعٌ في أوزان مُخْتَلَفَه، إلَّا أَنَّهُ إلى الآن لَمْ تكتشف هَـيْـذِه الأوزان، وَلَمْ يكتشف النظام الرابط لها هل هُوَ نظام نثر مُسَيِّجٍ أو غيره، فالوليد بن المغيرة كَانَ أديباً كبيراً في قريش، قَالَ لأصحابه في الفن: - مِنْ الخَطَأِ أَنْ تحكّموا عَلَى القرآن بَأَنَّهُ شعر ولا نوح ولا نياحه ولا روايه قصصيه لِأَنَّهُ لا يمكن أَنْ تقولوا إِنَّ الصادق الأمين مُحَمَّدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جُزَّ أو صار عنده حاله هذيان في الكلام - وحاشاه مِنْ ذَلِكَ - وبالتالي فَإِنَّ المغيرة قَالَ لَهُمْ أَحكّموا عَلَى القرآن بَأَنَّهُ سحر وَمَعْنَى السحر يعنى إِنَّهُ مؤثر ولا تهتدى إلى سبيله (وَلا يَفْلَاحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) (١) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) (٢) وَمَعْنَى الإِفْكَ معناه الكذب والتخيل والخداع.

وفيه: هل أَنَّ كُلَّ مؤثِّر لا تهتدون إلى سبيل تأثيره يَكُون سحراً؟ الجواب: - كلا.

لذلك إلى الآن يَتَمَتَّعُ القرآن بجانبه الإعجازى في البلاغه والأدب وَاللُّغَه وَالصَّرْفَ وَ... الخ، والمقصود أَنَّهُ يَتَمَتَّعُ القرآن بِكُلِّ جوانب نظام الاستعمال اللفظى في القرآن وَلَمْ تكتشف لحدّ الآن ولا أحد

ص: ٣٤٨

١- (١) سورة طه: الآية ٦٩.

٢- (٢) سورة طه: الآية ٢٠.

يستطيع أن يدعى أنه أحاط بمنظومه نظام أوزان وتفعيلات الآيات القرآنية، صحيح ندرِك بَعْض تفعيلات السور كسوره القمر والمدثر و... الخ.

ولكن الكلام في ما هُوَ هَذَا النظام الْمَسْتُق بينها الذي يُعطيك نغمه ذكره لا نغمه مجوَّيه هيجانيه لِأَنَّ الشعر دائماً فيه حاله خَفَهُ ومجون وهزه للمشاعر إلَّا ما كَانَ مِنْهُ فِي حَقِّ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الشعر فِي الحقِّ غَيْر ذكر القرآن وَهُوَ دون ذُكْرِيهِ القرآن، وَهَذَا يعتبر بُعداً آخر مِنْ أبعاد قَاعِدِهِ الذكر فِي القرآن الكريم، وَالَّتِي تنفتح عَلَى أصعده متعدده فِي نظام الاستعمال اللفظي وكم كتب عُلَمَاء البلاغه والنحو والصرف وَاللُّغَه فِي مجالاتهم إلَّا أَنَّهُمْ إِلَى الآن ما وصلوا إِلَى قواعِدِ الذكر فِي القرآن فِي هَذِهِ الأبعاد، فمثلاً علم المعاني فِي القرآن الكريم ثمرته الذكر إلَّا أَنَّ نظام قواعده غَيْر معلومه، وهكذا علم البيان فِي القرآن فيه استعارات ومجازات ولكن فِي أَى نظام؟ فَهِيَ إِلَى الآن غَيْر مُكتشفه وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ تحليلات كثيره مسطوره فِي التفسير لَكِنَّهَا بشكل متناثر وَلَيْسَ بشكل نظام مترابط وحدوى بين هَذِهِ الأبحاث، بحيث نكتشف قواعِدَ هَذَا العلم، وَإِذَا استطعنا أَنْ نكتشف قواعده إِذَنْ استطعنا أَنْ نأتى بمثل القرآن وَهُوَ مستحيل أَنْ يأتى المخلوق بمثل ما أتى به الخالق، فمثلاً القرآن يستعمل الجنس اللفظي ويستخدم البديع لَكِنَّه لا يورث دغدغه الخيال ومشاعبه الوهم وهزه العاطفه و... الخ بخلاف ما يورثه

الذكر مِنْ إثاره الذى مِنْ علامته الوقار والسكينه والعقلانيه ورجحان العقل وتوازن الغرائز ومكرمات الأخلاق وَعَلَيْهِ فَإِنَّ طَبِيعَتَهُ -
الذكر - هِيَ نِظَامٌ خَاصٌ.

كيفية اكتشاف قواعِد الذكر:

إِنَّ أَحَدَ جَوَانِبِ سِرِّ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ إِلَى الْآنَ هُوَ عَدَمُ اكْتِشَافِ قَوَاعِدِ الذِّكْرِ فِي النِّظَامِ الاسْتِعْمَالِيِّ وَاللِّفْظِيِّ فَإِنَّ فِيهَا بِلَاغَهُ وَفِصَاحَتَهُ
وَبَيَانَهُ... الخ إِلَّا أَنَّهَا تَجْتَمِعُ فِي أَنَّهُ ذَكَرَ الْقُرْآنَ يَوْجِبُ وَيُسَبِّبُ تَفَجُّرَ الْمَعْلُومَاتِ الْمَدْفُونَةِ فِي عَقْلِ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ كَمَا
يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَائَهُ لِيَسْتَأْذِنَهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيَذَكِّرَهُمْ مَنْسَى نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجِّجُوا
عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُشِيرُوا لَهُمْ دِفَائِنَ الْعُقُولِ...» ١ وَهَذِهِ الْفِطْرَةُ الَّتِي هِيَ شَبِيهَةٌ إِلَى حَدِّ مَا بِالذَّاكِرَةِ الْكَمْبِيُوتَرِيَّةِ وَالْقُرْصِ النُّورِيِّ فِيهِ مَا
شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ الْهَائِلَةِ وَالْحَقَائِقِ الْكَثِيرَةِ، وَلَكِنْ السُّؤَالُ الْأَهْمُ فِي الْمَقَامِ هُوَ: -

كَيْفَ يُفَعَّلُ هَذَا الْخَزِينُ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ؟

الجواب: لا طريق لفتح هذه الملفات والاستفادة منها إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الذِّكْرِ، فَإِنَّ الذِّكْرَ هُوَ مِفْتَاحُ كِمَالِ الْإِنْسَانِ، وَالذِّكْرُ يُولِّدُ الذِّكْرَ
هُوَ

آيات القرآن الكريم (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ) (١) كصفه أولى و(وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ) كصفه ثانيه.

بتقريب: - إِنَّ الصفة الأولى هِيَ أَنَّ الْقُرْآنَ فِيهِ ذِكْرٌ وَهِيَ عَلَامَةٌ كَمَالٍ وَاسْتِقَامَةٍ وَبِعِبَارِهِ أُخْرَى: - إِنَّ أَىَّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي يُمْكِنُ لِلْبَشَرِ الِاسْتِفَادَةَ مِنْهَا إِنْ أُحْدِثَ فِيهِ ذِكْرٌ فَهُوَ كَمَالٌ، وَإِلَّا فَهُوَ تَرْدَى وَهَلَاكٌ.

والخلاصة: إِنَّ صَمَامَ أَمَانِ الْقُرْآنِ إِنَّهُ ذِكْرٌ مُبِينٌ وَصَمَامَ نَبْوَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الرُّوَايَةِ هُوَ الذِّكْرُ وَبِوَاسِطَتِهِ يُمَيِّزُ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْآتِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى هَلْ هُوَ مَلِكٌ أَمْ شَيْطَانٌ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْمَلِكِ تُمَيِّزُ مِنْ خِلَالِ الْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ يَعْنِي الذِّكْرَ، بَيْنَمَا الشَّيَاطِينُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - تَأْزُهُمْ أَرْأَى تَفْزُهُمْ، فَمِثْلًا - مِنْ حَبَائِلِ وَطَرَقِ الشَّيْطَانِ الْمَوْسِيقَى الْمَاجِنَةَ فَإِنَّهَا دَائِمًا تَنْصَفُ بِحَالِهِ جَنُونِيَّةٍ وَاضْطِرَابٍ وَطِيْشٍ وَانْفِلَاتٍ وَعَبَثِيَّةٍ وَاللَّاهِدْفِيَّةِ، بِخِلَافِ قَاعِدَةِ الذِّكْرِ، فَإِنَّهَا وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ، وَلِذَا تَعْتَبِرُ قَاعِدَةَ الذِّكْرِ مَعْلَمٌ رِئِيسِيٌّ فِي كُلِّ أَصْعَدِهِ وَقَوَاعِدِ وَأَنْظَمِهِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِي النِّظَامِ الْاِقْتِصَادِيِّ فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّهَا تَوْلِّدُ الذِّكْرَ (وَ كُلُّوا وَ اشْرَبُوا وَ لَا تُسْرِفُوا) (٢) فَإِذَا تَمَسَّكَ الْإِنْسَانُ بِعَدَمِ الْإِسْرَافِ فِي النِّظَامِ التِّجَارِيِّ لَمْ تَصْبِحْ هُنَاكَ أَرْزَمَةٌ مَالِيَّةٌ فِي الْعَالَمِ، وَعَلَيْهِ فَذِكْرُ نِظَامٍ مُعَيَّنٍ يَوْلِّدُ الذِّكْرَ،

ص: ٣٥١

١- (١) سورة يس: الآية ٦٩.

٢- (٢) سورة الأعراف: الآية ٣١.

وآذاك لا يفتح الباب أمام الانخراط في نزوات الغرائز والحروب الطاحنه فَإِنَّ الذكر يوجب للإنسان أروعاء.

ص: ٣٥٢

هَذَاكَ عِلْمٌ يُسَمَّى بِعِلْمِ الاسْتِرَاطِيَجِيَاتِ أَوْ عِلْمِ إِدَارَةِ الْعُلُومِ وَوُضِيفَهُ هَذَا الْعِلْمُ هُوَ تَنْظِيمُ عَمَلٍ وَخَطَوَاتِ الْبَاحِثِ فِي أَيِّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ، فَمَثَلًا: الْبَحْثُ أَوْ الْمَتَعَلَّمُ الْكَرِيمُ بَدَلًا أَنْ يَخُوضَ فِي أَيِّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ كَالْفِيزِيَاءِ أَوْ الْكِيمِيَاءِ أَوْ الْأَحْيَاءِ أَوْ الْهِنْدَسَةِ الْفَضَائِيَّةِ أَوْ... الْخَبْرُ بِنَحْوِ لَا- هَادِفٍ وَعَبَثِي وَلَا- يَدْرِي إِلَى أَيْنَ يَصِلُ، فَإِذَا تَعَلَّمَ عِلْمَ إِدَارَةِ الْعُلُومِ وَالاسْتِرَاطِيَجِيَاتِ فَإِنَّهُ يُنْظِمُ لَهُ خَطَوَاتِ انْتِقَالِهِ وَسِيرِهِ نَحْوَ النَتِيْجَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُنْضَبَطَةِ بِقَوَاعِدِ رَصِينِهِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْجَامِعَاتِ وَالْكُلِّيَّاتِ وَالْمَعَاهِدِ بِمَخْتَلَفِ أَقْسَامِهَا وَتَخْصِصَاتِهَا تَطْلُبُ التَّنْسِيقَ مَعَ النِّقَابَاتِ وَالْمَعَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ حَوْلَ بَيَانِ وَتَعَلُّمِ الْاِحْتِيَاجَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ لِتَوْضِيفِ الْعُلُومِ الْمَخْتَلَفَةِ مِنَ طَبِّ وَهِنْدَسَةِ وَكِيمِيَاءِ وَفِيزِيَاءِ وَحَاجَةِ الْمَجْتَمَعِ الْمَاسِّهِ لَهَا لَا أَنَّهُ تُدْرَسُ الْعُلُومُ كَيْفَمَا اتَّفَقَ وَكَيْفَ مَا شَاءَ، وَمَا فَائِدُهُ طَرَحَ دِرَاسَةِ تَخْصِصِيَّةٍ حَوْلَ نَظَرِيَّةِ مَحْضِهِ وَتَجْرِيْدِيَّةِ لَا- مَسِيْسَ لَهَا بِالْوَاقِعِ الْمَعَاشِ، عَلِمًا أَنَّ حَاجَةَ الْمَجْتَمَعِ الْمَاسِّهِ إِلَى غَيْرِهَا، فَمَثَلًا صَحِيْحٌ أَنَّ الْمَجْتَمَعِ يَحْتَاجُ إِلَى

بناء نظام اقتصادى جَيِّد يعتمد عَلَى تطوير نظام وآليات الزراعة مثلاً، وهكذا ازدهار التجاره تحتاج إلى تطوير القابليات، وازدهار علم النفس يعنى ينبغى تطوير آليات المجال النفسى فى المجتمع، وهكذا ازدهار الجانب الأمنى فى المجتمع يحتاج إلى ازدهار القوّه العسكريه وتطويرها وهكذا.

إِلَّا أَنَّ هَذَا لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِنَاءِ مُؤَسَّسَاتٍ وَإِجْرَاءِ مُوَازَنَةٍ وَمَعَادِلَةٍ بَيْنَهَا فَإِذَا حَصَلَ إِفْرَاطٌ وَتَفْرِيطٌ وَتَضَخُّمٌ فِي جَانِبٍ مَعْيَنٍ كَالطَّبِّ أَوْ الْجَانِبِ الْعَسْكَرِيِّ أَوْ الْجَانِبِ الْأَمْنِيِّ أَوْ الْمَالِيِّ أَوْ... الخ وَهُنَا يَأْتِي دَوْرُ الْقَاعِدَةِ الْاِسْتِرَاطِيَجِيَّةِ وَإِدْرَاجِ الْعُلُومِ وَإِجْرَاءِ الْمَوَازَنَةِ فِيمَا بَيْنَهَا وَكَمَالِ الْعُلُومِ أَنْ تَصِبَ فِي الْهَدَفِ النَّهَائِيِّ لَا أَنْ كَمَالِهَا تَذْهَبُ مُسْتَقْلَةً مُنْفَرَدَةً بِحِيَالِ نَفْسِهَا بَلْغَ الْأَمْرِ مَا بَلْغَ، وَإِنَّمَا لِابْتِدَاءِ مِنْ مُوَازَنَةٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْكَمَالَاتُ مُتَوَفَّرَةً فِي مَجْتَمَعٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا مَجْتَمَعَاتُ الْبَشَرِ تَكْمَلُ بَعْضُهَا الْبَعْضَ، وَلَكِنْ بِالتَّالِيِ تَحْتَاجُ إِلَى مُوَازَنَةٍ سِوَاكَ كَانَتْ فِي مَشْرِقِ الْأَرْضِ أَوْ مَغْرِبِهَا وَفِي أَيِّ صَقْعٍ مِنْ أَصْقَاعِ الْمَعْمُورَةِ.

الذکر: هُوَ أَحَدُ مَعَانِي أَشْهَرِ أَنْكَ تَلُوتِ الْكِتَابِ حَقِّ تَلَاوْتِهِ:

أَحَدُ أَهَمِّ الْأَوْصَافِ الَّتِي تَمَيَّزَ بِهَا الْمَعْصُومُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ غَيْرِهِ مَا وَرَدَ فِي زِيَارَاتِهِمْ «أَشْهَدُ أَنَّكَ تَلُوتُ الْكِتَابَ حَقِّ تَلَاوْتِهِ» فَمَا مَعْنَى حَقِّ تَلَاوْتِهِ؟ هُنَاكَ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٌ أَحَدُ أَهَمِّ مَفَاهِيمِهَا هُوَ أَنَّ الذِّكْرَ أَيُّ ذِكْرٍ تَلَاوَهُ الْآيَةَ

فى موضعها المُناسب وَهُوَ الذِّكْر، أمَّا تلاوتها فى غير موضعها فَهُوَ صِدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَصِدٌّ عَن الذِّكْرِ.

ولذا الخوارج كانوا أيضاً يتلون الكتاب ويتمسكون به، ولكنهم كما قال أمير المؤمنين عليه السَّلام: «يتظاهرون بحجج (الدين) على أوليائه» (١) أى ضد سبيل الله وضد أولياء الله، فإنَّ مثل هذا ليس ذكر.

وينبغى أن نُحذِر أنفسنا مِنَ الوقوع به - والعياذ بالله - فَإِنَّ الإنسانَ قَدْ يَكُونُ عنده علم دينى ولكنَّه يوظِّفه لضعفه وهدم الدِّين - والعياذ بالله - لا لنصرته، وَهَذَا مِنَ أشكال المتشابهات فبدلاً أن تتنامى عِنْدَ الإنسان حاله الذِّكْر والأوبه إلى الله فَإِنَّهُ يشغل نفسه وعبادَ الله بإفراط وتضخيم وبعْدَ غير متوازن مَعَ الصراط المستقيم، وَإِنْ كَانَ هَذَا وجه أكمل ولا يَنبَغُ إلَّا بهدايه المعصوم إلَّا أَنَّهُ ما لا يُدرك كُله لا يُترك كُله.

ولذا:

يفترق تفسير المعصوم عَلَيْهِ السَّلامُ عَن غير المعصوم:

إِنَّ تفسير المعصوم عليه السَّلام دائماً حيوى وغيضٌ نضر ومؤثر، بينما تفسير غير المعصوم مِنَ المُفسِّرين مُجرَّد بحوث نظريه تجريديه وآفاق بعيده عَن المسيره والواقع المعاش؛ ولذا عِنْدَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَثَلاً عَن علم

ص: ٣٥٥

أنساب العرب - علماً أنه ليس بقليل الأهميه - فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «فَذَاكَ عِلْمٌ لَا يُضِرُّ مِنْ جِهَلِهِ، وَلَا يَنْفَعُ مِنْ عِلْمِهِ» (١).
عَنْ الْإِمَامِ الْكَاظِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ أَوْ سَنَةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلَاهُنَّ هُوَ فَضْلٌ» (٢).

بتقريب: - أَنَّ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَكَّدَ عَلَى وجود علوم أساسيه ومركزيه وبنويّه هامّه وخطيره وَأَكَّدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى أهميه التمرکز حول المركز أو ما يصبّ في المركز، والابتعاد عَنْ كُلِّ مَا لَهُ هَاجِسُ التَّشْتِ وَالْتَوَعُّلُ وَالتَّبَاعُدُ فِي التَّفَاصِيلِ فَإِنَّهَا لَا تَقُودُكَ إِلَى الْمَنْظُومَةِ الْمُرَكِّزِيَّةِ - أَى التعمق - وَإِنْ كَانَ التعمق فِي بَعْضِ الْمَوَارِدِ مَذْمُومًا.

إِلَّا أَنَّهُ كَيْفَ نَوْفَقَ بَيْنَ التعمقِ الَّذِي تَسْتَعْمِدُهُ الْآيُنُ فِي الْحَيَاةِ الْعَصْرِيَّةِ بِمَعْنَى التَّدْقِيقِ كَيْفَ يَكُونُ مَذْمُومًا؟ وَبَيْنَ مَا وَرَدَ فِي الرِّوَايَاتِ مِنْ أَنَّ التعمقَ دَائِمًا مَذْمُومٌ حَتَّى فِي الْفِكْرِ، فَكَيْفَ التَّوْفِيقُ بَيْنَهُمَا؟

أَمَّا التعمق المذموم فِي الْفِكْرِ كَالتعمق فِي عِلْمِ التفسيرِ وَالْعِلْمِ الْأُخْرَى بِمَعْنَى أَنَّ التعمقَ وَتَدخُلَ فِي التَّفَاصِيلِ، بَيِّنٌ وَتَفَاصِيلُ التَّفَاصِيلِ، وَهَكَذَا وَتَضْيِيعُ الْبُنَى الْأَسَاسِيَّةِ وَتَقْلَتُ زِمَامِ الْأُمُورِ وَعَدَمُ الْوَصُولِ إِلَى نَتَائِجِ عِلْمِيَّةِ مَرْضِيَّةِ مَنْضَبَطَةٍ وَإِنَّمَا يَصِلُ إِلَى عَكْسِهَا وَإِلَى اللَّاهُفِيَّةِ، وَهَذَا إِسْرَافٌ فِي أَعْمَالِ الْقَوَى الْفِكْرِيَّةِ فِي أُمُورِ تَافِهَةٍ، فَمَثَلًا

ص: ٣٥٦

١- (١) بحار الأنوار: ج ١، ص ٢١١.

٢- (٢) الكافي: ج ٣٢/١، عنه بحار الأنوار: ج ١، ص ٢١١ كتاب العلم.

لا- تتعمق في الضوء وكيفيته، فبدل أن تتعمق في الضوء وتركز عليه ركز على الاخلاق والخشوع مع الله تعالى، فإن الله تعالى يحب معالي (١) الأمور ويكره سفاسفها وأن التعمق يجر صاحبه إلى ارتكاب سفاسف الأمور إذا لم يكن هَذَا التعمق مبتن على ضوابط علمية ذكرية، وبخلافه فإنه يؤدي إلى معالي الأمور.

وأما التعميق غير المذموم: - بمعنى المداقه وتمركز النظر حول المحاور الأصلية وجعل بوصله الفكر تتمركز حولها والغور والفحص حول ذلك فهذا ممدوح وبصيره نافذه.

المفسر الناجح من يستطيع التمييز بين الآيه الأم وغيرها

بل اكتشاف مجموع الآيات التي تشكل نظام

ومنظومه الأمومه في القرآن

ونظام المنظومه في القرآن عباره عن مجموعه أعمده وحلقات نظام وطبقات منظومه، وهَذَا أفق عظيم في التفسير تتباعد عنده سائر المناهج التفسيرية كالتفسير الموضوعي والتنزيلي، وأسباب النزول و... الخ ولا- يكفي لإصابه الحقيقه والهدايه التي هي واسعة ومتراميه الأطراف، والتي يكشفها لنا القرآن الكريم ويوقفنا عليها - أن تبرز أيها الباحث أو

ص: ٣٥٧

المفسر آية قرآنيه وتمسك بها وتتبعها كيف ما اتفق، يَلْ لا يَدُّ مِنْ التَّمييزِ بَيْنَ الآيَاتِ مِنْهَا مَا هُوَ أُمَّ فِي الْقُرْآنِ، وَبَيْنَ مَا لَيْسَ بِأُمَّ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ وَ أُخْرُ مُشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ... (١).

فلا- يغرّك أنّ كَلِّ الآيات قرآن، وإِنَّمَا الْحَقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ هُوَ الآيَةُ الْمُحْكَمَةُ لَا الْمُشَابِهَةَ وَلَا يَكْفِيكَ أَنْ تَتَمَسَّكَ وَتُؤْمِنَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ دُونَ بَعْضِ (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) (٢). بتقريب: - أنّ إيمانهم فيه تبعيض (أَفْتَوْمُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) (٣) فَإِنَّ التَّمَسُّكَ بِبَعْضِ الآيَاتِ وَالْحُجْجِ لَا- يَكْفِي وَإِنَّمَا اللَّازِمُ هُوَ التَّمَسُّكَ بِمَجْمُوعِ الْمَنْظُومَةِ الْقُرْآنِيَّةِ؛ وَلِذَا الْقُرْآنُ يَشْتَرِطُ فِي الْهَدَايَةِ وَالْعِلْمِ وَالرُّشْدِ وَالنَّجَاحِ لَيْسَ فَقَطْ صَرَفُ أَصْلِ الْإِنْتِسَابِ إِلَى الْقُرْآنِ فَإِنَّ هَذَا لَوْحْدَهُ لَا يَكْفِي، وَإِنَّمَا يَشْتَرِطُ الْقُرْآنُ فِي الْهَدَايَةِ وَالْعِلْمِ وَالْمَنْهَاجِ وَالطَّرِيقَةِ أُمُورٌ عَدِيدَةٌ: -

مِنْهَا: مَا يَرْكُزُ عَلَيْهِ مِنْهَجُ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ وَالْمُحْكَمَاتِ فِي التَّفْسِيرِ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهِ، وَلَا يَكْفِي الْمُفَسِّرُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ مِنْهَجٍ تَفْسِيرِيٍّ وَحَسَبَ، كَلَّا وَإِنَّمَا الْأَمْرُ أَعْبَدُ مِنْ ذَلِكَ - وَإِنْ كَانَ اللَّهُ يَعْطِيكَ أَجْرَ مَا

ص: ٣٥٨

١- (١) سورة آل عمران: الآية ٧.

٢- (٢) سورة الحجر: الآية ٩١.

٣- (٣) سورة البقرة: الآية ٨٥.

عملت - ولكنه هَذَا لَيْسَ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ، لِإِنَّهُ إِذَا أُرِدَتْ أَنْ يَكُونَ لَدَيْكَ مِنْهَا جَاءَ تَفْسِيرِيًّا قِيَمًا فَلَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ ضَوَابِطِ أُخْرَى يَذْكُرُهَا لَكَ الْقُرْآنُ وَهُوَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ مَا هُوَ أُمَّ وَبَيْنَ مَا لَيْسَ كَذَلِكَ (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (١). (وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا) (١٦) (٢) لِأَنَّ هُنَاكَ طَرِيقَهُ وَمِنْهَا جَاءَ مُسْتَقِيمٌ (وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) (٣) وَهُنَاكَ طَرِيقٌ مُعْوَجٌ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) (٤) وَلِأَجْلِ الثَّبَاتِ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ هُوَ أَنْ تَأْتِيَ بِالشَّرَائِطِ الَّتِي رَكَزَ عَلَيْهَا مِنْهَجُ أُمُومِهِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ فِي التَّفْسِيرِ، وَهَذَا لَوْحَدِهِ، أَيْضًا غَيْرَ كَافٍ مَا لَمْ يُضْمَ إِلَيْهِ الثَّقَلُ الثَّانِي (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (٧٩) (٥) وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أُمُومَهُ الْوَلَايَةَ مِثْلَمَا هِيَ أُمُومَةُ الْمُحْكَمَاتِ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ، كَذَلِكَ هِيَ أُمُومُهُ وَمَرْجِعِيهِ لِلرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ وَالْمُطَهَّرِينَ هُمْ أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَاصَّةً (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (٤).

ص: ٣٥٩

- ١- (١) سورة آل عمران: الآية ٧.
- ٢- (٢) سورة الجن: الآية ١٦.
- ٣- (٣) سورة الحج: الآية ٢٤.
- ٤- (٤) سورة الصافات: الآية ٢٣.
- ٥- (٥) سورة الواقعة: الآية ٧٩.
- ٦- (٦) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

إنَّ صلته قاعده الذكر بمنهجنا التفسيري المختار أمومه الولايه على المحكمات يكمن في أنَّ علوم القرآن كثيره وقواعد تفسير القرآن كذلك، ولكن يجب أن يكون هناك نسق منظومي في قواعد القرآن وعلومه يصب في الهدف ويُراعى خارطة الهدف العالي، فإذا سلك المفسر هذا الطريق نجح وفتح وإلا أي إذا لم يُراع ذلك فهو قد أتعب نفسه وبذل جهداً في تفسير آيات القرآن - وجزاه الله خيراً - إلا أنه لم يتوخ؛ الأكمل وما هو روح القرآن ولُبابه وأم كيانه وقوامه في هدى القرآن وتفسيره الذي أحد قواعده ما نحنُ بصدد بحثه، وهي قاعده الذكر؛ فإنَّ لقاعده الذكر موقع قدم لها ظلال تضيء به على كل قاعده وعلى كل علم من علوم التفسير وتوظفه نحو اكتشاف ما هو أم قوام القرآن الكريم.

فائده جانيه: ذكرنا أنَّ قاعده الذكر لها ظلال تضيء به على كل قاعده وعلم... الخ إلا أنه ينبغي التنبيه والاتفات إلى أنَّ أهميه أي قاعده تكمن في أنها تصب في الإفاده الجدوائيه الهامه، وما هو مركزي وأساسى ومحورى وقطبي، بخلاف ما إذا كان التدقيق - وإن كان التدقيق في العلوم جيد إذا كان على أساس المسائل الأهم والمحوريه والمركزيه - في اللبناات الصغيره وأجزاءها، فهذا بحث فاشل وعاطل، لأنَّ الاشتغال بالتفاصيل وبتفاصيل التفصيل القشريه والسطحيه لا جدوائيه فيه، كما في مثل مبحث الاستصحاب في علم الأصول، فإنه - بحث الاستصحاب -

مهم وجيد، ولكنَّ الخوض في شقوقه وتفاصيله ولعلَّ البعض لا واقع له وإنما مُجرَّد فرضي ومُحتمل، وهكذا الدخول والخوض في مثل مبحث شقوق الخلل في الصَّلاه وتفصيلها فَإِنَّهُ لا جدوائيه في الخوض في مثل هكذا مباحث، وهكذا ما صنعه الفخر الرازي في كتبه الفلسفيه من الخوض بشكل مفرط في بعض المباحث كمبحث التسلسل وأدلتته وتسلسل التسلسل وهكذا، فَإِنَّ الخوض فشي مثل هكذا تفصيل لن تُخنك الملكة العلميه بشكل مُركِّز عند صاحبها، وإنما عليك أن تركز على القواعد الأساسيه، أمَّا تطبيقاتها وتشقيقاتها فذاك شيء آخر.

فإنَّ اللُّباب أهم من القشور، أي أن مركزيه كُلِّ علمٍ أهم من الخوض في فروعهِ وتفصيلهِ.

ولكن نسأل: - هل أن علماء أي علم من العلوم يتواصون فيما بينهم على أن يبلوروا ضابطه تقيهم سفساف الأمور وقشورها التي تبعدهم عن المركز وعن الأسس؟

الجواب: إنَّه من النادر من يبحث هذا الأمر مع أنه أمر مصيري، فكثير من الأبحاث العلميه حتى يومنا الحاضر بذلوا عليها الأموال الطائله، ولكن بعد ذلك رأوا أنها ليست هي المتوخاه، ولذا أغلقوا ملفها ورجعوا من البدايه ورسم خارطه جديده.

ولذا هُنا تأتي أهميه وفائده استراتيجيه العلوم أو إداره العلوم ورسم الخارطه من أول الأمر وقبل الخوض في تفاصيل البحث، وهذا

هُوَ فِي الْوَاقِعِ قَاعِدَهُ الذِّكْرُ، فَلَيْسَ مِنَ الصَّحِيحِ أَنْ تَفْتَحَ الْبَابَ أَمَامَ أَيِّ بَاحِثٍ وَيُقَالُ لَهُ سِرٌّ فِي غُورِ ظِلِّ وَحْيِ اللَّهِ وَلَيْسَ مَعْلُومًا أَنَّهُ يَصِلُ إِلَى نَتِيجَةِ مُرَضِيَّتِهِ فِي آخِرِ بَحْثِهِ أَوْ لَا؟

وَالصَّحِيحُ بِيْرِكِهِ قَاعِدَهُ الذِّكْرُ هُوَ رَسْمُ خَارِطِهِ مُتَكَامِلِهِ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ تَبْتَدَأُ بِمَعَالِي الْأُمُورِ مِنْ قَاعِدِهِ الْهَرَمِ إِلَى أَعْلَى نَقْطِهِ فِيهِ.

وَلِذَا نَلَا حَظَ تَوْصِيَةِ الْوَحْيِ وَالذِّينَ مُرَكِّزَهُ عَلَى قَاعِدِهِ الذِّكْرَ وَلَمَّا لِهَذِهِ التَّوْصِيَةِ مِنْ تَأْثِيرٍ، فَمَثَلًا الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةَ تَقُولُ: «الْفَقِيهِ كَلَّ الْفَقِيهِ مَنْ ذَكَرَكَ اللَّهُ كَلَامُهُ وَهَدِيَهُ وَعَلَّمَهُ».

بِتَقْرِيْبٍ: - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْفَقِيهِ أَنْ يُوْظَفَ عِلْمَ الْفِقْهِ بِمَا فِيهِ جَدْوَائِيَّةٌ وَمَنْفَعَةٌ عَامَّةٌ وَمُرَكِّزِيَّةٌ ذِكْرِيَّةٌ، وَهَكَذَا السَّائِسُ كُلُّ السَّائِسِ - الْحَاكِمِ السِّيَاسِيِّ - مَنْ يُحْيِي وَيُنَشِّطُ وَيُفَعِّلُ حَالَهُ الذِّكْرَ وَالْإِبْرَعَاءَ الذِّكْرِيَّ لِلْمَجْتَمَعِ، لَا - أَنْ يُنَشِّطَ فِي رِعِيَّتِهِ جَنْبَهُ الْإِفْرَاطِ الشَّهْوِيَّةِ فِي تَلْبِيهِ حَاجَاتِ الْغَرَائِزِ، لَا - مَانِعٍ مِنْ أَنْ يَلْبِيَهَا بِشَكْلِ مَتَوَازِنٍ فَإِنَّهُ لَا - يَصَادِمُ حَالَهُ الذِّكْرَ، أَمَّا الْإِفْرَاطُ فِي جَنْبِهِ مَعِينَهُ كَالثَّقَافَةِ الْاسْتِهْلَاقِيَّةِ فِي الْاِقْتِصَادِ الرَّأْسِمَالِيِّ أَوْ الْفَلْسَفَةِ الرَّأْسِمَالِيَّةِ أَوْ الْفَلْسَفَةِ الرَّأْسِمَالِيَّةِ، فَهَذَا يُوْدِّي إِلَى نَتِيجَةٍ سَلْبِيَّةٍ وَسِيئَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنِ السِّيْرُ مَتَوَازِنًا، فَالْبَاحِثُ الْاِقْتِصَادِيَّ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى صِلَةٍ بِقَاعِدِهِ الذِّكْرَ فَهَذَا الْاِنْقِطَاعُ عَنِ قَاعِدِهِ الذِّكْرَ يَشْكَلُ أَحَدَ أَعْظَمِ الْأُمُورِ الَّتِي تَنْتَهِي بِهَ لِأَجْلِ أَنْ يَبْقَى السُّوقُ مَتَوَازِنًا وَبِسِيَاسَةٍ مَعِينَةٍ وَبِالتَّالِي يَكُونُ مِنَ السَّهْلِ عِنْدَهُ وَلَا مَانِعٍ مِنْ أَنْ يَرْمِيَ بِمَلَايِينِ الْأَطْنَانِ مِنَ الْحَنْظَةِ وَغَيْرِهَا

فى البحر لأجل الموازنه الرأسماليه الاقصاديه فى السوق وتنتزع منه الرحمه الإنسانيه، كُملَ ذَلِكْ بسبب عدم اختيار الإنسان المنهج العلمى المتوازن ضمن قواعِد وموازن منضبطه، ولذا وقع فى هَيْدِه النتيجه السلبيه، وَيَكُون مصداقاً لما وَرَدَ فى بَعْض فقرات دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السَّلام «... وعقلى مغلوب ونفسى معيوب وهوانى غالب وطاعتى قليل».

بخلاف ما إِذَا كَانَتْ الصلّه بقاعده الذكر وطيده «كَانَ عَقْلِي غالباً وهواى مغلوب ونفسى سليمه وطاعتى كثيره ومعصيتى قليل» فآنذاك يمكن أن يرسم خارطه ومنهج يوصله إلى التمدّن والعمران فى البشر، وارتفاع رصيده فى كُلِّ ما تتطلبه نواحي الحياه الدينويّه والبرزخيه والأخرويّه، وَهَذَا الأمر لم ولن تصل إليه سياسيه البشر فى أى حقل من الحقول، ولو وثّقوا علاقتهم بقاعده الذكر ورسموا منهاجهم على ضوء هَذِهِ القَاعِدَه المُبَارَكَه لانتهدت مخاطر الأزمه الماليه العالميه، ولانتهى دمار البيئه البريه والبحريّه والجويّه، كُملَ ذَلِكْ يحدث إِذَا سار الإنسان على وفق التوازن الاستراتيجى للعلوم كافه، وَعَلَى ضوء الخارطه الَّتِي رسمتها يد القدره الإلهيه الوحيانيه.

وَمِنْ هُنَا تَأْتِي الحاجه المُلْحَاحَه فى أهميّه علم التفسير ومدخليته فى تنظيم حياه الإنسان. وَعَلَيْهِ فَيَكُون توظيف العلوم نحو سعادته البشر وصلاح الأرض وعمرانها لا نحو دمار البشر والإفساد فى الأرض وإماتته.

في تنظيم متطلبات أفراد المجتمع في يومياتهم:

إنَّ الاختلاف في الأحكام الفقهيه - فقه الفروع - مثلاً والعقائديّه والتفسيريّه والاجتماعيّه والاقتصاديّه والأمنيّه والسياسيّه و... الخ جاء نتيجة التعدّد في المناهج التفسيرية للقرآن الكريم من قبل المفسّرين والباحثين في الفرق الإسلاميّه المختلفه. فإنَّ المصدر الأوّل والأساسي للتشريع في الإسلام هو القرآن الكريم، وَعَلَيْهِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُفَسِّرِ مِنْهَجٌ نَازِمٌ لَامْرَهُ وَفِيهِ تَقْيِيدٌ وَانضِبَاطٌ فِي التفسير، فالنتيجه خطره جداً؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ حَمَالٌ لَوْجُوه، ولذا نتيجه عدم امتلاك المفسّر للمنهج الناظم له حصل الخلط والتهيه والضلال فتولّدت نتيجه هَيْدًا بَعْضُ الْفِرْقِ الضَّالَّةِ وَالْمُنْحَرِفَةِ فَكِرِيًّا كَالْقَدْرِيَّةِ وَالبُتْرِيَّةِ وَالمَرْجِيَّةِ وَالخَوَارِجِ وَ... الخ ولذا يجب أن يَكُونَ شعار المُفَسِّرِ وَرمزه هُوَ وَسَامُ الذِّكْرِ، فَإِنَّ تَدَخُّلَ حَالِهِ الذِّكْرَ فِي بِنَاءِ الْأَسْرِهِ وَالمَجْتَمَعِ فِي الْاِقْتِصَادِ أَوْ الْاجْتِمَاعِ أَوْ السِّيَاسَةِ أَوْ الْأَمْنِ أَوْ التَّرْبِيَةِ أَوْ... الخ تَدَخُّلٌ عَظِيمٌ وَبَالِغُ التَّأْثِيرِ وَحَالِهِ مُصِيرِيهِ وَفِيصْلِيهِ فِي نَجَاحِ الْأُمُورِ وَسَلَامَتِهَا مِنْ الْوُقُوعِ فِي مَنْزِلِ الْاِنْحِرَافِ، وَلِذَا أَكَّدَ الْقُرْآنَ هَذَا الْمَعْنَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ الْفَرِيقَيْنِ - فِي كَيْفِيَةِ دَعْوَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى تَرْكِ الْفِتْوَى قَبْلَ التَّعْلَمِ وَالتَّفَقُّهِ وَلَا مَانِعَ مِنْهَا - الْفِتْوَى - بَعْدَ التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ (فَلَوْ لَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ

طائفةً (١). بتقريب: - أن القرآن يبيّن حاله الذكر بالتفقه وتعلم الفقه، فإنّ معالم الفقه على درجات والفقّه مفتاح البصائر وهو أمر مهم، ولكن لأجل رسم خارطه متوازنه يجب أن تُحدِث لك حاله ذكر، فإنّ الفقيه الناجح الذي يُقتدى به هو ما رسمت له منظومته الفكرية حاله ذكر وتتعدى إلى حيتى مثل سياسه الفقيه فى تدوين الفتوى فى الإفتاء، وهكذا الخطيب فى خطابه والواعظ فى موعظته و... هؤلاء سبل تصبّ فى صراط مستقيم واحد، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْعَالِمَ وَالْفَقِيهَ مَنْ ذَكَرَكَ اللَّهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الصِّرُورَةَ وَالتَّادِيَةَ وَالْإِنْتِهَاءَ إِلَى حَالِهِ الذِّكْرَ عِلَامَهُ بِوَصْلِيَّتِهِ لِسَلَامِهِ الْمُنْهَاجَ، وَهَكَذَا حَالَهُ الذِّكْرَ عِلَامَهُ بِوَصْلِيَّتِهِ لِسَلَامِهِ الْمُنْهَاجَ.

فرق القرآن الذى يقودك إلى الذكر

عَنْ بَقِيَّةِ الْعُلُومِ الرُّوحِيَةِ الْآخَرَى

الَّتِي لَا تَقُودُكَ إِلَى حَالِهِ الذِّكْرَ:

تأكيد القرآن الكريم على قاعده الذكر أكثر من أى قاعده أخرى فى مختلف العلوم:

يؤكد القرآن الكريم على أنّ أصحاب العلوم الروحيه سواء علوم شرّ أو خيرٍ يدركون أهميه قاعده الذكر، وأنّ ترتيب نسيج الآيات

ص: ٣٦٥

والمعاني القرآنيّة يقود إلى نورانيته روحيه وارتباط رُوحى بالملكوت الأعلى، بينما بقيه العلوم الأخرى - غير علوم القرآن - كعلم السحر أو علم الغناء أو علم الموسيقى أو الشعبه أو خيالات الشعر والغزل أو المجون أو علوم رُوحيه أُخرى كثيره تقودك إلى حاله رُوحيه غير سليمه عن الشياطين بخلاف القرآن فَإِنَّهُ يربطك بأبواب رُوحيه نوريه سالمه عن الشياطين وعن كُلِّ واردٍ يَصُدُّ عن سبيل الله وبالتالي يقودك إلى حاله الذكر، وَهَذَا هُوَ فرق القرآن عن بقيه العلوم الرُوحيه الأخرى.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قَاعِدَهُ الذكر هِيَ قَاعِدَهُ منهجيه راسمه لمختلف علوم تفسير القرآن الكريم وقواعده، ولذا نلاحظ القرآن الكريم يُؤكّد على قَاعِدَهُ الذكر تصريحاً أو تلميحاً أو تأويلاً، فَإِنَّ هدف القرآن لَيْسَ جامعيه العلوم فحسب وَإِنَّمَا الهدف هُوَ إحداث حاله الذكر المستمره (فَذَكِّرْهُ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ) (٢٩) (١) و(إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ) (٢).

بتقريب: - إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ فِي هَوِيَّةِ الْقُرْآنِ إِنَّهُ قُرْآنٌ مُسِينٌ، وَمَعْنَى الْقُرْآنِ الْمُسِينِ يعنى الجامع لجميع العلوم، وَعَلَيْهِ فالأعظم فى الرسالات هُوَ الذكر وَلَيْسَ المقصود من الذكر هُوَ الذكر اللسانى وَإِنَّمَا الذكر على كُلِّ الأصعدة.

ص: ٣٦٦

١- (١) سورة الطور: الآيه ٢٩.

٢- (٢) سورة يس: الآيه ٦٩.

ويلخص أمير المؤمنين عليه السلام أن هدف الأنبياء والأولياء والرسالات هو الذكر والتذكر: «... أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه... ثم اصطفى سبحانه من ولده (١) أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ رسالته أمانتهم لئلا يبدل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقه... فبعث فيهم رسوله وواتر إليهم أنبياءه ليستأذوهم ميثاق فطرته وبذكركم من نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دلائل العقول ويروهم الآيات المقدره... الخ» (٢).

وكذا قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ (٣٠) (٣) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) (٤). أي رواه لنا روايته قصصه كاذبه بل لا يؤمنون.

وقوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَ لَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) (٥) وَ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ...

ص: ٣٤٧

١- (١) ولد آدم.

٢- (٢) الخطبه الأولى من نهج البلاغه.

٣- (٣) سوره الطور: الآيه ٣٠.

٤- (٤) سوره الطور: الآيه ٣٣.

٥- (٥) سوره الحاقه: ٤٠-٤٣.

(٢٢٣) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا (١).

الخلاصه: أَنَّ العاصمِ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْأُمُورِ أَيْ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ وَكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ وَ... هُوَ الذِّكْرُ سِوَاكَ كَانَ ذِكْرًا لِسَانِيًّا أَمْ قَلْبِيًّا، وَعَلَيْهِ فَتَعَاظِيكَ وَتَعَامَلِكَ مَعَ أَيْ عِلْمٍ وَأَيْ مِنْهَجٍ يُوصلُكَ إِلَى الذِّكْرِ، فَإِنَّ التَّعَاظِيَّ مَعَ هَكَذَا مِنْهَجٌ يَعتَبَرُ سَلِيمًا وَنَاجِحًا وَهُنَا يَكْمُنُ سِرُّ اخْتِلَافِ الْقُرْآنِ عَنِ الْعِلْمِ الْأُخْرَى كَعِلْمِ الْأَخْلَاقِ وَالْعِرْفَانِ وَالسَّيْرِ وَالسَّلُوكِ وَ... الخَ فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَعتَبَرُ الذِّكْرَ نِظَامًا عَامِّيًّا فِي كُلِّ أَصْعَدِهِ بَحُوثَ الْقُرْآنِ فَمِثْلًا- البرنامِجِ الْأَخْلَاقِي فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَخْتَلِفُ عَنِ الْبِرنامِجِ الْأَخْلَاقِي فِي عِلْمِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَا- يَبْحَثُ الْأَخْلَاقَ كَعِلْمٍ بِمَا هُوَ عِلْمٌ فَتَقَطُّ، وَلَا- يُثِيرُ الْبَحْثَ فِي الْعِلْمِ بِمَا هِيَ عِلْمٌ وَإِنَّمَا يُثِيرُهَا بِمَقْدَارٍ تَصَبَّ بِالْهَدَفِ وَهُوَ إِحْدَاثُ الذِّكْرِ، وَلِذَلِكَ نَلَاظُ قَلَمًا مِنْ عُلَمَاءِ الْأَخْلَاقِ مَنْ بَحَثَ فِي عِلْمِ الْأَخْلَاقِ وَحَقَائِقِهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ بِمَا يَحْدُثُ لِلْبَاحِثِ فِي عِلْمِ الْأَخْلَاقِ ذِكْرًا يَلُّ وَحَتَّى الْعِرْفَانِ الْعَمَلِيَّ كَذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ بَحْثُهُ ذِكْرًا كَمَا يَبْحَثُهُ وَيَبَيِّنُهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ كِبَارِ الْعِرْفَاءِ فِي مَسِيرِ عَالَمِ الْمَعْنَى وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ تُغْرِيهِمُ الْمَكَاشِفَاتُ وَتَسْتَحِذُ عَلَيْهِمْ وَتَسْتَخْفِيهِمْ وَتَحْرِمُهُمْ مِنْ كِمَالَاتِ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَانْغَرَّتْ بِالْأَدْنَى وَالْأَبْطَلِ وَانْكَفَيْتُمْ بِهِ، وَلِذَا لَمْ تَسْتَمِرُوا بِالْعَمَلِ فَانْحَرَمْتُمْ مِنَ الْأَعْلَى وَالْأَعْظَمِ.

ص: ٣٦٨

١- (١) سورة الشعراء: الآية ٢٢١-٢٢٦.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نَفْسَ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْعُرْفَانِيَّةِ لَمْ تَرَسَمْ فِي عُلُومِهَا قَاعِدَةَ الذِّكْرِ كَمَا رَسَمَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ حَتَّى وَتَنْتَهِيَ بِالْإِنْسَانِ إِلَى حَالِهِ الذِّكْرِ. وَنَفْسُ هَذَا يَسْرَى إِلَى الْمَجَالِ الْعَقَائِدِيَّةِ التَّنْظِيرِيَّةِ كَمَا فِي جَمَلِهِ كَثِيرَةٍ مِنْ كُتُبِ الْكَلَامِ وَالْفَلَسَفَةِ فَإِنَّهُ أَيْضًا لَا يُوْجِبُ حَالَهُ ذِكْرَ لِلْأُمَّةِ، وَهَذَا لَا يَنْفَعُهَا شَيْئًا، بَلْ وَحَتَّى فِي بَحُوثِ تَوْحِيدِهِ مِثْرَامِيهِ الْأَطْرَافِ وَفِي بَحُوثِ تَفْصِيلِيهِ وَإِنْ كَانَتْ التَّوْحِيدُ شَيْءٌ عَظِيمٌ وَبِهِ الْآيَةُ الْأُمُّ - إِلَّا أَنَّ الْإِنْشَاغَالَ بِالْهَوَامِشِ وَالتَّفَاصِيلِ، يُسَبِّبُ لِلْإِنْسَانِ تَضْيِيعَ مَا هُوَ أَهْمٌ، وَلِذَا اهْتَمَّ وَرَاعَى مِنْهَجَ أُمُومِهِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ مَسْأَلَهُ أَنْ لَا يُسَاوَى بَيْنَ مَا هُوَ مَرْكَزِيٌّ وَمَحْوَرِيٌّ وَبَيْنَ مَا هُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَلِذَلِكَ تَقَدَّمَ أَنَّهُ تَوْجِدُ رَوَايَاتٍ وَرَدَّتْ عَنْ أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَدَمُّ التَّعَمُّقِ وَذَمُّ التَّعَمُّقِ - كَمَا تَقَدَّمَ - لَيْسَ بِسَبَبِ التَّدْقِيقِ فِي الْمَطَالِبِ الْأُمِّ وَالْمَرْكَزِيَّةِ كَلَا، وَإِنَّمَا بِسَبَبِ التَّدْقِيقِ بِالْهَوَامِشِ وَتَفَاصِيلِهَا، وَهَذَا مِمَّا يَبْعَدُكَ عَنْ الْإِهْتِمَامِ بِالْبُنْيَانِ الْأَصْلِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ الْبِنْيَوِيَّةِ الْخَطِيرَةِ وَيَجْعَلُكَ جَاهِلًا وَغَافِلًا عَنْ الْمَطْلَبِ الْمَحْوَرِيِّ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا التَّعَمُّقِ مَذْمُومٌ، بِخِلَافِ مَا إِذَا رَكَّزْتَ عَلَى الْخُشُوعِ فِي التَّعَمُّقِ فِي الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَالْحُجِّ وَ... الخ، فَهَذَا هُوَ الْمَهْمُ وَلِذَا الْبَارِي تَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَلَا يُحِبُّ سَفَاسِفَهَا، وَعَلَيْهِ لِأَجْلِ أَنْ تَكُونَ بَاحِثًا نَاجِحًا فِي أَيِّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ سِوَا فِي الْفِقْهِ أَوْ الْأَصُولِ أَوْ الْمَنْطِقِ أَوْ الْعَقَائِدِ أَوْ التَّفْسِيرِ أَوْ... الخ فَعَلَيْكَ التَّرْكَيزَ عَلَى الْمَطَالِبِ الْمَحْوَرِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ لَا الْخَوْضَ بِالْأُمُورِ التَّفْصِيلِيَّةِ وَالْهَوَامِشِ وَالْقَضَايَا الَّتِي هِيَ مِنْ بَابِ الْبَحْثِ

والترف الفكرى، فَإِنَّ مثل هكذا تعمق مذموم، ويُذم البحث والمنهج الذى يوصف بهذا الوصف.

وَهُنَاكَ تعبير لطيف وتوصيه جيده للميرزا على القاضى رحمه الله وَالسَّيِّدَ العلامه الطباطبائى قَدَسَ سرّه وَأَكَّدَ عَلَيْهَا الشَّهيد السعيد الشَّيخ مرتضى المطهرى قَدَسَ سرّه ما حاصله: - أَنَّ البشريّه فى كُلِّ حاجاتها الأصليّه والأساسيّه الماسّه تحتاج إلى المعصوم عليه السلام ولكن لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين - وَأَنَّ الساحة العلميه البشريّه والحوزويّه تحتاج بمعدل كُلِّ عشرين أو ثلاثين أو أربعين سنه إلى تفسير يتلائم ومتطلبات الوقت الراهن.

وَعَلَيْهِ فَيَكُون المقصود مِنْ هَذِهِ التوصيه: - هُوَ أَنَّ القرآنَ لكَرِيم لكَى يقود زمام الهدايه البشريّه والتمسِّك به لَيْسَ معناه أَنَّ للإنسان أن يسرح ويتوغل فى بحث التفسير فى أى اتّجاه كَانَ وَإِنَّمَا لَابِدٌ أَنْ يَكُونَ البحث التفسيري عَلَى قدر حاجه تعطش البشر، وفى أى مجال حدث إخفاق وانتكاسه بشريّه فَهُنَا ياتى دور تطبيق قَاعِدِهِ الذكر لأجل انتشار البشريّه مِنْ ذَلِكَ الإخفاق والانتكاسه باستخراج مَصْلٍ ودواءٍ مِنْ القرآن الكريم، وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ ضابطه عامه يجب مراعاتها فى المنهج التفسيري بصوره عامه، بخلاف المنهج الموضوعى الذى يُراعى وحده الموضوع، أو تفسير القرآن بالقرآن أو التفسير الإشارى أو الفلسفى أو... الخ وإن كَانَتْ هَذِهِ التفاسير جيده لا تخلو مِنْ فائده، وأنعم بها إلَّا أَنَّهُ وللأسف لَمْ تُلَبَّ حاجه البشر وَلَمْ تروِ عطشه، وَعَلَيْهِ فَهِيَ ليست بالتفسير الأمثل والأحوزى الذى يُلبى حاجات البشر ويحتذى به، نعم الذى يُلبى الحاجه والعطش للبشر يُحتذى به.

الذي يلبي حاجة البشر أينما كانت:

شرائح المجتمع البشرى فى الوقت الحاضر تحتاج إلى أن تُغذى بالبعد العبادى فى القرآن، فمثلاً أئبها المفسر الناجح أن المجتمع بحاجه ماسه إلى البعد الأخلاقى أو العقائدى أو التفسىرى أو... الخ فَعَدَّه بها، وَهَذَا يَتَطَلَّبُ مِنْ المفسر والباحث الكرىم أن يُراعى أن المجتمع البشرى فى أى مرحله هو وبالتالى لا بُدَّ مِنْ إعطائها ما هو المُناسب لها مَعَ تلك المرحلة، فمثلاً بَعْضُ مُجتمعات البشر نفترض أنها الآن استنارت بنور هدى القرآن، وَهَذَا معناه أنها فى المرحلة الابتدائيه فلا يُبَدَّ مِنْ إعطائها ما يتناسب وبتلائم والمرحلة، وهكذا ما يلائم مرحله الثانويه ومرحلة التخرىج وما بَعَدَ التخرىج فإعطاء كُلِّ مرحله ما يناسبها.

وَمِنْ هُنَا تختلف نظره القرآن ومعالجاته عَنْ غيره، فالقرآن لَمْ ينظر ببعد أحادى للواقعه والمشكله وما يحتاج إليه المجتمع، وَإِنَّمَا نظراته نسخه مجموعيه فى آيه واحده فيها عقائد وفيها فقه وأخلاق و... الخ وهكذا ما قاله النَّبىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فى أقواله وخطبه فى نهج البلاغه، فَإِنَّ أمير المؤمنين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَحْذُو حَذْوِ الْقُرْآنِ وَيُعْطَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نسخه مُتكامله يُنظَرُ فيها مَعَ مقطع واحد البعد الفقهى والفلسفى والاقتصادى و... الخ ولذا لَمْ يتوَعَّلَ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فى نهج البلاغه فى علم الأخلاق بما هى أخلاق كمبحث مِنْ باب الترف الذكرى، وَإِنَّمَا منهجه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ أَنْ

تأخذ باقه حساسه من الأخلاق وعيَّنه مهمه من العقائد ونماذج من الاقتصاد و... الخ فإن مثل هذا ليس تشتتاً؛ لأنَّ التشتت هو أن تقتصر في البحث الأخلاقي على جانب الأخلاق بما هي أخلاق وتمحّض بها فإن مثل هذا تشتت ولا ينفع البشريه، وهكذا من التشتت هو أن يتمحّض البحث العقائدي في التفسير أو في المحاضره الوعظيه والإرشاديه لشريحه معينه في الأمم، فإن مثل هذا تشتت وليس بدواء ناجع وكامل؛ لأنَّ بحثك هذا فقط في المبحث الأخلاقي أو الإرشادي الوعظي أو الفقهي أو الاقتصادي أو... الخ، نظير مَرَضِي البشريه على اختلاف أمراضهم سواء الروحيه منها أو العضويه أو... الخ، ولذا نلاحظ كثيراً من المَرَضِي يأخذون العلاج ولا يتشافون وذلك إمَّا بسبب أنَّ الطَّيِّب الذي شَخَّص له العلاج نظر إلى المرض من زاويه وبعيد أحادي أو أن نفس المريض لم يلتزم بتمام ما في الوصفه من توصيات من الجوانب الأخرى في الغذاء والنوم واللباس والرَّاحه و... الخ.

كَذَلِكَ الْقُرْآنَ وَالتفسير فَإِنَّهُ مَأدبُهُ اللهُ فِيهِ كَمَلٌ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْبَشَرُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «الْقُرْآنُ مَأدبُهُ اللهُ، فَتَعَلَّمُوا مَأدَبَتَهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» (١).

وكذا قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنْ أُرِدْتُمْ عَيْشَ السَّعْدَاءِ وَمَوْتَ الشَّهْدَاءِ وَالنَّجَاهَ يَوْمَ الْحَشِيرَةِ وَالظَّلَّ يَوْمَ الْحَرُورِ، وَالْهُدَى يَوْمَ الضَّلَالَةِ فَادْرُسُوا الْقُرْآنَ»

ص: ٣٧٢

فإنه كلام الرحمن وحرز الشيطان ورجحان في الميزان» (١).

بتقريب: - إن الباحث في علوم القرآن وتفسيره عليه أن يأخذ طبقاً من تلك المادبه الإلهيه فيه من كل باقه نوع وتناول غذاءً روحياً متكاملًا.

وهنا ياتي دور قاعده الذكر فإنها بصيره في العلوم والمناهج وبالتالي فهي بصيره مجموعته منظومته مهمته، إلا أن البشر يعجز عن اكتشافها - أي قاعده الذكر - في كل مجال فإنه من الصعب اكتشاف إعجاز القرآن في الأخلاق وإعجازه في العقائد وفي البلاغه. وفي الصرف والنحو وفي كل علوم الأدب، بل وحتى للقرآن إعجاز في صوت الأداء وأن القرآن له إعجاز في كل مجال واكتشافه في قاعده الذكر أمر صعب ولكن ما لا يدرك جله لا يترك كله.

ص: ٣٧٣

١- (١) المصدر السابق نفسه.

والخلاصه: إِنَّ قَاعِدَهُ الذِّكْرَ تَمَيَّزَتْ بِمَا يَلِي: -

أولاً: إِنَّ قَاعِدَهُ الذِّكْرَ هِيَ مَوَازِنُهُ مِنْهُجِيهِ عَظِيمِهِ عِنْدَ الْبَاحِثِ وَالْمُفَسِّرِ الْمُنْصِفِ فِي بَحْوثِ عُلُومِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَفْسِيرِهِ وَبَاقِي عُلُومِ الدِّينِ، وَعِلَامُهُ جَدْوَائِيهِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ فِي التَّفْسِيرِ هِيَ أَنْ يُحَدِّثَ التَّفْسِيرَ ذِكْرًا عِنْدَ صَاحِبِهِ.

ثانياً: تَفْسِيرَ قَاعِدِهِ الذِّكْرَ بِوَصْلِهِ عِلَامِيهِ تُبَيِّنُ لَنَا ثَرْمُومَتِ الصَّحْهِ، فَهِيَ تَرْسُمُ لَكَ كَيْفِيَةَ التَّوَعُّلِ فِي الْفِقْهِ وَكَيْفِيَةَ كِتَابَتِهِ وَتَدْوِينِ الرِّسَالَةِ الْعَمَلِيَةِ الْفِقْهِيَةِ وَالْعَقَائِدِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي يَحْتَاجُهَا كُلُّ جِيلٍ، فَإِنَّ كُلَّ جِيلٍ يَحْتَاجُ إِلَى تَدْوِينِ فِقْهِهِ مُعَيَّنٍ وَبَلُونٍ خَاصٍّ يَحْتَاجُ إِلَى تَدْوِينِ أَخْلَاقِيٍّ وَعَقَائِدِيٍّ خَاصٍّ.

ثالثاً: وَعَلَيْهِ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْأَكْبَارِ مِنْ أَنَّ نَحْتَاجُ فِي ظَرْفِ كُلِّ عَشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ كَانَ فِي مَحَلِّهِ، وَأَنَّ نَحْتَاجُ إِلَى تَدْوِينِ فِي كُلِّ الْعُلُومِ بِمَا يَتَنَاغَمُ مَعَ ذَلِكَ الْجِيلِ لَا أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى خُصُوصِ مَا كَتَبَهُ الْفُقَهَاءُ وَالْمُفَسِّرِينَ قَبْلَ أَكْثَرِ مِنْ عَشْرَةِ قُرُونٍ وَمَا يَتَلَاثِمُ مَعَ فِتْرَاتِهِمُ الْمُتَصَرِّمِ، أَوْ مَا كَتَبَهُ عُلَمَاءُ الْأَخْلَاقِ وَالْعَقَائِدِ وَ... بِمَا يَتَلَاثِمُ

وحقبةم الزمائيه بما يُلبى احتياجات مجتمعات ذلك الوقت وما أثير فيها من شُبّهات فكريّه وغيرها.

ولذا نحتاج اليوم رساله عمليه يكتبها الفقيه بأسلوب جديد فنّي معاصر يتلائم ومتطلبات العصر الحالى الذى نعيشه فى ظل أنفجار معلوماتى فى كُلى العلوم وَعَلَى جميع الأصعده وما يحتاجه المجتمع البشرى كُلى بحسب وقته.

ص: ٣٧٤

القَاعِدَة السَابِعَة: الأَمْثَال فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إِشَارَةٌ

ص: ٣٧٧

فى القرآن الكرىم

* مقدمه.

* التلازم فى قاعده الأمثال يقع فى جهات:

الجهه الأولى: المعنى اللغوى والاصطلاحى.

الجهه الثانیه: مدرك قاعده الأمثال.

١ - الآيات. ٢ - الروايات.

* قراءه الأمثال بلغه عقلته وفكرته.

الجهه الثالثه: القرآن الكرىم اعتمد أسلوب المثل من ضمن أساليب عديده اعتمدها كما تبتهت عليه روايات أهل البيت عليهم السلام.

الجهه الرابعه: ارتباط أسلوب المثل بالتعريض.

الجهه الخامسه: المثل تمسبه واسم ولقب وتوصيف وعبر وآيه...

* تنبيه وفيه أمران:

الجهه السادسه: العلاقه بين قاعدتى المثل، وقاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير، وأن هذيه الجهه مرتبطه بنظام حقائق القرآن الآتى بحته.

الجهه السابعه: المثل منهج معرفى [أساليب القرآن الثمانيه برهانيه وليس لمجرد إقناع].

* عموم البرهان لِكُلِّ العلوم وقوى النفس.

* عموم الكشف البرهاني والشهود والبرهان العياني لِكُلِّ قوى النفس.

الوجه الثامن: الفرق بين ضرب المَثَل وجعل المَثَل، وصَرَف المَثَل، ويضرب الأمثال.

الوجه التاسع: حقيقه استعمال المَثَل في القرآن الكريم والحقائق القرآنيه.

الوجه العاشر: لَيْسَ كمثلته شيء.

الوجه الحادي عشر: الأوصاف القرآنيه للجنة حقائق أم تمثيل [مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماءٍ غير آسنٍ...] سورة مُحَمَّد / ١٥.

* نظريه المثل ونظريه المعاد.

الوجه الثاني عشر: إنَّ قصص الأنبياء والمرسلين والمُصطفىين مثل لآل مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

* بيان القرآن لحقيقه عظيمه في قصص الأنبياء.

* نماذج التفضيل القرآني لأهل البيت عليهم السلام على بقيه أنبياء أولوا العزم.

* الأمثال على طبقات كَذَلِكَ الأسماء.

* حالات الأسماء.

* حقيقه الاسم الإلهي.

* الغرض من مبحث الأسماء.

* الروايات التي أكَّدت على أنَّ قصص القرآن هي ظهرُ بطنه آل مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

* صلته وطيدته بين حقيقه الإمامه والولاية وحقيقه القرآن وعلاقتها بقاعده الأمثال.

* صله قَاعِدَه الأمثال بأقسام الوحي وأنواعه وأسراره.

* صله أنَّ للقرآن ظهر وبطن بمحت الأمثال.

الجهه الثالثه عشر: تقابل مثل أهل البيت عليهم السلام وأعداؤهم في القرآن.

الجهه الرابعه عشر: (فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَ مَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨) الزخرف / ٨.

الجهه الخامسه عشر: المَثَلُ الأعلى ومَثَلُ السَّوْءِ (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) النحل / ٦٠.

الجهه السادسه عشره: السير في المعرفه لا ينتهى والرجوع والأوبه إلى الله لا تقف عند حد [إنَّ الذى لا يعتبر ولا يعبر بالمثل إلى ما وراء يَضِلُّ].

الجهه السَّابعه عشره: الثمره الكُبرى لقَاعِدَه المثل.

ص: ٣٨١

فى القرآن الكرىم (١)

مقدمه:

إنَّ قَاعِدَةَ الْأَمْثَالِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ الْقَوَاعِدِ التَّفْسِيرِيَةِ الْمُهَيِّمَةِ وَالْخَطِيرَةِ، وَلَهَا تَدَاعِيَاتٌ كَبِيرَةٌ وَمُؤَثِّرَةٌ تَلْقَى بِظِلَالِهَا عَلَى النَّتَائِجِ التَّفْسِيرِيَةِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَتَنْدَرِجُ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ فِي قَوَاعِدِ نِظَامِ الْمَعْنَى لَا فِي قَوَاعِدِ النِّظَامِ الْمَعْنَوِيِّ (٢) وَالنَّفْسَى أَوْ النَّفْسَانِي، وَهَيْدًا مَا يُعْتَبَرُ عَنْهُ بِالتَّفْسِيرِ الْأَنْفَسَى فِي الْقُرْآنِ، وَهَيْدًا مَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْإِنْسَانِ يُمْكِنُ أَنْ يَقْرَأَهَا حَسَبَ طَبَقَتِهِ، فَمَثَلًا أَحَدَ طَبَقَاتِ الْإِنْسَانِ

ص: ٣٨٣

١- (١) وستأتى فى الجبهه الخامسه التعرّض الى أن بعضهم يعنون هذه القاعده بعنوان آخر وهو قاعده العيبره والأمثال... فانتظر.
٢- (٢) والفرق بين قواعد نظام المعنى، والنظام المعنوى هو: - أن الأول - المعنى - هو معنى ذهنى يرتبط بنظام المعانى حسب بيانات أهل البيت عليهم السلام، وإن كان لها ارتباط بالألفاظ والاستعمال كأسلوب لفظى، كما ذكره البلاغيون، ولكن هى - قاعده الأمثال - ألصق بعالم وعلم المعانى منها من عالم الألفاظ، ولا يخفى أن علم المعانى هو أحد أقسام علم البلاغه - المعانى والبيان والبديع. أمّا المعانى: - فهو بالذوق علم مرتبط بمعانى الألفاظ بغض النظر عن قوالها أى الألفاظ، وإن كان يتناول شيئاً من الألفاظ. والبيان: فهو علم مزيج ومرتبط بالألفاظ والمعانى. والبديع: هو لفظى بحث، وإن كان فيه شىء من المعنى.

الْعُلْيَا: العقل فيمكن قراءه القرآن بقراءه عقليّه، كَذَلِكَ أَحَد طَبَقَاتِ الْإِنْسَانِ السَّرُّ وَالذُّوقِ وَالْقَلْبِ وَالنَّفْسِ وَغَيْرَهَا؛ وَلِذَا جَاءَ التَّأَكِيدُ فِي الْغَايَاتِ وَبَيَانَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى الْقِرَاءَةِ الْأَنْفُسِيَّةِ، وَالْمَشْهَدِ النَّفْسَانِي، وَلِذَا فَإِنَّ النِّظْمَ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُنَبِّحَ قَوَاعِدَهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرَةٌ وَبَعْدُ طَبَقَاتٍ وَجُودِ الْإِنْسَانِ.

وَالْمَثَلُ مِنَ اللُّغَاتِ الْمُنْتَشِرَةِ انْتِشَارًا وَسِعَاءً فِي الْقُرْآنِ، وَلِذَا - فَمِنْ الضَّرُورِيِّ مَعْرِفَةَ قَوَاعِدِ هَذِهِ اللُّغَةِ كَلِّغَهُ مَعْرِفِيهِ، لَهَا أَثَرُهَا الْبَالِغُ عَلَى النَّاتِجِ الْمَعْرِفِيهِ التَّفْسِيرِيهِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهَلْ لُغَةُ الْأَمْثَالِ لُغَةٌ بَرَهَانِيَّةٌ، أَوْ لُغَةٌ إِنْشَاءٌ وَفَرْضٌ خِيَالٌ، أَوْ لُغَةٌ تَزْوِيقٌ أَدَبِيٌّ، أَوْ لُغَةٌ إِشَارَةٌ وَتَلْوِيحٌ لَا تَتَضَمَّنُ أَخْبَارًا وَتَحْقِيقًا فِي مَا مُثِّلَ بِهِ، بَلْ فِي مَا مُثِّلَ لَهُ؟.

وَقَدْ بَيَّنَّتِ الْآيَاتُ وَالرُّوَايَاتُ: أَنَّ الَّذِي لَا يُرَاعِي قَاعِدَةَ الْأَمْثَالِ فِي جَمَلِهِ سُوْرَ وَآيَاتِ الْقُرْآنِ، لَا يَقِفُ عَلَى مَغَاذِي الْقُرْآنِ وَمَغْزَى آيَاتِهِ وَالْمُرَادِ الْأَصْلِيِّ مِنَ السُّورَةِ أَوْ الْآيَةِ وَإِنَّمَا يَكُونُ وَقُوفَهُ عَلَيْهَا وَقُوفَ مَنْحَبَسٍ وَسَاكِنٍ عَلَى الظَّاهِرِ مِنْ دُونَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْأَعْمَاقِ.

كَمَا وَيَنْبَغِي التَّنْبِيهُ وَالِاتِّفَاتُ إِلَى أَنَّ قَاعِدَةَ الْأَمْثَالِ تَرْتَبُطُ بِالْقِرَاءَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ لِلْأَمْثَالِ.

والتَّحْلِيلُ وَالتَّأَمُّلُ وَالتَّرْجِمَانُ الْعَقْلِيُّ - لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ، وَلَعَلَّهُمْ يَعْقِلُونَ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَدَبَّرُونَ وَغَيْرَهَا، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَعْجَبُ بِالْقَارِئِ وَالْمُفَسِّرِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ مَشْهَدٍ تَنْزِيلِيٍّ إِلَى مَا وَرَاءَ وَغَايَةٍ أَعْظَمَ، وَهَكَذَا إِلَى غَايَةٍ

تأويله أعظم.

المهم إنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ وَإِنْ كَانَ لَهَا صَلَاحٌ بِبَحْثِ الْأَلْفَاظِ كَأَسْلُوبٍ وَمَنْهَجٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَّا أَنَّهَا أَلْصَقُ بِعَالَمِ الْمَعَانِي وَالْمَعْنَى.

ص: ٣٨٥

لِكُلِّ مِنْ:

* المِثْلُ * المَثَلُ * المِثَالُ * المِثْلُ * المِثْلَةُ * المِثْلَةُ، المِثْلُ * الأمثل * المِثْلَى.

أولاً: المِثْلُ لُغَةً: الميم والثاء واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مناظره الشئِ للشئِ.

وهذا مثلُ هذا أى نظيره، والمِثْلُ المِثَالُ فى معنى واحد(١).

قال الفيومى فى المصباح المنير: - المِثْلُ بالكسر: - كلمه تسويه وهى على ثلاثة أوجه:

أ) بمعنى التشبيه.

ب) وبمعنى نفس الشئِ وذاته.

ج -) وقيلَ بمعنى الشبه(٢).

وجمُّعُ مِثْلٍ: - أمثال:

ص: ٣٨٧

١- (١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادّه (م ث ل).

٢- (٢) المصباح المنير للفيومى.

والفرق بين المثل: أن المثلين ما تكافئا في الذات (١).

والفرق بين المثل النظير: - تَقَدَّمَ أَنَّ المثلين ما تكافئا في الذات... والنظير ما قابل نظيره في جنس أفعاله وَهُوَ متمكن مِنْهَا، كالنحوى نظير النحوى، وإن لم يكن له مثل كلامه في النحو، أو كتبه، ولا يُقَال: - النحوى مثل النحوى؛ لِأَنَّ التماثل يَكُون حقيقه في أخص الأوصاف وَهُوَ الذات (٢).

ونقل الأزهري عن أبي عبيد، عن الفراء: يُقَال: - مَثَلٌ وَمِثْلٌ، وَشَبَّهَ وَشَبَّهَ بِمَعْنَى واحد (٣).

ومثل كلمه تسويه يُقَال هَذَا مِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، كَمَا يُقَال شِبْهُهُ وَشَبَّهَهُ (٤).

المثل اصطلاحاً: المُراد مِنَ المثل في المصطلح العقلي: - هُمَا الشئان المندرجان في الماهية الجنسيه فيقال لهما مُتجانسان، أو ما اتحد مع الشيء في الماهية في نوعه وهويته فيقال له مُتماثل، أو هو الفرد من طبيعه مُشابهه لفرد آخر من نفس الطبيعه، أو من صنفه، أو من نوعه، أو من جنسه، كَقَوْلِ ذَلِكْ يُعْبَرُ عَنْهُ (مثل) ويختلفان في الصفات الفرديه، فمثلاً الجماد مثل (٥) الإنسان في الجسميه مع أنه جنس بعيد، وهكذا الإنسان مثل

ص: ٣٨٨

١- (١) معجم الفروق اللغويه لأبي هلال العسكري: ص ٤٨٠.

٢- (٢) المصدر السابق: ص ٤٨١.

٣- (٣) معجم تهذيب اللغة للأزهري مادّه (مثل) ص ٣٣٤١.

٤- (٤) لسان العرب لابن منظور: ج ٤، ص ٣٦٥٦.

٥- (٥) مثل على وَزْنِ فِعْلٍ بِكسر الفاء وسكون العين.

الحيوان - والعكس - في الغريزة الجنسيه الحيوانيه، وكذا الإنسان مثل الحيوان في حُبِّ أكل الطعام، وهكذا في سائر الغرائز الأخرى، فتوجد بينهما مثلته.

وكذا المَلَكُ مِثْلُ الإنسان - والعكس - بأصل طبيعه العقل وَالرُّوح، فَإِنَّ الإنسان فيه جنبه روح مِنْ النوع الملكوتى العالى، فإذا فَعَلَهَا ونَشَطَهَا مثلاً- يَكُون مثل الرُّوح الأمرى، وَإِنْ كَانَ هَذَا لَيْسَ بمقدور كُلِّ أفراد البشر، وَإِنَّمَا بعضهم خاصه مِنْ اصطفاهم واجتباهم، وَلَيْسَ الأمر بالسهل.

وهكذا الإنسان مثل النبات في النمو، فَمِثْلَمَا النبات ينمو كَذَلِكَ بدن الإنسان في نمو، ولذا مِثْل هَذِهِ الأمور تَذَكَّر في قانون الطب القديم؛ لِأَنَّ الإنسان يماثل كثير مِنْ الأجناس.

والخلاصه: فَإِنَّ هَذَا كُلُّهُ يُعْبَرُونَ عَنْهُ ب - (المِثْل) بالكسر فالسكون الذى هُوَ عباره عَنْ تشابه فردين تحت طبيعه ذاتيه واحده إِمَّا مِنْ جانب النوع، أو الجنس أو الصنف.

وَأَمَّا قوله تَعَالَى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (١) فَهِيَ مِنْ مُحْكَمَاتِ الْقُرْآن، فَالله تَعَالَى لَيْسَ بنوع ولا جنس ولا صنف، وَلَيْسَ فِي ذَاتِ الله تَعَالَى تركيب، ولا يشترك معه أَحَدٌ فِي الطبيعه والذات، فكَمالاته لا تُحَدُّ، وذاته

ص: ٣٨٩

١- (١) سورة الشورى: الآيه ١١.

كَذَلِكَ لَا تُحَدِّدُ، وَإِلَّا كَانَ الْبَارِي نَاقِصًا تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا؛ وَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ؛ لِأَنَّ الْمِثْلَ لَا يُبَدِّلُ لَهُ مِنْ تَوَافُقِ أَمْرَيْنِ يُوَافِقُهُ فِي حَدٍّ وَفِي مِثْلٍ، كَذَا وَرَدَّ الْمِثْلَ فِي مَوْرِدَيْنِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

الأوّل: قوله تعالى: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) (١).

الثّاني: قوله تعالى: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) (٢).

بتقريب: إنّه على تقدير كون (من) بيانيه، فإنّ معنى الآيتين يكون متقارباً، وأمّا على تقدير (من) نشويه فيكون محصل معنى الآية المباركة: تحدّى السّماء لهم بأنّ يأتوا بما دون مثل السورة، وهو الناشيء من المثل وإن لم يكن عين المثل.

وقوله تعالى: (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) (٣١) (٣).

بتقريب: إنّ المطلوب هو التمهيد في موارد التماثل بالفعل أو الماهية وههنا النوع يفتح باباً بأن المثل بالكسر لا ينحصر بالاندرج بالماهية الواحد، بل فيما كان هناك تشابه في مقام الفعل وصفاته.

ص: ٣٩٠

١- (١) سورة البقرة: الآية ٢٣.

٢- (٢) سورة يونس: الآية ٣٨.

٣- (٣) سورة المائدة: الآية ٣١.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مَوْرِدَ الْآيَةِ هُوَ التَّشْبِيهِ بِالْمِثْلِ - بالكسر فالسكون - فِي مَوْرِدِ الْفِعْلِ لَا الْذَاتِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَوْسِعِ الْمِثْلِ - بالكسر فالسكون - لِذَلِكَ كَمَا وَرَدَ فِي أَدْعِيهِ الْيَوْمِ الثَّانِي وَالْعَشْرُونَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ [... لَا حَيْدَ لَهُ، وَلَا بُيْدَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا ضَيْدَ لَهُ، وَلَا حُدُودَ لَهُ وَلَا كَفْؤَ لَهُ، وَلَا كُنْهَ لَهُ، وَلَا مِثْلَ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي مَلِكِهِ، وَلَا وَزِيرَ لَهُ ...] (١).

كَذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي بَابِ أَعْمَالِ خُصُوصِ يَوْمِ عَرَفَةَ وَلَيْلَتِهَا [... لَا ضِدَّ لَهُ وَلَا نِدَّ لَهُ وَلَا وَكْدَ لَهُ، وَلَا سِجِي لَهُ وَلَا كَفْؤَ لَهُ، وَلَا قَرِيبَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَلَا مُيَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَلَا يَبْلُغُ شَيْءَ مَبْلَغِهِ، وَلَا يَقْدِرُ شَيْءَ قَدْرَتِهِ، وَلَا يُدْرِكُ شَيْءَ أَحْرَزِهِ، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ شَيْءَ ...] (٢).

وَمَا وَرَدَ فِي هَذَيْنِ الْخَبْرَيْنِ ضَرْبٌ مِنَ الْمِثْلِ الْعَقْلِيِّ فِي الْأَجْنَاسِ، أَوِ الْإِنْوَاعِ، أَوْ فِي الْعَوَارِضِ الْعَارِضَةِ عَلَى الْمَاهِيَةِ، أَوِ الْوُجُودِ الْخَارِجِي، وَالْجَمَاعِ بَيْنَ هَذِهِ الْإِنْوَاعِ هُوَ تَقْرِيرُ الْمَاهِيَةِ لِلشَّيْءِ فَيَتِمَّائِلُ مَعَهَا فِي أَحَدِ دَرَجَاتِهَا، كَمَا وَرَدَ فِي خُطْبَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيْفَهُ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ» (٣).

وَعَنْ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَالصَّمَدُ الَّذِي أَبْدَعَ الْأَشْيَاءَ

ص: ٣٩١

١- (١) بحار الأنوار: ج ٩٤ / باب أعمال أيام مطلق الشهر ولياليه: ص ٢٦٩.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٩٥، باب أعمال خصوص يوم عرفه وليلتها: ص ٢٢٩.

٣- (٣) بحار الأنوار: ج ٧٤، باب خطبه المعروفة: ص ٣١٠.

فَخَلَقَهَا أَضْدَاداً وَأَشْكَالاً وَأَزْوَاجاً، وَتَفَرَّدَ بِالْوَحْدَةِ بِلَا ضِدٍّ وَلَا شَكْلٍ وَلَا مِثْلٍ وَلَا نِدٍّ (١).

ثانياً: المثل بفتحيتين لغةً: ذكر ابن فارس في مقاييسه أن المثل: المثل أيضاً، كشبهه وشبهه، والمثل المضروب مأخوذ من هذا؛ لأنه يُذكر مورداً به عن مثله في المعنى (٢).

والمثل بالتحريك: الصفة، قال الله تعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ) (٣).

أى صفة الجنة، وقولك: ضربت لفلان مثلاً معناه أنك وصفت له شيئاً، وقولك: مثل هذا كمثل هذا أى صفته كصفته، وقال الله تعالى: (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً) (٤) وحاملوا التوراه لا- يماثلون الحمار ولكن جمعهم وإياه صفة فاشتركا فيها (٥) ومثل الشيء أيضاً صفته (مثل الجنة التي وعد المتقون) (٦) والمثل: - الحديث نفسه (٧) والمثل بمعنى الوصف وضرب الله مثلاً أى وصفاً...

ص: ٣٩٢

١- (١) التوحيد للصدوق: ص ٤٨ / ح ٤.

٢- (٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة - مثل - ج ٦، ص ٢٩٦.

٣- (٣) سورة الشورى: الآية ١١.

٤- (٤) سورة الجمعة: الآية ٥.

٥- (٥) معجم الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري: ص ٤٨٠.

٦- (٦) الجوهرى فى صحاحه مادّه - مثل -.

٧- (٧) معجم تهذيب اللغة.

قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: - الْمَثَلُ: - لَفْظٌ يُخَالِفُ لَفْظَ الْمَضْرُوبِ لَهُ، وَيُوَافِقُ مَعْنَاهُ مَعْنَى ذَلِكَ اللَّفْظِ، شَبَّهُوهُ بِالْمِثَالِ الَّذِي يُعْمَلُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَسُمِّيَتِ الْحِكْمُ الْقَائِمُ صِدْقُهَا فِي الْعُقُولِ أَمْثَالًا لِانْتِصَابِ صُورِهَا فِي الْعُقُولِ، مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْمَثُولِ الَّذِي هُوَ الْانْتِصَابُ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّظَّامُ: - يَجْتَمِعُ فِي الْمَثَلِ أَرْبَعٌ لَا تَجْتَمِعُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ: إِيجَازُ اللَّفْظِ، وَإِصَابَةُ الْمَعْنَى، وَحُسْنُ التَّشْبِيهِ، وَجَوْدَةُ الْكِتَابَةِ، فَهُوَ نَهَايَةُ الْبَلَاغَةِ وَالْمَثَلُ بَفَتْحَتَيْنِ وَالْمِثِيلُ وَزَانَ كَرِيمٍ كَذَلِكَ، وَالْمَثَلُ بِمَعْنَى الْوَصْفِ (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) أَيْ وَصَفًا.

وَقَالَ الْمِيدَانِيُّ فِي مَجْمَعِ أَمْثَالِهِ (١) أَرْبَعَةَ أَحْرَفٍ سُمِعَ فِيهَا فِعْلٌ وَفَعْلٌ، وَهِيَ: - مِثْلٌ وَمِثَلٌ، وَشَبَّهَ وَشَبَّهَ، وَبَدَّلَ وَبَدَّلَ، وَنَكَّلَ وَنَكَّلَ، فَمِثْلُ الشَّيْءِ وَمِثْلُهُ وَشَبَّهَهُ وَشَبَّهَتْهُ مَا يَمِثُّهُ وَيُشَابِهُهُ قَدْرًا وَصِفَةً، وَيَبْدُلُ الشَّيْءَ وَيَبْدُلُهُ غَيْرُهُ، وَرَجُلٌ نَكَّلَ وَنَكَلٌ لِلَّذِي يَنْكُلُ بِدَا عِدَاؤِهِ.

وَفِعْلٌ لَغَةٌ فِي ثَلَاثَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ، يُقَالُ: - مِثْلُهُ وَشَبَّهَهُ وَبَدَّلَهُ وَلَا يُقَالُ نَكَّلُهُ، فَالْمِثْلُ مَا يُمِثُّ بِهِ الشَّيْءُ أَيْ يُشَبِّهُهُ، كَالنَّكْلِ مِنَ يُنَكِّلُ بِهِ عِدْوَهُ، غَيْرَ أَنَّ الْمِثْلَ لَا يُوَضَّعُ فِي مَوْضِعِ هَذَا الْمَثَلِ، وَإِنْ كَانَ الْمَثَلُ يُوَضَّعُ مَوْضِعَهُ، فَصَارَ الْمَثَلُ اسْمًا مُصْرَحًا لِهَذَا الَّذِي يُضْرَبُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى أَصْلِهِ الَّذِي كَانَ لَهُ مِنَ الصِّفَةِ؛ فَيُقَالُ: مِثْلُكَ، وَمِثْلُ فُلَانٍ أَيْ صِفَتُكَ وَصِفَتِهِ،

ص: ٣٩٣

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ) (١) أَي صفتها، ولشدّه امتزاج معنى الصفه به صحّ أن يُقال: - جعلتُ زيداً مثلاً، والقومُ أمثالاً، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ) (٢) أَي جعل القوم أنفسهم مثلاً في أحد القولين (٣).

وجاءت كلمه المثل في القرآن على عدّه وجوه: -

الوجه الأول: المثل بمعنى الشبه، كقوله تَعَالَى: (وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ) (٤) أَي نَصِفُهَا، وقوله تَعَالَى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) (٥) يعنى: وَصَفَ اللَّهُ شَبْهًا، وقوله تَعَالَى: (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ) (٦).

الوجه الثّاني: المثل بمعنى سِنَّ، كقوله تَعَالَى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ) (٧) يعنى سِنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يعنى مؤمنى الأمم الخاليه، وقوله تَعَالَى: (وَ مَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ) (٨) يعنى سُنن

ص: ٣٩٤

١- (١) سورة الرعد: الآية ٣٥.

٢- (٢) سورة الأعراف: الآية ١٠.

٣- (٣) المصباح المنير للفيومي: ص ٤٣٨، مادّه - مثل -.

٤- (٤) سورة الحشر: الآية ٢١.

٥- (٥) سورة النحل: الآية ٧٥.

٦- (٦) سورة الفتح: الآية ٢٩.

٧- (٧) سورة البقره: الآية ٣٠.

٨- (٨) سورة الزخرف: الآية ٨.

الأولين، وقوله تَعَالَى: (وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) (١) يعني سنن العذاب مِنَ الأمم الخالية.

الوجه الثالث: بمعنى عِبْرَةٍ، قوله تَعَالَى: (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ) (٥٩) (٢) يعني عِبْرَةٍ.

الوجه الرابع: بمعنى العذاب كقوله تعالى: (وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ) (٣) يعني: وَصَّيْفْنَا لَكُمْ الْعَذَابَ إِنَّهُ نَازِلٌ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، يعني الأمم الخالية.

والمَثَلُ والمَثَلُ: كالمَثَلُ والجمع أمثال (٤).

وأما المَثَلُ: جمع أمثال، وهو بالأصل بمعنى نظير (٥).

وهكذا وَرَدَ (المَثَلُ) فِي إِعْمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ) (٤) ، أَيْ المَثَلُ بِالْفَتْحِ، وَلَمْ يَرِدِ التَّعْبِيرُ بِالْكَسْرِ فِي الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ أَوْ التَّعْبِيرُ مَثَلِ آدَمَ - أَوْ مَثَلِ عِيسَى إِلَى آدَمَ؛ وَذَلِكَ فِيهِ إِحْتِمَالَاتٌ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي الْآيَةِ حَوْلَ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَكُونُ شَأْنُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَثَلٌ - بِالْفَتْحِ - لِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ ثَمَّ قُيِّدَ المَثَلُ - بِالْفَتْحِ - عِنْدَ اللَّهِ

ص: ٣٩٥

١- (١) سورة البقرة: لا آية ٢١٤.

٢- (٢) سورة الزخرف: الآيه ٥٩.

٣- (٣) سورة الفرقان: الآيه ٣٩.

٤- (٤) لسان العرب: مادّه مثل.

٥- (٥) مجمع البحرين للعلامة الطريحي قدّس سرّه مادّه - مثل -.

٦- (٦) سورة آل عمران: الآيه ٥٩.

لأجل التشبيه بين فعل الله وقدرته في الموردين - مورد آدم ومورد عيسى.

المَثَلُ اصطلاحاً: هُوَ عبارته عَنِ الآيَةِ والتجَلِّي، بظهور، ويُطلق - المَثَلُ عَلَى المعلول بالإضافه إلى علته، فَإِنَّهُ لا يُشارك عِلته فِي ماهيته، وَلَكِنَّه حاكِي عَنِ كمال عِلته فَيُطلق عَلَى الرقيقه الحاكِيه عَنِ كمال الحقيقه، وَعَلَى الآيَةِ بالنسبه إلى ذى الآيَةِ، والوجود القائم بغيره، أَى الوجود الحرفي، وتقدم أَنَّ المَثَلُ لَهُ مُرادفات عقليه عديده، وسيأتى المزيد فِي موضعه المُناسب، وَيُقَرَّر القرآن الكريم ثبوت المَثَلِ (وَلِلَّهِ المَثَلُ المَأْعْلَى وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) (١)، بتقريب: - أَنَّ المَثَلُ عَلَى درجات ولا يُحمد ويُنجس عَلَى مورد المثل، يَلُ يتعدى إلى ما وراءه وَهُوَ الأعظم نظير (وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ) (٢) هَذَا مُصَافِماً إِلَى أَنَّ الآيَةَ المُبَارَكَةَ وَرَدَ بها التعبير بصيغه المفرد لا الجمع حَيْثُ عَبَّرت [المثل الأعلى] وَلَمْ تَعْبُر [ولله الأمثال] فما هُوَ السَّرْفُ فِي هَذَا التعبير؟

هل المقصود مِنَ (المَثَلِ) أَى جنس المَثَلِ أم شىء آخر؟ وسيأتى التعرُّض لهذه النكته تحت عنوان [الغرض من مبحث الأسماء].

ثُمَّ أَنَّ القرآن الكريم يذكر لِكُلِّ شىءٍ مثلاً. وَلَمْ يَعْبُرَ اللهُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَ يَضْرِبُ اللهُ الأمثالَ لِلنَّاسِ) بينما هُنَا عَبَّرَ [ولله الأمثال].

ص: ٣٩٦

١- (١) سورة النحل: الآيه ٦٠.

٢- (٢) سورة التوبه: الآيه ٧٢.

وقوله تَعَالَى: (وَ مَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ) (١) فسرها صاحب مجمع البيان العلامة الطبرسي قدس سره بشبهه حال الأولين، وكذا قوله تَعَالَى (وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) (٢).

وهذا نظير (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (٣) بتقريب: - فإِنَّ للأسم وللمثل وللآيه وللتجلى معنى واحد أو مُتقارب، ولا- ربط للمثل بالتوافق بين شيئين فى حَدِّ، وإِنَّمَا المثل هُوَ تجلى لصاحبه، أو هُوَ الشىء الذى لا- يشترك مَعَ الشىء المَمَثَل لَهُ فى النوع أو الجنس.

والمثل لَيْسَ فَفَطْمُ مقابل المثل وَإِنَّمَا يجرى المثل فى القِصَّة والقِصص، وأنَّ القِصص الَّتى ذُكرت فى القرآن الكريم هِىَ مَثَلٌ، وأنَّ الغايه مِنْ القِصَّة - كَمَا مرَّ - فى القرآن هِىَ العبور إلى الغير.

كَذَلِكَ الغايه مِنْ الأمثال فى القرآن هِىَ العِبْرَة والعبور إلى الغير، والترجمان فَإِنَّ المَثَل ترجمان للمُمَثَل لَهُ.

إذَنْ هُنَاكَ ترابط وتلازم بين بحث القِصَّة والأمثال والمَثَل والعبور والتذكُّر والترجمان.

ثالثاً: المِثَال لغَةً: والمِثَل والمِثَال فى معنى واحد (٤) وجمع المِثَال أمثَلَةٌ،

ص: ٣٩٧

١- (١) سورة الزُّخرف: الآيه ٨.

٢- (٢) سورة البقره: الآيه ٢١٤.

٣- (٣) سورة الأعراف: الآيه ١٨٠.

٤- (٤) معجم المقاييس لابن فارس: ج ٥.

والمثال: الفراش والجمع مُثْل وَهُوَ شَيْءٌ يُمَاتِلُ مَا تَحْتَهُ أَوْ فَوْقَهُ.

والمثال: بالكسر اسمٌ مِنْ مَائِلَةٍ مُمَاتِلَةٌ إِذَا شَابَهَتْهُ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ النَّاسُ (المِثَال) بِمَعْنَى الوصف والصورة، فقالوا: مِثَالُهُ كَذَا أَيْ وَصَفُهُ وَصُورَتُهُ، والجمع أُمْتِلَةٌ (١).

والفرق بين المِثْل والمِثَال: المِثْل: هُوَ المِشَارِكُ فِي تَمَامِ الحَقِيقَةِ، وَلِذَا نُفِيَ عَنِ اللّٰهِ - سُبْحَانَهُ - المِثْلُ كَمَا قَالَ: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (٢) والمِثَال: المِشَارِكُ فِي بَعْضِ الأَغْرَاضِ، فَإِنَّ الإنسانَ المَنْقُوشَ فِي الجِدَارِ، مِثَالٌ لِلإنسانِ الطَّبِيعِيِّ لِمِشَارِكَتِهِ فِي المَقْدَارِ، والجِهَةِ وَنَحْوِهِ، وَلَيْسَ مِثَالًا لَهُ (٣).

والمِثَال: صِفَةُ المَقْدَارِ، والقِصَاصِ، والشَّيْءِ، والفِرَاشِ يَنَامُ عَلَيهِ يُقَالُ «فِي البَيْتِ مِثَالُ رِثٍّ» أَيْ فِرَاشٌ خَلِقَ، وَجَمَعَ المِثَالُ: أُمْتِلَةٌ وَمُثْلٌ وَمُثْلٌ (٤)، والمِثَالُ: المَقْدَارُ وَهُوَ مِنْ الشَّبْهِ (٥) القَالِبُ الَّذِي يُقَدَّرُ عَلَيَّ مِثْلُهُ صِفَةُ الشَّيْءِ وَصُورَتُهُ (٦).

اصطلاحاً: المِثَالُ:

ص: ٣٩٨

- ١- (١) المصباح المنير للفيتومي، مادّه - مثل -.
- ٢- (٢) سورة الشورى: الآية ١١.
- ٣- (٣) معجم الفروق اللغويه لأبي هلال العسكري: ص ٤٨٠.
- ٤- (٤) أقرب الموارد للشرتوني، مادّه - مثل -.
- ٥- (٥) لسان العرب لابن منظور، مادّه - مثل -.
- ٦- (٦) معجم متن اللغة للشيخ محمد رضا، مادّه - مثل - بتصرف.

رابعاً المثل لغةً: هو جمع المثل: والجمع: أمثله ومثله (١).

وقد ورد في نهج البلاغه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «واعلم أن لكل ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه...» (نهج البلاغه).

واصطلاحاً:

خامساً: المثل: يُقال: مثل بالرجل يمثل مثلاً ومثلاً - الاخير عن ابن الإعرابي - ومثل كلاهما: نكل به، وهي المثل والمثله، قال الزجاج: الضمه فيها عوض من الحذف (٢)، والمثله اسم وزان غزفه، من الفعل مثلت بالقتيل مثلاً من باب قتل وضرب إذا جدعته وظهرت آثار فغلكت عليه تنكيلاً والتشديد مبالغه (٢).

المثله: - بالضم: التنكيل أو آفه من قولهم (فلان مثله في الخير والشر) أي عجب وآفه، وهذا كما يقال لمن كان على هذه الصفة فتنه وداهية، واسم من مثل به إذا نكل به (٣) والعرب تقول العقوبه: - مثله، ومثله؛ فمن قال (مثله) جمعها على مثلات، ومن قال: (مثله) جمعها على مثلات ومثلات ومثلات (٤) والمثله والمثل: التشنيع والتشويه في العقوبه:

ص: ٣٩٩

١- (١) لسان العرب لابن منظور مادة - مثل -.

٢- (٢) المصباح المنير للفنيومي، بتصرف.

٣- (٣) أقرب الموارد مادة - مثل -.

٤- (٤) معجم تهذيب اللغة للأزهري.

التنكيل، تُجَمَع عَلَى مَثَلات وَمَثَلات وَمَثَلات (١).

سادساً: المَثَلَة - العقوبه، يُقال: حَلَّتْ بِهِ المَثَلَة، وما أَصابَ القرونَ الماضيه مِنَ العذابِ وَهِيَ عِبْرٌ يُعْتَبَرُ بِهَا والجمعُ مَثَلات (٢).

سابعاً: المَثِيل: الشَّبهه والنظير والفاضل، جمعُ مُثِل، والمَثِيل تصغيرُ المِثْل (٣) الشَّبهه والنظير والفاضل في قومه (٤).

ثامناً: الأَمَثَل: - الأفضل في قومه أو الأشبه بالأفاضل، الابدني عَيْنُ الخير يجمع، أمَاثِل ومُثِل، وجاء في الحديث في جمعه: المياثِل (٥) ذو الفضل الذي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُقالَ لَهُ، هُوَ أَمَثَلُ قومه (٦) كالأفْضَل زِنَةً ومعنى و (زيد أَمَثَلٌ مِنْ عمرو) أَى: أَفْضَل، و (هَذَا أَمَثَلُ قومه) أَى أَفْضَلُهُمْ، قِيلَ هُوَ فِي الأَصْلِ بِمعنى الأَشْبَه، يُقال هُوَ أَمَثَلٌ بالأفاضل كَمَا يُقال أَشْبَه بالأفاضل، ثُمَّ كَثُرَ استعماله فصار بِمعنى الأفضل وَصُرِّفَ مِنْهُ فَعْلٌ، مؤنثه - الأَمَثَل - مُثَلَى، تجمع أمَاثِل (٧).

تاسعاً: المَثَلَى: قال الأَخْفَش: - المَثَلَى تَأْنِيث: - الأَمَثَل، والطريقه

ص: ٤٠٠

- ١- (١) معجم متن اللغة للشيخ محمد رضا.
- ٢- (٢) أقرب الموارد مادّه - مثل -.
- ٣- (٣) المصدر السابق.
- ٤- (٤) معجم متن اللغة للشيخ محمد رضا.
- ٥- (٥) معجم متن اللغة للشيخ محمد رضا.
- ٦- (٦) معجم تهذيب اللغة للأزهري.
- ٧- (٧) أقرب الموارد للشرطوني اللبناني بتصرف.

المُثَلَّى أَيْ الشَّبَهَى بِالْحَقِّ (١) مَوْثُ الْأَمَثَلِ، وَالطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى الَّتِي هِيَ أَشْبَهُ بِالْحَقِّ، وَالَّتِي هِيَ أَعْدَلُ (٢) (بِطَّرِيقَتِكُمْ الْمُثَلَّى) (٣) بِتَقْرِيبٍ: - إِنَّ الْمُثَلَّى هُوَ الْأَشْبَهُ بِالْأَفْضَلِ وَالْأَقْرَبُ إِلَى الْخَيْرِ.

الوجه الثاني: نذكر فيها أمرين:

إشاره

الأول: الفرق بين المثل والمثل والمثال - حسب الاصطلاح.

الثاني: مدرك القاعده، الآيات والروايات:

الأمر الأول: الفرق الاصطلاحى بين: المثل والمثل والمثال.

المثل فى المصطلح العقلى: - هُوَ الْفَرْدُ مِنْ طَبِيعِهِ مُتَشَابِهَهُ لِفَرْدٍ آخَرَ مِنْ نَفْسِ الطَّبِيعَةِ أَوْ مِنْ صِنْفِهِ أَوْ مِنْ نَوْعِهِ أَوْ مِنْ جِنْسِهِ وَيَخْتَلِفَانِ فِي الصِّفَاتِ الْفَرْدِيَةِ (٤).

المثل اصطلاحاً: هُوَ الْآيَةُ وَالتَّجَلَّى وَالظُّهُورُ، وَقَدْ قَرَّرَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ثَبُوتَ الْمَثَلِ (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) (٥).

الأمر الثاني: مدرك القاعده من الآيات والروايات:

أَمَّا الْآيَاتُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (٦) بِتَقْرِيبٍ: - إِنَّ

ص: ٤٠١

١- (١) معجم تهذيب اللغة للأزهري.

٢- (٢) معجم متن اللغة، محمد رضا:

٣- (٣) سورة طه: الآيه ٦٣.

٤- (٤) تقدم تعريف المثل اصطلاحاً.

٥- (٥) تقدم مفضلاً فى تعريف المثل اصطلاحاً.

٦- (٦) سورة الشورى: الآيه ١١.

هَيْدِهِ الْآيَةَ مِنْ مُحْكَمَاتِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِنَوْعٍ وَلَا جِنْسٍ وَلَا صَنْفٍ، وَلَيْسَ فِي ذَاتِهِ تَعَالَى تَرْكِبٌ، وَلَا يَشْتَرِكُ مَعَهُ أَحَدٌ فِي الطَّبِيعَةِ وَالذَّاتِ، فَكَمَالَاتِهِ تَعَالَى تُحَدِّدُ ذَاتَهُ لَا تَحُدُّ كَذَلِكَ، وَإِلَّا كَانَ الْبَارِي نَاقِصًا تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ؛ لِأَنَّ الْمِثْلَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَوَافُقِ أَمْرَيْنِ: يُوَافِقُهُ فِي حَدِّ وَفِي مِثْلِ.

وَوَرَدَ فِي الْأَدْعِيَةِ: «لَا حَدَّ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا ضِدَّ لَهُ، وَلَا حُدُودَ لَهُ، وَلَا كِفْوَءَ لَهُ، وَلَا كَنَّهُ لَهُ، وَلَا مِثْلَ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي مَلِكِهِ، وَلَا وَزِيرَ لَهُ...» (١).

وَوَرَدَ «... لَا ضِدَّ لَهُ، وَلَا يَتَدَّ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا سِيَّجِيَّ لَهُ، وَلَا كِفْوَءَ لَهُ، وَلَا قَرِيبَ لَهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ، وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَلَا يَتَّبَعُ شَيْءٌ مَبْلُغَهُ، وَلَا بِقَدْرِ شَيْءٍ قَدْرَتَهُ، وَلَا يُدْرِكُ شَيْءٌ أَحْرَزَهُ، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ شَيْءٌ...» (٢).

وَمَا وَرَدَ فِي هَذَيْنِ الْخَبْرَيْنِ ضُرُوبٌ مِنَ الْمِثْلِ الْعَقْلِيِّ فِي الْأَجْنَاسِ، أَوِ الْأَنْوَاعِ، أَوِ الْعَوَارِضِ الْعَارِضَةِ عَلَى الْمَاهِيَةِ أَوِ الْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ، وَالْجَامِعُ بَيْنَ هَيْدِهِ الْأَنْوَاعِ هُوَ تَقْرِيرُ الْمَاهِيَةِ لِلشَّيْءِ فَيَتِمَّائِلُ مَعَهَا فِي أَحَدِ دَرَجَاتِهَا، كَمَا وَرَدَ فِي خُطْبَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا وَحَدَّهُ مِنْ كَيْفِهِ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مِنْ مَثَلِهِ، وَلَا إِتْيَاهَ عَنَى مِنْ شَبَهِهِ، وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَسَارَ إِلَيْهِ

ص: ٤٠٢

١- (١) بحار الأنوار: ج ٩٤، باب أعمال أيام مطلق الشهور ولياليه: ص ٢٦٩.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٩٥، باب أعمال خصوص يوم عرفه وليلتها ص ٢٢٩.

وتوهمه» (١).

وَعَنْ الإمام زين العابدين عليه السلام: «والصمدُ الذي أبدعَ الأشياءَ فَخَلَقَهَا أضداداً وأشكالاً وأزواجاً، وَتَفَرَّدَ بِالوَحْدَةِ بلا ضِدٍّ، ولا شَكْلٍ ولا مِثْلٍ ولا نِدٍّ» (٢).

وكقوله تَعَالَى: (وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٣).

وقوله تَعَالَى: (وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٤).

وقوله تَعَالَى: (وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (٥).

وقوله تَعَالَى: (وَ تِلْكَ الْأَمْثَالَ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (٤٣) (٦).

بتقريب: - مضمون هذه الآيات المباركة تشير إلى:

أولاً: فَمِنْ جَانِبِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْفَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلٌ - بكسر فسكون - بينما يُثَبِّتُ لَهُ تَعَالَى الْمَثَلَ - بفتحيتين.

ثانياً: يُسَيِّدُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ ضَرْبَ الْأَمْثَالِ، وَأَنَّ الْغَايَةَ مِنْهَا هُوَ التَّفَكُّرُ، ثُمَّ التَّعَقُّلُ ثُمَّ التَّذَكُّرُ.

ص: ٤٠٣

١- (١) بحار الأنوار: ج ٧٤، باب خطبه المعروفه: ص ٣١٠.

٢- (٢) التوحيد للصدوق: ص ٤٨ / ح ٤.

٣- (٣) سورة النحل: الآية ٦٠.

٤- (٤) سورة الروم: الآية ٢٧.

٥- (٥) سورة إبراهيم: الآية ٢٥.

٦- (٦) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

ثالثاً: ينفي الله تعالى قدره البشر أن يضربوا الأمثال لله تعالى، فقال تعالى: (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٧٤) (١)، بل نفى قدره البشر أن يضربوا الأمثال لسيد الأنبياء، فنفي عنهم إمكانية قدره على ذلك، فكيف تكون لهم إمكانية ضرب الأمثال لله تعالى، وسيأتي مزيد توضيح حول هذه الآية، بعد قليل فانتظر.

وقال تعالى: (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً) (٤٨) (٢).

رابعاً: ومن النقطة السابقة يتبين أن القدره على معرفه المثل والأمثال ينطوي على علم بحقائق الأشياء، وأن لغة الأمثال والمثل ليست لغة خطابه، بل هي لغة برهانيه.

خامساً: إن المثل - بفتحيتين - مرادف عقلاً - لمعنى الآيه والاسم، وإن لم يكن مرادفاً له لغة، ومن ثم يتبين أن هناك مرادفات عقلية كثيرة للمثل كالحرف والكلمه والبدال والتجلى والظهور والاسم والنعته والوصف والإشاره والظهور والآيه وغيرها من المرادفات العقلية، ومن ثم يتضح أكثر فأكثر اشتراك حكمه المثل مع أحكام المرادفات لها، فكما أن الأسماء توقيفيه وتوقيتيه فكذلك لا يضرب الله المثل والأمثال، بل هو له تعالى أن يتخذ المثل الأعلى لنفسه كما هو الحال في الصفات في قوله تعالى:

ص: ٤٠٤

١- (١) سورة النحل: الآية ٧٤.

٢- (٢) ذكرت الآية في موضعين في الإسراء: ٤٨، والفرقان: ٣٩.

(سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ) (٩١) (١)، وقوله تعالى (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ) (٢) وقوله تعالى: (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ) (٩١) (٣) وقوله تعالى: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يُصِفُونَ) (١٨٠) (٤) وقوله تعالى: (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ) (٨٢) (٥).

سادساً: حيث تبين مما تقدم ترادف المثل والأمثال مع الأسماء والآيات، تبين من ذلك أن المثل له تأويل، وله تعبير مترامى الى بطون عديده، ومن ثم يحتاج التدبر في المثل والأمثال إلى تعقل وتفكر، فإذا تم الوصول إلى مقامات البطون ومنازل المعاني التأويلية حصل للإنسان درجات من الذكر والتذكر، ومن ذلك تبين أن المثل والأمثال درجات وطبقات متراميه ومتعاقبه طولاً ورتبةً، وبهذا ذلك وموازاته تترامى درجات التعقب للأمثال ودرجات الذكر والتذكر.

ويتعدّد التأويل والتعبير والعبور (ويعلمك من تأويل الأحاديث) (٦).

بتقريب: - المراد (من تأويل الأحاديث) أي من تعبير الرؤيا، تسمى التعبير تأويلاً، لأنه يؤول أمره إلى ما رأى في المنام، ويسمى الرؤيا

ص: ٤٠٥

١- (١) سورة المؤمنون: الآية ٩١.

٢- (٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٠.

٣- (٣) سورة الصافات: الآية ١٥٩.

٤- (٤) سورة الصافات: الآية ١٨٠.

٥- (٥) سورة الزخرف: الآية ٨٢.

٦- (٦) سورة يوسف: الآية ٦.

أحاديث لأنها أحاديث تلك الرؤيا إن كانت صادقه، وأحاديث النفس والشيطان إن كانت كاذبه (١). أو من تأويل غوامض كتب الله تعالى، وسنن الأنبياء، وكلمات الحكماء، ويمكن إرجاع تعبير الرؤيا إلى الأصل، فإن النوم أحاديث النفس إما ملكيه أو شيطانيه، ويمكن أن يكون المراد بالأحاديث مطلق أحاديث النفس، وخطوراتها أعم من النوم واليقظه، وتأويلها هو الانتقال إلى ما يرتبط بها من الحوادث؛ فإن عامه الحوادث مرتبطه بعضها ببعض (٢). وقيل المراد من تأويل الاحاديث: أى تعبير الرؤيا، لأن يوسف عليه السلام قد بلغ الغايه فى تفسيرها ومعرفه مآلها، ولكن ظاهر اللفظ أعم من ذلك، والأنسب بنبوه يوسف عليه السلام أن يكون تأويل الأحاديث كناية عن معرفه الحقائق، وأن الله سبحانه سيعلمه ما لم يكن يعلم (٣).

ومن كمل هذا يتلخص أن التأويل هو إرجاع الشيء، ونتيجته ومآل كل عمل أو حديث تصل إلى الغايه والهدف النهايه تسمى تأويل، وتحقق الرؤيا فى الخارج مصداق للتأويل.

وقوله تعالى: (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٧٤) (٤).

ص: ٤٠٤

١- (١) زبده التفاسير، للفيض الكاشاني: ج ٣، ص ٣٤١.

٢- (٢) تفسير البيان، للسيد العلامة الطباطبائي: ج ٦، ص ٢٣.

٣- (٣) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنيه: ج ٤، ص ٢٨٩.

٤- (٤) سورة النحل: الآية ٧٤.

بتقريب: - إِنَّ لَيْسَ هُنَا نَفَى الْأَمْثَالِ لِهَذَا مَتْنًا، وَإِنَّمَا نَفَى عِلْمَ الْبَشَرِ وَالْخَلْقِ بِأَمْثَالِ اللَّهِ، بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَالِكٌ لِلْأَمْثَالِ، وَيَتَّضِحُ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى إِذَا تَقَرَّرَ أَنَّ الْمَثَلَ - بِالْفَتْحِ - مُرَادِفٌ عَقْلِيٌّ لِلْأَسْمَاءِ تَوْقِيفِيهِ وَتَوْقِيتِيهِ، فَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي الْمَثَلِ - بِالْفَتْحِ - وَالْأَمْثَالِ.

وقوله تَعَالَى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) (٥٤) (١).

بتقريب: - إِنَّ كُلَّ مَثَلٍ يُمْكِنُ أَنْ يَخْطُرَ عَلَى الْإِنْسَانِ هُوَ تَعْبِيرٌ وَآيَةٌ لشيءٍ ولما وراءه ودالٌّ عَلَى عُمُومِيَةِ الْأَمْثَالِ، فَهُوَ مُقَرَّرٌ وَجُودُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قَاعِدَةَ الْأَمْثَالِ لَيْسَتْ هِيَ قَاعِدَةُ أَعْضَاءِ، وَإِنَّمَا هِيَ دَالَّةٌ عَلَى الْعُمُومِ.

وقوله تَعَالَى: (وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) (٢).

وقوله تَعَالَى: (وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (٢٧) (٣).

وقوله تَعَالَى: (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) (١٧) (٤).

بتقريب: - إِنَّ الْأَلْفَ وَاللَّامَ فِي (الْأَمْثَالِ) لِلْجَمْعِ وَالْعُمُومِ الْاسْتِغْرَاقِي.

ص: ٤٠٧

١- (١) سورة الكهف: الآية ٥٤.

٢- (٢) سورة الروم: الآية ٥٨.

٣- (٣) سورة الزمر: الآية ٢٧.

٤- (٤) سورة الرعد: الآية ١٧.

وقوله تَعَالَى: (وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (١).

وقوله تَعَالَى: (وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (٤٣) (٢).

قراءة الأمثال بلغه عقليه فكريه:

وَمِنْ خِلَالِ اسْتِعْرَاضِ الْآيَاتِ الْمُبَارَكَةِ الْآنْفَهُ الذِّكْرُ يَتَبَيَّنُ: - أَنَّ الْمَثَلَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَا يَقْتَصِرُ فِيهِ عَلَى دَرَجَةٍ وَسَطٍ نَازِلٍ الَّذِي هُوَ الْمَثَلُ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ - الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَ الْبَدِيعِ - وَاللُّغَةِ، بَلْ أَكَّدَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَى قِرَاءَةِ الْمَثَلِ الْقُرْآنِيِّ بِقِرَاءَةِ عِلْمِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ عَمِيقَةٍ وَدَقِيقَةٍ يُبَيِّنُ فِيهَا لُبَّ اللَّبَابِ، وَحَاقَ وَحَقِيقَةَ الْمَثَلِ، وَهَيْدَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَدِيبَ وَالْمُفَسِّرَ وَالْبَاحِثَ وَغَيْرَهُمْ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَقْرَأُوا الْمَثَلَ الْقُرْآنِيَّ بِقِرَاءَةِ سَطْحِيَّةٍ نَازِلَةٍ وَبِحَسَبِ دَرَجَاتِ اللُّغَةِ الْأَدَبِيَّةِ، وَإِنَّمَا لَا يُبَدَّ أَنْ تُقْرَأَ بِقِرَاءَةِ عِلْمِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ عَمِيقَةٍ لَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ، كَمَا تَوَهَّمَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَأَنَّ قَاعِدَةَ الْأَمْثَالِ فِي الْقُرْآنِ هِيَ قَاعِدَةُ أَدِيبِهِ لَفْظِيَّةٌ لِعُيُوبِهِ اسْتِعْمَالِيَّةٌ، وَالْوَاقِعُ أَنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تُقْرَأَ بِقِرَاءَةِ عَقْلِيَّةٍ عَمِيقَةٍ وَبِحَاجَةٍ إِلَى عُلَمَاءٍ مُتَخَصِّصِينَ فِي عِلْمٍ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى نَتَائِجِ عِلْمِيَّةٍ وَبِرَهَانِيَّةٍ لَا يَسْتَطِيعُ الْأَدِيبُ أَوْ اللُّغَوِيُّ أَنْ يَصِلَ إِلَى تِلْكَ النَتَائِجِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي قَدْ تَوَصَّلَ إِلَيْهَا مِمَّنْ خِلَالِ الْقِرَاءَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الْفِكْرِيَّةِ كَالْمُتَخَصِّصِ فِي عِلْمِ الْفِيزِيَاءِ

ص: ٤٠٨

١- (١) سورة إبراهيم: الآية ٢٥.

٢- (٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

فَإِنَّهُ يَقْرَأُهَا بِقِرَاءَةٍ فِيزِيَاوِيَةٍ، وَالْعَالَمُ بِعِلْمِ الْفِضَاءِ يَصِلُ لَهَا بَلْغُهُ عِلْمٌ، وَهَكَذَا صَاحِبُ كُلِّ تَخْصِيصٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرَأَ الْأَمْثَالَ الْقُرْآنِيَةَ بِحَسَبِ مَا تَوَفَّرَتْ لَدَيْهِ مِنْ آيَاتِ عِلْمِهِ.

وَأَمَّا الرِّوَايَاتُ الَّتِي تَصْلِحُ كَمَدْرَكٍ لِقَاعِدَةِ الْأَمْثَالِ فِي الْقُرْآنِ فَسَنَعْرُضُ بَعْضًا مِنْهَا كَمَا يَلِي:

فَقَدْ رَوَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَهُ: «إِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ الْحُسْنَى وَأَمْثَالَ الْعُلْيَا، وَآيَاتِهِ الْكُبْرَى» (١).

عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَصْفِ الْمِعْرَاجِ... فَقَالَ تَعَالَى لِي: «يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْحَرَمُ وَأَنْتَ الْحَرَامُ وَلِكُلِّ مَثَلٍ مِثَالٌ...» (٢) الخ.

... رَوَاهُ تَفْسِيرُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَحْيَاءِ سِتِّهِ بِدَعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالُوا: - قَدْ رَأَيْنَا لِمُحَمَّدٍ مِثَالًا عَلَى سُرِيرِ عِنْدَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَعِنْدَ الْعَرْشِ، وَلَعَلِّيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثَالًا عِنْدَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَعِنْدَ الْكُرْسِيِّ، وَأَمْثَالَ السَّمَاوَاتِ وَالْحُجُبِ، وَأَمْثَالَ الْعَرْشِ يَحْفُونَ بِهِمَا وَيَعْظُمُونَهُمَا، وَيَصَلُّونَ عَلَيْهِمَا وَيَصْدُرُونَ عَنْ أَوَامِرِهِمَا، وَيَقْسِمُونَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِحَوَائِجِهِمْ إِذَا سَأَلُوهُ بِهِمَا (٣).

وَرَوَى الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ فِي الْأَمَالِيِّ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ أَشْهَدُكَ مَعِيَ فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ حَتَّى آنَسْتُ بِكَ،

ص: ٤٠٩

١- (١) مستدرک سفینه البحار للشیخ علی النمازی: ج ٩، ص ٣١٨.

٢- (٢) المصدر السابق: ٣١٥.

٣- (٣) إحقاق الحق: ج ٩، ص ٤٦٨؛ ومستدرک سفینه البحار: ج ٩، ص ٣١٧.

وقوله له مكرراً: ومثالك معي» (١).

رواه العيون بإسناده الصحيح عن ياسر الخادم، عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: يا علي أنت حجج الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، وأنت النبا العظيم، وأنت الصراط المستقيم، وأنت المثل الأعلى (٢).

روى الصدوق في الأمالي بإسناده عن الأصبح بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا خليفة رسول الله ووزيره ووارثه... إلى أن قال: أنا الحجج العظمى والآية الكبرى، والمثل الأعلى» (٣).

وفي خطبه لأمر المؤمنين عليه السلام: - أعطانا الله عشر خصال لم يكن لأحد قبلنا، ولا يكون لأحد بعدنا إلى أن قال: - فنحن كلمة التقوى، وسبيل الهدى، والمثل الأعلى والحجج العظمى (٤).

روى الصدوق رحمه الله بإسناده عن الهيثم بن عبدالله الرماني عن الرضا عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله في خطبه له في وصف الله تعالى: «فلا إليه حدد منسوب، ولا له مثل مضروب، ولا شيء عنه محجوب تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقة علواً كبيراً» (٥).

ص: ٤١٠

١- (١) مستدرک سفینه البحار: ج ٩، ص ٣١٧.

٢- (٢) المصدر السابق: ص ٣١٨، إحقاق الحق: ج ٤، ص ٢٨٤.

٣- (٣) المصدر السابق: ص ٣١٨.

٤- (٤) المصدر السابق: ص ٣١٩.

٥- (٥) عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١١٢.

... أبى العباس الفلكى، قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ألا- إِنَّ الذِّكْرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَحْنُ أَهْلُهُ، وَنَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وَنَحْنُ مَنَارُ الْهُدَى وَأَعْلَامُ التَّقَى، وَلَنَا ضُرِبَتْ الْأَمْثَالُ»(١).

الوجه الثالث: القرآن الكريم اعتمد أسلوب المثل

من ضمن أساليب عديده اعتمدها،

كما تبّهت عليه روايات أهل البيت عليهم السلام

ما مضمونه إن أسلوب القرآن: - السنن والأمثال، والفرائض والأحكام، والحكمه والجدل، والأخبار والأنباء، والمحكم والمتشابه، وزجرٌ وأمرٌ، وترغيب وترهيب، وجدلٌ وقصص ومثل وأمثال.

ورواه أصحابنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: - «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَيَّ سَبْعَةَ أَقْسَامٍ كُلِّ قِسْمٍ مِنْهَا كَافٍ شَافٍ وَهِيَ أَمْرٌ وَزَجْرٌ وَتَرْغِيبٌ وَتَرْهِيْبٌ، وَجَدَلٌ وَمَثَلٌ وَقِصَصٌ»(٢).

ورواه مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ (وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) (١) قَالَ: «اللَّيْلُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الثَّانِي غَشَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دَوْلَتِهِ إِلَى أَنْ قَالَ: - الْقُرْآنُ ضُرِبَ فِيهِ الْأَمْثَالُ لِلنَّاسِ، وَخَاطَبَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

ص: ٤١١

١- (١) بحار الأنوار: ج ٣، ص ٨٤ ح ٥٠.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٤.

به وَنَحْنُ نَعْلَمُه، فَلَيْسَ يَعْلَمُه غَيْرُنَا» (١).

الجهه الرابعه: ارتباط أسلوب المثل بالتعريض:

اشاره

والكلام فيها يقع في نقاط:

النقطه الأولى: من الظاهر استعمال أسلوب المثل من أحد أساليب التعريض؛ لأن المثل - كما مر - هو آية وعلامه لما وراءه، وقد تترامى طبقات الآيات والعلامات، فالمثل ك - (الكن) الذي يحفظ خلفه المراد الأصلي فيعبر منه إليه سواء بواسطه أو بوسائط، فيكون المثل بمثابة وبمنزله الكنايه وأقسامها العديده بالمعنى الأعم وبالتالي يتطرق التأويل بحسب طبقات المعنى ودرجاته.

نعم، لا ينحصر التعريض بأسلوب المثل، بل يعم بقيه أبواب وأساليب القرآن الكريم كأبواب القصص والحكم والجدل و... الخ.

النقطه الثانيه: إنه رغم التفات جملته من المفسرين إلى أسلوب المثل في القرآن، لا سيما جملته من مفسري الخاصه، وأسلوب المثل - كما تقدم - الغرض النهائى منه هو العبور من المثل إلى ما وراءه، وأن ما وراءه هو المراد كفايه في مراتب الجدل، إلا أنه يعكفون على المثل وخصوصياته ولا يتعدون منه إلى وراءه، ويقصرون الأهميه على سطح المثل نفسه، بينما ذلك إخلال بقاعده أسلوب المثل، بل يجعلون من المثل مداراً وأساساً

ص: ٤١٢

١- (١) تفسير القمى: ج ٢، ص ٤٢٥، عنه البحار: ج ٢٧، ص ٢٠٥، ح ٨٠.

ومهيماً على ما سواه من المعانى وأتم لها، بينما أسلوب المثل على العكس تماماً من ذلك، وهذا ما هو مشاهد في مناهج التفسير لدى غالب، أو جلّ المُفسِّرين ومن جعل التنزيل بهذه الصفات دون التأويل وأنّ التنزيل مُحكَّم والتأويل مُتشابه، أو جعل المُحكَّم والمتشابه بحسب الدلالة وبنيتها لا بحسب بُنية المعنى وبنائه وأحكامه.

النقطة الثالثة: إنّ تأكيد القرآن وروايات أهل البيت عليهم السّلام على أسلوب المثل في القرآن برهانٌ بيّنٌ على قاعده التعريض الكبرى في أسلوب القرآن والوحي النازل على سيّد الأنبياء، بل في الاحاديث النبويه واحاديث المعصومين كذلك، وبالتالي فهو بُرهان على كون ظاهر القرآن ودلالته ومدلولاته ذو طبقات ولا ينحصر بطبقه السطح، نعم تلك الطبقات والمراتب من بطون القرآن بينها ترابط بموازين علوم اللّغه والعلوم الأخرى، وأنّ للمصحف العظيم طبقات من المعانى وبحور لا تتناهى عند حدّ، وهذا أصلٌ عظيم في منهج تفسير القرآن.

المثل تسميه واسم ولقب وتوصيف وعبر وآيه:

الجهه الخامسه: هُنَاك ترادف عقلى فضلاً عنّ الترادف الوجودى بين الاسم والتسميه ولأجل توضيح الفرق بين التراد اللغوى والترادف العقلى والتراد الوجودى هو أنّ يُقال:

أمَّا الترادف اللغوي: - والذي عادةً تكون مفرداته لغويه - فإِنَّ اكتشافه لَمْ ينجز بشكل وافر وكامل في اللُّغَة لحدِّ الآن، لتوقُّفه على الترادف المعنوي، والترادف المعنوي يتوقَّف على تحليل علمي للمعاني الكثيره، وعلى تنقيب ونقض وإبرام وتأمل وتدبُّر في المواد الواصلة، وعلى ذلِكَ فالترادف اللغوي متوقَّف على الترادف العقلي الآتي، إذ الترادف العقلي موطنه المعنى والمعاني، ومن ثمَّ قدَّ يسمى بالترادف المعنوي.

كَمَا أَنَّ لفصول الرجعه ومسلسل أحداثها أسماء لَمْ تكتشف فيما كُتب عن الرجعه، وَلَمْ ينقح البحث عنها في ذلِكَ، مَعَ أَنَّها مقرَّره وموجوده في الروايات، نظير فصول مسلسل (دابه الأرض)، مَعَ أَنَّها مِنْ أخطر حلقات مسلسل الرجعه، وَقَدْ وصف هَذَا الحدث في روايات الفريقين المستفيضة والمتواتره أَنَّها طامه وهولٌ عظيم، وَأَنَّهُ إِذَا قيس حدث ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى حدث ظهور دابه الأرض فَهُوَ كالقطره في البحيره، هَذَا بالقياس إلى المفاجئات الكونيه الحاصله عِنْد ذلِكَ الحدث.

وَقَدْ أطلق عَلَيْهَا (الطامه الكبرى) أيضاً، أى نسبياً بالقياس إلى ما تقدمها مِنْ أحداث إلى غير ذلِكَ مِنْ أحداث وتفاصيل كثيره لَمْ يقع الخوض والبحث والتنقيب فيها ملياً، ولا زالت الكثير الكثير مِنْ المباحث كمواد خام غير مُنقَّب عنها.

والعامة لم يلتفتوا إلى جملة من فصول الرجعه، مع أنهم رووها بطرق مُستفيضه ومُتواتره، إلا أنها لم تتضمن لفظه الرجعه.

ومن أمثله الترادف اللفظي المغفول عنه في الرجعه، ما أُشير إلهي في عَمَدِهِ آيات من علامات الرجعه وإرهاصاتها، وهو مجيء آيات الرّب.

وهذا العنوان القرآني للرجعه عنوان أصيل في كتب الحديث لدى الفريقين، لكنّه مغفول عن كونه من فصول الرجعه المُهمّة، وهذا نمط من أنماط الترادف اللفظي.

الترادف العقلي:

وأما الترادف العقلي فهو اشتراك شيئين وذاتين وماهيتين وهويّتين في جزء من معنيهما كالجنس القريب المشترك أو الجنس البعيد أو الجنس المتوسط أو فصل الفصل أو الفصل الفوقي، واللازم هو وجود وتقرّر جزء مشترك، فإذا تقرّر وجود ذلك الجزء المشترك فلا محاله تكون آثار ذلك الجزء وأحكامه التكوينية مشتركة بينهما، فيكون ما دلّ على آثار وأحكام الشيء الأوّل دالاً على ترتبها على الثاني أيضاً إذا كان ترتب تلك الآثار من حيثيه ذلك الجزء المشترك، فلا محاله يكون ذلك الدليل دالاً على تلك الآثار والأحكام في الشيء الثاني.

ومن الواضح أنّ هذا المنهج توسّع في استنطاق الأدلّه وتحليل مفادها ومعانيها بطريق أعمق وأغور، فلا يقتصر الاستدلال على الألفاظ

المشتركة، ولا عَلَى سطح المعانى، أَى لا يقتصر عَلَى المعنى المتّحد فى سطح الإدراك الأولى وَإِنَّمَا يعتمد عَلَى المعنى المتّحد المطوى بخفاء فى طَيِّرات معانى مُتعدِّده، وَهَذَا يُوَدِّى إِلَى اكتشاف الأجزاء المشتركة بين المعانى كنظام موحد بينها، وَهُوَ اكتشافُ لبنان النظام فى المعانى.

وَهَذَا بحث وتنقيح وتحرُّ ثبوتى للواقعيات، وَلَيْسَ مُجرَّد استكشاف دلالى وإثباتى.

وأحد ثمرات هَذَا المنهج ما مرَّ مِنْ اكتشاف المعنى المتواتر النظرى والمُستفيض والموثوق النظريين المُكتشف بقوه الاجتهاد والتحقيق، نَيْلُ كَمَا تَبَيَّنَ هُنَا أَنَّ الفائده فى الترادف العقلى أعظم مِنْ اكتشاف مُجرَّد التواتر، بَلْ ترجع الفائده إِلَى اكتشاف نظام التوافق والموافق مَعَ قَوَاعِد الكتاب والسنة كبنيان منظومى.

الترادف الوجودى:

وأَمَّا الترادف الوجودى فَهُوَ يَغَاير كلاً مِنْ الترادف اللفظى والعقلى؛ لِأَنَّهُ لا يعتمد عَلَى وحده تمام المعنى، أو المعنى الظاهر كَمَا فى الترادف اللفظى، كَمَا أَنَّهُ لا يعتمد عَلَى الجزء المشترك مِنْ المعنى الخفى كَمَا فى الترادف العقلى، بَلْ لا يعتمد عَلَى الوحده فى المعنى أصلاً، وَإِنَّمَا يعتمد عَلَى وجود الرابطه الوجوديه بين شيئين وَإِنْ لَمْ تكن بينهما رابطه وارتباط فى المعنى أصلاً.

واكتشاف هَذَا الترادف أصعب كثير من اكتشاف الترادف العقلي رغم صعوبة الترادف العقلي كما مرَّ، لا سيما مع اختلاف درجات الترادف العقلي في الخفاء، وَذَلِكَ لِأَنَّ الترادف الوجودي يتخطى عالم المعنى إلى تقصي العينية الواقعية وملاحظته الآثار والتأثيرات في الوجود، وملاحظته أن التقارن بسبب الملازمه والتسبب في التأثير أم لا.

وبعبارة أُخْرَى: إنَّ منظومه الوجود وأنظمتها أوسع ترابطاً بين الأشياء المختلفه من ترابط الأشياء في جانب معانيها اللغوية وذاتياتها، فَمِائِنَ الترابط بين الأشياء في جانب المعنى من ناحيه ذواتها - أجناساً أو أنواعاً أو أصنافاً - أضيق دائرة من ترابطها في جانب الوجود العيني.

والمِثْلُ والمِثْلُ، وإن لم يكن بينهما ترادفاً لغوياً، وَذَلِكَ لوجود جهه اشتراك في المعنى وهي إشاره كُلِّ من الاسم والمِثْلُ إلى ما وراءه، وهكذا في بيانات القرآن الكريم والروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السّلام في خصوص الاسم الأعظم، وأنَّ للاسم اسم، ولاسم الاسم اسم، وهكذا فَهَذَا اسم أعظم تتشعب منه أسماء تشتق منه أسماء، ويشق من تلك الأسماء في الطبقة الأولى أسماء للطبقة الثانيه، وَمِنْ الطبقة الثانيه أسماء للطبقة الثالثه، وهكذا، كَذَلِكَ الآيات والأمثال تترامي طولاً (سَبَّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) (١)). في المثل الأعلى، ولذا يُعَبَّرُونَ عَنْ هَذَا التسلسل والترامي والتبويب في كُلِّ طبقه بأنّه بابٌ للطبقة التي فوقها وهكذا.

ص: ٤١٧

فالمثل والاسم وإن اشتركا في جهة إلا أنهما يختلفان في التفاصيل، فيندرج المثل في النعت والتوصيف أيضاً، وبالتالي يكون المثل نوع من اللقب.

كما أن هناك جهة اشتراك أخرى بينهما - الاسم والمثل - وهي أن في كل من المثل والتسميه بيان لصفة وحكاية لتوفرها في المحكى عنه؛ إذ جيل الأسماء والتسميات كما هو معروف مأخوذ من أوصاف حتى - أسماء القلم، بل قيل في البحث العقلي، أنك لا تجد اسم للجوهر إلا وهو مأخوذ من وصف وحدث فعلى، فما يُحتسب بأنه جوهر فهو بالأصل وصف حدثي.

ويشير هذا الترادف العقلي إلى ما ورد في الرواية، العياشي عن مسعدة بن صدقة عن أبي جعفر عن أبيه، عن جده عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام: - «سموهم بأحسن أمثال القرآن - يعني عتره النبي صلى الله عليه وآله - هذا عذب فرائد فاشربوا، وهذا ملح أجاج فاجتنبوا» (١).

رواه الشيخ الطوسي بإسناده عن الفضل بن شاذان عن داود بن كثير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أنتم الصلاة. في كتاب الله عز وجل وأنتم الزكاة وأنتم الحج؟ فقال: «يا داود نحن الصلاة ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج...» (٢).

ومن هذا يظهر أن قاعدة المثل لا تقتصر على القصص، وما

ص: ٤١٨

١- (١) العياشي: ج ١، ص ٩٠، ح ٧.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٣٠٣، ح ١٤ ب ٦٦.

ضُرِبَ مثلاً، بَلْ يتعدى لِكُلِّ آياتِ القرآنِ وجمله، بَعِيدَ كونِ التوصيفِ والتسميه والنعتِ كُلِّهَا مِنْ التمثيلِ بالمعنى الأعم، وَهَيْدِهِ التوسعه في قَاعِدِهِ المثلِ والأمثله يُبَيِّنُ وجودَ أصولٍ مشتركه وأصلٍ مشترك في قَوَاعِدِ التفسيرِ، الَّتِي أشارَ إليها أهلُ البيتِ عليهم السَّلَامُ في بياناتهم وأشاروا إلى تقريرها في القرآنِ الكريمِ، وبالتالي فَإِنَّ هُنَاكَ ترابطٌ وطيدٌ ووثيقٌ فيما بينها تداخلاً وتكميلاً وتناسقاً.

وسياتى في الجهد السابعه (الفرق بين ضرب المثل، وجعل المثل، وصيرَف المثل، ويضرب الأمثال) الإشارة إلى أَنَّ المثل آية والآيه مثل.

تنبيه وفيه أمران:

الأمر الأول: توسعه قَاعِدِهِ المثل لِكُلِّ القرآنِ وَكُلِّ آياته وجمله وَلِكُلِّ تأويلٍ وعبورٍ وعبره وعدم اقتصاره على ذكر القصص وما ضُرِبَ مثلاً.

ويؤيد هذا ما رواه الشَّيْخُ أبو جعفر الطوسي بإسناده إلى الفضل بن شاذان عن داود بن كثير، قَالَ: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام: - أنتم الصَّلَاةُ فِي كتابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنتم الزكاه - وأنتم الصِّيَامُ - وأنتم الحِجُّ؟ فَقَالَ: «يا داود نَحْنُ الصَّلَاةُ فِي كتابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَنَحْنُ الزكاه، وَنَحْنُ الصِّيَامُ، وَنَحْنُ الحِجُّ، وَنَحْنُ الشهر الحرام، وَنَحْنُ البلد الحرام، وَنَحْنُ كعبه الله، وَنَحْنُ قبله الله، وَنَحْنُ وجه الله فِي قوله تَعَالَى: (فَأَيْنَمَا تُولُوا

ص: ٤١٩

فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ (١) وَنَحْنُ الْآيَاتُ، وَنَحْنُ الْبَيْنَاتُ، وَعَدُونَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: الْفَحْشَاءُ، وَالْمَنْكَرُ، وَالْبَغْيُ، وَالْخَمْرُ، وَالْمَيْسِرُ، وَالْأَنْصَابُ، وَالْأَزْلَامُ، وَالْأَصْنَامُ، وَالْأَوْثَانُ، وَالْجِبْتُ، وَالطَّاغُوتُ، وَالْمَيْتَةُ، وَالسِّدْمُ، وَلَحْمُ الْخَنْزِيرِ يَا دَاوُدَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا فَأَكْرَمَ خَلْقَنَا، وَفَضَّلَنَا وَجَعَلَنَا أَمْنَاءَ وَحَفِظْتَهُ وَخُزَّانَهُ عَلَيَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَ لَنَا أَضْدَادًا وَأَعْدَاءًا، فَسَمَّانَا فِي كِتَابِهِ، وَكُنِيَ عَنِ اسْمَائِنَا بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ وَأَحَبِّهَا إِلَيْهِ تَكْنِيهِ عَنِ الْعَدُوِّ وَسَيِّئِي أَضْدَادِنَا وَأَعْدَائِنَا فِي كِتَابِهِ وَكُنِيَ عَنِ اسْمَائِهِمْ وَضَرَبَ لَهُمُ الْأَمْثَالَ فِي كِتَابِهِ فِي أَبْغُضِ الْأَسْمَاءِ» (٢).

الأمر الثاني: الإشارة إلى أن بعضهم يعنون هذه القاعدته بعنوان آخر، وهي قاعدته العبره والأمثال باعتبار أن المثل يراد منه عبره وعبور إلى غيره، وهذا ما سنتعرض له خلال طيات البحث.

فائده: ومن باب الفائده والتنبيه، سوف نشير إلى وجود علاقة وصله بين قاعدته الأمثال والتعبير والاسم والكلمه والآيه والتجلى والتأويل، فإن الأمثال لها تأويل ومآل ومرجع ما وراء (وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) (٣) وبتقريب: - أن كل شيء له تأويل سواء كان من عالم المعنى، أو عالم العين أو... الخ.

ص: ٤٢٠

١- (١) سورة البقره: الآيه ١١٥.

٢- (٢) كنز الفوائد، تأويل الآيات الباهرات، لشرف الدين النجفي: ص ٢١، ٢٢؛ بحار الأنوار: ج ٤، ص ٣٠٣.

٣- (٣) سورة يوسف: الآيه ٦.

وكذا علاقته الأمثال بالترجمان وَلَيْسَ المقصود مِنْهُ الترجمة اللفظية فِي اللُّغَةِ بَأَنَّ يترجم مِنْ لفظ إِلَى آخر وَمِنْ لغه إِلَى أُخْرَى، وَإِنْ كَانَ مَعْنَى الترجمان والترجمة واحدٌ إِلَّا أَنَّ مَعْنَى الترجمان أوسع وَهُوَ أحدٌ أوصاف أئمة أهل البيت عليهم السَّلام، كَمَا وَرَدَ فِي حَقِّهِمْ وَأَنَّهُمْ عَلَيْهِم السَّلام ترجمان وحى الله (السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا ترجمان - تراجمه - وحى الله) وَمَعْنَى أَنَّهُمْ عَلَيْهِم السَّلام أَنَّهُ قَدْ نشاهد ظواهر تكوينيه معينه لا نعرف ولا نهتدى إِلَى ترجمتها وتُرجمانها، بينما أهل البيت عليهم السَّلام بمجرّد مشاهدتهم لها يعرفون ترجمانها فمثلاً- قوله تَعَالَى قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «... اشتد غضب الله عَلَى اليهود حين قالوا عزيزٌ بن الله، واشتد غضب الله عَلَى النَّصارى حين قالوا: المسيح ابن الله واشتد غضب الله عَلَى مَنْ أراق دمي وآذاني فِي عترتي» (1) بتقريب: - أَنَّ الاشتداد غضب الله تَعَالَى آيات يعرفها أهل البيت عليهم السَّلام حين مشاهدتها، بينما غير المعصوم عليهم السَّلام لا يُدْرِكُ كنهها وحقيقتها، وبالتالي فالترجمان وحىٌ مِنْ الله تَعَالَى.

كَذَلِكَ يَأْتِي الترجمان بمعنى ترجمه مَعْنَى إِلَى مَعْنَى آخر، أَيْ طبقات مِنْ المعنى تترجم طبقات مَعْنَى آخر، ولربما معانى ترجمه وترجمان لحقائق، أو حقائق ترجمه وترجمان الحقائق أعلى وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الترجمة والترجمان عبور.

كَذَلِكَ هُنَاكَ تشابك وتشابه بين بحث الأمثال والذكر والعبور

ص: ٤٢١

١- (١) تفسير العياشى: ج ٢، ص ٨٦ عَنْهُ بحار الأنوار: ج ٢٧، ص ٢٠٦، ح ١٤.

والتعبير والقصص؛ لأنَّ الغرض من القصص التي ذكرها القرآن كقصه مريم وقصه يوسف وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام مَرِّعَ أنها قصص حقيقته وخارجيته وواقعه، وليس حديث يُفترى، ولكن الغايه من العرض القصصي القرآني هُوَ لأجل العبور والتعبير والمثل والتمثيل.

إذْ هُنَاكَ ترابط ذاتي عضوي بنوي بين نظام القَصِّه ونظام المَثَل والأمثال والتعبير في القرآن الكريم: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (١١١) [\(١\)](#).

بتقريب: - إنَّ هدف القرآن من ذكر القصص لا لأجل أن يُلبث عند القَصِّه، أو لأجل الإصغاء إلى ملاحظتها وجاذبيتها، بل لأجل التفكير والتعقل والتدبُّر والتحليل العلمي والعبور من مورد القَصِّه إلى غيره.

نعم، شأن الشِّعر والأدب غايته صرف الشعر والأدب ويمكن أن يُجَمِّدَ ويُقَصِّرَ النظر على ظاهره، بخلاف القرآن الذي يُنادي بالعبور من مورد إلى آخر وعدم الجمود والانحباس على مورد المثل والآيه (وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) [\(٢\)](#).

وكذا قوله تعالى: (وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (٢٥) [\(٣\)](#).

ص: ٤٢٢

١- (١) سورة يوسف: الآية ١١١.

٢- (٢) سورة الإسراء: الآية ٨٩.

٣- (٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٥.

وقوله تَعَالَى: (وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣) (١)).

بتقريب: - إنَّ الهدف مِنْ ضرب الله الأمثال هُوَ لأجل غايات كثيرة، مِنْهَا: التفكُّر والتذكُّر والتعقُّل والقصص اختلاف التعبير القرآني، وأنَّ الذي يقف على ظاهر القصص والمثل والمثال لَيْسَ مِنْ ذوى الألباب (وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣) وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ التَّعَقُّلِ هُوَ الْوَقُوفُ عَلَى ظَاهِرِ الْمَثَلِ وَالْقِصَّةِ وَالآيَةِ، وَإِنَّمَا الْعُبُورُ إِلَى مَا وَرَاءَ وَلِغَايَةِ أَعْظَمَ، وَهَيْدِهِ حَقِيقَةً لِابْتِدَاءِ مِنَ الْوَقُوفِ عَلَيْهَا، فَمَا أَكْثَرَ الْعَبْرَ وَأَقْلَ الْعَبْتَارَ وَالْمَعْتَبَرَ، فَهُنَاكَ مَنَافِدُ كَثِيرَةٌ يُمْكِنُكَ أُيُّهَا الْبَاحِثُ أَنْ تَعْبُرَهَا وَتَصِلَ إِلَى الْحَقِيقَةِ، وَلَكِنْ لِلْأَسْفِ قَلِيلٌ مَنْ يَسْلُكُ هَذِهِ الطَّرِيقَ وَيَعْبُرُ هَذِهِ الْجُسُورَ وَالْقَنُوتَ لِأَجْلِ الْوَصُولِ إِلَى أَسْرَارِ تِلْكَ الْكُنُوزِ وَحَقَائِقِهَا، وَعَلَيْهِ فَمَعْنَى (مَا أَكْثَرَ الْعَبْرَ) أَيُّ مَا أَكْثَرَ الْمَعَابِرَ وَالْقَنُوتَ الَّتِي تُوصلُكَ إِلَى سَمَاءِ أَرْضِ الْحَقِيقَةِ، وَلَكِنْ لِلْأَسْفِ (مَا أَقْلَ الْمَعْتَبَرَ) أَيُّ مَا أَقْلَ الْمُتَهَيِّئُونَ وَالْجَاهِزُونَ لِعُبُورِ هَذِهِ الْقَنُوتِ وَالْمَعَابِرِ، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الْخَطَأِ يُقْتَصِرُ الْمُفَسِّرُ أَوْ الْبَاحِثُ الْكَرِيمُ فِي مَفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى مَوَارِدِهَا، بَلْ لِابْتِدَاءِ مِنَ الْعُبُورِ مِنْهَا إِلَى الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ.

كَذَلِكَ يُسْتَفَادُ مِنْ بَرَكَهٖ بَيَانَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ

ص: ٤٢٣

١- (١) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

القصص القرآنيّة (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (١) الاقتصار على سرد الحدث السابق الذي بينه القرآن الكريم، بل يُتعدّى بالقصص إلى سرد الأحداث وليس حدثاً واحداً، الماضيه ولما سيأتي، بل يتعدّى حتّى لمثل الأحكام.

الأحكام الشرعيه السابقه يمكن أن تكون مثلاً:

إنّ الأحكام التي بينها وذكرها القرآن للأمم السابقه يمكن أن يتعدّى بها إلى ما وراء، وتصلح أن يكون ذلك الحكم الشرعي مثلاً- كحرمه قتل النفس بغير ذنب وغيره من الأحكام فيمكن أن يتعدّى بها إلى ما وراء، فيكون حال الأحكام الشرعيه حال القصه التي يذكرها القرآن في خصوص نبي أو أمّه يتعدّى بها إلى ما وراء ويؤيد هذا ما ورد في الروايات.

العياشي عن أبي الجارود قال: - سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: نزل القرآن على أربعة أرباع: «رُبْعُ فِينَا، وَرُبْعُ فِينَا وَرُبْعُ فِينَا وَرُبْعُ فِينَا» فرائض وأحكام، ورُبْعُ سُنَنٍ وَأَمْثَالٍ، ولنا كرائم القرآن» (٢).

... عَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، قَالَ: - سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ أَثَلَاثًا: ثُلُثٌ فِينَا وَفِي عَدُونَا، وَثُلُثٌ سُنَنٍ وَأَمْثَالٍ، وَثُلُثٌ

ص: ٢٢٤

١- (١) سورة يوسف: الآية ١١١.

٢- (٢) تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٤ عنه بحار الأنوار: ج ٢، ص ٢٤٤.

الفرق بين المثل البلاغى والمثل القرآنى:

يكمن الفرق بين المثل فى علم البلاغه، والمثل القرآنى فى أن المثل فى علم البلاغه هُوَ أن الممثل له الذى ما وراء المراد الجدى لیس مراداً أصلاً أى تشبيه لیس له حقیقه، وإنما المراد فقط هُوَ ما ذکر من مصداق للممثل له ولا يتعدى إلى ما وراءه، بخلاف المثل القرآنى بحسب بیانات أهل البيت عليهم السلام أن الأمثال لا يقتصر فيها على ما ذکر من مصداق، وإن كان ذلك المصداق المذكور مراداً بالإرادة الجدیة، ومع ذلك يتعدى إلى ما وراءها ويراد أيضاً بإرادته جدیة أعظم من الأولى؛ لأن مراتب المراد الجدى هی على درجات فيها ما هو عظیم، وما هو أعظم، وما هو أعظم وأعظم وهكذا.

المثل فى علم البلاغه تشبيه له حقیقه

حسب نظریه السید العلامه الطباطبائى قدس سره:

تقدّم ذكر الفوارق العلمیه بین منهج السید العلامه الطباطبائى قدس سره التفسیر الموضوعى للقرآن و بین منهجنا أمومه الولایه على المحکّمات فى عده مواضع وقواعد تقدّمت، إلا أنه ومن الإنصاف أن السید العلامه قدس سره فى مبحث المثل البلاغى بل وحتّى القرآنى هُوَ تشبيه له حقیقه ولم يقصر

ص: ٤٢٥

السَّيِّدُ الْعَلَامَةُ نَظَرَهُ عَلَى الْمَعَانِي الْكَلِّيَّةِ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْمَصَادِيقِ - كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي جَمَلِهِ مِنَ الْقَوَاعِدِ مِنْهَا مَا تَقَدَّمَ فِي قَاعِدِهِ الْجَرِيِّ بِمَعْنَى التَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ - بَلْ فِي هَذِهِ الْقَاعِدَةِ - كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي جَمَلِهِ مِنَ الْقَوَاعِدِ مِنْهَا مَا تَقَدَّمَ فِي قَاعِدِهِ الْجَرِيِّ وَبِمَعْنَى التَّطْبِيقِ أَوْ التَّعْبِيرِ - بَلْ فِي هَذِهِ الْقَاعِدَةِ - الْأَمْثَالِ، جَعَلَ السَّيِّدُ الْعَلَامَةُ قَدَسَ سِرِّهِ الْمَثَلِ حَقِيقَةً، وَلَهُ مَصْدَاقٌ، وَيُعْبَرُ مِنْ هَذَا الْمَصْدَاقِ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَغَايَتِهِ مَا وَرَاءَ أَكْبَرَ وَلَمْ تَنْحَسِرْ فِي الْمَعْنَى الْكُلِّيَّةِ، وَهَذَا مَا أَكَّدَتْهُ الْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (١١١) (١).

بتقريب: - أَنَّ الْقُرْآنَ جَمَعَ بَيْنَ الْمَطْلُوبِينَ.

الأوَّل: إِنَّ مَا ذُكِرَ فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ لَيْسَ خِيَالًا وَحَدِيثًا يُفْتَرَى. وَإِنَّمَا لَهُ حَقِيقَةٌ وَرَاءَهُ أَعْظَمُ، فَمِثْلًا مَا ذُكِرَ مِنْ قِصَّةِ فِي سُورَةِ يُوسُفَ هُوَ مِثْلٌ وَحَقِيقَةٌ لَمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ يُوسُفَ آلَ يَعْقُوبَ الْ- وَهُوَ يُوسُفَ آلَ مُحَمَّدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَهَكَذَا مَا ذُكِرَ مِنْ قِصَّةِ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ عَلَيْهَا السَّلَامُ هُوَ مِثْلًا لَمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ مَرْيَمَ وَعُبُورًا إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَهَكَذَا مَا ذُكِرَ فِي قِصَّةِ يَعْقُوبَ آلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْبَرَ مِنْهُ إِلَى يَعْقُوبَ آلَ مُحَمَّدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمَا ذُكِرَ لَذِي الْقَرْنَيْنِ هُوَ عُبُورٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَكَذَا، وَهَذَا لَيْسَ مِنْ نَسْجِ الْخِيَالِ، وَإِنَّمَا حَقِيقَةٌ اعْتِقَادِيَّةٌ.

ص: ٤٢٤

١- (١) سورة يوسف: الآية ١١١.

الثانى: ما ذُكِرَ فِي الآيَةِ الْمُبَارَكَةِ يَصْلِحُ رَدًّا عَلَى مَا ظَنَّهُ بَعْضُ الْعُرَفَاءِ، أَوِ الصُّوفِيَةِ أَوِ الْفَلَّاسِفَةِ أَوْ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ مِنْ أَنَّ مَا ذُكِرَ مِنْ كَلِمَةٍ (مَثَل) فِي الْقُرْآنِ لَيْسَ لَهُ حَقِيقَةٌ، وَالْوَاقِعُ هُوَ لَهُ حَقِيقَةٌ حَسَبَ بَيَانَاتِ الْقُرْآنِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلَكِنْ هُنَاكَ حَقِيقَةٌ مَا وَرَاءَهُ أَعْظَمُ، لَا أَنَّ هَذِهِ حَقِيقَةٌ - أَيْ الْمَاوِرَاءُ وَالْغَايَةُ - وَتِلْكَ لَيْسَتْ بِحَقِيقَةٍ.

وَيَدْعَمُ هَذَا مَا ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ) (١).

بتقريب: - إِنَّ الشَّيْءَ الْأَكْبَرَ هُوَ الْحَقِيقَةُ وَالْغَايَةُ وَالْمُرَادُ بِالْإِرَادَةِ الْجَدِيدَةِ، وَمَا دُونَهُ وَالْأَصْغَرُ، لَهُ حَقِيقَةٌ أَيْضًا وَمُرَادُ بِالْإِرَادَةِ الْجَدِيدَةِ، وَالْإِرَادَةُ الْجَدِيدَةُ كَمَا قُرِّرَ عَلَى مَرَاتِبٍ، وَلَا تَعَارُضُ بَيْنَ الْإِرَادَتَيْنِ الْجَدِيدَتَيْنِ لِأَنَّ بَيْنَهُمَا تَرْتِبٌ طَوِيلٌ.

ص: ٤٢٧

١- (١) سورة التوبة: الآية ٧٢.

فى التعبير لا التطبيق

الجهه السّادسه: نظام حقائق القرآن:

إنّ هذه الجهه مُرتبطه بنظام حقائق القرآن الذى سيأتى بحثه وَبَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ مِنْ الْجَهِّ السَّابِقِ مِنْ أَنَّ أَسْلُوبَ الْمَثَلِ، وَضَرْبَ الْمَثَلِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُوَ أَحَدُ الْأَسَالِيبِ وَالْأَبْوَابِ الْمُهِمَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، يَتَبَيَّنُ أَنَّ قَاعِدَةَ الْمَثَلِ بَرَهَانٌ عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي قَرَّرْنَاهُ لِقَاعِدَةِ الْجَرَى، خِلَافًا لِلْمَعْنَى الَّتِي التَّزَمَ بِهَا جَمَلُهُ مِنَ الْأَعْلَامِ كَالسَّيِّدِ الْعَلَمَاءِ مُحَمَّدٍ حَسِينِ الطَّبَّاطِبَائِيِّ قَدَّسَ سِرَّهُ فِي الْمِيزَانِ وَالسَّيِّدِ الْخَوَّيِّ قَدَّسَ سِرَّهُ فِي كِتَابِهِ الْبَيَانِ، وَالسَّيِّدِ عَبْدِ الْأَعْلَى السَّبْزَوَارِيِّ قَدَّسَ سِرَّهُ فِي مَوَاهِبِ الرَّحْمَنِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَعْلَامِ الْعَصْرِ فِي التَّفْسِيرِ، وَالَّذِي بَنَى عَلَيْهِ جَمَلُهُ مِنْ مَفْسَرَى الْجُمْهُورِ أَيْضًا فِي الْقَرْنِ الْأَخِيرِ.

بَيَانُ ذَلِكَ: إِنَّ قَاعِدَةَ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقَ بِالْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرُوهُ جَرَى الْمَعْنَى الْكُلِّيَّ الْوَاحِدَ فِي تَطْبِيقِ الْمَصَادِقِ، فَجَرَى حَرَكَه الْآيَةَ فِي الْمَصَادِقِ وَمَقَامَ التَّطْبِيقِ وَلَيْسَ جَرِيًّا فِي الْمَعْنَى، وَأَنَّ الْمَعْنَى الْكُلِّيَّ ذُو شَأْنٍ.

بَيْنَمَا قَاعِدَةُ الْجَرَى الَّتِي قَرَّرْنَاهَا، وَالْمُسْتَفَادَةُ فِي الْأَصْلِ، لَدَى كَلَامِ الْمَبْنِيِّينَ - مَبْنَى السَّيِّدِ الْعَلَمَاءِ، وَمَبْنَى - أُمُومَةُ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ فِي

تفسير القرآن - مِنْ بيانات أئمة أهل البيت عليهم السَّلام، هِيَ جَرِيٌّ فِي طبقات المعنى المُراد ولا- تنحصر فِي الجرى فِي المصاديق، بَلِ الجرى فِي المصاديق - كَمَا مَرَّ - أَنَّهُ نَمَطٌ مِنَ الجرى فِي المعنى وَلَيْسَ المصداق بِمَنَئِي عَنِ المعنى المُراد كَمَا اصْطَلَحَ عَلَيَّ ذَلِكُكَ عِنْدَ مُتَأَخِّرِي عُلَمَاءِ البلاغه ومشهور عُلَمَاءِ أصول الفقه المُتَأَخِّرِينَ، بَلِ المعنى الكُلِّيُّ رَشْحُهُ مِنْ رَشْحَاتِ المصداقِ الأَعْظَمِ وَلَيْسَ العكسُ أَيَّ المعنى الكُلِّيُّ اتِّفَاقًا رَشْحُهُ انْعِكَاسٌ وَتَجَلَّى مِنْ نَفْسِ الوجودِ العينيِّ العَظِيمِ لا العكس، وَهَذَا الَّذِي يَقَعُ فِيهِ اشْتِبَاهٌ مَعْرِفِي وَعُقَائِدِي كَثِيرٌ، بَلِ وَحَتَّى فِي عِلْمِ التفسير.

وَعَلَى ضَوْءِ هَذَا المبنى العِلْمِي يصير الوجود العينيِّ العَظِيمِ حِينئِذٍ هُوَ المُرادُ الأَصْلِيُّ والمعنى الكُلِّيُّ بالتَّبَعِ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ المُرادَ الجَدِّيَّ عَلَى درجَاتٍ: مِنْهُ الوجود العينيِّ العَظِيمِ، وَمِنْهُ: المعنى الكُلِّيُّ، وَبَيْنَ هَذِهِ المراتبِ الجَدِّيَّةِ درجَاتٌ.

هَذَا كُلُّهُ حَسَبَ مَنَهْجِ أُمُومِهِ الوَلَايَةِ عَلَى المُحَكَّمَاتِ القَائِمَةِ عَلَى نِظَامِ المراتبِ وَطبقاتِ هِندستِه الطُولِيَّةِ لا العَرْضِيَّةِ، وَهَذَا مَا أَكَّدَتْهُ رَوَايَاتُ أَهْلِ البَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَمِنْ هَذَا اتَّضَحَ وَجْهُ دَلَالَةِ قَاعِدِهِ المِثْلِ عَلَى المعنى الَّذِي ذَهَبْنَا إِلَيْهِ فِي قَاعِدِهِ الجَرِيِّ هُوَ دَلَالَةُ قَاعِدِهِ المِثْلِ عَلَى تَعَدُّدِ طبقاتِ المعنى المُرادِ، وَعَدَمُ حَصْرِهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلِّيٍّ، وَعَدَمُ حَصْرِ طبقاتِ المعنى المُرادِ بِالمصداقِ الكُلِّيِّ، بَلِ المَعَانِي المِتَلَازِمَةُ الَّتِي تَرْتَبُ بِبَعْضِهَا البَعْضَ بِالمِلَازِمَةِ وَالمِلَازِمَاتِ

وأنواعها الكثيره ليست نسبتها إلى بعضها البعض نسبه المصداق إلى الكلى كى يكون نظير الترادف اللغوى أو العقلى الجلى على أحسن التقادير، بل يشمل الترادف العقلى الخفى الوسيع.

ومن خلال هذا تبين التطابق الواضح بين معنى قاعده الجرى التى ذكرناها وقاعده المثل، كما تبين التدافع الواضح بين التزام الأعلام بقاعده المثل كأسلوب من الأساليب المهمه فى القرآن الكريم مع قاعده الجرى والتطبيق مع المعنى الذى التزموا به.

ص: ٤٣١

الوجه السابع: أساليب القرآن الثمانية

برهانيه وليس لمجرد إقناع:

إنَّ أساليب القرآن الثمانية هي أساليب برهانيه وليس لمجرد الإقناع، كما ذهب إلى ذلك جملته من الأعلام ومنهم السيد العلامة الطباطبائي قدس سره.

وبيان ذلك يقع ضمن نقاط:

عموم البرهان لكل العلوم وقوى النفس:

النقطة الأولى: أنَّه قد حَرَزْنَا فِي المباحث العقلية فِي منهج المعارف مِنْ شرح أصول الكافي فِي مبحث العقل والجهل أَنَّ ما اشْتَهَرَ لدى الفلاسفة مِنْ حصر البرهان بالعقل غير تامٍّ، بل البرهان يتأتى بحسب كُلِّ القوى النفسانيه والروحيه، سواء كانت إدراكيه أو عمليه فضلاً عَنْ حصر البرهان العقل النظري الذي بنى عَلَيْهِ ابن سينا وَمَنْ أتى مِنْ بعده إلى يومنا هَذَا، إلَّا القليل مِنْ المتأخرين مِنْ فلاسفة الإماميه، مَعَ أَنَّ القُدماء منهم بنوا عَلَى عموم البرهان إلى كُلِّ مِنَ العقل النظري والعقل

العملی، کَمَا بَيَّنَاهُ فِي كِتَابِ الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ (١).

وَعَلَى ضَوْءِ عَمُومِ الْبُرْهَانِ لِكُلِّ قُوَى النَّفْسِ يَتَبَيَّنُ عَمُومُ الْبُرْهَانِ لِكُلِّ عِلْمٍ وَلُغَةٍ عِلْمِيَّةٍ، كَمَا يَتَبَيَّنُ عَمُومُ الْمُعْجَزَةِ الْإِلَهِيَّةِ إِلَى كُلِّ عِلْمٍ وَفَنٍّ وَمَهَارَةٍ، وَهِيَ بُرْهَانٌ عِيَانِي أَرْقَى مِنَ الْبُرْهَانِ الْعَقْلِيِّ الْفِكْرِيِّ الْحَصُولِيِّ، كَمَا تَنَوَّعَتْ مُعَاجِزُ الْأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ حَيْدٍ وَصَوْبٍ، وَلَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى الْحِكْمَةِ الْعَقْلِيَّةِ.

النَّقْطَةُ الثَّانِيَّةُ: عَلَى ضَوْءِ مَا تَقَدَّمَ فِي النَّقْطَةِ الْأُولَى يَتَبَيَّنُ أَنَّ بَقِيَّةَ الصَّنَاعَاتِ الْخَمْسِ مِنَ الْجَدْلِ وَالْخَطَابَةِ وَالشَّعْرِ وَالْمِغَالِطَةِ، قَابِلَةٌ لِأَنَّهَا يَتَشَكَّلُ مِنْهَا بُرْهَانٌ، وَكَذَلِكَ بَقِيَّةَ أَسَالِيْبِ أَبْوَابِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بُرْهَانِيَّةً، كِبَابِ الْمَوْعِظَةِ، وَبَابِ الْقِصَصِ وَبَابِ السُّنَنِ وَالْأَمْثَالِ وَالْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ، وَالْأَنْبَاءِ بِالْمَلَا حَمِ.

وَبِعِبَارِهِ أُخْرَى: إِنَّ إدْرَاكَ الْحَقِيقَةِ اللَّامْتَنَاهِيَّةِ مُتَسَيِّرٌ وَمُمْكِنٌ عَيْرُ كُلِّ قُوَّةٍ مِنَ قُوَى النَّفْسِ كَمَا مَرَّ، وَبِالتَّالِي عَيْرُ كُلِّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ الْمُرْتَبِطِ بِنَمَطٍ مِنَ قُوَى الْإِنْسَانِ، فَلَا يَخْتَصُّ رُؤْيَهُ الثَّابِتَ السَّرْمَدِي الْأَزْلِي بِقُوَّةِ الْعَقْلِ دُونَ بَقِيَّةِ الْقُوَى، وَكَذَا الْحَالُ فِي رُؤْيِهِ الْكَمَالَاتِ اللَّامْحُدُودَةِ كَالْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ اللَّامْحُدُودَانِ، وَالْأَوْلِيَّةِ وَالْأَخْرُويَّةِ، وَالْجَمَالِ وَالْبِهَاءِ وَالنُّورِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْكَمَالَاتِ اللَّامْتَنَاهِيَّةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَمَعَانٍ وَعِيَانٍ لِلْغَيْبِ الْمَطْلُوقِ.

ص: ٤٣٤

١- (١) كِتَابُ الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ، لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ السَّنْدِ.

والبرهان العياني لكل قوى النفس:

النقطة الثالثة: يتبين من النقطة السابقة أيضاً دفع ما تبناه العرفاء والصوفية من حصر الكشف والشهود بقوة القلب وما فوقها من السر الخفي والأخفي، وأن الكشف والشهود للبرهان العياني فضلاً عما دونه فإِنَّه لا ينحصر بتلك القوى، بل يعم كل قوى النفس.

ويوضح كل ذلك ما في بيان الإمام الصادق عليه السلام، وقد ذكرنا عنده الجدل في الدين، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام قد نهوا عنه، فقال الصادق عليه السلام: «لم ينه عنه مطلقاً، ولكن نهى عن الجدل بغير التي هي أحسن أما تسمعون الله عز وجل يقول: - (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (١) وقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (٢)(٣).

بتقريب: - إن مفاد بيانه عليه السلام هو أن القضية الصادقة الحقة سواء كانت في هيئة الجدل أو الموعظة أو شاكلة قوالب الحكمه هي برهان، وهذا مقتضى قوله تعالى، فجعل علم الصدق والإيمان بالبرهان، وهل يؤتى بالبرهان إلا في الجدل بالتي هي أحسن، ثم فرق عليها السلام بين صناعه الجدل التي هي للتعصب، وبين

ص: ٤٣٥

١- (١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

٢- (٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

٣- (٣) تفسير العسكري: ص ٥٠١، ح ٣٢٢.

صناعه الجدل التي لا يُنكر فيها حقٌّ، وإنْ استعان به الخصم، فحصل خلط لدى الفلاسفه والمناطقه بين الجدل والتي هي أحسن والجدل بالباطل فجعلوها من باب واحدٍ وشاكله واحدٍ، مع وضوح الفوارق في الضوابط بينهما وقد بينه بعده ضوابط، وفوارق في أدناه.

الفوارق بين القسمين:

أولاً: أن تُجادل مُبطلًا بخلاف الجدل البرهاني بأن تجادل مُحققًا.

ثانياً: أن تُبطل الباطل بالباطل، بخلاف الجدال البرهاني وهو إبطال الباطل بالحق.

ثالثاً: إنَّ الجدَل بالباطل يعتمد على الجحود من حيث هو جحود، بينما الجدال البرهاني يعتمد على صدق وحقائيه الحُججه، ومن ثم كسرهما للباطل.

رابعاً: إنَّ الجدل بالباطل يتضمَّن جحد الحقِّ، ولو استعان المُبطل لأعانه به باطله، بخلاف الجدل البرهاني، فإنَّه يُفرِّق ما بين هو حق في كلام المبطل فلا يجحده، وبين ما هو باطل في كلامه فيجحده.

خامساً: إنَّ الجدل بالباطل لا يُفرق بين ما هو حق وباطل لدى الخصم بخلاف الجدل البرهاني فإنَّه يقوم على الفرقه بين ما هو حق، وبين ما هو باطل في مقاله الخصم.

سادساً: إنَّ الجدَل بالباطل يتساوى فيه المحق والمبطل، فإنَّ المبطل

أصل مقالته باطله جَحِيدٌ بِهَا الْحَقُّ أَصْلًا، وَأَمَّا الْمُحَقَّقُ فَهُوَ يَجْحَدُ الْحَقَّ الَّذِي يُغَالِطُ بِهِ الْمُبْطِلُ لِيَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى بَاطِلِهِ، فَتَسَاوَى الْإِثْنَانُ فِي جَحْدِ الْحَقِّ، بِخِلَافِ الْجَدَلِ الْبُرْهَانِيِّ فَإِنَّهُ يَتَجَنَّبُ وَيَتَوَخَّى عَنِ إِبْطَالِ أَىِّ حَقٍّ فِي الْبَيْنِ.

فَهَذِهِ جَمَلَةٌ مِنَ الْفَوَارِقِ وَالضُّوَابِطِ الَّتِي بَيْنَهَا الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ لِلْفَرْقِ بَيْنِ الْجَدَلِ التَّعْصِيبِيِّ - بَعِيرِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ - وَبَيْنِ الْجَدَلِ الْبُرْهَانِيِّ - الْجَدَلِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

النَّقْطَةُ الرَّابِعَةُ: قَدْ تَنَقَّحَ فِي الْجِهَاتِ السَّابِقَةِ مِنْ بَحْثِ الْأَمْثَالِ، التَّرَادُفِ الْعَقْلِيِّ بَيْنِ الْمَثَلِ وَالْآيَةِ، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي مَبَاحِثِ الْمَعْرِفَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَنَّ مِنْهَجَ الْآيَاتِ مِنْهَجٌ بُرْهَانِيٌّ فِي الْمَعْرِفَةِ، وَبِذَلِكَ يَتَبَيَّنُ مِنْ ذَلِكَ فَضْلًا عَمَّا تَقَدَّمَ مِنَ النِّقَاطِ السَّابِقَةِ أَنَّ أَسْلُوبَ الْمَثَلِ لَعْنَةُ بُرْهَانِيَّةٍ لِإِثْبَاتِ الْحَقَائِقِ وَإِقَامَةِ الدَّلَائِلِ عَلَيْهَا.

كَذَلِكَ اسْتِفَادَ السَّيِّدُ الْعَلَامَةُ الطَّبَاطِبَائِيُّ قَدَّسَ سِرَّهُ (١) فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) (٢). إِلَى آخِرِ الْآيَةِ لَا - شَكَّ أَنْهُ يَسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ، الْحُكْمَ وَالْمَوْعِظَةَ وَالْمَجَادَلَةَ مِنْ طَرُقِ التَّكْلِمْ وَالْمُفَاوِضَةِ فَقَدْ أُمِرَ بِالدَّعْوَةِ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأُمُورِ فَهِيَ مِنْ أَنْحَاءِ الدَّعْوَةِ وَطَرَقِهَا وَإِنْ كَانَ الْجِدَالُ لَا يُعَدُّ دَعْوَةً بِمَعْنَاهَا الْأَخْصَى.

ص: ٤٣٧

١- (١) الميزان في تفسير القرآن للسَّيِّدِ الطَّبَاطِبَائِيِّ: ج ١٢، ص ٣٧١ - ص ٣٧٤.

٢- (٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

وَقَدْ فَسَّرَتِ الْحِكْمَةَ - كَمَا فِي الْمَفْرَدَاتِ - بِأَصَالَةِ الْحَقِّ بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ، وَالْمَوْعِظَةَ كَمَا عَنِ الْخَلِيلِ بِأَنَّهُ التَّذْكَيرُ بِالْخَيْرِ فِيمَا يَرِيقُ لَهُ الْقَلْبُ، وَالْجِدَالَ - كَمَا فِي الْمَفْرَدَاتِ - بِالْمُفَاوِضَةِ عَلَى سَبِيلِ الْمُنَازَعَةِ وَالْمُغَالَبَةِ.

والتأمل في هذه المعاني يُعْطَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحِكْمَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - الْحِجَّةَ الَّتِي تَنْتِجُ الْحَقَّ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ وَلَا وَهْنَ وَلَا إِبْهَامَ، وَالْمَوْعِظَةُ هُوَ الْبَيَانُ الَّذِي تَلِينُ بِهِ النَّفْسَ وَيَرِيقُ لَهُ الْقَلْبُ، لِمَا فِيهِ مِنْ صِلَاحِ حَالِ السَّامِعِ مِنَ الْعِبَرِ وَالْعِبْرِ وَجَمِيلِ الثَّنَاءِ وَمَحْمُودِ الْأَثْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فينطبق ما ذكره تَعَالَى مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ وَالْجِدَالَ بِالترتيب على ما اصطَلَحُوا عَلَيْهِ فِي فن الميزان بالبرهان والخطابه والجدل... الخ.

وكذلك ما ذكره السَّيِّدُ الْعَلَّامَةُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ أَلْبَسَ). (١).

النقطة الخامسة: قَدْ نَبَّهَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي آيَاتٍ وَسُورٍ عَدِيدَةٍ وَمَوَاطِنٍ مَعْرِفِيَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ أَنَّ أَسْلُوبَ الْمَثَلِ مِنْهَجٌ مَعْرِفِيٌّ مَتَقَوِّمٌ بِمَوَازِينٍ لِمَنْظُومَةِ الْحَقَائِقِ وَأَنَّ مِنْ أَوْسَعِ أَبْوَابِ طُرُقِ الْمَعْرِفَةِ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي مَنْهَجِ الْمَعْرِفَةِ لِلآيَةِ وَالآيَاتِ الَّذِي أَشَادَ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي كُلِّ السُّورِ كَمَا فِي الْآيَاتِ التَّالِيَةِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ

ص: ٤٣٨

قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) أَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَ أبنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (١).

بتقريب: - أن القرآن الكريم في هذه الآية المباركة استدلل بمثل آدم كبرهان لدحض دعوى النصارى الألوهية في عيسى عليه السلام بذريعه تخلُّقه من غير أب.

(٢) قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) (٨٩) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْفَجِرَ
لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا) (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكُمُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَنْفَجِيرًا) (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتِ
عَلَيْنَا كَيْسًا فَمَا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا) (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكُمُ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّى تُنَزِّلَ
عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) (٢) فصريح الآية أن المثل برهان ودلائل للإيمان أعظم من المعجزات
المادية، بل أعظم من تنزل كتاب مادي يُقرأ من السماء، كقوله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
الإنسان أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) (٥٤) وَ مَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ

ص: ٤٣٩

١- (١) سورة آل عمران: الآية ٥٩-٦١.

٢- (٢) سورة الإسراء: الآية ٨٩-٩٣.

تَأْتِيهِمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥) (١).

والتقريب فيه كما مرَّ، وأطلق على المثل بأنه هُدًى وهدايه.

ومثل قوله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجٍ الزُّجَاجُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) (٢).

بتقريب: - هنا ضرب الله المثل المادى لحقائق غيبية من نشأه النور مما يُبته ويدلل على أن النشأه الماديه فيها قابليه المثل والآيه والطريق للعلم بالغيوب.

(٤) وقوله تعالى: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) (٣٣) (٣).

(٥) وقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) (٣٤) (٤).

بتقريب: - إن الآيه المباركه تُبين أن المُنزل في القرآن ثلاثه أصناف:

(أ) آيات مُبينات. (ب) ومثلاً أى قصص الذين من قبلنا. (ج -) وموعظه.

ص: ٤٤٠

١- (١) سورة الكهف: الآيه ٥٤-٥٥.

٢- (٢) سورة النور: الآيه ٣٥.

٣- (٣) سورة الفرقان: الآيه ٣٣.

٤- (٤) سورة النور: الآيه ٣٤.

وَهِيَ صَرِيحَةٌ فِي عِظَمِ الْمَثَلِ وَأَنَّهُ بِحُذُو نَزُولِ الْآيَاتِ، كَمَا أَنَّ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ تُبَيِّنُ أَنَّ قِصَصَ الْقُرْآنِ كُلَّهَا مَثَلٌ وَعِبْرَةٌ لِمَا وَرَاءَهَا، وَأَنَّ الْمَثَلَ عَلَى حُذُو الْبَيَانِ الْمُبِينِ وَالْآيَاتِ وَالِدَلَالِ الْبُرْهَانِيَّةِ.

(٦) قَوْلُهُ تَعَالَى: (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (٢٨) (١).

بِتَقْرِيْبٍ: - أَنَّ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ الْمَثَلَ طَرِيقٌ لِلتَّعَقُّلِ، كَمَا أَنَّ تَفْصِيلَ الْآيَاتِ وَالتَّفْصِيلَ تَمْيِيزٌ وَتَرْجِمَانٌ لِلْمُجْمَلِ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ النَّفْسَ بَابٌ لِلْمَعَارِفِ أَوْجَدَهُ اللهُ لِلإِنْسَانِ كَمَثَلِ يُضْرَبُ لِتَحَقُّقِ الْمَعْرِفَةِ.

(٧) وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَ نَسِي خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ) (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) (٢).

بِتَقْرِيْبٍ: - إِنَّ دَحْضَ الْقُرْآنِ لِمَثَلِ ذَلِكَ الْمُشْرِكِ هُوَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ أَوْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ خَلْفٍ لَا مِنْ جِهَةِ الْمَثَلِ، بَلْ مِنْ جِهَةِ أَنَّ هَذَا الْمَثَلَ لَيْسَ مَثَلًا لِمَا يَدَّعِيهِ ذَلِكَ الْمُشْرِكِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْإِسْتِدْلَالُ بِالْمَثَلِ بَحْثَ مَعْرِفِي لَمْ يَتَّصِدَّ الْقُرْآنُ لِلْجَوَابِ عَنْهُ.

(٨) قَوْلُهُ تَعَالَى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَ رَجُلًا

ص: ٤٤١

١- (١) سورة الروم: الآية ٢٨.

٢- (٢) سورة يس: الآية ٧٨.

سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩) (١).

بتقريب: - إِنَّ الْآيَةَ فِي صَدَدِ إِقَامَةِ الْبُرْهَانِ عَلَى نَفْيِ الشَّرِيكِ وَإِثْبَاتِ الْوَحْدَانِيَةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ بِوَحْدِهِ نِظَامِ عَالَمِ الْمَخْلُوقَاتِ فَإِنَّ النَّظْمَ يَقْتَضِي الْوَحْدَةَ وَالْوَحْدَةَ تَقْتَضِي وَحْدَةَ الْفَاعِلِ، فَبَيَّنَّ هَذَا الْبُرْهَانَ عَبْرَ هَذَا الْمَثَلِ.

٩) قوله تَعَالَى: (وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (٤٣) (٢).

بتقريب: - إِنَّ أَسْلُوبَ الْمَثَلِ أَسْلُوبٌ لِلتَّعْقُلِ، فَالْأَمْثَالُ تَحْتَاجُ إِلَى تَعْقُلٍ كَمَا يُدْرِكُ الْعِبْرَةَ وَالْغَايَةَ مِنْهَا وَتَعْقُلُهَا يَتَوَقَّفُ عَلَى الْعِلْمِ، وَهَذَا مِمَّا يُبَيِّنُهُ عَلَى أَنَّ الْمَثَلَ وَالْأَمْثَالَ مُتَضَمَّنَةٌ لِعِلْمٍ جَمٍّ وَتَسْتَلْزِمُ قَابِلِيَهُ كَبِيرَهُ فِي قَدْرِهِ التَّعْقُلِ، وَأَنَّهَا تَسْتَدْعِي تَحْلِيلَ وَتَرْكِيْبَ فِيمَا بَيْنَ الْمَعَانِي وَأَنَّهَا لَغَةٌ فِي التَّعْقُلِ وَآثَارُ الْعَقْلِ لِلتَّنْبِهِ إِلَى مَعَانٍ وَقَوَاعِدٍ فِي الدَّلَائِلِ.

١٠) قوله تَعَالَى: (وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٣).

بتقريب: - إِنَّ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ تُبَيِّنُ أَنَّ الْغَايَةَ مِنْ ضَرْبِ الْمَثَلِ هُوَ التَّفَكُّرُ وَتَحْرِيكُ الْفِكْرِ لِأَجْلِ إِدْرَاكِ الْحَقِيقَةِ وَالْحَقَائِقِ، فَتُبَيِّنُ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ أَنَّ الْمَثَلَ بَابٌ وَاسِعٌ مِنْ أَبْوَابِ الْفِكْرِ وَلِغَةِ عَظِيمَةٍ مِنْ لُغَاتِ

ص: ٤٤٢

١- (١) سورة الزمر: الآية ٢٩.

٢- (٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

٣- (٣) سورة الحشر: الآية ٢١.

الفكر، وأنَّ الحقيقه والبرهان والحكمه قَدْ يُسْهَلُ وَيَسْلُسُ إِيصَالهَا بلغته المثل والأمثال أقربُ وأبين مِنْ اللغات العلميه الأخرى لا سيَّما وأنَّ المثل تَنْزَلُ فِيه الحقائق بنحو نازلٍ ملموس يَسْهَلُ تناوله والإمساك بالطريق فيه لكافه درجات وقابليات العقول.

ص: ٤٤٣

الفرق بين ضرب المثل، وجعل المثل، وصرف المثل

ويضرب الأمثال

قد جرى في القرآن إسناد عدّه أفعال إلى المثل.

الأول: الصّرف لُغَةً: بمعنى التغيير والإيجاد، وردّ الشيء عن وجهه (١).

وقد وردت كلمة (صرف) مسنده إلى الضمائر المختلفة في القرآن كما في:

(١) قوله تعالى (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) (٨٩) (٢).

(٢) وقوله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) (٥٤) (٣).

(٣) وقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ) (٤).

(٤) وقوله تعالى: (وَ صَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (٢٧) (٥).

ص: ٤٤٥

١- (١) لسان العرب لابن منظور مادة - صرّف.

٢- (٢) سورة الإسراء: الآية ٨٩.

٣- (٣) سورة الكهف: الآية ٥٤.

٤- (٤) سورة طه: الآية ١١٣.

٥- (٥) سورة الأحقاف: الآية ٢٥.

(٥) وقوله تَعَالَى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَيِّمَعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَيِّرُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) (٤٦) (١).

بتقريب: - إِنَّ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ اسْتُخْدِمَتْ الصَّرْفَ بِمَعْنَى الْمَثَلِ وَالْعِبْرَةَ وَلَا يَخْفَى التَّرَادُفَ الْعَقْلِيَّ بَيْنَهُمَا - الْمَثَلُ وَالْعِبْرَةُ كَمَا تَقَدَّمَ.

(٦) وقوله تَعَالَى: (وَ الْبَلَدِ الطَّيِّبِ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَيِّرُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) (٥٨) (٢).

بتقريب: - إِنَّ الْآيَةَ هُنَا بِمَعْنَى الْمَثَلِ وَالْعِبْرَةَ وَلَا يَخْفَى التَّرَادُفَ الْعَقْلِيَّ بَيْنَهُمَا.

(٧) وقوله تَعَالَى: (وَ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَ لِيُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (١٠٥) (٣).

وَقَدْ رَوَى فِرَاتُ الْكُوفِيِّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا) (٤١) (٤) بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا)» قَالَ

ص: ٤٤٦

١- (١) سورة الأنعام: الآية ٤٦.

٢- (٢) سورة الأعراف: الآية ٥٨.

٣- (٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٥.

٤- (٤) سورة الإسراء: الآية ٤١.

يعنى، ولقد ذكرنا علياً في كُلِّ آيَةٍ فَأَبَوْا وَايَهُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نَفُوراً (١).

وروى فرات الكوفى بسنده عن أبي حمزه الثمالى: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول الله تعالى (وَلَقَدْ صَيَّرْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ) (٢) قَالَ وَيَعْنِي (يعنى) ولقد ذكرنا علياً في كُلِّ الْقُرْآنِ وَهُوَ الذِّكْرُ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نَفُوراً (٣).

وفى الروايه إشاره إلى ما ذكرنا مِنْ أَنَّ المثل تسميه واسم ولقب.

وذكر القمى فى تفسير قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (٢٧) (٤) أَنَّ صَرَّفْنَا الْآيَاتِ أَيْ بَيْنَا الْآيَاتِ.

وفى تفسير الصّافى فى تفسير قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَيَّرْنَا) أَيْ كَرَّرْنَا الدَّلَائِلَ وَفَصَّلْنَا الْعِبَرَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ (ليذكروا) ليتعضوا ويعتبروا وقرئ ليذكروا مِنْ الذِّكْرِ بِمَعْنَى التَّذَكُّرِ (وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نَفُوراً) عَنِ الْحَقِّ (٥).

وهكذا فى تفسير قوله تعالى (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) كَرَّرْنَا بِوَجْهِهِ مُخْتَلَفَةً

ص: ٤٤٧

١- (١) تفسير فرات الكوفى: ج ١، ص ٢٤٠، ح ٥، مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ، ط مؤسسه النعمان.

٢- (٢) المصدر السابق: ص ٢٤١ ح ٦.

٣- (٣) تفسير الصّافى / ملا محسن المعروف الفيض الكاشانى: ج ٣، ص ١٣٤ ذيل آيه ٤١ الإسراء.

٤- (٤) سورة الأحقاف: الآيه ٢٧.

٥- (٥) المصدر السابق تفسير آيه ٨٩، الإسراء: ص ١٥٠.

زياده فى التقرير والبيان (للناس فى هذا القرآن من كمل مثل) يعنى من كمل معنى كالمثل فى غرابته أو وقوعه موقعاً فى الأنفس (فأبى أكثر الناس إلا كفوراً) (١) إلا جحوداً فى الكافى والعياشى عن الباقر عليه السلام: «نزل جبرائيل بهذه الآية هكذا إلا كفوراً» بولايه على عليه السلام إلا كفوراً.

ولا يُبعد إرادته جزي المثل فى المعنى الممثل له فتصريف المثل بمعنى جزيه.

وكذلك استعملت مادّه الصّرف فى القرآن الكريم فى عدّه موارد: -

منها: قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) (٥٠) (٢).

منها: - قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا) (٤١) (٣).

وأما [صَرَب] فكثير ما ترد فى الآيات كما هو فى اللغه بمعنى التمثيل والاعتبار والذكر والوصف والصرف.

أما التمثيل فكقوله تعالى: (صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً) (٤).

ص: ٤٤٨

١- (١) سورة الإسراء: الآية ٨٩.

٢- (٢) سورة الفرقان: الآية ٥٠.

٣- (٣) سورة الكهف: الآية ٥٤.

٤- (٤) سورة إبراهيم: الآية ٢٤.

والاعتبار والذكر فكقوله تَعَالَى: (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا) (١).

وأما الوصف فكقوله تَعَالَى: (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا) (٢).

كذا في الوصف كقوله تَعَالَى: (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاهِ الدُّنْيَا) (٣).

وكذا في الوصف قوله تَعَالَى: (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا) (٤).

وفي بعض الموارد استعملت (ضَرَبَ) مِنْ دُونِ إِسْنَادِهَا صَرِيحًا إِلَى الْمَثَلِ نَظِيرَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَ لَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَلَهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا) (٥).

وأما الصِّرْفَ فكقوله تَعَالَى: (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا) (٦).

الفرق بين ضرب المثل وصرف المثل:

فيشتركان في أصل التمثيل، ويفترقان في أن (صرف المثل) يَكُونُ التَّرْكِيزَ عَلَى الْمُثَلِّ بِهِ وَالْمَجِيءَ بِالْمَثَلِ لِلْعُبُورِ إِلَى الْمُمَثَّلِ بِهِ.

وأما في (ضرب المثل) فيَكُونُ التَّرْكِيزَ عَلَى نَفْسِ الْمَثَلِ وَيَكُونُ

ص: ٤٤٩

١- (١) سورة يس: الآية ١٣.

٢- (٢) سورة الإسراء: الآية ٤٨.

٣- (٣) سورة الكهف: الآية ٤٥.

٤- (٤) سورة يس: الآية ١٣.

٥- (٥) سورة الزخرف: الآية ٥٧-٥٨.

٦- (٦) سورة الزخرف: الآية ٥.

الممثلة به غير مفعول عنه، بل هناك عقده وإبهام في الممثل به يُرفع هذا الإبهام والاعتراض والإشكال بوضوح.

ويُجاب عنه: إنَّ جهة الاشتراك بينهما في الممثل.

وهذا الفرق بينهما يقتضى أمران:

أولاً: يقتضى أنَّ كيفية سبك المثل في ضرب المثل يختلف عن سبك المثل في صرف المثل، وليس ذلك يقتصر على ذلك، بل الافتراق من حيث سبك المعنى أيضاً، فإنَّ في صرف المثل محطَّ النظر إلى الممثل به من دون التقييد بحدود الممثل.

وأما في ضرب الممثل فالتركيز - كما مرَّ - في الممثل وماله من خصوصيه بيانيته فلا يُنطلق فيه إلى كلِّ جهات الممثل له.

ثانياً: وكذا ينبغي في موارد (ضرب المثل) في القرآن والوحي التركيز على المثل كحلَّله الإبهام أو الغموض في الممثل له، وبخلاف ذلك في موارد صرف المثل.

وأما: [جعل المثل] فقد ورد في قوله تعالى: (إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ) (٥٩) (١).

وقوله تعالى: (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ) (٥٦) (٢).

ص: ٤٥٠

١- (١) سورة الزخرف: الآية ٥٩.

٢- (٢) سورة الزخرف: الآية ٥٦.

بتقريب: - الظاهر المراد به - جعل المثل - موارد الجعل التكويني لا- التمثيل في البيان اللفظي وَيَكُونُ حِينئذٍ عَلَيَّ وَزَانُ جَعْلِ
الآيَةِ التكوينية، وباب جعل المثل حِينئذٍ يَكُونُ الخَلْقُ التكوينية لَهُ تَعَالَى وَمَا تَصَرَّمَ مِنْ سَنَنِ الْقَدْرِ وَالْقَضَاءِ الإلهي فِي الأُمَّمِ
السابقة، فيتسع باتساع الجعل التكويني إِذْ يَسَاوِقُ الآيَةَ، إِلاَّ أَنَّ بَيْنَ جَعْلِ الآيَةِ وَجَعْلِ المثل افتراق، وَذَلِكَ: فِي جَعْلِ الآيَةِ: فَإِنَّ
الملحوظ فيها البرهان والدلالة التصديقيه لذي الآيه.

وَأَمَّا فِي جَعْلِ المثل: - فالمطلوب فيه أصل التنبه والتصور.

الوجه التاسع: حقيقه استعمال المثل

في القرآن الكريم والحقائق القرآنيه:

إِنَّ مِنْ البَحْثِ الَّتِي تَجَاذِبُ فِيهَا الاختلاف بين المُفَسِّرِينَ ذَوِي المَشَارِبِ المختلفه مِنْ الأَدْبِيَةِ والكَلَامِيَةِ والفلسفِيَةِ والعرفانيه
وغيرها مِنْ أَنَّ القِصَصَ فِي القُرْآنِ وَالمَثَلِ والإخبارات، هل هِيَ حَقَائِقُ وَقَعَتْ أَوْ حَقَائِقُ سَتَقَعُ، أَمْ أَنَّهَا قِصَصٌ خِيَالِيَةٌ يُرْمَزُ بِهَا إِلَى
حَقَائِقٍ وَرَاءَهَا، لا- أَنَّهَا حَقَائِقُ وَقَعَتْ وَسَتَقَعُ وَانسحب كلامهم إلى ما أنبأ به القُرْآنُ مِنَ الجَنَّةِ والنارِ والصراطِ والبرزخِ، وَكُلِّ
حَقَائِقِ الآخِرَةِ.

ولتنقيح الحال نذكر نقاطاً: -

النقطه الأولى: إِنَّ وجود التشبيه والمثل التشبيهي أسلوب مُتَكَرِّرٌ

وقوعه في القرآن الكريم كقوله تعالى: (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يُضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) (١).

وقوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضْمِلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَ يُضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) (٢).

وقوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا) (٣).

فوجود مثل هذا النمط من التمثيل في القرآن لا يُنكر، والعبرة فيه والمدار على وجه الشبه، فليس الكلام في وقوعه أسلوباً من أساليب القرآن الكريم، وهو أسلوب بلاغيّ معتمد في كل اللغات، إنّما الكلام في بقیة أنواع الأمثال في القرآن وعدم حصرها في هذا النوع كما توهم.

النقطة الثانية: إنّ هناك جملة من الأمثال الحقيقية اتخذها وضربها القرآن مثلاً وهي ما يُبرهن أنّ باب المثل والأمثال بالقرآن لا ينحصر بالنوع السابق من المثل والتمثيل السابق الذي يندرج في التشبيه نظير

ص: ٤٥٢

١- (١) سورة النور: الآية ٣٥.

٢- (٢) سورة إبراهيم: الآية ٢٤-٢٥-٢٦.

٣- (٣) سورة النحل: الآية ٧٥.

قوله تعالى: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ) (٥٧) (١).

وقوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ) (٢).

وقوله تعالى: (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ) (٣).

وقوله تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (١١) وَ مَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ) (٤).

وقوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (٥٩) (٥).

وغيرها من الآيات المبيّنة التي هي موارد أمثله ومثل لأُمور متحقّقه وواقعه، وقصص حقيقيه لكنّ الله أوردّها عبره وعبوراً لما وراءها، فليست هي قصّه مسبوكة من نسيج الفرض والافتراض وأنّه لا

ص: ٤٥٣

١- (١) سورة الزُّخْرَف: الآية ٥٧.

٢- (٢) سورة التحريم: الآية ١٠.

٣- (٣) سورة الروم: الآية ٢٨.

٤- (٤) سورة التحريم: الآية ١١-١٢.

٥- (٥) سورة آل عمران: الآية ٥٩.

حقيقه لها ما وراءها فكون الشيء حقيقه لا ينفى كونه مثلاً يُعبر منه وبه إلى حقيقه أعظم وأهم منه، وهَذَا الخلط الذى وقع فيه كثير من الفلاسفه والعرفاء، أو بعض المفسرين من توهم كون باب المثل والأمثال ليس له حقيقه إلا ما وراءه من العبره، ومن ثم ينبثق باب عظيم فى الأمور والحقائق التكوينية أنها مثل وأمثال لحقائق غيبية ملكوتيه أعظم منها.

ومن ثم ورد تنبيه وبيان فى رواياتهم عليهم السلام بنحو مُستفيض أن ما ذكره الله عزَّ وجلَّ من سيره الأنبياء والمرسلين السابقين أو الأوصياء والمصطفين مثل ضربه الله عزَّ وجلَّ للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وأنهم المعتبون بتلك القصص وأن مريم عليها السلام مثل ضربه الله لفاطمه عليها السلام وأن فاطمه عليها السلام هى مريم الكبرى عليها السلام - كما تقدّم -.

النقطه الثانيه: أن هناك نوع ثالث من الأمثال فى القرآن ليس كالأول - كما فى النقطه الأولى - افتراضى محض من باب التشبيه، كما أنه ليس من النوع الثانى فى الأمثال الحقيقه لحقيقه ما وراءه أعظم، بل هو مثل تقديرى أى ليس افتراضى محض ولا واقع متحقق، بل معنى كلى ممكن التحقق تقديراً، كقوله تعالى (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَائِشاً مَتَّصِياً دُعَاءَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٢١) (١).

ص: ٤٥٤

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ) (٧٣) (١).

الجهه العاشره: ليس كمثل شىء

(٢)

قَدْ يُتَسَاءَلُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ فِي عِدَّةِ زَوَايَا: -

الأولى: هل الكاف زائده أو أصلية.

الثانية: هل الآيه فى صدد نفي المثل بالكسر.

الثالثة: كيف التوفيق بين مفاد الآيه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وقوله تعالى: (وَلَا يُبَيِّنُكَ مِثْلُ خَيْرٍ) (١٤) (٣).

الرابعة: كيف يُقَرَّرُ مفاد الآيه المباركه عَلَى مسلك بَعْضِ اللغويين الَّذِينَ يذهبون إلى وحده مَعْنَى المِثْلِ والمَثَلِ: حَيْثُ قَالَ: (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٤٠) (٤).

وفى البدء نمحّص الحال فى تنقيح الحال بهذه الزوايا بمجموعه نقاط: -

النقطه الأولى: قَدْ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ فِي شرح قوله تَعَالَى: (وَلَا يُبَيِّنُكَ مِثْلُ خَيْرٍ) (١٤) أَيْ وَلَا يَخْبِرُكَ بِالْأَمْرِ مُخْبِرٌ مِثْلُ خَيْرٍ عَالِمٌ بِهِ أَخْبَرَكَ وَهُوَ

ص: ٤٥٥

١- (١) سورة الحج: الآيه ٧٣.

٢- (٢) سورة الشورى: الآيه ١١.

٣- (٣) سورة فاطر: الآيه ١٤.

٤- (٤) سورة النحل: الآيه ٦٠.

الله سُبْحَانَهُ فَإِنَّهُ الْخَبِيرُ بِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ دُونَ سَائِرِ الْمُخْبِرِينَ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (وَلَا يُنْبِئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ (١٤) مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ أَى وَلَا يُخْبِرُكَ بِالْأُمُورِ أَحَدٌ عَلَى حَقَائِقِهَا كَالْعَارِفِ بِهَا الْعَالِمِ بِكُنْهَاتِهَا).

وَقَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ [أَى وَلَا يُنْبِئُكَ يَا مُحَمَّدٌ بِالشَّيْءِ عَلَى حَقِيقَتِهِ مِثْلَ خَيْرِ عَالِمٍ بِمَا أَخْبَرَ وَاللَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِالأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا].

وَقَالَ فِي مَجْمَعِ البَيَانِ: أَى لَا يُخْبِرُكَ بِمَا فِيهِ الصَّلَاحُ وَالفَسَادُ وَالمَنَافِعُ وَالمَضَارُّ مِثْلَ اللهِ سُبْحَانَهُ العَلِيمِ بِالأَشْيَاءِ كُلِّهَا.

وَفِي زُبْدِهِ التَّفَاسِيرِ - فَتَحَ اللهُ الكَاشَانِي: - وَلَا يُخْبِرُكَ بِالأَمْرِ مُخْبِرٌ مِثْلُ خَيْرِ عَالِمٍ بِهِ أَخْبَرَكَ وَهُوَ اللهُ تَعَالَى فَإِنَّهُ هُوَ الْخَبِيرُ بِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ دُونَ سَائِرِ الْمُخْبِرِينَ، وَالمَرَادُ تَحْقِيقُ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ حَالِ آلِهَتِهِمْ وَنَفْسِي مَا يَدْعُونَ لَهُمْ كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَخْبَرْتُمْ مِنْ حَالِ الأَوْتَانِ هُوَ الْحَقُّ لِأَنِّي خَبِيرٌ بِمَا أَخْبَرْتُ بِهِ.

وَقَالَ السَّيِّدُ عَبْدِاللهِ شَبْرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ: - أَى بِمَا يُخْبِرُكَ وَهُوَ اللهُ العَلِيمُ بِالحَقَائِقِ.

وَقَالَ الطَّبَاطِبَائِي فِي المِيزَانِ: - أَى لَا يُخْبِرُكَ عَنِ حَقِيقَةِ الأَمْرِ مُخْبِرٌ مِثْلَ مَخْبِرِ الْخَبِيرِ.

وَقَالَ الطَّبْرِي فِي جَامِعِ البَيَانِ: مِثْلُ ذِي خَبْرِهِ يَأْمُرُهَا وَأَمْرُهُمْ وَذَلِكَ الْخَبِيرُ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ كَانَ أَوْ يَكُونُ... وَاللهُ هُوَ

الخير أنه سيكون هذا منهم يوم القيامة.

وَقَالَ السَّمْعَانِي فِي تَفْسِيرِهِ: وَلَا يُبْنَى بِهَذَا أَحَدٌ مِثْلِي وَالْخَيْرُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَالْمُحْصَلُ مِنْ كَلِمَاتِهِمْ: - أَنْ هَيْذِهِ الْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ (وَلَا يُبْنَى بِهَذَا أَحَدٌ مِثْلِي خَيْرٌ) تَنْفَى الْمِثْلَ أَيْ أَنْ مِثْلَ وَصْفٍ لِلْمَقْدَرِ وَهُوَ أَحَدٌ، أَيْ نَفَى مِمَّا نَلَّهِ غَيْرَ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ لَا - نَفَى الْمِثْلَ مُطْلَقًا، فَنَفَى الْمِثْلِيَّةَ فِي الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ، مِثْلَ - بِالْفَتْحِ - اللَّهُ تَعَالَى وَالْمِثْلُ الْأَعْلَى لَهُ تَعَالَى دُونَ غَيْرِهِ، فَلَا تَكُونُ الصِّفَةُ الْعُلْيَا لِغَيْرِهِ تَعَالَى، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: - لَيْسَ هُنَاكَ مِثْلٌ - بِالْكَسْرِ - لِمِثْلِهِ - بِالْفَتْحِ.

فِي تَحْصُلِ نَفَى الْمِثْلِيَّةِ - بِالْكَسْرِ - عَنْ مِثْلِهِ بِالْفَتْحِ - تَعَالَى فَضْلًا عَنْ مَقَامِ حَرِيمِ ذَاتِهِ.

وَمَنْ فَسَّرَ الْمِثْلَ - بِالْكَسْرِ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (١) فَقَدْ جَعَلَ الْمِثْلَ بِالْكَسْرِ، بِمَعْنَى الْمِثْلِ فَلَا يَشَابُهُ مِثْلَهُ - بِالْفَتْحِ - شَيْءٌ.

رَوَى الْكَلِينِيُّ فِي الْكَافِي فِي مَرْسَلِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ عَنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ... ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَسْمَاءِ دَعَا الْخَلْقَ إِذْ خَلَقَهُمْ وَتَعَيَّدَهُمْ وَابْتَلَاهُمْ إِلَى أَنْ يَدْعُوهُ بِهَا فَسَمِيَ نَفْسَهُ سَمِيعًا بَصِيرًا قَادِرًا قَائِمًا نَاطِقًا ظَاهِرًا بَاطِنًا لَطِيفًا خَبِيرًا قَوِيًّا عَزِيزًا حَكِيمًا حَلِيمًا عَلِيمًا وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِهِ

ص: ٤٥٧

١- (١) سورة الشورى: الآية ١١.

الغالون المكذبون وَقَدْ سَمِعُونَا نَحَدِّثُ عَنْ اللَّهِ أَنَّهُ لَا شَيْءَ مِثْلَهُ، وَلَا شَيْءَ مِنَ الْخَلْقِ فِي حَالِهِ، قَالُوا: أَخْبِرُونَا، إِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَا مِثْلَ اللَّهِ وَلَا شَبَهَ لَهُ كَيْفَ شَارَكْتُمُوهُ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى فَتَسَمَّيْتُمْ بِجَمِيعِهَا؟ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّكُمْ مِثْلُهُ فِي حَالَاتِهِ كُلِّهَا أَوْ فِي بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ، إِذْ جَمَعْتُمْ الْأَسْمَاءَ الطَّيِّبَةَ؟ قِيلَ لَهُمْ: - إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَلْزَمَ الْعِبَادَ أَسْمَاءَ مَنْ أَسْمَاءَهُ عَلَى اخْتِلَافِ الْمَعَانِي، وَذَلِكَ مَا يُجْمَعُ الْأَسْمَاءَ الْوَاحِدَ مَعْنِيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ.

والدليل عَلَى ذَلِكَ قول الناس الجائر عندهم الشائع، وَهُوَ الَّذِي خَاطَبَ اللَّهُ بِهِ الْخَلْقَ فَكَلَّمَهُمْ بِمَا يَعْقِلُونَ لِيَكُونَ عَلَيْهِمْ حُجَّةٌ فِي تَضْيِيعِ مَا ضَيَّعُوا(١).

وَهَذِهِ الرُّوَايَةُ تُرَكِّزُ عَلَى نَفْيِ الْمِثْلِيَّةِ لَهُ تَعَالَى فِي مَقَامِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ فَلَا يَخْتَصُّ نَفْيَ الْمِثْلِيَّةِ عَلَى مَقَامِ الذَّاتِ، كَمَا أُشِيرَ ذَلِكَ فِي بَيِّنَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ أَنَّ الْأَحَدِيَّةَ وَالصَّمَدِيَّةَ وَنَفْيَ الْكُفْرِ وَنَفْيَ الشَّرِيكَ الْمَذْكُورِ فِي سُورَةِ التَّوْحِيدِ لَا يَخْتَصُّ بِمَقَامِ الذَّاتِ، بَلْ هَذِهِ الصِّفَاتُ لَهُ تَعَالَى فِي مَقَامِ الْفِعْلِ أَيْضًا.

وَعَلَى ضَوْءِ ذَلِكَ فَكَمَا أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى لَهُ تَعَالَى خَاصَّةً بِهِ فَكَذَلِكَ الْمِثْلُ الْأَعْلَى لَهُ تَعَالَى مُخْتَصَّ بِهِ.

النقطة الثانية: هُنَاكَ عِدَّةُ امْتِمَالَاتٍ فِي الْكَافِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) .

ص: ٤٥٨

١- (١) الكافي للكليني: ج ١، ص ١٧١ ب ٣٩، مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ بَابِ آخِرٍ وَهُوَ الْبَابُ الْأَوَّلُ الْمَذْكُورُ فِيهِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ وَاسْتِقَاقِهَا، الْحَدِيثُ ٢.

الأول: أنها زائده.

الثاني: إنها أصلية وأنها حرف جرّ.

الثالث: أنها اسم بمعنى المثل.

النقطة الثالثة: الفرق بين قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (١) وبين الرواية «لا مثل له» فإنّ الأول ليس كمثل شىء - ينفى التطابق بين المثلية والشىء بينما الثانى - لا - مثل له - ينفى وجود المثل نفسه، فإذا أُضيفت الكاف يتسع النفى ولا - يقتصر على نفى التطابق بين الشىء والمثل، بل يتسع إلى نفى المقارنه فى الشبه بين الشىء والمثل، ونفى مُطلق المقاربه، ومُطلق الشبه شاملٌ للأوصاف الفعلية.

النقطة الرابعة: قد مرّت الإشارة، أنّ سورة التوحيد يمكن أن تُقرّر على صعيد الصفات الذاتية، وقد تُقرّر على صعيد الصفات الفعلية، فكما يُنفى عنه تعالى الشريك والكفو فى الذات يُنفى عنه الشريك والكفو فى مقام الفعل أيضاً، فلا مثل له فى مقام فعله، ومن ثمّ حصرت الأسماء الحسنى بحصر إضافتها إليه تعالى كما فى قوله تعالى (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (٢) وقوله تعالى (قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (٨٧) قُلْ مَنْ يَدِينَهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٨٨)

ص: ٤٥٩

١- (١) سورة الشورى: الآية ١١.

٢- (٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلٌّ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩) (١).

وقوله تَعَالَى: (قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (٢) وقوله تَعَالَى (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) (٣).

وَمِنْ ثَمَّ إِذَا فَسَّرَ الْمَثَلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى بِالصَّفْهِ وَأُرِيدَ نَفْيَ التَّشَابُهِ فِي مَقَامِ الْفِعْلِ وَصِفَاتِهِ كَانَ الْمُنْفَى التَّطَابُقَ وَالتَّشَابُهَ مَعَ الْمُمَثَّلِ لَهُ، وَالتَّشَابُهَ فِي الشَّرِيكِ، أَوِ النَّدِّ، أَوِ الْكِفْوِ، أَوِ الْمَجَانَسِ فَإِنَّهُ مِنْفَى عَنْهُ تَعَالَى سِوَاءَ فِي مَقَامِ الصِّفَاتِ الدَّائِمَةِ أَوِ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ.

ص: ٤٤٠

١- (١) سورة المؤمنون: الآيه ٨٤-٨٩.

٢- (٢) سورة الأنعام: الآيه ١٢.

٣- (٣) سورة آل عمران: الآيه ١٥٤.

(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) (١)

والتساؤل الذي يُطرح هو: - لماذا اختصت هذه الآيه المباركه بنعت الجنة بالمثل، بينما في الآيات الأخرى لم تنعت الجنة بالمثل، يَلَّ نعتها بتحقيق هذه الأمور لا أنها مثل، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ فِي الآيه الكريمة أنها في صدد بيان أن هذه الأوصاف للجنة ليست على نحو الحقيقه، يَلَّ إشاره إلى ما هو أعظم مِنْ ذَلِكَ مدعوماً بقوله تعالى: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) (٢) فِي قِبال مَنْ فَسَّرَ المَثَلُ بالصَّفه.

وتنقيح هذه الجهة يَتَمُّ عبر نقاط:

النقطه الأولى: ولا يخفى أن تمحيص البحث في هذه الجهة قد تَقَدَّمَ شطر منه في الجهة التاسعه - استعمال المثل في القرآن الكريم والحقائق القرآنيه -.

ص: ٤٤١

١- (١) سورة مُحَمَّد: الآيه ١٥.

٢- (٢) سورة السجده: الآيه ١٧.

النقطة الثانيه: إِنَّ الجنان والحقائق الغيبية ذات مراتب كما هو الحال في النار والنيان لا سيما وأنّ العوالم الأخرويه ليست عالماً واحداً فهناك عالم البرزخ وعالم الرجعه ثمّ عالم القيامة وهو عالم أطول عمراً وأقوى شدّة ممّا سبقه بأضعاف مضاعفه، وقد قامت الدلائل والبراهين العديده على جسمانيته هذا العالم فضلاً عن الرجعه، والبرزخ، بل وكذلك الحال في عالم الجنه والنار، وهو ما بعد عالم القيامة، وإنّ اختلفت الأجسام في درجات المواد لطافه وغلظه.

النقطة الثالثه: إِنَّ هناك جمله من الآيات في وصف الجنه أو الجنان ما يعزّز كون تلك الأوصاف حقيقه (و بشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات أنّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمّره رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل و أتوا به متشابهاً و لهم فيها أزواج مطهره و هم فيها خالدون) (٢٥) (١) (مثل الجنه التي و عمد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم و ظلها تلك عقبى الذين اتقوا و عقبى الكافرين النار) (٣٥) (٢).

بتقريب: - أنّ كلّ ما ذكر في هذه الآيه المباركه، والآيه السابقه من أنهار من عسل و خمر و أشجار و فواكه و أثمار وغيرها هو مثل للجنه، أو أنّ الجنه فيها هذا الذي ذكر، و يقطع النظر عن الخلاف واللغظ الذي

ص: ٤٤٢

١- (١) سورة البقره: الآيه ٢٥.

٢- (٢) سورة الرعد: الآيه ٣٥.

حَصَلَ بَيْنَ مَنْ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْجَنَّةَ هِيَ جَنَّةُ جَسْمَانِيَّةِ، وَهُوَ مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ جَمْهُورُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَبَيْنَ مَذْهَبِ جَمَلِهِ مِنْ
الْفَلَّاسِفَةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا هَذَا الضَّرُورِي، وَهُوَ أَنَّ الْجَنَّةَ جَسْمَانِيَّةِ، وَإِنَّمَا ادَّعَوْا كَوْنَ الْجَنَّةِ جَنَّةَ عَقْلِيَّةِ أَوْ رُوحِيَّةِ وَمَعْنَوِيَّةِ وَهِيَ لَيْسَتْ
جَنَّةَ جَسْمَانِيَّةِ، وَأَنَّ مَا ذُكِرَ فِي الْآيَاتِينَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ وَصْفٍ لِلْجَنَّةِ وَأَنَّ فِيهَا سُرُورٌ مُتَقَابِلِينَ مُتَكَيِّفِينَ عَلَيْهَا، وَفِيهَا الْحُورُ الْعِينُ وَكُوعَابُ
أُتْرَابًا وَكَأْسًا دِهَاقًا وَغَيْرَهَا، هَذِهِ كُلُّهَا مِثْلٌ لِلْجَنَّةِ وَلَيْسَ هِيَ الْحَقِيقَةُ، حَسَبَ دَعْوَى هَؤُلَاءِ الْفَلَّاسِفَةِ، وَكِلْتَا الْآيَاتِينَ مِنْ قِسْمِ الْمُحْكَمِ
وَلَا تَتَنَافَى مَعَ سَائِرِ الْمُحْكَمَاتِ.

قَاعِدَةُ الْمَثَلِ وَنَظَرِيَّةُ الْمَعَادِ:

إِنَّ الْقَائِلِينَ بِالْمَعَادِ الْجَسْمَانِيِّ لَا يَنْكُرُونَ ضَرُورَةَ وَجُودِ الْمَعَادِ الرُّوحَانِيِّ الْمَعْنَوِيِّ، فَكَمَا أَنَّ هُنَاكَ جِزَاءً وَعِقَابًا جَسْمَانِيًّا،
كَذَلِكَ هُنَاكَ جِزَاءً وَعِقَابًا رُوحِيًّا وَمَعْنَوِيًّا، عَلِمًا أَنَّ هَذِهِ الْمَعْنَى بَيْنَ الْمَعَادِ الْجَسْمَانِيِّ وَالرُّوحِيِّ لَيْسَتْ مَعْنَى عَرْضِيَّةِ، أَوْ مَعْنَى
ظَرْفِيَّةِ بِمَعْنَى هَيْمَنَةٍ، وَإِنَّمَا الْمَعَادِ الْجَسْمَانِيُّ مَعَادٌ رُوحَانِيٌّ.

هَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الصَّدُوقُ فِي كِتَابِهِ الْإِعْتِقَادَاتِ وَأَنَّ الْجِزَاءَ فِي الْآخِرَةِ لَا يَنْحَصِرُ بِالْمَعَادِ وَالْجِزَاءِ الْجَسْمَانِيِّ، وَإِنَّمَا هُنَاكَ جِزَاءً
مَعْنَوِيًّا طَبَقًا لِمَا جَاءَ فِي الْآيَاتِ وَالرُّوَايَاتِ، وَأَنَّ هُنَاكَ تَنْعَمُ بِبَحْرِ الْحَمْدِ الْإِلَهِيِّ، وَبِحَرِّ التَّسْبِيحِ وَبِحَرِّ التَّهْلِيلِ وَغَيْرِهَا.

وإن كان الشيخ المفيد رحمه الله أشكل على الشيخ الصدوق رحمه الله وأن ما ذهب إليه الصدوق هو من أقاويل النصارى وينبغي طرح هذه الروايات إلا أن مع تحقیقات المتأخرين تبين الحق مع الشيخ الصدوق؛ لأن المعاد الجسماني لا يتناقض ولا يتدافع مع المعاد الروحاني المعنوي، وتدل عليه روايات عديده في بحث المعاد.

منها: ما رواه أبو بصير، قال: قال أبو جعفر عليه السلام ينكر أهل العراق الرجعه؟ قلت: نعم قال: «أما يقرؤون القرآن (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) (١) وَعَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نَابَتَةَ: أَنَّ ابْنَ الْكُوَا سَأَلَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ الرَّجْعَةِ، فَأَجَابَهُ الْإِمَامُ بِأَنَّهَا حَقٌّ وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهَا بِآيَاتٍ مِنْهَا... حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) وقوله تعالى أيضاً في عزير حيث أخبر الله عزَّ وجلَّ فقال: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ) وأخذه بذلك الذنب (مأه عام ثم بعثه) وردّه إلى الدنيا ثم قال فلا تشكَّن يا بن الكوا في قدره الله عزَّ وجلَّ (٢).

وعن عبدالرحمن القصير عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قرأ هذه الآية (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) فقال هل تدري من يعنى؟ فقلت يقاتل المؤمنون فيقتلون ويقتلون، فقال: لا، ولكن من قتل

ص: ٤٤٤

١- (١) سورة النمل: الآية ٨٣.

٢- (٢) تفسير البرهان: للفتنوني، المقدمه: ٥٦٨ ح ١.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَدًّا حَتَّى يَمُوتَ وَمَنْ مَاتَ رَدًّا حَتَّى يَقْتُلَ تِلْكَ الْقَدْرَةَ فَلَا تَنْكُرْهَا» (١).

الوجه الثاني عشر: إنَّ قصص الأنبياء والمرسلين

والمصطفين مثل لآل مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

هُنَاكَ نُكْتَةٌ أَكَّدَ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي آيَاتِهِ وَسُورِهِ وَبَيْنَهَا أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَذَلِكَ وَهِيَ أَنَّ كُلَّ الْقِصَصِ الْإِلَهِيِّ الَّتِي ذَكَرَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِلْحَجَجِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فِي الْأُمَّةِ السَّابِقَةِ هِيَ مِثْلُ ضَرْبِهِ اللهُ لآلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ، إِلَّا أَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ غَفَلُوا عَنْهَا، وَأَنَّهُ لَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْ ذِكْرِ تِلْكَ الْقِصَصِ الْمَذْكُورِينَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ الْمَاضِي وَالَّذِي تَصَرَّمَ - كَمَا يَفْهَمُهُ الْكَثِيرُ - إِلَّا أَنَّ هَذَا مَعْنَى خَاطِئٍ فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كِتَابٌ إِلَهِيٌّ لَيْسَ فَقَطُّ لِلزَّمَانِ الْمَاضِي، بَلْ وَهُوَ الصَّحِيحُ لِلزَّمَانِ الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ، فَإِنَّ الْبَابَ الْوَاحِدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَسَبَ بَيِّنَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَفْتَحُ مِنْهُ أَلْفَ بَابٍ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِيهِ عِبُورٌ لِلزَّمَانِ التَّالِيهِ مِنَ الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ وَلَا يَقْتَصِرُ فِيهِ عَلَى الزَّمَانِ الْمَاضِي، كَمَا فِي الْمَوَارِدِ التَّالِيَةِ:

أَوَّلًا: قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (٢) فَإِنَّ

ص: ٤٦٥

١- (١) المصدر السابق: ح ٣.

٢- (٢) سورة يوسف: الآية ١١١.

الآية المباركة فيها تصريح بأن قصص الأنبياء والمرسلين والصفوه التي ذكرها في القرآن يُراد بها معنى وغايه وراءها ولا يقتصر المراد على الوقوف على شؤونهم وشخصهم رغم تأكيد القرآن بلزوم الإيمان بجميع الرسل وعدم التفرقة بينهم، إلا أنه رغم ذلك يُطالبنا القرآن الكريم بالتركيز والاهتمام بما ورائهم بما هو أهم منهم وهذا نظير توصيه القرآن وتعليمه وتأكيدَه على التفضيل بين الرسل في قوله تعالى (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) (١) وقوله تعالى: (وَ لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ) (٢) ففي حين يُؤكد القرآن الكريم على عدم التفرقة بين الرسل في أصل النهج والدين وفي نفس الوقت يُؤكد على مراعاة التفضيل والتفاضل، وإعطاء الأهميه والأولويه للأفضل، وأنه غايه أعلى، كذلك مفاد هذه الآية من سورة يوسف تُبين أن الغايه مما استعرضه القرآن الكريم من قصص الأنبياء غايه أهم وهدف أسمى فذكرها عبور يُعبر منه إلى الغايه الأصلية.

وعليه فهذه قاعده قرآنيه عظيمه - أي العبور من الماضي إلى الحاضر والمستقبل في البعض - تُؤسس لكون الغايه الأصلية من استعراض وسرد القرآن لشؤون الأنبياء والمرسلين والأوصياء وأئمة الدين في القرآن الكريم لها مغزى وهدف وراء ذلك، أي أن هذه

ص: ٤٦٦

١- (١) سورة البقره: الآية ٢٥٣.

٢- (٢) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

الشؤون والأُمور هي حالات وشؤون ومقامات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِالطَّهَارَةِ، فَلَا يَقِفُ الْمُفَسِّرُ وَالْبَاحِثُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَلَا غَيْرَهُمَا مِنْ بَحَاثِ الْعُلُومِ الدِّينِيَةِ عَلَى النَّوعِ عَلَى قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ بِنَحْوِ مَوْضُوعِي وَذَاتِي أَصَالِهِ لَشُخُوصِهِمْ، بَلْ لَا يُدْرِكُ أَنْ يَتَجَاوَزَ النَّظْرَ وَيُعْتَبِرَ مِنْهُ كَطَرِيقٍ لِمَعْرِفَةِ شُؤْنِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَسْتَعْرِضِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كُلَّ صَغِيرِهِ وَكَبِيرِهِ فِي شُؤْنِ وَحْيِهِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُصْطَفِينَ، بَلْ تَعَرَّضَ إِلَى مَا هُوَ قَمَّةٌ فِي حَيَاتِهِمْ وَسِيرَتِهِمْ مِمَّا تُعْبَدُ الطَّرِيقُ لِفَهْمِ أَحْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالَّتِي هِيَ أَعْظَمُ شَأْنًا مِمَّا حَصَلَ لِبَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ، كَمَا تَبَيَّنَ الْقُرْآنَ عَلَى تَعْظِيمِ شَأْنِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، أَوْ عَلَى بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَمِنْ ثَمَّ أَكَّدَ الْبَارِي تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمَعْرِفِيَّةِ: - بَأَنَّ مَنْ يَتَّخِذُ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ عِبْرَةً لِمَوْجِئِ الْحَالِ الرَّاهِنِ لِلْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَيْ لَوْجُودِ ثَلَاثَةِ بِهَذِهِ الْمَوَاصِفَاتِ هُمْ أَوْلُو الْأَلْبَابِ أَيْ الَّذِينَ يَتَعَقَّلُونَ وَيُدْرِكُونَ وَيُنَالُونَ الْمَعْنَى وَالْمُرَادَ الْجَدِّيَّ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، دُونَ مَنْ يَقِفُ وَيَجْمُدُ عَلَى ظَاهِرِ صُورِهِ الْقِصَصِ، ثُمَّ أَكَّدَ الْقُرْآنَ عَلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ بَأَنَّ هَذِهِ الشُّؤْنَ وَالْأَحْوَالَ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ وَأَهْلِ الصَّفْوَةِ لَيْسَتْ مِنْ مَصْنَعِ الْخِيَالِ وَتَوَلِيدِ الْمُخَيَّلَةِ أَوْ اصْطِنَاعِ اللِّسَانِ وَالْقَرِيحَةِ التَّخَيُّلِيَّةِ أَوْ الشَّعْرِيَّةِ، بَلْ هُوَ تَصْدِيقٌ لِمَا ذَكَرْتَهُ الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ السَّابِقَةُ - الَّتِي تَعَرَّضَتْ إِلَى تِلْكَ الشُّؤْنَ وَالْأَحْوَالَ فِي الْأَنْبِيَاءِ.

ثم يذكر القرآن حقيقه عظيمه في قصص الأنبياء بأن فيها جواب لكل سؤال وتساؤل لمعرفة كل شيء مما يهم شؤون الدنيا ومسيرتهم ومسارهم وذلك بقوله (و تفصيل كل شيء) (١) أي في قصصهم تفصيل كل شيء، وأن في قصصهم هدايه عن كل ضلال ورحمه عن الوقوع في الغضب والسخط الإلهي، وهذا تأصيل قرآني أن كل ما تحتاجه أمه الإسلام والمسلمين مما اختلفت به وتنازعت فيه من الخلافه والإمامه في الدين.

فإن جوابه وصوابه وسداده قد ذكره القرآن الكريم في شؤون قصص الأنبياء، وهذا أمر بالغ الخطوره في أهميه قصص الأنبياء المُستعرضه في القرآن الكريم، فإنه تعهد من القرآن الكريم بوجود جواب أي اختلاف يقع في إمامه الدين والخلافه، لا سيما وأن الشأن الأول والأهم في شؤون الأنبياء والأوصياء هو الإمامه في الدين والدنيا وحجيتهم وهدايتهم للبشر، ومن ثم استدلال أهل البيت عليهم السلام بحجج على إمامتهم وشؤونهم في الدين ومناصبهم بما ورد من قصص للأنبياء والأوصياء وأهل الصفوه في القرآن الكريم.

ثانياً: قوله تعالى: (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) (٢).

ص: ٤٤٨

١- (١) سورة يوسف: الآية ١١١.

٢- (٢) سورة يوسف: الآية ٧.

بتقريب: - تُؤكِّد هَيْدِه الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ الْعَمُومِ الْمُتَقَدِّمِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ وَتُصَيِّرُحَ بِأَنَّ كُلَّ مَا ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ مِنْ قِصَّةِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقِصَّةِ أَخُوته هُوَ آيَةٌ وَدَلَالَةٌ لِلْعُبُورِ مِنْهَا إِلَى مَا وَرَاءَ وَهُوَ ذِي الْآيَةِ، وَأَنَّ الْغَرَضَ مِنْ ذِكْرِ الْقُرْآنِ لِلنَّبِيِّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ هُوَ يَوْسُفَ بَيْلُ هُنَاكَ يَوْسُفَ أَعْظَمَ وَهُوَ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا- سَيِّمًا الْمَهْدَى عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ، إِنَّ التَّعْمِيمَ الْمَذْكُورَ فِي السَّائِلِينَ دَالٌّ عَلَى عَمُومِ السُّؤَالِ، أَيَّ عَمُومِ الْجَوَابِ لِكُلِّ سُّؤَالٍ يُطْرَحُ أَوْ يُذَكَّرُ حَوْلَ حُجْجِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّ الْعِبَرَ الْمَوْجُودَةَ فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَيَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى دَلَالِهِ وَاحِدَةً أَوْ دَلَالَتَيْنِ، بَلْ دَلَالَاتٌ كَثِيرَةٌ، عَلَى مَخْتَلَفِ شُؤُونِ الْحُجْجِ الْإِلَهِيَّةِ، وَقَدْ احْتَجَّ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي مَجْمَلِ شُؤُونِهِمْ وَمَوَاقِفِهِمْ وَسِيَرَتِهِمُ بِمَا سَيَّرَهُ الْقُرْآنُ مِنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ.

ثالثاً: قوله تعالى (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) (٣٤) (١).

بتقريب: - إِنَّ هَيْدِه الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ دَالَّةٌ بِعَمُومِهَا عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ مِنْ قِصَصِ الْأَمْمِ السَّابِقَةِ سِوَاءِ سَائِرِ النَّاسِ أَوْ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ هُوَ مَثَلٌ وَعِبْرَةٌ يُعْبَرُ وَيُتَجَاوَزُ مِنْهُ إِلَى مَا هُوَ غَايَةٌ وَأَهَمُّ مِنْهُ.

وَهَذِهِ تَوْسِعُهُ وَتَعْمِيمُهُ لِلْقَاعِدَةِ لِكُلِّ مَا قِصَّةُ الْقُرْآنِ مِنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ.

ص: ٤٦٩

رابعاً: إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ ذَكَرَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ صِفَاتٍ تَفُوقُ الصِّفَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا لِبَقِيَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ أَوْلَى الْعِزْمِ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمْ، كَمَا سَنَسْتَعْرِضُ نَمَازِجَ مِنْ ذَلِكَ، وَمُقْتَضَى هَذَا التَّفْضِيلِ الْقُرْآنِيِّ لَهُمْ هُوَ أَنَّ مَا يَذْكُرُهُ مِنْ مَنَاقِبٍ وَفَضَائِلٍ وَشُؤُونَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْصِيَاءِ وَأَهْلِ الصَّفْوَةِ ثَابِتٌ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِمُقْتَضَى قَاعِدِهِ الْأَفْضَلِيَةِ الَّتِي أَنْبَأَ وَأَخْبَرَ عَنْهَا الْقُرْآنُ.

نماذج التفضيل القرآني لأهل البيت عليهم السلام

على بقية أنبياء أولى العزم عليهم السلام:

نذكر بعض نماذج تفضيل القرآن الكريم لأهل البيت عليهم السلام على بقية أنبياء أولى العزم، كما يلي: -

(١) وصف القرآن - أنه مُهِيمٌ عَلَى الْكُتُبِ السَّمَاوِيَةِ، وَأَنَّ عِلْمَ الْقُرْآنِ بَعْدَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ وَرَّثَهُ اللَّهُ الْمُطَهَّرُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (٧٩) (١).

بتقريب: - إِنَّ هَذَا يَقْتَضِي هَيْمَنَةَ عِلْمِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى عِلْمِ بَقِيَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْعِلْمَ اللَّدْنِيَّ وَالْعِلْمَ الْوَحْيَانِيَّ مِنْ أَكْمَلِ الْفَضَائِلِ بَلْ أُمَّهَا.

ص: ٤٧٠

(٢) وَمِنْهَا وَصَفَ الْقُرْآنَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهَذَا وَصْفٌ لَمْ يَنْحَلْهُ الْقُرْآنَ لِبَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ أَوْلَى الْعِزْمِ.

(٣) وَمِنْهَا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَشْرَكَ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِتَبَعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي جُمْلِهِ مِنَ الْمَقَامَاتِ وَلَمْ يُشَارِكْ مَعَهُ بَقِيَّةَ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي آيَةِ التَّطْهِيرِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَ ضَمَّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ وَالتَّسْعَةَ الْمُعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ وَلَمْ يَضْمِ إِلَيْهِ بَقِيَّةَ الْأَنْبِيَاءِ.

وَكذَلِكَ فِي آيَةِ الْوَلَايَةِ (إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) (١).

وَآيَةِ الطَّاعَةِ (وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (٢) وَآيَةِ الْفِيءِ (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَثُلُثُ لِلَّهِ خُمُسُهُ وَ لِلرَّسُولِ) (٣) وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَقَامَاتِ وَالْمَنَاصِبِ الَّتِي أُسْنَدَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقُرْبَاهِ.

(٤) وَمِنْهَا آيَةُ الْمَوَدَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (٤).

بِتَقْرِيْبٍ: - إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ أَيْضًا غَايَةَ عَدْلِ الدِّينِ مَوَدَّةَ الْقُرْبَى، وَالدِّينَ يُغَايِرُ الشَّرِيعَةَ، فَإِنَّ الدِّينَ قَدْ بُعِثَ بِهِ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَوَدَّةَ الْقُرْبَى تَتَضَمَّنُ مَوَدَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا أَنَّ مَوَدَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَتَضَمَّنُ مَوَدَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

ص: ٤٧١

١- (١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

٢- (٢) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

٣- (٣) سورة الأنفال: الآية ٤١.

٤- (٤) سورة الشورى: الآية ٢٣.

وَلَمْ يُجْعَلْ مَوَدَّةَ بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ كغايه عظمى، وَإِنْ كَانَتْ مَوَدَّةَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَهْلِ الصَّفْوَةِ فَرِيضَهُ هَامَّةً فِي الْقُرْآنِ وَالِدِّينَ، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُجْعَلْ لدرجة الغايه القصوى.

خامساً: قوله تعالى (وَأُتْرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) (٦) (١).

بتقريب: - إِنَّ الْمَقْصُودَ الْأَهْمَ لِلْقُرْآنِ وَالغَايَةَ الْعُظْمَى هُوَ: - مَنْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ؟ وَمَنْ جُنُودَهُمَا؟ وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ فَقَطْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ اللَّذَانِ مَضِيًّا.

وهكذا قوله تعالى: (وَأُتْرِيْدُ أَنْ نَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) (٥) (٢).

بتقريب: - إِنَّ هَذَا الْخَطَابَ الْقُرْآنِي لَيْسَ مُوجَّهًا فَقَطْ إِلَى النَّبِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ هُوَ الْعَبُورُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ.

وهكذا مخاطبه القرآن لبني إسرائيل (لَتَنفُسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَتَغْلُنَّ غُلُومًا كَبِيرًا) (٣).

بتقريب: - إِنَّ الْفَسَادَ وَالْعُلُوَّ لَيْسَ مُخْتَصًّا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَطْ، وَإِنَّمَا

ص: ٤٧٢

١- (١) سورة القصص: الآية ٦.

٢- (٢) سورة القصص: الآية ٥.

٣- (٣) سورة الإسراء: الآية ٤.

هُوَ عبورٌ فِي هَذَا الخطابِ إِلَى الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ مِنْ أَنَّها تَفْسُدُ فِي الأَرْضِ مرْتينِ وَلتَعْلُونَ علَواً كَبيراً بِقتْلِ الحَسينِ عَلَيْهِ السَّلَام.

وهكذا ما يرتبط بقصه مريم في سور عديده، فَإِنَّهُ حسب بيانات أهل البيت عليهم السَّلام هُوَ مَثَلٌ ضربه القرآن لمريم الكبرى وَهِيَ فاطمه الزهراء عليها السَّلام ليتعرَّفَ الناسَ عَلَيَّ وظائفِ اعتقادِيَّةِ ومعرفِيَّةِ أَكثَرَ تَجاهَ فاطمه الزهراء عليها السَّلام، فمريم عليه السَّلام قَدْ تكونَ لها موضوعِيَّةِ فِي القِصَّةِ والمَثَلِ، ولكن لا- يعني ذَلِكُ الوقوفِ عِندها، وَذا القرنينِ مَثَلٌ ضربه الله لعلِّي عليه السَّلَام وهلم جراً.

ولذا عِنْدَما شِئِلَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السَّلام ما هُوَ مثلكم فِي القرآن؟ قَالَ مَثَلُ طالوتِ وَذا القرنينِ وصاحبِ سليمان وغيره، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مَثَلَ مريمِ وَذا القرنينِ وطالوتِ وصاحبِ سليمان وغيره، فَإِنَّ الغرضَ مِنْ استعراضِ القرآنِ لهؤلاءِ لَيْسَ الغايه ذواتهم وأشخاصهم، وَإِنَّمَا الغايه العبورِ والرمزيَّةِ لغيرهم.

ولذا ما وَرَدَ مِنْ طرقِ الطرفين - خاصه طرق العامه - قولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لفاطمه عليها السَّلام «أَنْتِ مريمُ الكبرى» وَلَمْ يقلَ لغيرها مِنْ النساءِ كزوجاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وغيرهنَّ: إِنَّمَا هِيَ مريمُ الصغرى وَأَنْتِ فاطمه مريمُ الكبرى، فَلَيْسَ المرادُ مِنْ مريمِ الاسمِ وَإِنَّمَا النعتِ والصِّفَّةِ.

وهكذا قصه آدم عليه السَّلَام مَثَلٌ، وقصه إبراهيم عليه السَّلَام مَثَلٌ، قَدْ تكونَ لَهُ موضوعيه ولكنَّهُ أيضاً مَثَلٌ.

وهكذا نوح عليه السّلام وطول عمره مثل، وموسى عليه السّلام مثل وعيسى مثل، وهذا ما يُسمّى بترامى الأمثال، وهذا ما يُدَلّل على أنّ منظومه ونظام الأمثال في القرآن الكريم والقصص هي ذات ترامى وحلقات تتلو وراء بعضها البعض.

وهذا نظير ما في عالم الأسماء والآيات - كما مرّ - فكما أنّ المثل يتطابق مع الآية والتجلى، وكذلك يتطابق مع الاسم وأنّ الاسم من السّمه والعلامه على المسمّى ويشير إليه، وأنّ الحرف يشير إلى ما وراءه، والكلمه تشير إلى ما وراءها كذلك المثل يُضرب ليشير إلى مغزى وراءه، كذلك في الأسماء وأنّها على طبقات.

الأمثال على طبقات كذلك الأسماء:

هناك روايات مُستفيضه - والظاهر أنّها حتّى من طرق العامه - عن أهل البيت عليهم السّلام «أول ما خلق الله أربعة أسماء الله تبارك وتعالى واسم خفي مستأثر...».

وتُسمّى هذه الأسماء الأربعة بالأركان الأربعة، ثمّ اشتقّ الله عزّ وجلّ من هذه الأسماء الأربع طبقه أُخرى من الأسماء في طبقه الثانيه - كما هو في الروايات ثمّ اشتقّ من أسماء طبقه الثانيه أسماء طبقه الثالثه، ويشقّ من أسماء طبقه الثالثه أسماء طبقه الرابعه وهكذا، مثل اشتقاق اسم الرزاق، أو الحيّ أو المُحيى أو المميت أو الودود وغيرها فهذه أسماء أشبه ما تكون بالشذره النوريه في البدايه لها أغصان وأفرع أربعه، ثمّ

تتشعب الفروع أكثر فأكثر، وَمَعْنَى اشتقاق الأسماء وتفرعها هُوَ أَنَّ هَذِهِ الأسماء علامه عَلَى طبقه أسماء قبلها، وَالتِي قبلها علامه عَلَى طبقه أسماء قبلها وهلم جرا، ولذا فمثل اسم الرزاق لَيْسَ اسماً مُبَاشِرَه للذات المقدسه وبلا واسطه، بَلْ هُوَ اسم لاسم الاسم وَهُوَ اسم الله.

حالات الأسماء:

تنبيه: مما تَقَدَّمَ يظهر إِنَّ الاسم لَهُ أكثر مِنْ حاله: -

الحاله الأولى: طبقات الأسماء العرضيه، فتارة: - يُكون الاسم علامه ظهور للمسمى، ثُمَّ أَنَّ هَذَا المُسَمَّى تاره مُسَمَّى واحدٌ وَكَلَهُ أسماء عديده، وَأُخْرَى المُسَمَّى لَهُ اسم ولاسمه اسمٌ، ولاسم الاسم اسم وَهَذِهِ كُلُّهَا أسماء فِي عَرَضٍ واحدٍ لمسمى واحد.

الحاله الثانيه: إِنَّ طبقات الأسماء طوليه لا عرضيه.

حقيقه الاسم الإلهي:

والاسم الإلهي فِي حقيقته لَيْسَ هُوَ الصوت الذي يتلفظ به، بَلْ حقيقه الاسم هُوَ الشئ التكويني الدالّ عَلَى ما وراءه، فمثلاً نور الشمس اسم لها وكاشف عَنْ وجود الشمس بكشف حقيقى تكوينى، وَلَيْسَ كَشْفًا اعتبارياً، فالنور اسم للشمس بِهَذَا المعنى.

أمّا مثل الحراره مِنْ النور فَهِيَ اسم لَهُ أَى علامه دالّه، والنور

علامه عَلَى وجود الشمس والاحتراق للحراره و... الخ وحينئذ فنور الشمس اسم لاسم الاسم، وهكذا الجفاف معناه: - أَنْ أشعه الشمس شديده، فالجفاف سببه الحراره، والحراره سببها نور أشعه الشمس، وأشعه الشمس سببها كُلُّ مُسبب اسم للسبب، فالاسم علامه وكاشف، وهكذا تترامى المُسببات يعنى تترامى الأسباب وَكُلَّهَا أسماء تكوينيه وليست اعتباريه فرضيه وافتراضيه جعليه مُخْتَلَفَه يَلُ أسباب ومُسببات تكوينيه وحقيقته، فالحراره ليست كاشفه مُبَاشَرَه عَن النار، يَلُ الحراره كاشفه عَن النور، والنور كاشف عَن الشمس، وهكذا الجفاف لَيْسَ كاشفاً مُبَاشِراً عَن أشعه الشمس، بَلْ كاشف عَن الكاشف والكاشف كاشف عَن كاشف، وهكذا، فالجفاف اسم للحراره والحراره اسم لنور أشعه الشمس، ونور أشعه الشمس اسم للشمس وهكذا، فَالنَّارُ تُسَمَّى مُحْرَقَه أو مُجَفَّفَه إِلَّا أَنَّهَا بِالذَّقه مُجَفَّفَه بالواسطه وَهِيَ الحراره والشمس، أو الحَرُّ هُوَ النور والمنير هُوَ الشمس.

وَمِنْ هَذَا صار الشمس لها عِدَّة أسماء وطبقات: - المنيره، والحاره، والمُحْرَقَه، والمجففه، وَهَذِهِ كُلُّهَا أسماء فى سلسله مراتب طوليه لا عَرَضِيَه.

الغرض من مبحث الأسماء:

والخلاصه: لَيْسَ غرضنا بسط الكلام والخوض فى عالم نظام الأسماء، وَإِنَّمَا يَأْتِي التَعَرُّضُ لَهُ حَسَبَ موضعه، المُنَاسِبِ، علماً أَنَّ بحث الأسماء

مِنَ المباحث المعرفية العقائدية المشكله والصعبه، وَإِنَّمَا الغرض مِن التَعَرُّضِ لبحث الأسماء هُوَ لأجل بيان أَنَّهُ يجب التدقيق فِي أَن للاسم طبقات، وَلَيْسَ عَلَى طبقه واحده، وَأَنَّ تلكَ الطَّبَقَاتِ لَيْسَتْ عَرْضِيَّةً فَقَطْ وَإِنَّمَا مِنْهَا مَا هُوَ مُتَرْتَّبٌ طَوِيلًا.

وَتَبَيَّنَ أَنَّ المُتْرَامِيَّ وَالمُتْلَاحِقَ اسم للاسم، وَلَيْسَ أَسْمًا لِلْمَسْمَى مباشرةً، وَإِنَّمَا هُوَ بالواسطه، وَهَذَا الاسم لَهُ أسماء، وَهَذِهِ الأسماء اسم للمسمى فتكون عَلَى طبقات.

كَذَلِكَ الآيات مثل المرآه فِي عالم البصريّات والحدسيّات الَّتِي تعكس صوره شخص واقف أمام مرآه، فَإِنَّ المرآه الثَّانِيه سوف تعكس صوره الرجل الواقف أمام المرآه الأولى بالواسطه، وهكذا لو فُرِضَ وجود مرآه ثالته غَيْرَ مَوْجَّهه لا للمرآه الأولى ولا لشخص، وَإِنَّمَا مَوْجَّهه إِلَى المرآه الثَّانِيه بشكل هندسي مُعَيَّن، فَإِنَّ المرآه الثالته ستعكس صورهُ أُخْرَى، أَي صورهُ الصوره لعين الحقيقه، هكذا ينعكس هَذَا الترامي والتلاحق والتعاقب، ويمتدّ إِلَى ما شاء الله مِنْ الصور إِلَى الورا، ولكن كيفيه هَذِهِ الصوره سوف تضعف كثيراً، وَأشير إِلَى ذَلِكَ فِي روايه عَنِ الإمام الرضا عليه السّلام: «... خلق الله المرآه وأودع فِيها أسراراً».

بتقريب: - إِنَّكَ تستطيع أَن تفهم كثيراً مِنَ الأسرار الغيبية الصعبه والمعقده مِنْ خلال المرآه: (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَ لَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ

جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١).

بتقريب: - فإذا لم يتحمّل أحدُ نور المرآه الألف فكيف يتحمّل النور الشديد الصادر من المرآه الثانيه أو الثالثه أو الرابعه أو الخامسه أو... الخ نظير الألواح العاكسه للأشعه، كالأشعه الليزرية الحمراء أو الصفراء أو الخضراء أو السرطانيه أو... الخ التي لا يستطيع الإنسان أن يقف أمام مصدر هذه الأشعه.

وهذه وغيرها مجرد أمثله حسيه حتى تقرب لنا الفكره مثل المرايا والنور وغيرها، فإنها تنعكس ثم تنعكس ثم تنعكس، ثم ينعكس مثلاً، لانعكاس الخمسين ويتخفف ثم يتخفف إلى أن يصل مرحله قدره وقابليه تحمّل طاقه بدنه.

ولذلك الوارد في الروايات: «إن الذي تجلّى لموسى عليه السلام ليس تجلّى الله تعالى مباشرة بل تجلّى آيه، ومن آيه إلى آيه... الخ (قال يا موسى إنني اصطفيتك على الناس برسالاتي و بكلامي فخذ ما آتيتك و كن من الشاكرين (١٤٤) (٢)».

إذن فهو بالدقه تعدد آيات وليس المرآه مباشرة والتجلّى مباشرة وإنما هو انعكاس صورته وتجلّى آيه الآيه، كذلك الحال بالنسبه إلى

ص: ٤٧٨

١- (١) سورة الأعراف: الآيه ١٤٣.

٢- (٢) سورة الأعراف: الآيه ١٤٤.

الأمثال هُوَ عَلَى طبقات.

وَهَذَا جَوَابٌ لِمَا تَقَدَّمَ الِاسْتِيفْسَارَ عَنْهُ وَأَنَّهُ لِمَاذَا قِيلَ فِي الْأَسْمَاءِ (لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) وَفِي الْمَثَلِ (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) فَإِنَّ الْمَثَلِ عَلَى دَرَجَاتٍ وَطَبَقَاتٍ.

وَأَمَّا الرِّوَايَاتُ الَّتِي أُكِّدْتُ عَلَى أَنَّ قِصَصَ الْقُرْآنِ هِيَ ظَهَرُ بَطْنِهِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

فَلَمَّا رَوَاهُ الْكَلِينِيُّ (١) بِسَنَدِهِ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢) وَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ الْيَمَنِ مِنَ الرُّهْبَانِ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّاهِبَ النَّصْرَانِيَّ قَصَّته لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْبَحْثِ عَنْ رَجُلٍ فِي الْهِنْدِ إِذَا شَاءَ حَجَّ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فِي يَوْمٍ وَلَيْلِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَنْزِلِهِ فِي أَرْضِ الْهِنْدِ فَقَصَّده وَالتَّقَى بِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: أُخْبِرْتِ أَنَّ عِنْدَكَ أَسْمَاءً مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَبْلُغُ بِهِ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلِهِ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَتَرْجِعُ إِلَى بَيْتِكَ، فَقَالَ لِي وَهَلْ تَعْرِفُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ؟ قُلْتُ لَا أَعْرِفُ إِلَّا بَيْتَ الْمُقَدَّسِ الْعِزِيِّ بِالشَّامِ؟ قَالَ لَيْسَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، وَلَكِنَّهُ الْبَيْتَ الْمُقَدَّسِ، وَهُوَ بَيْتُ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقُلْتُ لَهُ: أَمَّا مَا سَمِعْتَهُ بِهِ إِلَى يَوْمِي هَذَا فَهُوَ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ، فَقَالَ لِي تِلْكَ مُحَارِبِ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهَا خَطِيرَةُ الْمُحَارِبِ حَتَّى جَاءَتِ الْفِتْرَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَرَبَ الْبَلَاءُ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ، وَحَلَّتِ النِّقْمَاتُ مِنْ دُورِ

ص: ٤٧٩

١- (١) الكافي: ج ١، ص ٥٥٥ كتاب الحج: ب ١٧٧، مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ح ٥.

٢- (٢) أي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

الشياطين فحوّلوا وبدّلوا ونقلوا تلك الأسماء وهو قول الله تبارك وتعالى - البطن لآل مُحَمَّد والظهُر مثْل - (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) (١).

والشَّاهد هُوَ البطن لآل مُحَمَّد والظهر مثْل. وتشير هَذِهِ الرُّوايه إِلَى أَنَّ القِصص الوارده فِي الأنبياء ظَهَرَه فِي الأنبياء وبطنه تأويله الذى هُوَ لُتْبُه ولُبَابُه آل مُحَمَّد - صلوات الله عليهم أجمعين -.

كَذَلِكَ تشير الرُّوايه إِلَى أَنَّ أعظم تقديس لبيتِ الله عِنْدَ الله هُم آل مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَهُمْ أَحَقُّ الْأَصْفِيَاءِ بِالتَّقْدِيسِ، وَأَنَّ مَا وَرَدَ مِنْ تَقْدِيسٍ وَتَعْظِيمٍ لِبَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا هُوَ بِتَبْعِهِمْ، وَهَذَا بَعِينَهُ وَرَدَ فِي رِوَايَاتِ الْفَرِيقَيْنِ فِي ذِيْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) (٢) روى الفريقتان عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّ مِنْ أَفْضَلِ تِلْكَ الْبُيُوتِ الَّتِي تُقَدَّسُ وَتُعْظَمُ هُوَ بَيْتِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ، وَهَذَا الْوَجْهَ بَعِينَهُ تَقَدَّمَ فِي تَفْضِيلِ الْقُرْآنِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ مُقْتَضَاهُ أَنَّ مَا وَرَدَ فِيهِ مِنْ شُؤْنِ الْأَنْبِيَاءِ هُوَ آيَةٌ لِشُؤْنِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَمِنْهَا مَا وَرَدَ فِي ذِيْلِ سُورَةِ التَّحْرِيمِ (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ) (٣) عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ قَالَ: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَ اللَّهُ لِرَقِيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

ص: ٤٨٠

١- (١) سورة النجم: الآية ٢٣.

٢- (٢) سورة النور: الآية ٣٦.

٣- (٣) سورة التحريم: الآية ١١.

الَّتِي تَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ (١).

وَمِنْهَا... عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: - (وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا) مَثَلًا ضَرَبَ اللَّهُ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامَ وَقَالَ: «إِنَّ فَاطِمَةَ أَحْصَنْتْ فَرْجَهَا فَحَرَّمَ اللَّهُ ذُرِّيَّتَهَا عَلَيَّ النَّارَ» (٢).

فَإِنَّ رَوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَشَارَتْ إِلَى رَوَايَاتٍ فِي بَابِ الْمَعَارِفِ وَأَنَّ كُلَّ مَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْأَوْصِيَاءِ وَالْحُجَجِ وَمَا لَهُمْ مِنْ مَقَامَاتٍ وَمَنَاصِبٍ وَشُؤُونَ إِلَهِيَّةٍ، مِنْ غَايَاتِهِ الْمُهَمِّمَةِ كَوْنَهُ مَثَلًا ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَقَامَاتِ وَشُؤُونَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ بَابٌ يَنْفَتِحُ مِنْهُ أَبْوَابٌ عَدِيدَةٌ (٣).

صله وطيدته بين حقيقته الإمامه والولاية

وحقيقته القرآن وعلاقتها بقاعده الأمثال:

سُبِّحَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَبْحَثِ قَوَاعِدِ نِظَامِ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ أَنَّ هُنَاكَ صِلَةً وَطِيدَةً بَيْنَ حَقِيقَةِ الْقُرْآنِ وَحَقِيقَةِ الْإِمَامَةِ، وَأَحَدِ تَفْسِيرِ حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ، أَوْ أَحَدِ الْقَرَأَاتِ الَّتِي نَسْتِطِيعُ أَنْ نَبَيِّنَهَا فِي حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ هُوَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْقُرْآنِ لَهَا صِلَةٌ وَطِيدَةٌ بِحَقِيقَةِ الْإِمَامَةِ، وَأَنَّهُمَا لِنِ

ص: ٤٨١

١- (١) تأويل الآيات عنه تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني، المجلد ٨، ص ٦٢، ح ٤.

٢- (٢) البرهان في تفسير القرآن: ج ٤، ص ٣٥٨.

٣- (٣) مَنْ أَرَادَ الْمَزِيدَ فَلْيَرِجَعْ كِتَابَ مَقَامَاتِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ لِلشَّيْخِ السَّنَدِ حَفِظَهُ اللَّهُ.

يفترقا، وَهُوَ الأَثْنَيْنِيهِ فِي الصُّورهِ الظَّاهِرهِ، وَإِلَّا ففِي أَعْمَاقِ المَلَكُوتِ والحَقِيقَةِ هُمَا - القُرْآنُ والإِمَامَةُ - حَقِيقَةُ واحِدَةٍ، وَلِذَا فَإِنَّ صِفَاتِهِمَا وشؤونَهُمَا واحِدَةٌ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ هَذَا المَبْحَثَ مِنَ المَبَاحِثِ المُهِمَّةِ والمُرتَبَطِةِ بِالوَلَايَةِ، وَكَيْفَ يَكُونُ مَدَارَ التَّفْسِيرِ لِلوَلَايَةِ عَلَيَّ مُحْكَمَاتِ القُرْآنِ، وَلِذَا وَرَدَ عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ السِّيَلامُ فِي مَقَامِ بَيَانِ جُلِّ فِضَائِلِهِمْ وَمَقَامَاتِهِمْ إِذَا أَرَادَ الإِنْسَانُ التَّعَرُّفَ عَلَيَّهَا هِيَ فِي القُرْآنِ: «وَلَوْ أَنَّ شِيعَتَنَا أَوْ المُؤْمِنِينَ عَرَفُوا فَضْلَنَا مِنَ القُرْآنِ لَمَا ارْتَابُوا قَطُّ.

وروايه يرويه البرقي في محاسنه عن مُحَمَّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السِّيَلام في حديث قال: هَذَا الأَمْرُ - أَيُّ نَورِ الإِمَامَةِ - يَجْرِي كَمَا يَجْرِي اللَّيْلُ والنَّهَارُ، قَالَ فَإِنَّتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَالَ هَذَا الأَمْرُ يَجْرِي كَمَا يَجْرِي حَدُّ الزَّانِي والسَّارِقِ... قَلتُ فَإِنَّتُ جَعَلتُ فِدَاكَ، قَالَ القُرْآنُ نَزَلَ فِي أَقْوَامٍ وَهِيَ تَجْرِي فِي النَّاسِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ (1) بِتَقْرِيْبٍ: - أَنَّ هَذَا الأَمْرَ قَضِيهِ عَامَّةً وَليستِ خَاصِّيهِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الجَرِيِّ الَّتِي تَقَدَّمتُ فِي القَاعِدَةِ الخَامِسَةِ بِاسْمِ الجَرِيِّ وَالتَّطْبِيقِ.

وَأَمَّا بَيَانُ الصَّلَةِ بَيْنَ حَقِيقَةِ الإِمَامَةِ وَحَقِيقَةِ القُرْآنِ مَعَ مَبْحَثِ الأَمْثَالِ هُوَ أَنَّهُ مِثْلُما الأَمْثَالُ هِيَ تَأْوِيلٌ وَعَبُورٌ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى آخَرَ، كَذَلِكَ فِي الإِمَامَةِ وَأَنَّهَا تَسْرِي وَتَجْرِي فِي الأئِمَّةِ الاثْنَيْ عَشَرَ وَأَنَّ حَقِيقَتَهَا كَمَنْصِبٍ وَمَقَامٍ وَحِبْلِ مَلَكُوتِي مُتَّصِلٌ بَيْنَ فَرْدٍ بَشَرِي قَدْ اصْطَفَى مِنْ

ص: ٤٨٢

قبل الله عَزَّ وَجَلَّ وبين سماء عرش الرحمن.

وفى مصحح الفضيل بن يسار قَالَ سألتُ أبا جعفر عليه السَّلام عَنْ هَذِهِ الرَّوَايَةِ: «مَا مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٍ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ؛ ظَهْرُهُ تَنْزِيلُهُ، وَبَطْنُهُ تَأْوِيلُهُ مِنْهُ مَا قَدْ مَضَى وَمِنْهُ لَمْ يَكُنْ يَجْرِي كَمَا يَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، كَمَا جَاءَ تَأْوِيلُ شَيْءٍ مِنْهُ يَكُونُ عَلَى الْأَمْوَاتِ كَمَا يَكُونُ عَلَى الْأَحْيَاءِ». قَالَ اللهُ تَعَالَى: (وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) نَحْنُ نَعْلَمُهُ(١).

بتقريب: - إنَّ (ما) نافيه وحصر مطلق واستيعاب، وَهَذِهِ ضَابِطُهُ مِنْهَجِيهِ تَفْسِيرِيهِ لَا- يُمْكِنُ تَجَاوُزُهَا لِأَنَّهَا تَعْتَبَرُ مُعَادِلَهُ وَمَوَازِنَهُ عَظِيمَهُ فِي بِنَاءِ هِنْدِسَةِ الدِّينِ وَهَذِهِ الضَّابِطَةُ هِيَ: - أَنْ لِكُلِّ آيَةٍ ظَاهِرٌ بَلٌّ وَظَهْرٌ، وَبَاطِنٌ بَلٌّ وَبَطْنٌ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْآيَةِ الْوَاحِدَةِ مَنْصَبُهُ سَطْحٌ وَاحِدٌ تَعْبُرُ مِنْهَا إِلَى بَطْنٍ خَفِيٍّ، يَلُّ هُنَاكَ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ بِهَاتِيْعِبْدِ اللهِ وَدَيْنُ يُدِينُ بِهِ الْعَبْدَ رَبِّهِ، وَلَا يُمْكِنُ تَجَاوُزُهُ وَتَرْكُهُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَعَلَيْهِ فَيُمْكِنُ الْعُبُورُ مِنَ الظَّاهِرِ إِلَى الْبَاطِنِ مَعَ عَدَمِ التَّخَلِّيِ عَنِ الظَّاهِرِ، وَلَكِنْ هَذَا الظَّاهِرُ مَرْتَبَتُهُ سَطْحٌ، وَالْبَاطِنُ وَالْخَفَاءُ مَرْتَبَتُهُ أَعْمَقُ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الدِّينَ وَالْآيَةَ لَهَا سَطْحٌ الظَّاهِرُ فَقَطُّ فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّ الدِّينَ أَيْضًا فِيهِ (وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) أَوْ لَيْسَ التَّأْوِيلُ مِنَ الدِّينِ، كَذَلِكَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الدِّينَ هُوَ الْبَاطِنُ فَقَطُّ فَقَدْ كَفَرَ.

وكذلك نستفيد من الرواية «ما من آية في القرآن إلَّا ولها ظهرٌ

ص: ٤٨٣

١- (١) بصائر الدرجات: ص ٧/٢١٦، عَنْهُ بحار الأنوار: ج ٢٧ ب ١٣ من أبواب صفات القاضي: ح ٤٩، ص ١٩٦.

وِبَطْنٌ...» أَنَّ التَّأْوِيلَ عَلَى طَبَقَاتٍ وَأَقْسَامٍ: - تَأْوِيلٌ مَرَّةً، وَتَأْوِيلٌ يَأْتِي (وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) وَ هَذِهِ الرِّوَايَةُ وَغَيْرَهَا تُفَسِّرُ الْآيَةَ بِأَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ الْقُرْآنَ وَأَنَّ الْوَاوِ فِي الْآيَةِ (... وَ الرَّاسِخُونَ) هِيَ عَاطِفَةٌ وَ لَيْسَتْ اسْتِثْنَاءِيَّةً، بَلْ حَتَّى الْقُرْآنُ يُبَيِّنُ فِي مَوَارِدٍ أُخْرَى أَنَّ هَذِهِ الْوَاوِ عَاطِفَةٌ لَا اسْتِثْنَاءِيَّةَ فِيهَا.

أَحَادِيهِ الْبُعْدِ وَالْقَوْلِ فِي النَّظَرِ

سَبَبُ انْحِرَافِ بَعْضِ الْفِرْقِ الْمَحْسُوبَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ:

وَلِذَا كَانَ سَبَبُ انْحِرَافِ بَعْضِ الْفِرْقِ الضَّالَّةِ عَنْ جَادَةِ الدِّينِ الْمُسْتَقِيمَةِ هُوَ لِسَبَبِ أَحَادِيهِ الْبُعْدِ وَالْقَوْلِ كَمَا هِيَ نَظَرُهُ الْوَهَابِيَّةُ وَالسَّلَفِيَّةُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى الدِّينِ مِنْ بُعْدِ الظَّاهِرِ فَقَطُّ، وَكَأَنَّهَا الدِّينَ فَقَطُّ هُوَ تَنْزِيلٌ وَتَفْسِيرٌ ظَاهِرٌ مِنْ دُونِ التَّأْوِيلِ وَالْخَفَاءِ وَالْبَاطِنِ، وَهَذَا كَفَرٌ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْهُ - وَهَذَا مَا صَيَّرَ حَتَّ بِهِ رِوَايَةَ الْبَصَائِرِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَيْسَى عَنْ آدَمَ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ هِشَامَ بْنِ الْهَيْثَمِ التَّمِيمِيِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا هَيْثَمُ إِنَّ قَوْمًا آمَنُوا بِالظَّاهِرِ وَكَفَرُوا بِالْبَاطِنِ فَلَمْ يَنْفَعِهِمْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَجَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِهِمْ فَأَمَنُوا بِالْبَاطِنِ وَكَفَرُوا بِالظَّاهِرِ فَلَمْ يَنْفَعِهِمْ ذَلِكَ شَيْئًا وَلَا إِيمَانٌ بِظَاهِرٍ إِلَّا بِبَاطِنٍ وَلَا بِبَاطِنٍ إِلَّا بِظَاهِرٍ» (١).

وَلِذَا أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - يَتْرَكُونَ مَعَالِمَ وَشَعَائِرَ شَرِيعَتِهِ

ص: ٤٨٤

الدِّينِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَغَيْرِهَا بِسَبَبِ أَحَادِيهِ الْبُعْدِ وَالْقَوْلِ.

وَمِنْ خِلَالِ هَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ قَاعِدَهُ الْأَمْثَالَ قَاعِدَهُ قُرْآنِيهِ فِي كُلِّ الْآيَاتِ حَسَبِ الرِّوَايَاتِ الْمُسْتَفِيضَةِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُ نَمَازِجِهَا مِنْهَا، وَلَا يَتَعَارَضُ هَذَا مَعَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي ذَكَرْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَلَى أَقْسَامٍ مِنْهُ أَمْثَالٌ وَمِنْهُ قَصَصٌ وَحِكْمٌ وَمَعَارِفٌ وَعَقَائِدٌ وَغَيْرِهَا فَإِنَّ هَذِهِ وَغَيْرَهَا أَقْسَامٌ مَوْجُودَةٌ وَلَا تُنْفَى، وَلَكِنْ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ أَنَّ الْمُرَادَ الْأَصْلِيَّ هُوَ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى أَقْسَامٍ بِلِحَازِ الطَّبَقَاتِ، وَعَدَمِ إِدْرَاكِهَا لِبَعْضِ طَبَقَاتِهِ وَأَقْسَامِهِ لَا- يَعْنِي إِنَّا نَنْفِيهَا، فَمَثَلًا يَدْعَى الْبَعْضُ أَنَّ مِثْلَ مَقَامٍ وَمَرْتَبَةٍ أَمِ الْكِتَابِ، أَوْ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ، أَوْ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَوْ الْكِتَابِ الْمَسْطُورِ وَغَيْرِهَا لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْآنِ.

فَإِنَّ مَسْأَلَهُ (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (٧٩) وَلَا يَنَالُهُ بَشَرٌ لَا يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْبَشَرَ عَاجِزٌ عَنِ كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا تَكُونُ عَدَمُ مَعْرِفَةِ الشَّيْءِ مُبَرَّرًا لِانْكَارِهِ، وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَتْ نَظَرُهُ الْمُفَسِّرِ لآيَاتِ وَسُورِ الْقُرْآنِ تَحْتَانِيهِ وَتُسَيِّلُ الْأَضْوَاءَ فَقَطُّ عَلَى التَّنْزِيلِ، وَالَّتِي قَدْ لَا يَنْجُو أَحَدٌ مِنْهَا، حَتَّى الَّذِينَ اسْتَفَادُوا عَنَوَانَ مَنْهَجِيَّتِهِمْ مِنْ بَيِّنَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَيْضًا مَبْتَلُونَ بِهَذَا النَّقْدِ وَاقِعًا يَعْنِي الْإِحَاطَةَ بِهِ أَوْ مَرَاعَاتِهِ مِنْ قَبْلِ الْمَعْصُومِينَ بِشَكْلِ سَدِيدٍ تَامٍ، وَلِذَا يَتَرَجَّلُ الْكُلُّ وَيَتَلَكَّأُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَلِذَا أَكَّدَتْ بَيِّنَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى أَنَّ مَجْمُوعَ الْقُرْآنِ هُوَ تَنْزِيلٌ وَتَأْوِيلٌ وَلِلظَّهْرِ وَاللَّبْطَنِ، وَلَا- يَنْحَصِرُ بِأَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ، كَمَا قَدْ

بات أمراً واضحاً في أذهان كثير من المُفسِّرين والباحثين من حَصَرَ القُرْآنَ بالتنزيل، والحال أَنَّهُ في منطق أهل البيت عليهم السَّلام أَنَّ التنزيل هُوَ درجه من القُرْآن وبعضه، وَلَيْسَ كُلُّ القُرْآنِ، ولا- يفهم أَنَّهُ عِنْدَمَا يُقَالُ بَعْضُ القُرْآنِ أَنَّ هُنَاكَ مصحف آخر وتنزيل آخر، وَإِنَّمَا المقصود من الأبعاض أَى وجود أبعاض أُخْرَى للقُرْآن بمعنى درجات غيبية، وَأَنَّ كلاً من التنزيل والتأويل هُوَ من الوحي وكلاهما عَلَى حَدِّ واحدٍ في العظمة والقدسيَّة وكلاهما قرآن.

والسبب في ذكر هَذَا البيان هُوَ لأجل أَنَّ البعض حصر حقيقة القُرْآن الكريم كُلَّهُ بالتنزيل، والحال أَنَّ القُرْآن يُنادى أَنَّ بعضه تنزيل (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) وبعضه الآخر تأويل، (... وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) علماً أَنَّ هَذِهِ الروايات موجوده في المصادر التفسيرية لكلا- الطرفين عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، ولكن أَنَّى وكيف ومَتَى يفهمونها؟! مِنْ دون الاستعانه بالثقل الثَّانِي أَى أهل البيت عليهم السَّلام.

وهكذا تعامل الأئمة عليهم السَّلام ومنهم الإمام الصادق عليه السَّلام مَعَ الصحيفه السَّجَّادِيَّة زبور آل مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنَّهَا كتابٌ قدسى، لا كتاب عادي من تعبير بشر، وَإِنَّمَا كتاب قدسى ظهره تنزيله، وبطنه تأويله مِنْهُ ما قَدْ مضى، وَمِنْهُ ما لَمْ يكن يجرى كَمَا يجرى الشمس والقمر، كَمَا جاء تأويل شىء مِنْهُ يَكُونُ عَلَى الأَمْواتِ كَمَا يَكُونُ عَلَى الأَحْيَاءِ، وما يعلم تأويله إِلَّا اللهُ والراسخون في العلم، نَحْنُ نَعْلَمُهُ.

هَذَا كُلُّهُ بِحَسَبِ مَنْهَجِ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ بِخِلَافِ بَاقِي الْمَنَاهِجِ التَّفْسِيرِيَةِ كَمَنْهَجِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ، أَوِ التَّفْسِيرِ الْمَوْضُوعِيِّ أَوِ التَّجْزِئِيِّ أَوْ غَيْرِهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَرَسُمُونَ خَارِطَهُ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِيهَا طَبَقَاتٌ وَدَرَجَاتٌ وَمَهْمٌ وَأَهْمٌ، عَلِمًا أَنَّ نَفْسَ هَذِهِ الرُّوَايَةِ تَقُولُ «إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ» فَالطَّبَقَاتُ وَالْمَرَاتِبُ الْقُرْآنُ لَيْسَتْ عَلَى دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَيْسَتْ فِي عَرْضِ وَاحِدٍ.

هَذَا مُضَافًا إِلَى ضَرُورَةِ التَّفَاتِ الْمُفَسِّرِ الْكَرِيمِ وَالْبَاحِثِ الْفِطْنِ إِلَى أَنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَسُورَهُ لَهَا مَرَاتِبٌ وَطَبَقَاتٌ، عِلَاوَةً عَلَى تَعَدُّدِ مَعَانِيهِ وَمَدَالِيلِهِ وَمَصَادِقِهِ وَغَيْرِهَا، فَالتَّعَدُّدُ وَالْمَاوِرَاءُ لِكُلِّ مَنْ طَبَقَهُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَهَذَا مَا تَمَيَّزَ بِهِ مَنْهَجُ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ عَنْ بَاقِي الْمَنَاهِجِ التَّفْسِيرِيَةِ الْآخَرَى.

الأمثال على طبقات:

تَنْبِيهِ: إِنَّ الْأَمْثَالَ فِيهَا طَبَقِيهِ لَا طَبَقَهُ وَدَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ظَاهِرُهُ كُلُّهُ مِثْلٌ وَأَمْثَالٌ، وَهَذَا مَتَّبِعٌ لِلْمُفَسِّرِ الْكَرِيمِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ مَنْهَجِيَّتَهُ فِي فَهْمِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَيْسَ أَرْضًا مَسْطُوحَةً فَقَطُّ، وَإِنَّمَا مَنْهَجِيَّةُ الْقُرْآنِ كَمَا بَيْنَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هِيَ حَبْلٌ مَمْدُودٌ طَرَفٌ مِنْهُ عُلُوٌّ عِنْدَ اللَّهِ، وَطَرَفٌ نَازِلٌ عِنْدَ النَّاسِ، وَعَلَيْهِ إِذَا بَنَى الْمُفَسِّرُ مَنْهَجِيَّتَهُ التَّفْسِيرِيَةَ عَلَى ضَوْءِ وَوَفْقِ الْهِنْدَسَةِ النَّبَوِيَّةِ الْوَحْيَانِيَّةِ فَآنَذَاكَ تَصْبِحُ لَدَيْهِ قَوَاعِدُ الْمَنْهَجِ التَّفْسِيرِيِّ.

إشاره

من المباحث المهمه في قواعد التفسير هي معرفه قاعده الوحي وأقسامه وأنواعه وأسراره وهذيه قاعده يأتي التعرض إليها في قواعد نظام حقائق القرآن، وليست من قواعد نظام المعنى في القرآن، ولا من قواعد النظام الاستعمالي اللفظي، وعليه فالمفسر الذي لا يعرف ولا يعي أقسام الوحي يكون أمياً في علم تفسير القرآن حسب ما أكدته روايات وبيانات أهل البيت عليهم السلام، ومما يؤسف له أن أكثر المفسرين ليسوا على يقظه وانتباه من أقسام الوحي التي بينها أهل البيت ونبهاوا عليها في تعاليم القرآن الكريم.

وقد تقدم أن القرآن الكريم له تفسير وتعبير وتأويل وكلمات وأمثال، وكذا هذا العالم التكويني لله تعالى الذي عبّر تعالى فيه عن عظمته في كل مخلوق فيه كلمه من الكلمات وحرف من الحروف، فإذا أردنا أن نصغى إلى كلام الله الذي فيه هذه المخلوقات والكلمات فإنها فيها إحاءً ووحىً وتأويل وتعبير وتفسير... والوحي إشاره خفيه فإن العبور من الآيه والمثل والوصول إلى غيره عبر قنوات خفيه وهذه القنوات الخفيه

هِيَ الْوَحْيِ وَهِيَ التَّأْوِيلُ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ لِهَذَا الْكِتَابِ التَّكْوِينِي أَيْ الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ عِبَارَةٌ عَنْ وَحْيِ إِلَهِي يَهْتَفُ بِعَقُولِهِمْ وَأَسْمَاعِهِمْ وَعَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، فَإِنَّ نَفْسَ عَالَمِ التَّكْوِينِ وَعَالَمِ الْخَلْقِ هُوَ أَحَدُ قَنَوَاتِ الْإِتِّصَالِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ؛ لِأَنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ آيَاتٌ فِي كِتَابٍ مُدَوَّنٍ تَكْوِينِي يَقْرَؤُونَهُ وَيَعْبُرُونَ مِنْهُ وَيَعْلَمُونَ مَأْلَهُ وَفِيهِ إِحْيَاءٌ لِمَا وَرَاءَهُ.

إِذَنْ هَذَا الْكِتَابُ التَّكْوِينِي هُوَ وَحْيِي، وَهَذِهِ الْعَوَالِمُ التَّكْوِينِيَّةُ هِيَ وَحْيِي، وَمَثَلٌ وَتَأْوِيلٌ وَعَبُورٌ مَا وَرَاءَهُ وَالْمَأَلُ، وَأَنَّ هَذَا الْكِتَابُ التَّكْوِينِي هُوَ أَحَدُ أَقْسَامِ الْوَحْيِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي يُلْتَفَتُ إِلَيْهَا فِي قَاعِدَةِ الْأَمْثَالِ، وَهَذَا مَا يَذْكُرُهُ الْإِمَامُ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الرَّوَايَةِ «إِنَّمَا يَعْلَمُ مَا هَا هُنَاكَ بِمَا هَا هُنَا».

وَهَذَا فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى عَظَمَةِ غَيْبِ مَنْ الْغُيُوبِ أَيْ يُعْلَمُ بِمَا هَا هُنَا بِنَفْسِ هَذَا الْمَشْهَدِ وَالشَّهَادَةِ يُعْلَمُ بِمَا هَا هُنَاكَ، وَعَالَمُ الشَّهَادَةِ مَثَلٌ وَآيَةٌ لِعَالَمِ الْغَيْبِ، وَإِذَا عَبَّرْتَ مَنْ عَالَمِ الشَّهَادَةِ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ فَآنَذَاكَ تَدْرِكُ عَالَمَ الْغَيْبِ وَلَا يُمْكِنُ بِحَالٍ مَنْ الْأَحْوَالِ انْفِكَاكِ عَالَمِ الشَّهَادَةِ عَنْ عَالَمِ الْغَيْبِ، أَوْ انْفِكَاكِ الظَّاهِرِ عَنِ الْبَاطِنِ فَإِنَّهُ لَا يَوْجَدُ هُنَاكَ بَاطِنٌ مُحْضٌ، أَوْ ظَاهِرٌ مُحْضٌ - كَمَا تَقَدَّمَ - وَإِنَّمَا تَمَامُ الظَّاهِرِ بِالْبَاطِنِ وَتَمَامُ الْبَاطِنِ بِالظَّاهِرِ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ بَحْثَ قَاعِدَةِ الْمَثَلِ وَالْأَمْثَالِ فِي ظِلِّ مَعْنَى الْوَحْيِ شَيْءٌ مُهِمٌّ جَدًّا، فَإِنَّ لُغَةَ الْوَحْيِ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذَوِي

المستوى فى النبوه - تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض بحسب تفاضلهم، فإن كثيراً من الأنبياء يتلقون الوحي غير مشاهده ظواهر تكوينيه يقرؤون من خلالها ما يريدہ الرحمن منهم.

ومن هذا يعلم مدى أهميته ارتباط قاعده الأمثال بعلم التعبير وبعلم التأويل والتفسير والترجمان والتجلى والتجليات والظهور، بل وحتى أسلوب القصص القرآنى برمته ينضبط بإطار المثل والأمثال، وإن كان المصداق مراداً فى القصة القرآنيه حقيقه وواقعاً، ولكنه لا ينافى أنه ينضبط بإطار وقع كمثل - كما فى مثل مريم بن عمران مثل ضربہ الله لفاطمه بنت محمد صلى الله عليه وآله ولا مانع من العبور من مريم إلى فاطمه عليها السلام وإن كان المراد بالقصة مريم عليها السلام ومن ثم تكون فاطمه عليها السلام أعظم من مريم ولا مانع من أن ما يضربه الله عز وجل من أمثال وقصص عن الأنبياء يكون لما هو أعظم شأناً من الأنبياء السابقين والأوصياء ومثل يُعبر منه إلى غيره، وعليه فإن فى (قصصهم عبره) قاعده مطرده.

صله أن للقرآن ظهر وبطن بمبحث الأمثال:

تقدم أن المثل هو نوع من الدلاله - والله المثل الأعلى - وأن الغايه من المثل هو لشيء وراءه، فالمثل مع الآيه والعلامه والاسم والحرف والجري والعبور والترجمان والكلمه وغيرها ليس المطلوب من المثل مع المذكورات الوقوف والمكث عنده، بل المطلوب فيه أن تتخذ المثل وسيله

للعبور منه إلى الجبهه الممثل لها... فالممثل ظاهرٌ والممثل له خفى وأنَّ المثل مروى في القرآن والممثل له غايه المثل وأنَّ المثل هو نفسه غايه لو يُضرب لشيء وراءه.

إذن مثلما القرآن له ظهور وبطون وعبور وعبره وجرى، كذلك الأمثال فيه عبور لما ورائه.

لماذا لم تذكر دلائل إمامه أهل البيت عليهم السلام

في القرآن كما في ذكر موسى وعيسى عليهم السلام:

نتفه عقائديه:

وللجواب عن هذا الاستفسار هو أن الغايه من ذكر عيسى عليه السلام - كما تقدّم - ليس المراد شخص عيسى عليه السلام وإن كان لشخص عيسى عليه السلام موضوعيه، إلا أن الغايه والماوراء مصداق الآيه هم أهل البيت عليهم السلام وهذه هي وظيفه المثل وهي العبور وعدم التوقف والاختصار على المثل الذي ذكر في الآيه، وهذا البرهان دليل عظيم على إمامه أهل البيت عليهم السلام (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) (١). (ما كان حديثاً يُفتري) وهكذا في قصه يوسف عليه السلام وبكاء الأب النبي يعقوب عليه السلام على ولده سنين من الزمان، وما صرحت به البيانات القرآنيه والروائيه بأن يعقوب

ص: ٤٩٢

١- (١) سورة يوسف: الآيه ١١١.

النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْلَمُ بِأَنَّ وَلَدَهُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُقْتَلْ حَتَّى يَحْبِيَهُ اللَّهُ شَأْنًا عَظِيمًا (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصِبْ صُ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) (١).

بتقريب: - إنَّ يعقوب عليه السَّلَامُ يَعْلَمُ بِأَنَّ يُوسُفَ سَيَلْقَى شَأْنًا عَظِيمًا حَسَبَ رُؤْيَاهُ هَٰذِهِ؛ لِأَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحَيٍّ، وَعَلَيْهِ فَبَكَاءُ يَعْقُوبٍ مِنْ مَآذَا؟ مِنْ فِرَاقِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَعَلَ يَبْكِي عَلَيْهِ لَيْلَ نَهَارٍ، فَلَا تَقِفُ فِي مَوْضِعِ الْبَكَاءِ وَتَقْصُرُ بَكَاءُ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامَ عَلَى وَلَدِهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامَ بَلْ تَعَدَّاهُ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ (لَقَدْ كَانَ فِي قِصَّةِهِمْ عِبْرَةٌ) (٢) أَلَا - وَهُوَ بَكَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَٰذَا عَبُورٌ لَمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا فِي مَصَابِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامَ بَوْلَدِهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ.

لَمْ يُصَرِّحِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِأَنَّ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ عِبْرَةٌ:

صَرَّحَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِأَنَّ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ هِيَ عِبْرَةٌ (لَقَدْ كَانَ فِي قِصَّةِهِمْ عِبْرَةٌ) فَأَيُّ شَيْءٍ أَعْظَمُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بَحِيثٍ تَجْعَلُ الْأَنْبِيَاءَ مَعْبُورًا وَجَسْرَ عَبُورٍ لَشَيْءٍ أَعْظَمَ، وَمِنْ هَٰذَا يُفْهَمُ أَنَّ هُنَاكَ أَشْخَاصًا وَحُجَجًا أَعْظَمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ أَلَا وَهُوَ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَتْرَتِهِ الطَّاهِرِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ص: ٤٩٣

١- (١) سورة يوسف: الآيه ٤-٥.

٢- (٢) سورة يوسف: الآيه ١١١.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْغَايَةَ وَالْعَبُورَ هِيَ الْأَهَمُّ مِمَّا ذُكِرَ فِي الْقِصَّةِ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ مَوْقِعِيَّةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ وَلَكِنَّ الْأَسْلُوبَ الْقِصَصِيَّ فِي الْقُرْآنِ وَقَاعِدَهُ الْأَمْثَالَ تَعْبِيرٌ بِكَ إِلَى مَا هُوَ الْغَايَةُ وَالْأَهَمُّ.

وَهَذِهِ مَلْحَمَةٌ مِنْهُجِيَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْقُرْآنِ، وَأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ أُسْلُوبِ الْقِصَصِ فِي الْقُرْآنِ هُوَ أُسْلُوبُ الْأَمْثَالِ.

فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ) مِنَ الْمُحْكَمَاتِ وَأَنَّ كُلَّ مَا ذُكِرَ فِيهَا مِنَ السَّابِقِينَ هُوَ مَثَلٌ لِمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ وَهُوَ الْغَايَةُ (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) (١).

فَالْإِيمَانُ لَا بُدَّ أَنْ يَتَقَوَّمَ بِالْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ وَأَنَّهُ مَثَلٌ لشيءٍ أَكْبَرُ مِنْهُ.

وَمِنْ خِلَالِ هَذَا كُلِّهِ يَتَّضِحُ الْجَوَابُ لِلسَّائِلِ عَنْ سَبَبِ عَدَمِ تَصْرِيحِ الْقُرْآنِ بِاسْمِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَبِاسْمِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِاسْمِ الْأُمَّةِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَتَصْرِيحِهِ وَإِفْصَاحِهِ عَنْ مِثْلِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَبِاقِي أَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأَنَّ عَدَمَ الْإِفْصَاحِ هُوَ إِعْظَامٌ لَهُمْ؛ لِأَنَّ الْعَبُورَ مِنَ الْمَصْدَاقِ الَّذِي ذُكِرَ فِي الْآيَةِ لِمَا وَرَاءَهُ هُوَ أَكْبَرُ وَأَعْلَى دَرَجَةٍ وَشَأْنًا، وَبِالتَّالِيِ فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ عِبْرَةٌ وَمَغْزَى وَغَايَةٌ لِمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا.

تَنْبِيهِ: وَفِيهِ أَمْرَانِ:

ص: ٤٩٤

١- (١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

الأوّل: أكّدت بيانات مدرسه أهل البيت عليهم السّلام على: - ما منّ تساؤل حول سيد الأنبياء صلّى الله عليه وآله أو حول شأن من شؤونه، أو حول عترته، إلّا وتجد له جواباً بالمثل في القرآن، وهذه ملحمة قرآنيته عظيمه في مبحث قاعده الأمثال القرآنيته.

وهكذا التساؤل الذي يطرح حول غيبه الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف فإنّ كلّ أجوبتها موجوده كأمثال في القرآن الكريم من غيبه الخضر عليه السّلام ورّفّع عيسى عليه السّلام ويحيى عليه السّلام وغيبه موسى عليه السّلام عن قومه وغيرها، وبهذه الأمثال القرآنيته نجيب عن كلّ الاعتراضات والشبهات التي تُطرح حول غيبه الإمام الثاني عشر الحُجّه بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ومنّ هذا يُعرّف الردّ على نظريته السيّد العلامة مُحَمَّد حسين الطباطبائي رحمه الله صاحب تفسير الميزان في القرآن وأنّ المصاديق كلّها على حِدٍّ واحدٍ وسواء ومُتساويه في المدلول والإرادة والما وراء على مبنى السيّد العلامة، وليس الأمر كذلك على مختار منهج أمومه الولايه فإنّ الما وراء يكون أعظم وأهم وهو اللب اللباب وكأنّه هو المراد الجدّي الأوّل والأصلي، وأنّ هذا التنزيل إنّما يُراد بإرادته ابتدائيته أوليه وأنّ الغايه هي المراد الجدّي وهي الأهم.

إذنّ طبيعه القرآن هي طبيعه مراتب وتسلسل وطوليه لا أنّ طبيعته عرضيه وأنّ المناهج التفسيريه الأخرى كتفسير القرآن بالقرآن، أو التفسير الموضوعي أو التفسير التجزيئي وغيرها لم يُراعَ فيها سلسله المراتب، بينما القرآن

الكريم وروايات وبيانات أهل البيت عليهم السلام تُنادى بأن قوام تفسير القرآن هو بالمراتب يعنى الامومه كما فى الروايه عن الإمام الصادق: «إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وبها نوهت الكتب ويستبين القرآن» (١).

بتقريب: - إن هناك أقطاب ومدارات متعدده طوليه لا أنها عرضيه وفى مرتبه واحده، وعليه إذا لم تلمس أمومه ولايه أهل البيت عليهم السلام على المحكمات فى قواعد التفسير ضاع المنهج المهيمن الأم.

الثانى: إن قراءه قاعده الأمثال فى القرآن الكريم تحتاج إلى تعقل وقراءه عقلية وقراءه علميه من علوم شتى، كى يصل الإنسان إلى ما وراء هذيه الجبهه التى طالما أكد عليها القرآن الكريم وبعده مواضع قرآنيه (لعلهم يتفكرون) «لعلهم يعقلون» «لعلهم يتدبرون» وهذذا التعقل والتذكر والتولم والتدبر فى قاعده الأمثال فى القرآن يحتاج إلى تطهير روحى ونفسى وذكر قلبى كى يلتفت الإنسان إلى الأمثال فى القرآن.

هذذا مضافاً إلى أن قراءه الأمثال فى القرآن قراءه ذكرية، أى إذا صار القلب متذكراً يظن ويذكر أن الأمثال آيات، يُعبر منها إلى ما وراء الممثل له صاحب المثل الأصلي، ولم يقف ويحجم عند من مثل له عن الغايه وصاحب المثل الأصلي - وكما تقدم بحثه -.

إذن قاعده الأمثال فيها طبقات عليا فى القرآن لا تدرك بسهولة،

ص: ٤٩٦

بَلْ هِيَ عَلَى درجات وطبقات تحتاج إلى إمكاناته علميه عقليه عميقه ودقيقه حتّى يستطيع الوقوف على بعض نكاتها الخفيه.

الجهه الثالثه عشر: تقابل مثل أهل البيت عليهم السلام

وأعداؤهم في القرآن:

وتوضيح ذلك يقع ضمن نقاط:

النقطه الأولى:

البرهان الأول: برهان العبره في المثل:

مُقْتَضَى ما تَقَدَّمَ فِي الجِهه السَّابِقَه بَيِّنُ والِجِهاتِ المُتَقَدِّمَه عَلَيَّهَا أَنَّ ما ذُكِرَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ مِنْ قِصَصِ وَأَمْثالِ لِأَهْلِ الحَقِّ وطريق الخير وعبره لأنمه الحق وراء أولئك المذكوره قصصهم بأسمائهم وإن كانوا مِنَ الأنبياء والمرسلين والأوصياء والصالحين السابقين (لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٦٠) (١). وَأَنَّ الْمُرَادَ الْجَدَى وَالْأَصْلَى وَالْأَعْظَمَ هُوَ الْمَعْنَى التَّأْوِيلَى لا الْمَعْنَى التَّنْزِيلَى وَكُلُّ ما ذُكِرَ مِنْ سَيِّدِ الصَّالِحِينَ وَالْمُصْطَفِينَ وَالشُّهَدَاءِ هِيَ عِبْرَةٌ وَعَبُورٌ لِأَشْخاصِ وَرِاءِهِمْ يُقِيمُونَ بِحَيَاةِ رِاهِنِهِ تَتَعَاطَى الْأُمَّةَ مَعَهُمْ، فَكُلُّ ما ذُكِرَ مِنْ نِجْمِ وَرِوَادِ وَأَنْمَةِ الحَقِّ عِبْرَةٌ وَعَبُورٌ إِلَى مَنْ هُمْ مَقْصُودُونَ وَرِاءَ ذَلِكَ، وَيَنْصَبُ مِحْطَ القِصْدِ وَالْمُرَادِ أَصَالَه بِلِحَاظِهِمْ، فَمِنْ ثَمَّ مَرَّتْ

ص: ٤٩٧

القَاعِدَة فِي الْجِهَة السَّابِقَة، وَأَنَّ كَلِمَ مَا ذَكَرَ، مِنْ أَصْفِيَاءِ وَأَنْبِيَاءِ وَمُرْسَلِينَ هُمْ مَثَلٌ لِأُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَكَذَلِكَ الْعَكْسُ، فَإِنَّ كُلَّ مَا ذَكَرَ مِنْ أُمَّةِ الشَّرِّ وَالْبَاطِلِ وَالْغَيِّ وَالضَّلَالِ فَهُوَ عِبْرَةٌ وَعَبُورٌ إِلَى مَنْ هُمْ أَشَدَّهُمْ فِي الْبَاطِلِ وَالْغَيِّ وَالضَّلَالِ مِنْ أُمَّةِ الْبَاطِلِ الَّذِينَ تُبْلَى الْأُمَّةُ بِهِمْ، إِذْ هُوَ مُقْتَضَى كَوْنِ الْقِصَصِ فِي الطَّرْفَيْنِ عِبْرَةٌ وَمِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لَمَّا هُوَ وَرَائِهِ.

وَهَذَا مَا أَكَّدَتْهُ الْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٦٠).

النَّقْطَةُ الثَّانِيَّةُ: مِنْ خِلَالِ النَّقْطَةِ الْأُولَى يَتَبَيَّنُ حَقِيقَةُ مَا وَرَدَ فِي الرِّوَايَاتِ الْمُسْتَفِيضَةِ عِنْدَ الْفَرِيقَيْنِ كَالَّذِي رَوَاهُ ابْنُ الْمَغَازَلِيِّ عَنْ الشَّافِعِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قَالَ: - قَالَ: «نَزَّلَ الْقُرْآنُ أَرْبَعًا رُبْعٍ فِينَا وَرُبْعٍ فِي عَدَوْنَا وَرُبْعٍ سِنَنٍ وَأَمْثَالِ وَرُبْعٍ فَرَائِضٍ وَأَحْكَامٍ وَلَنَا كِرَامَاتُ الْقُرْآنِ» (١).

النَّقْطَةُ الثَّلَاثَةُ:

الْبَرَهَانُ الثَّانِي: بَرَهَانُ الْجَرَى:

رَوَى الْعِيَّاشِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا مُحَمَّدُ إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ ذَكَرَ أَحَدًا مِنْ هَيْدَةِ الْأُمَّةِ بِخَيْرٍ فَهُمْ نَحْنُ، وَإِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ

ص: ٤٩٨

١- (١) ابن المغازلي في مناقبه: ص ٣٢٨ ح ٣٧٥ وغيره، تأويل الآيات الظاهرة للسيد علي الحسيني الاسترآبادي: ص ٢١.

ذكر قوماً بسوء ممن مَضَى فَهُمْ عَدُوْنَا(١).

وروى العياشى: أيضاً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ الْحَجَّاجِ الْكِرْحِيِّ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ رَفَعَهُ إِلَى خَيْثَمَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا خَيْثَمَةَ الْقُرْآنُ نَزَلَ أَثَلَاثًا: ثَلَاثٌ فِينَا وَفِي أَحْبَابِنَا، وَثَلَاثٌ فِي أَعْدَائِنَا وَعَدُوِّ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، وَثَلَاثٌ سُرِينَهُ وَمَثَلٌ، وَلَوْ أَنَّ الْآيَةَ إِذَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ ثُمَّ مَاتَ أَوْلَادُكَ الْقَوْمِ مَاتَ الْآيَةَ، لَمَا بَقِيَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ، وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ يَجْرِي أَوْلَاهُ عَلَى آخِرِهِ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ آيَةٌ يَتَلَوْنَهَا هُمْ مِنْهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ(٢).

وتشير هذه الرواية إلى دليل آخر على هذه الجهة والقاعدة غير ما مرَّ من الدليل المُشار إليه مِنْ قَاعِدَةِ الْعِبْرَةِ وَالْأَمْثَالِ وَهِيَ قَاعِدَةُ الْجَرَى وَإِلَى مَا هُوَ أَصْلٌ وَبُرْهَانٌ لِقَاعِدَةِ الْجَرَى وَهُوَ كَوْنُ الْقُرْآنِ حَيًّا وَحَجَّةً(٣) حَيَّةً فَعَلَيْهِ عَلَى الْعِبَادِ فِي كُلِّ زَمَانٍ فِي كُلِّ آيَةٍ آيَةٌ مِنْهُ، بَلْ فِي كُلِّ جَمَلَةٍ مِنْهُ وَلَا يَسْتَقِيمُ ذَلِكَ إِلَّا بِقَاعِدَةِ الْجَرَى أَى يَجْرِي مَا ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ فِي أَنَّهُ الْحَقُّ وَأَهْلُهُ مِمَّا مَضَى يَجْرِي فِي أُمَّةٍ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَتْبَاعَهُمْ وَمَا ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي أَهْلِ الْبَاطِلِ وَالشَّرِّ يَجْرِي فِي أَعْدَائِهِمْ(٤).

وروى الكليني بسند معتبر عن الأصمغ بن نباته قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام أنزل القرآن أثلاثاً ثلث فينا، وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال

ص: ٤٩٩

١- (١) العياشى: ج ١، ص ٢٤؛ البرهان للسيد هاشم البحرانى: ج ١، ص ٥٦.

٢- (٢) المصدر السابق: ص ٥٨ باب ما أنزل القرآن: ح ٧.

٣- (٣) يلاحظ في قاعدة الجرى.

٤- (٤) الكافي: ج ٢، ص ٦٢٧؛ العياشى: ج ١، ص ٨٤ باب ما نزل في القرآن ح ٣.

وثلث فرائض وأحكام.

ونظيره ما رواه في موثق أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: - نزل القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام(1).

ص: ٥٠٠

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ٦٢٧؛ العياشي: ج ١، ص ٨٤ باب ما نزل في القرآن: ح ٣.

النقطه الرابعه: الروايات المتقدمه فى النقطه الثالثه وغيرها من الروايات الوارده فى هَذَا الباب، بَلْ يظهر من روايات عديده أُخْرَى أوسعِيه هَذِهِ الْقَاعِدَه بكثير أَى عمومها، لِكُلِّ مَثَلٍ حَسَنٍ، وَإِنْ لَمْ يَرِدْ فِي أَشْخَاصٍ وَأُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ أَوْ أَهْلِ الشَّرِّ، كَمَا رَوَى الْعِيَّاشِي عَنْ مَسْعَدِ بْنِ صَدْقَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «سَمَوْهُ بِأَحْسَنِ أَمْثَالِ الْقُرْآنِ يَعْنِي عَتْرَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَذَا عَذْبُ فِرَاتٍ فَاشْرَبُوا، وَهَذَا مَلْحٌ أُجَاجٌ فَاجْتَنِبُوا» (١).

وما رواه فرات الكوفي فى تفسير قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَيَّرْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا) (٤١) (٢). بسنده عن جابر، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا) يَعْنِي ذَكَرْنَا عَلِيًّا فِي كُلِّ آيَةٍ فَأَبَوْا وَلَا يَهْدِيهِمْ إِلَّا نُفُورًا (٣).

وكذا ما ذُكِرَ فِي الْكَافِي بِسِنْدِهِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

ص: ٥٠١

١- (١) العيَّاشي: ج ١، ص ٩٠ ح ٧.

٢- (٢) سورة الإسراء: الآية ٤١.

٣- (٣) تفسير فرات الكوفي: ص ٣٢٥ ح ٥ من سورة الإسراء؛ تفسير الصافي: ج ٤، ص ٢٠١.

نزل جبرائيل بهذه الآيه هكذا(فأبى أكثر الناس (بولايه على) إلا كفوراً) (١).

قَالَ وَنَزَلَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَةِ هَكَذَا(وَقِيلَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ (فِي وِلَايَةِ عَلِيٍّ) فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ (آلِ مُحَمَّدٍ) نَارًا) (٢).

وما رواه العياشي بسنده عن علي بن أبي حمزه، عن أبي جعفر عليه السلام: «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا يَعْنِي وَلَقَدْ ذَكَرْنَا عَلِيًّا فِي الْقُرْآنِ وَهُوَ الذِّكْرُ فَمَا زَادَهُمْ إِلَّا نَفُورًا» (٣).

النقطة الخامسة:

البرهان الثالث: المثل والأمثال

اسم وتسميه وتوصيف ووصف:

ما تَعَدَّمَ مِنْ الرِّوَايَاتِ فِيهَا تَبْيَانٌ وَتَصْرِيحٌ بِأَنَّ الْأَمْثَالَ نَعُوتٌ وَأَوْصَافٌ، وَالْقَابُ وَأَسْمَاءٌ بِلِحَازِ الْعِبْرَةِ الَّتِي فِيهَا، وَإِنْ كَانَتْ فِي جَمَادَاتٍ أَوْ كَائِنَاتٍ مِنْ سَائِرِ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَأَنَّ الْأَمْثَالَ تَسْمِيَةٌ وَنَعْتٌ وَوَصْفٌ لِمَسْمِيَّاتٍ هِيَ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِيَّةُ، وَمَا دَامَ الْمَثَلُ عِبْرَةً وَعَبُورًا إِلَى مَا وَرَاءَهُ فَلَا يَقْتَصِرُ ذَلِكَ عَلَى الْقِصَصِ بَلْ يَعْمُ كُلُّ أَمْثَالِ الْقُرْآنِ الْحَسَنَةِ

ص: ٥٠٢

١- (١) سورة الإسراء: الآية ٨٩.

٢- (٢) الكافي: ج ١ كتاب الحجج: ب ١٦٥ ح ٦٤ ص ٤٩٣.

٣- (٣) العياشي: ج ٣، ص ٥٣، ح ٧٨.

البرهان الرابع:

ثُمَّ إِنَّ مَا تَقَدَّمَ فِي الروايات السابقة إشاره إلى قَاعِدِهِ مُهِمَّةٌ وَهِيَ أَنَّ المثل والأمثال اسمٌ وتسميه وتوصيفٌ ووصفٌ.

ونظير ما تَقَدَّمَ ما رواه صاحب كنز الفوائد، تأويل الآيات الباهرة عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الطوسي بِإِسْنَادِهِ عَنْ الْفَضْلِ بْنِ شاذَانَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ كَثِيرٍ، قَالَ: قلت لأبي عبد الله عليه السَّلَام: أنتم الصَّلَاةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْتُمْ الزَّكَاةُ وَأَنْتُمْ الْحَجُّ؟ فَقَالَ: «يا دَاوُدُ نَحْنُ الصَّلَاةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَحْنُ الزَّكَاةُ وَنَحْنُ الصَّيَامُ وَنَحْنُ الْحَجُّ وَنَحْنُ الشَّهْرُ الْحَرَامُ وَنَحْنُ الْبَلَدُ الْحَرَامُ، وَنَحْنُ كَعْبَةُ اللَّهِ، وَنَحْنُ قَبْلَةَ اللَّهِ، وَنَحْنُ وَجْهَ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ) وَنَحْنُ اللَّائِيَاتُ وَنَحْنُ الْبَيْنَاتُ، وَعَدُونَا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْفَحْشَاءُ وَالْمَنْكَرُ وَالْبَغْيُ وَالْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ وَالْأَصْنَامُ وَالْأَوْثَانُ وَالْجِبْتُ وَالطَّاغُوتُ وَالْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنْزِيرِ، يَا دَاوُدُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا وَأَكْرَمَ خَلْقَنَا وَفَضَّلَنَا، وَجَعَلَنَا أَمْنَاءَ وَحَفِظْتَهُ وَخَزَّانَهُ عَلَيَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَجَعَلَ لَنَا أَعْدَادًا وَأَعْدَاءًا فَسَمَّانَا فِي كِتَابِهِ، وَكَتَبَ عَنَّا بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ وَأَحَبِّهَا إِلَيْهِ تَكْنِيَةً عَنِ الْعَدُوِّ، وَسَمَّى أَعْدَادَنَا وَأَعْدَائَنَا فِي كِتَابِهِ وَكَتَبَ عَنَّا بِأَسْمَائِهِمْ، وَضَرَبَ لَهُمُ الْأَمْثَالَ

فى كتابه فى أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين» (١).

كَمَا بَيْنَا فى قَاعِدِهِ المِثْلَ فى مَا مَرَّ مِنَ الجِهَاتِ أَنَّهَا لَا تَقْتَصِرُ عَلَى القِصَصِ وَمَا ضُرِبَتْ مِثْلًا وَتَمثِيلًا، بَلْ كُلُّ القُرْآنِ بِكُلِّ آيَاتِهِ وَجُمْلِهِ مِثْلٌ وَأَمْثَالٌ لِمَا وَرَاءَهُ مِنْ مَعَانِي تَأْوِيلِيَّةٍ، فَكُلُّ تَنْزِيلٍ مِثْلٌ لِلتَأْوِيلِ وَكُلُّ مَعْنَى تَأْوِيلِيَّةٍ مِثْلٌ لِلْمَعْنَى التَأْوِيلِيَّةِ الَّتِي هُوَ أَبْطَنُ مِنْهُ فى البَطْنِ وَهَلْمُ جَرًّا.

وبذلك تتسع قَاعِدَةُ المِثْلِ فى القُرْآنِ، وَهَذَا التَّبْرَهُانُ عَلَى هَذِهِ القَاعِدَةِ وَالجِهَةِ فى الأمثالِ أَى مِنْ تَوْسِعَةِ المِثْلِ لِكُلِّ آيَاتِ وَسُورِ وَجُمْلِ القُرْآنِ، وَهُوَ بُرْهَانٌ أَنَّهُمْ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ وَفُرُوعُهُ وَعَدْوُهُمْ أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ وَفُرُوعُهُ.

بيان ذلك:

أَوَّلًا: إِنَّ هَذِهِ الرُّوَايَةَ تُشِيرُ إِلَى قَاعِدِهِ أَنَّ الأمثالِ أسماءٌ وتوصيفٌ ووصفٌ.

ثَانِيًا: إِنَّ فى الرُّوَايَةِ بُرْهَانٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ وَكَمَالٍ هُوَ آيَةٌ وَتَجَلَّى لِأَصُولٍ وَجُودِهِمْ فى مراتبهم العلوية لكونها المواد الأولى فى عالم الخلق؛ إذ بِمُقْتَضَى أَنَّ كُلَّ مَعْلُومٍ كَمَالٌ مُقَرَّرٌ فى عِلْتِهِ بِنَحْوِ أَكْمَلٍ وَأَشْرَفٍ، وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ العِلَّةُ وَاسِطَةً فى الفَيْضِ، نَظِيرَ مَا يُقَرَّرُ عَقْلًا بِأَنَّ نِظَامَ المَخْلُوقَاتِ انْعِكَاسٌ كَجَمَالٍ وَعَظْمَةٍ النِظَامِ الذَاتِي الرَّبُوبِي، فَكُلُّ كَمَالٍ فى

ص: ٥٠٤

١- (١) تأويل الآيات الباهرات، على الحسنى الأسترابادى: ص ٢١؛ البحار: ج ٢٤، ص ٣٠٣.

المخلوقات آيةً منتزلهً ونازلهً عَنْ كَمَالِ رَبوبِي فِي النِّظَامِ الذَّاتِي الإِلَهِي، بَلْ إِنَّهُ هُنَاكَ بِنَحْوِ أَكْمَلِ وَأَرْفَعِ وَأَشْرَفِ وَأَعْلَى، فوجود ذَلِكِ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ وَالْعِظْمَةِ فِي وَاقِعِ الذَّاتِي الأَزَلِيِّ السَّرْمَدِيِّ أَعْظَمُ مِنْهُ فِي وجودِهِ فِي كَمَالِ المَخْلُوقِ، بَلْ إِنَّ أَصْلَ ذَلِكَ الكَمَالِ هُوَ فِي التَّقَرُّرِ الوَاقِعِي الرَّبُوبِيِّ، وَمَا يَشَاهِدُ فِي المَخْلُوقِ إِنَّمَا هُوَ فِرْعُهُ، وَهَكَذَا الحَالِ فِي سِلْسِلَةِ تَرْتُّبِ المَخْلُوقَاتِ فَإِنَّ الصُّوَادِرَ الأُولَى مِنْهَا وَاجِدَهُ لِكُلِّ الكَلِمَاتِ المُتَحَقِّقَةِ وَالمُتَقَرَّرَةِ فِيهَا دُونَهَا.

وَمَنْ ثَمَّ يَتَبَيَّنُ أَنَّ وجودَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِلِحَاظِ المَرَاتِبِ العُلُويَّةِ أَصْلَ كُلِّ خَيْرٍ وَكُلِّ بَرٍّ، وَبِذَلِكَ يَتَبَيَّنُ أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ وَكُلِّ بَرٍّ هُوَ اسْمٌ وَوَصْفٌ لَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِأَنَّهُ آيَةُ التَّجَلِّيِّ لِمَا هُوَ لَدَيْهِمْ مِنْ كَمَالَاتٍ بِنَحْوِ أَعْلَى وَأَرْفَعِ.

وبذلك اتضح معنى قوله عليه السلام في صدر الرواية المتقدمه (1).

وأما أن أعداءهم - أي أعداء الأئمة عليهم السلام - أصل كل شر وسوء وأن كل الشرور فرع وفروع لأعدائهم.

فتقريبه: ما ورد من خلق الجهل وخلق الظلمه وجنود الجهل كخلق شجره الزقوم في مقابل خلق شجره طوبى، ونظير خلق الطينه من عليين وما فوقه، وطينه سجين، ونظير أسماء الجمال الأولى المهيمنه الأم المتجليه في طبقات أسماء الجمال اللاحقه في منظومه أسماء الجمال في

ص: ٥٠٥

١- (١) تأويل الآيات الباهرات، على الحسنى الاسترابادى: ص ٢١؛ البحار: ج ٢٤، ص ٣٠٣.

مقابل منظومه أسماء الجلال وطبقاتها وتجلياتها في أسماء أُخْرَى.

وبعبارة أُخْرَى: فَإِنَّ النُّفُوسَ الشَّرِيرَةَ تُدْبِرُ مِنْ قَبْلِ نَفُوسِ وَأَرْوَاحِ كُتَيْبِهِ شَرِيرِهِ، وَهِيَ ذَاتُ طَبَقَاتٍ تَتَصَاعَدُ إِلَى طَبَقِهِ رُوحِ شَجَرِهِ الزَّقُّومِ فِي قِبَالِ طَبَقَاتِ أَرْوَاحِ النَّوْرِ الَّتِي تَتَصَاعَدُ إِلَى رُوحِ طَبَقِهِ شَجَرِهِ طُوبَى، كَمَا وَرَدَ فِي زِيَارَةِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «... السَّلَامُ عَلَى شَجَرِهِ طُوبَى وَسَدْرِهِ الْمُتْنَهَى»^(١).

وما رواه الفضل بن شاذان بإسناده عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «نَخْنُ أَصْلَ كُلِّ بَرٍّ وَمِنْ فُرُوعِنَا كُلِّ بَرٍّ وَمِنْ الْبَرِّ التَّوْحِيدَ وَالصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَكُظْمَ الْغَيْظِ وَالْعَفْوَ عَنِ الْمُسَىءِ وَرَحْمَةَ الْفَقِيرِ وَتَعَاهُدَ الْجَارِ وَالْإِقْرَارَ بِالْفَضْلِ لِأَهْلِهِ، وَعَدْوَنَا أَصْلَ كُلِّ شَرٍّ وَمِنْ فُرُوعِهِمْ كُلِّ قَبِيحٍ وَفَاحِشَةٍ فَهُمُ الْكُذْبُ وَالنَّمِيمَةُ، وَالْبَخْلُ، وَالْقَطِيعَةُ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقٍّ...»^(٢).

وَمِنْ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْأَمْثَالَ الْحَسَنَةَ وَالْخَيْرَةَ فُرُوعَ لَهُمْ، فَكُلُّ مَثَلٍ حَسَنٍ وَالْأَمْثَالَ الْحُسَيْنِيَّ آيَاتُ وَتَجَلِيَاتُ لَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كَمَا أَنَّهُمْ هُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْآيَاتُ الْكُبْرَى لِلَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا مِنْ قِبَلِ الطَّبَقَاتِ فِي مَنْظُومَةِ الْآيَاتِ وَمَنْظُومَةِ الْأَسْمَاءِ وَمَنْظُومَةِ الصِّفَاتِ وَمَنْظُومَةِ الْأَمْثَالَ، فَالطَّبَقَاتُ اللاحقة كَمَا تُسَنَدُ بُوْجُوهَ إِلَيْهِ تَعَالَى مَعَ مَحْوِ الْوَسْطَةِ فِي الْحِكَايَةِ كَذَلِكَ تُسَنَدُ إِلَى

ص: ٥٠٦

١- (١) بحار الأنوار: للعلامة المجلسي: ج ١٠٠ ص ٣٠٦.

٢- (٢) البرهان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٥٧، ح ١١.

الواسطه والوسائط مَعَ ملاحظه وساطه الواسطه، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَ يَتَّقِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (٢٧) (١) وقوله تعالى: (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (٧٨) (٢).

بتقريب: - إِنَّ الْوَصْفَ تَارَةً جُعِلَ لِلْوَجْهِ وَأُخْرَى لِلرَّبِّ، وَالْوَجْهِ بِمِثَابَةِ الْآيَةِ وَالْإِسْمِ وَالصَّفَةِ وَاللَّقَبِ فِي كَوْنِ يُتَوَجَّهَ بِهِ وَإِلَيْهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

ويستحصل مِنْ هَيْذِهِ الْجِهَةِ تَقْرِيرَ قَاعِدِهِ عَظِيمِهِ الشَّانِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهَا أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي الرِّوَايَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي صَدْرِ الْجِهَةِ.

الجهه الرابعه عشر:

(فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَ مَضَى مَثَلُ الْأُولِينَ) (٨) (٣):

بتقريب: - إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لِمَاذَا أَسْنَدَ الْمَعْنَى إِلَى الْمَثَلِ وَلَمْ يَسْنِدْهُ إِلَى الْأُولِينَ - وَمَعْنَى مَثَلِ الْأُولِينَ - مِمَّا يُبَيِّنُهُ عَلَيَّ أَنَّ الْأَهْمِيَّةَ فِي الْعِبْرَةِ لَا فِي شَخْصِ الْحَادِثَةِ وَالْأَشْخَاصِ.

وهكذا قوله تعالى في مورد آخر (يُسْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) (٤).

ص: ٥٠٧

١- (١) سورة الرحمن: الآية ٢٧.

٢- (٢) سورة الرحمن: الآية ٧٨.

٣- (٣) سورة الزخرف: الآية ٨.

٤- (٤) سورة الجمعة: الآية ٥.

بتقريب: - إِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُسْنِدِ الْبَأْسَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا، بَلْ أَسْنَدَهَا إِلَى الْمَثَلِ.

وقوله تَعَالَى: (سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا) (١).

بتقريب: - إِنَّهُ تَعَالَى أَسْنَدَ الْإِسَاءَ إِلَى الْمَثَلِ مَبَاشِرَةً دُونَ الْقَوْمِ.

وقوله تَعَالَى: (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (٢٤) (٢).

بتقريب: - إِنَّهُ تَعَالَى أَسْنَدَ نَفَى الْإِسْتَوَاءِ إِلَى الْمَثَلِ لَا إِلَى عَيْنِ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ وَالْأَصْمَى وَالسَّمِيعِ.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْكَافِرِينَ لَيْسَ كَيْنُونَهُ أَبْدَانُهُمْ، بَلْ كَيْنُونَهُ أَرْوَاحُهُمْ وَأُظْلَمَتْهُمْ، وَأَنَّ أَرْوَاحَ الْكَافِرِينَ أَشْرَّ مِنْ أَبْدَانِهِمْ كَمَا وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «نَبِيَّ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَنَبِيَّ الْكَافِرِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ، وَنَبِيَّ الْكَافِرِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ وَكُلُّ عَامِلٍ يَعْمَلُ عَلَيَّ نَبِيَّتَهُ» (٣).

فَأَبْدَانُ الْكَافِرِينَ آيَةٌ لِأَرْوَاحِهِمْ فَالْحُكْمُ عَلَيَّ الْأُمَّمِ بِلِحَازِ هَوِيَّتِهِ أَرْوَاحِهِمْ فَالْمُضَى وَالسَّوْءُ وَالْإِسْتَوَاءُ الْعُمْدَةُ فِيهِ شَأْنُ الْأَرْوَاحِ وَأَفْعَالُهَا لَا أَحْوَالُ الْأَبْدَانِ.

ص: ٥٠٨

١- (١) سورة الأعراف: الآية ١٧٧.

٢- (٢) سورة هود: الآية ٢٤.

٣- (٣) الوسائل: ج ١، كتاب الطهارة أبواب مُقَدِّمَاتِ الْعِبَادَاتِ: ب ٦، ص ٥٠ ح ٣.

(لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٦٠) (١):

هناك عدة آيات ذُكرت فيها المثل:

(١) كقوله تعالى: (كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (١٧٦) (٢).

(٢) وقوله تعالى: (سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ) (١٧٧) (٣).

(٣) وقوله تعالى: (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا أَمْ لَا تَذَكَّرُونَ) (٢٤) (٤).

ص: ٥٠٩

١- (١) سورة النحل: الآية ٦٠.

٢- (٢) سورة الأعراف: الآية ٣٦.

٣- (٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٧.

٤- (٤) سورة هود: الآية ٢٤.

(٤) وقوله تَعَالَى: (وَ هُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخُلُقَى ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْيُونَ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٢٧) (١).

(٥) وقوله تَعَالَى: (بِسْمِ مَثَلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (٥) (٢).

بتقريب: - إن مفاد الآيه (وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) إن في عالم السماوات والأرض أمثال عديده ذات درجات متفاوتة وأن خصوص المثل الأعلى لله تَعَالَى أَى الْمُنَاسِبِ لَشَأْنِهِ تَعَالَى دون المثل العالى فضلاً عَن المتوسّط والدانى.

ثم إن الملاحظ في سورة النحل عدم تقييد المثل الاعلى لله بالسماوات والأرض بينما قيّد في سورة الروم بالسماوات والأرض، وعُلم في كلا السورتين ب - (وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) وَ هُوَ كَالْبُرْهَانِ، وفي هَذَا التعليل بيان لقاعده عقليه وتكوينيّه أَنَّ الْمَثَلُ حَيْثُ أَنَّهُ بِمِثَابَةِ الْآيَةِ، إِلَّا أَنَّهُ حَاكِي لِلْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ الْعُلْيَا فَكَمَا أَنَّ (وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) (٣) وقوله تَعَالَى (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (٤).

ص: ٥١٠

١- (١) سورة الروم: الآيه ٢٧.

٢- (٢) سورة الجمعة: الآيه ٥.

٣- (٣) سورة الأعراف: الآيه ١٨٠.

٤- (٤) سورة الإسراء: الآيه ١١٠.

وقوله تَعَالَى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (٨) (١).

وقوله تَعَالَى: (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (٢).

وَهَذَا يُعْطَى ضَابِطَهُ أَنَّ الْمَثَلَ لَا يُطْلَقُ عَلَى الْأَسْمَاءِ الْعُلْيَا، بَلْ هُوَ آيَةٌ لِتَجَلَّى الْأَسْمَاءِ، فَكُلٌّ مِنَ الْمَثَلِ وَالْإِسْمِ وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي الْحِكَايَةِ إِلَّا أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْعُلْيَا تَجَلَّى فِي السَّاحَةِ الرَّبَوِيَّةِ بِخِلَافِ الْمَثَلِ فَإِنَّهُ مِنَ الْآيَاتِ فِي عَوَالِمِ الْخَلْقِ، وَهَذِهِ ضَابِطُهُ فَاصِلُهُ مُهِمَّةٌ جَدًّا فِي الْفَرْقِ بَيْنَ قَاعِدِهِ الْمَثَلِ وَقَاعِدِهِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى.

وَمِنْ ثَمَّ قَرْنِ الْمَثَلِ الْأَعْلَى لَهُ تَعَالَى بِفِعْلِ الْخَلْقِ لَهُ تَعَالَى وَبِالْكَيْنُونَةِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

ثُمَّ إِنَّ فِي جَمَلَةِ الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ أُسْنَدَ الْبَأْسِ وَالسُّوءِ إِلَى مَثَلِ الْمُكْذِبِينَ كَمَا أَنَّ فِي سُورَةِ هُودٍ ضَابِطُهُ أَنَّ الْأَمْثَالَ لَا تَتَسَاوَى بَعْدَ عَدَمِ تَسَاوَى أَصْحَابِ الْأَمْثَالَ، فَأَهْلُ السُّوءِ مِثْلُهُمْ سَيِّئٌ وَبَيْسٌ، وَأَهْلُ الْحُسْنَى مِثْلُهُمْ حَسَنٌ.

ص: ٥١١

١- (١) سورة طه: الآية ٨.

٢- (٢) سورة الحشر: الآية ٢٤.

إشارة

والرجوع والأوبه إلى الله لا تقف عند حدّ

الجهه السادسة عشر: أن الذي لا يعتبر

ولا يعبر بالمثل إلى ما وراء يضل:

يظهر من قوله تعالى (ما إذا أراد الله بهذا مثلاً) (١) ومن قوله تعالى (ما إذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) (٢).

إن الوقوف على المثل ضلال من دون عبور منه إلى ما وراء ويكون افتتان بالمثل بدلاً أن يكون اهتداء به إلى ما وراءه.

إذن المثل تارة يكون فتنة إذا وقف عليه وجمد وعمى، وأخرى يكون بصيرة ونوراً إذا أبصر به، ويستنتج من ذلك قاعده أخرى وهي: «إن السير في المعرفة لا ينتهي والرجوع في المعرفة لا ينتهي والرجوع والأوبه إلى الله لا تقف عند حدّ».

وهذه قاعده مهمه في مبحث المثل من أن المثل حيث أريد من ضربه وذكره وجعله هو إيصال معنى وراءه، فلكل تأويل ومآل إن

ص: ٥١٣

١- (١) سورة المدثر: الآية ٣١.

٢- (٢) سورة البقره: الآية ٢٦.

أخطأه الإنسان ضلَّ عَنْ الغايه المقصوده وَعَنْ المَثَل وبدل أن يَكُون المثل طريق هدايه فسيكون طريق غوايه، وَقَدْ بَيَّنَّ فِي الآيتين أن التقوى والمُتَّقِينَ يهتدون به، بخلاف الفاسقين والكافرين وَالَّذِينَ فِي قلوبهم مَرَضٌ نظير قوله تَعَالَى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) (١).

فَبَيَّنَّت الآيه الكريمة شرائط الهدايه بالكتاب، وأن الهدايه والضلاله ليست مرهونه بالقوه الفكرية بقدر ارتهانها بالتقوى والإيمان.

الوجه السابعه عشر: الثمره الكبرى لقاعده المَثَل:

اشاره

إنَّ كُلَّ ما ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ شَيْءٌ حَسَنٌ هُوَ حَقٌّ وَهُدًى فَهُوَ مَثَلٌ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَكُلُّ ما ذُكِرَ فِيهِ مِنْ شَرٍّ وَبَاطِلٍ وَزِيغٍ وَضَلَالٍ فَهُوَ مَثَلٌ لِأَعْدَائِهِمْ، فَالْتِمِثِلُ وَالْمَثَلُ وَالْأَمْثَلَةُ يُتْرَامَى مِنْ رَتْبِهِ أَوْلَى إِلَى أُخْرَى، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي نِظَامِ الْآيَاتِ وَنِظَامِ الْأَسْمَاءِ إِلَى أَنْ يَتَّصِلَ بِالْآيَاتِ الْكُبْرَى وَالْعُظْمَى وَالْأَسْمَاءِ الْعُلْيَا وَالْأَسْمَاءِ الْأَعْظَمُ الْأَعْظَمُ، ثُمَّ تَلِكِ الْآيَاتِ الْكُبْرَى وَالْأَسْمَاءِ الْأَعْظَمُ بِدَوْرِهِ يَكُونُ أَيْضاً تَجَلُّيًّا لِلذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَهَكَذَا الْحَالُ فِي الْمَثَلِ وَالْأَمْثَلِ، وَهَذَا بِمِثَابَةِ الْبُرْهَانِ الْعَقْلِيِّ إِجْمَالاً لِهَذِهِ الثَّمَرَةِ.

ص: ٥١٤

روى صاحب تأويل الآيات الظاهرة فى فضائل العتبه الطاهره (١) ما رواه الشيخ الطوسى بإسناده إلى الفضل بن شاذان عن داود بن كثير، قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام أنتم الصلاه فى كتاب الله عز وجل، وأنتم الزكاه [وأنتم الصيام] وأنتم الحج فقال: «يا داود نحن الصلاه فى كتاب الله عز وجل، ونحن الزكاه ونحن الصيام ونحن الحج» ونحن الشهر الحرام ونحن البلد الحرام ونحن كعبه الله ونحن قبله الله ونحن وجهه الله، قال تعالى: (فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ) ، ونحن الآيات، ونحن البيئات، وعدونا فى كتاب الله عز وجل الفحشاء، والمنكر والبغى، والخمر، والميسر والأنصاب، والأزلام والأصنام، والأوثان، والجبت، والطاغوت والميته والدم ولحم الخنزير، يا داود إن الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضلنا وجعلنا أمنا وحفظته وخرّانه على ما فى السماوات وما فى الأرض، وجعل لنا أصداءاً وأعداءاً فسيّمانا فى كتابه، وكنتى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه تكتبه عن العدو، وتسمى أصدادنا وأعداءنا

ص: ٥١٥

١- (١) وهو السيد شرف الدين على الحسينى الاسترابادى الغروى من علماء النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى: ص ٢١؛ وكذا رواه البياضى العاملى فى الصراط المستقيم: ت ٨٧٧ هج ص ٧٥، رواه عن ابن جبر فى نخبه بإسناده إلى الصادق عليه السلام، ورواه زين الدين على بن يوسف بن جبر من أعلام القرن السابع، ورواه ابن جبر أيضاً فى نهج الإيمان، قال زين الدين على بن يوسف بن جبر روى جدى فى نخبه حديثاً مرفوعاً عن أبى عبد الله عليه السلام... الخ نهج الإيمان ص ٦٥٩، وابن جبر يروى عن ابن شهر آشوب بواسطه واحده وهو الشيخ ابن الفرج، واسم الجد أبو عبد الله الحسين بن جبر يروى كتاب المناقب لآل أبى طالب لابن شهر آشوب واختار منه المهم من أحاديثه وسماه بنخب المناقب لآل أبى طالب.

فِي كِتَابِهِ وَكُنِيَ عَنْ أَسْمَائِهِمْ، وَضَرَبَ لَهُمُ الْأَمْثَالَ فِي كِتَابِهِ فِي أَبْغَضِ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ إِلَى عِبَادَةِ الْمُتَّقِينَ (١).

وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا رَوَاهُ أَيْضًا عَنْ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّهُ قَالَ: «نَحْنُ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ، وَمِنْ فُرُوعِنَا كُلِّ بَرٍّ، وَمِنْ الْبَرِّ التَّوْحِيدُ، وَالصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَكُظْمُ الْغَيْظِ، وَالْعَفْوُ عَنْ الْمُسِيءِ، وَرَحْمَةُ الْفَقِيرِ، وَتَعَاهُدُ الْجَارِ وَالْإِقْرَارُ بِالْفَضْلِ لِأَهْلِهِ، وَعَدْوُنَا أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ، وَمِنْ فُرُوعِهِمْ كُلِّ قَبِيحٍ وَفَاحِشَةٍ، فَمِنْهُمْ الْكُذْبُ، وَالنَّمِيمَةُ، وَالْبَخْلُ، وَالْقَطِيعَةُ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، وَتَعَدُّى الْحُدُودِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَرُكُوبُ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ مِنَ الزُّنَا وَالسَّرْقَةِ، وَكُلُّ مَا وَافَقَ ذَلِكَ مِنَ الْقَبِيحِ، وَكَذَبَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ مَعَنَا وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِفِرْعٍ غَيْرِنَا» (٢).

وَرَوَى فِي بَصَائِرِ الدَّرَجَاتِ (٣) بِسَنَدِهِ عَنْ الْمَفْضَلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجَاءَ الْجَوَابُ مِنْهُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَبَلَّغَكَ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ مَعْرِفَةُ الرِّجَالِ... وَذَكَرْتَ أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّ أَصْلَ الدِّينِ مَعْرِفَةُ الرِّجَالِ، وَذَكَرْتَ أَنَّهُ بَلَّغَكَ أَنَّهُ يَزْعُمُونَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَصَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَالْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَالْبَيْتَ الْحَرَامَ وَالْمَشْهَدَ

ص: ٥١٤

١- (١) تَأْوِيلُ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ، لِلسَّيِّدِ شَرَفِ الدِّينِ الْغُرَوِيِّ.

٢- (٢) تَأْوِيلُ الْآيَاتِ: ص ٢٢، لِلسَّيِّدِ شَرَفِ الدِّينِ الْغُرَوِيِّ.

٣- (٣) بَصَائِرِ الدَّرَجَاتِ، لِلصَّفَّارِ: ج ٢، ب ٢١، شَرَحَ أُمُورَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي أَنْفُسِهِمْ: ص ٤٩٩،

ح ١.

الحرام والشهر الحرام هُوَ رَجُلٌ وَأَنَّ الطُّهْرَ وَالِاغْتِسَالَ مِنَ الْجَنَابَةِ هُوَ رَجُلٌ، وَكُلُّ فَرِيضَةٍ افْتَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ هُوَ رَجُلٌ... وَأَنَّهُ بَلَغَكَ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْفَوَاحِشَ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالزَّانِيَ وَالرَّيَاءَ وَالِدَّمَ وَالْمَيْتَةَ وَلَحْمَ الْخَنْزِيرِ هُوَ رَجُلٌ... وَأَخْبِرُكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَلَّ حَلَالًا وَحَرَّمَ حَرَامًا فَجَعَلَ حَلَالَهُ حَلَالًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ حَرَامَهُ حَرَامًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَعْرِفَةُ الرُّسُلِ وَوَلَايَتِهِمْ وَطَاعَتُهُمْ هُوَ الْحَلَالُ، فَالْمَحَلُّ مَا حَلَّلُوهُ وَالْمُحَرَّمُ مَا حَرَّمُوهُ وَهُمْ أَصْلُهُ وَمِنْهُمْ الْفُرُوعُ الْحَلَالُ وَذَلِكَ سَعْيُهُمْ، وَمِنْ فُرُوعِهِمْ أَمْرُهُمْ شِعْتُهُمْ وَأَهْلُ وَلَايَتِهِمْ لِلْحَلَالِ مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَالْعُمْرَةِ وَتَعْظِيمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ وَشِعَائِرِهِ وَمَشَاعِرِهِ، وَتَعْظِيمِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَالطُّهُورِ وَالِاغْتِسَالَ مِنَ الْجَنَابَةِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِهَا وَجَمِيعِ الْبِرِّ»، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ: «فِي كِتَابِهِ (إِنَّ اللَّهَ يُأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (٩٠) فَعَدَوْهُمْ الْحَرَامُ الْمَحْرَمُ، وَأَوْلِيَاءُهُمُ الدَّاخِلُونَ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهُمُ الْفَوَاحِشُ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَالْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالزَّانَا، وَالزَّانَا وَالِدَمُ وَالْمَيْتَةُ وَلَحْمُ الْخَنْزِيرِ، فَهُمُ الْحَرَامُ الْمَحْرَمُ وَأَصْلُ كُلِّ حَرَامٍ، وَهُمْ الشَّرُّ وَأَصْلُ كُلِّ شَرٍّ، وَمِنْهُمْ فُرُوعُ الشَّرِّ كُلِّهِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْفُرُوعِ الْحَرَامِ وَاسْتِحْلَالِهِمْ إِيَّاهَا، وَمِنْ فُرُوعِهِمْ تَكْذِيبُ الْأَنْبِيَاءِ وَجِحُودُ الْأَوْصِيَاءِ وَرُكُوبُ الْفَوَاحِشِ: الزَّانَا

والسرقة وشرب الخمر والمسكر وأكل مال اليتيم وأكل الرِّبَا والخذعه والخيانة وركوب الحرام كُلِّهَا وانتهاك المعاصي وَإِنَّمَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى (فالأَنْبِيَاءِ وَأَوْصِيَاءِهِمُ الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى يَعْنِي مَوَدَّةَ ذِي الْقُرْبَى وَابْتِغَاءَ طَاعَتِهِمْ، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ وَهُمْ أَعْدَاءُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَوْصِيَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُمْ الْمَنْهَى عَنِ مَوَدَّتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، يَعْظَمُكُمْ بِهَذِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

وَأَخْبَرَكَ أَنِّي لَوْ قُلْتُ لَكَ أَنَّ الْفَاحِشَةَ وَالْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالزُّنَا وَالْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنْزِيرِ هُوَ رَجُلٌ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ هَذَا الْأَصْلَ وَحَرَّمَ فِرْعَهُ وَنَهَى عَنْهُ، وَجَعَلَ وَلَايَتَهُ كَمَنْ عَبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَثَنًا وَشُرَكَاءَ (١) وَمَنْ دَعَا إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ فَهُوَ كَفَرَعُونَ إِذْ قَالَ: (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) (٢) فَهَذَا كَلَّمَهُ عَلَى وَجْهِهِ إِنْ شِئْتَ قُلْتَ هُوَ رَجُلٌ وَهُوَ إِلَى جَهَنَّمَ وَمَنْ شَايَعَهُ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ (٣) مِثْلَ قَوْلِ اللَّهِ (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنْزِيرِ) (٤)

(٥) لَصَدَقْتَ ثُمَّ لَوْ أَنِّي قُلْتُ إِنَّهُ فُلَانٌ ذَلِكَ كُلُّهُ لَصَدَقْتَ إِنْ فُلَانًا هُوَ الْمَعْبُودُ الْمَتَعَدِي حُدُودَ اللَّهِ الَّتِي نَهَى عَنْهَا أَنْ يَتَعَدَى (٦).

ص: ٥١٨

- ١- (١) فِي «ط» وَالْبَحَارِ: وَشُرَكَاءَ، وَالْمَثْبُتُ عَنْ «م».
- ٢- (٢) سُورَةُ النَّازِعَاتِ: الْآيَةُ ٢٤.
- ٣- (٣) فِي «ط» فَافْهَمُ، وَالْمَثْبُتُ عَنْ «م» وَالْبَحَارِ.
- ٤- (٤) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ ١٧٣.
- ٥- (٥) فِي «ط» هُنَا زِيَادَةٌ: «و».
- ٦- (٦) فِي «ط» وَالْبَحَارِ: يَتَعَدَّى، وَالْمَثْبُتُ عَنْ «م».

ثم إنى أخيرك أن الدين وأصل الدين هو رجل وذلك الرجل هو اليقين وهو الإيمان وهو إمام أمته وأهل زمانه فمن عرفه عرف الله ودينه ومن أنكره أنكر الله ودينه (١) ومن جهله جهل الله ودينه «ولا يعرف الله ودينه» (٢) وحدوده وشرائعه بغير ذلك الإمام كذلك جرى بأن معرفه الرجال دين الله.

والمعرفه على وجهين (٣) معرفه ثابتة على بصيره يعرف بها دين الله ويوصل بها إلى معرفه الله فهذه المعرفه الباطنه الثابته بعينها الموجهه حقها المستوجب أهلها عليها الشكر لله التي من عليهم بها من من الله يمن به على من يشاء مع المعرفه الظاهره ومعرفه فى الظاهر فأهل المعرفه فى الظاهر الذين علموا أمرنا بالحق على غير علم لا تلحق (٤) بأهل المعرفه فى الباطن على بصيرتهم ولا يصلوا (٥) بتلك المعرفه المقصره إلى حق معرفه الله كما قال فى كتابه (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ) ٦ (إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (٦) فمن شهد شهاده الحق لا يعقد عليه

ص: ٥١٩

١- (١) أضفناه مِنْ «م» والبحار.

٢- (٢) أضفناه مِنْ «م».

٣- (٣) فى «ط»: وجهه، والمثبت عَنْ «م» والبحار.

٤- (٤) فى «ط»: الظاهره، والمثبت عَنْ «م» والبحار.

٥- (٥) فى «ط» و «م»: يلحق، والمثبت عَنْ البحار.

٦- (٦) ليست فى «م» والبحار.

قلبه ولا يبصر ما يتكلم (١) به لا يثاب عليه مثل ثواب من عقد عليه قلبه على بصيره فيه كذلك من تكلم بجور (٢) لا يعقد عليه قلبه لا يعاقب عليه عقوبه من عقد عليه قلبه وثبت على بصيره.

فقد عرفت (٣) كيف كان حال رجال أهل المعرفة في الظاهر، والإقرار بالحق على غير علم في قديم الدهر وحديثه إلى أن انتهى الأمر إلى نبي الله وبعده إلى من صاروا (٤) و (٥) إلى من انتهت إليه معرفتهم وإنما عرفوا بمعرفه أعمالهم ودينهم الذي دان الله به المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ من دخل في هذا الأمر بغير يقين ولا بصيره خرج منه كما دخل فيه رزقنا الله وإياك معرفه ثابتة على بصيره.

وأخبرك أنني لو قلت إن الصلاة والزكاه وصوم شهر رمضان والحج والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام والطهور والاعتسال من الجنابه وكل فريضه كان ذلك هو النبي الذي جاء به من (٦) عند ربه لصدقت لَأَنَّ (٧) ذلك كله إنما يعرف بالنبي، ولو لا معرفه ذلك النبي والإيمان به والتسليم له ما عُرف ذلك فذلك مَنْ من الله على

ص: ٥٢٠

١- (١) ما بين القوسين ليست في «م».

٢- (٢) سورة الزخرف: الآية ٨٦.

٣- (٣) في البحار: يتكلم.

٤- (٤) أضفنا ما ما بين القوسين من «م» والبحار.

٥- (٥) أضفناه من «م» والبحار.

٦- (٦) في «م»: عرف.

٧- (٧) في «ط»: صار، والمثبت عن «م» والبحار.

مَنْ يَمَنَ (١) عَلَيْهِ، ولو لا- ذلك لم يُعرف شيئاً من هَذَا، فهذا كله ذلك النبي وأصله، وهو فرعه، وهو دعاني إليه، ودلني عليه، وعرفني، وأمرني به، وأوجب عليّ له الطاعة فيما أمرني به، لا- يسعني جهله، وكيف يسعني (جهل من هو) فيما بيني وبين الله؟ وكيف يستقيم (٢) لي لو لا أنني أصف أن ديني هو الذي أتاني به ذلك النبي أن أصف أن الدين غيره؟ وكيف لا يكون ذلك معرفه الرجل وإنما هو الذي جاء به عن الله؟ وإنما أنكر الدين (٣) من أنكره بأن قالوا(قالوا أبعث الله بشراً رسولاً) (٤) ثم قالوا: (أَبَشْرٌ يَهْدُونَنَا) (٥) فكفروا بذلك الرجل وكذبوا به وقالوا: (لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ) (٦) فقال الله: (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ) (٧) ثم قال في آيه أُخْرَى: (وَقالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ) (٨) وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا) (٨) (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى) (٩) إنما أحب أن يُعرف بالرجال وأنء يطاع بطاعتهم فجعلهم سبيله ووجهه الذي يؤتى منه ولا يقل الله من العباد غير ذلك

ص: ٥٢١

- ١- (١) أضعناه من «م».
- ٢- (٢) أضعناه من «م» والبحار.
- ٣- (٣) في «ط» أن، والمثبت عن «م» والبحار.
- ٤- (٤) في «م»: من سورة الإسراء: الآية ٩٤.
- ٥- (٥) في «ط» بدل ما في القوسين: جهله ومن هو، والمثبت عن «م» والبحار. سورة التغابن: الآية ٦.
- ٦- (٦) في «ط»: تستقيم، والمثبت عن «م» والبحار. سورة الأنعام: الآية ٨.
- ٧- (٧) أضعناه من «م» والبحار.
- ٨- (٨) سورة الأنعام: الآية ٨ و ٩.
- ٩- (٩) في «م» بدل ما في القوسين: تبارك الله وتعالى.

(لا يُسئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ) (٢٣) (١) فَقَالَ فِيمَنْ (٢) أَوْجِبَ مِنْ مُحِبَّتِهِ لَذَلِكَ: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) (٨٠) (٣).

فَمَنْ قَالَ لَكَ أَنَّ هَذِهِ الْفَرِيضَةَ كُلُّهَا إِنَّمَا هِيَ رَجُلٌ وَهُوَ يَعْرِفُ حَدَّ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَدْ صَدَقَ، وَمَنْ قَالَ عَلَى الصِّيْفَةِ الَّتِي ذَكَرْتَ بغير الطَّاعَةِ فَلَا يَغْنَى (٤) التَّمَسُّكُ فِي الْأَصْلِ بِتَرْكِ الْفُرُوعِ، كَمَا لَا تَغْنَى شَهَادَةُ (٥) أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا بَتَرَكَ شَهَادَةَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا بِالْبُرِّ وَالْعَدْلِ وَالْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ؛ فَالْبَاطِنُ مِنْهُ وَلَا يَهِيهِ أَهْلُ الْبَاطِنِ، وَالظَّاهِرُ مِنْهُ فُرُوعُهُمْ وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ يَدْعُو إِلَى مَعْرِفِهِ لَيْسَ مَعَهَا طَاعَةٌ فِي أَمْرٍ وَنَهْيٍ، فَإِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ الْعَمَلَ بِالْفَرَائِضِ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى حُدُودِهَا مَعَ مَعْرِفِهِ مِنْ جَاءِهِمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ وَدَعَاؤِهِمْ إِلَيْهِ، فَأَوَّلُ مَنْ دَلَّكَ مَعْرِفَهُ مِنْ دَعَاؤِهِ إِلَيْهِ ثُمَّ طَاعَتِهِ فِيمَا (يَقْرَبُهُ بِمَنْءِ الطَّاعَةِ لَهُ)، وَأَنَّ مَنْ عَرَفَ أَطَاعَ، وَمَنْ أَطَاعَ حَرَّمَ الْحَرَامَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَلَا يَكُونُ تَحْرِيمُ الْبَاطِنِ وَاسْتِحْلَالُ الظَّاهِرِ، إِنَّمَا حَرَّمَ الظَّاهِرَ بِالْبَاطِنِ وَالْبَاطِنَ بِالظَّاهِرِ مَعًا جَمِيعًا،

ص: ٥٢٢

١- (١) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

٢- (٢) في (م) والبحار: ت فيما

٣- (٣) سورة النساء: الآية ٨٠.

٤- (٤) في (ط) لا يعنى، وفي (م) لا يغنى والمثبت عن البحار.

٥- (٥) في (م) لا يُغْنَى بِشَهَادَةِ بَدَلِ (لَا تَغْنَى شَهَادَةَ).

ولا يَكُونُ الأَصْلُ والفروع وباطن الحرام حرام وظاهره حلال، لا يحرم الباطن ويستحل الظاهر.

كَذَلِكَ لا يستقيم أن يعرف صلاه الباطن ولا يعرف صلاه الظاهر، ولا الزكاه ولا الصوم ولا الحج ولا العمرة ولا المسجد الحرام وجميع حرمة الله وشعائره (وأنه تُترك لمعرفة الباطن) لأن بطنه ظهر، ولا يستقيم أن تُترك واحده منها إذا كان الباطن حراماً خبثاً، فالظاهر منه إنما يشبه الباطن بالظاهر.

وروى الصَّفَّارُ فِي بصائر الدرجات عَنْ علي بن إبراهيم بن هاشم عَنْ القاسم بن الربيع الوراق، أَنَّهُ كتب المفضل إلى أبي عبدالله عليه السَّلام يسأله عَنْ قوم يعرفهم الإمام عليه السَّلام وَكَانَ يعجب المفضل نحوهم وشأنهم، وَأَنَّ المفضل أبلغ عنهم أموراً تروى عنهم كرهها المفضل لهم. مَعَ أم المفضل لَمْ ير بهم إلَّا هدياً حسناً وورعاً وتخشعاً.

والظاهر أن مراد المفضل مِنْ هؤلاء القوم هُوَ ابن أبي زينب المقلص وخاصته لا جميع مَنْ انتسب إلى الخطَّابيهِ.

فبدأ عليه السَّلام بجواب المفضل عَنْ أسئلته ويُفسِّر له ما التبسَ عليه مِنْ أمر هذه الجماعة ومقالاتهم، مَعَ أن مقالاتهم فِي بدو النظر ينطبع مِنْهَا فِي الأذهان غَيْر حدودها الحقيقية، أَى ينطبع مِنْهَا الغو والإفراط مِنْ التأليه ونحوه واستحلال المُحرّمات والتهتك للدين مَعَ أن حقائقها هِيَ عَلَى

الطعون الواردة عَلَيْهِم مما أثار إعجاب المفضل:

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُتِبَ تَذَكُّرُ أَنْ قَوْمًا أَنَا أَعْرَفُهُمْ كَانَ أَعْجَبَكَ نَحْوَهُمْ وَشَأْنُهُمْ وَأَنَّكَ أَبْلَغْتَ عَنْهُمْ أُمُورًا تَرَوِي عَنْهُمْ كَرِهْتَهَا لَهُمْ، وَلَمْ تَرِ بِهِمْ إِلَّا طَرِيقًا هَدِيًّا حَسَنًا وَوَرَعًا وَتَخَشُّعًا، وَبَلَّغْتَكَ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ مَعْرِفَةُ الرِّجَالِ ثُمَّ بَعِيدَ ذَلِكَ إِذَا عَرَفْتَهُمْ فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ، وَذَكَرْتَ أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّ أَصْلَ الدِّينِ مَعْرِفَةُ الرِّجَالِ فَوَفَّقَكَ اللَّهُ، وَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَصَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَالْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَالْبَيْتَ الْحَرَامَ وَالْمَشْعَرَ الْحَرَامَ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ هُمُ الرِّجَالُ (هُوَ رَجُلٌ) (١)، وَانِ الطُّهْرَ وَالِاغْتِسَالَ مِنَ الْجَنَابَةِ هُوَ رَجُلٌ، وَكُلُّ فَرِيضَةٍ افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ هُوَ رَجُلٌ، وَأَنَّهُمْ ذَكَرُوا ذَلِكَ بِزَعْمِهِمْ أَنَّ مَنْ عَرَفَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَقَدْ اكْتَفَى بِعِلْمِهِ بِهِ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ وَقَدْ صَلَّى وَآتَى الزَّكَاةَ وَصَامَ وَحَجَّ وَاعْتَمَرَ وَاغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ وَتَطَهَّرَ وَعَظَّمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَأَنَّهُمْ ذَكَرُوا أَنَّ مَنْ عَرَفَ هَيْدًا بَعِينَهُ وَبِحَدِّهِ وَثَبَتَ فِي قَلْبِهِ جَازِلُهُ أَنْ يَتَهَاوَنَ، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْعَمَلِ. وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ إِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ الرَّجُلَ فَقَدْ قَبِلَتْ مِنْهُمْ هَذِهِ الْحُدُودَ لَوَقْتِهَا وَإِنْ لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا. وَأَنَّهُ بَلَّغْتَكَ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ الْفَوَاحِشَ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالزُّبَا وَالدَّمَ وَالْمَيْتَةَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ هُوَ رَجُلٌ (هُمُ الرِّجَالُ)، وَذَكَرُوا

ص: ٥٢٤

أَنَّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ نِكَاحِ الْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ وَالْعَمَّاتِ وَالْخَالَاتِ وَبَنَاتِ الْأَخِ وَبَنَاتِ الْأُخْتِ وَمَا حَرَّمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ إِنَّمَا عَنِي بِذَلِكَ نِكَاحُ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَا سِوَى ذَلِكَ مَبَاحٌ كُلُّهُ، وَذَكَرْتُ أَنَّهُ بَلَغَكَ أَنَّهُمْ يَتَرَادَفُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ الْوَاحِدَةِ، وَيَشْهَدُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ بِالزُّورِ، وَيَزْعَمُونَ أَنَّ لِهَذَا ظَهْرًا وَبَطْنًا يَعْرِفُونَهُ فَالظَّاهِرُ مَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ يَأْخُذُونَ بِهِ مَدَافِعَهُ عَنْهُمْ وَالْبَاطِنُ هُوَ الَّذِي يَطْلُبُونَ وَبِهِ أَمَرُوا بِزَعْمِهِمْ، وَكُتِبَتْ تَذَكُّرُ الَّذِي عَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيْكَ، وَكُتِبَتْ تَسْأَلُنِي عَنْ قَوْلِهِمْ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ حَلَالٌ أَوْ حَرَامٌ، وَكُتِبَتْ تَسْأَلُنِي عَنْ تَفْسِيرِ ذَلِكَ وَأَنَا أَبَيِّنُهُ حَتَّى لَا تَكُونَ مِنْ ذَلِكَ فِي عَمَى وَلَا فِي شِبْهِهِ.

تمييز الإمام بين الحق من كلامهم

والباطل وبيان أساس الانحراف:

ثُمَّ أَضَافَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَقَدْ كُتِبَتْ إِلَيْكَ فِي كِتَابِي هَذَا تَفْسِيرٌ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ فَاحْفَظْهُ كُلَّهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: (وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعْيَةٌ) (١) وَأَصْفَهُ لَكَ بِحَلَالِهِ وَأَنْفَى عَنْكَ حَرَامِهِ، كَمَا وَصَفْتَ وَمَعْرِفَكَ مَتَى تَعْرِفُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَا تَنْكُرْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَالْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا.

أَخْبَرَكَ أَنَّهُ مَنْ كَانَ يَدِينُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي كُتِبَتْ تَسْأَلُنِي عَنْهَا فَهُوَ عِنْدِي مُشْرِكٌ بِاللَّهِ بَيْنَ الشُّكْرِ لَا شُكَّ فِيهِ، وَأَخْبَرَكَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ

ص: ٥٢٥

سمعوه ما لم يعقلوه عن أهله ولم يعطوا فهم ذلك ولم يعرفوا حد ما سمعوا فوضعوا حدود تلك الأشياء مقايسه برأيهم ومنتهى عقولهم، ولم يضعوها على حدود ما أمروا كذباً وافتراءً على الله ورسوله وجرأة على المعاصي، وكفى بهذا لهم جهلاً. ولو أنهم وضعوها على حدودها التي حدثت لهم وقبلوها لم يكن به بأس، ولكنهم حرّفوها وتعذّوا [تعذّوا الحق] (١) وكذبوا وتهاونوا بأمر الله وطاعته، ولكنني أخبرك أنّ الله حدّها بحدودها لئلا يتعدّى حدوده أحد. ولو كان الأمر كما ذكروا لعذر الناس بجهلهم ما لم يعرفوا حد ما حدّ لهم، وكان المقصّر والمتعدّي حدود الله معذوراً ولكن جعلها حدوداً محدودة لا يتعدّاها إلاّ مشرك كافر، ثمّ قال: (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) (٢٢٩) (٢).

أقول: فبين عليه السلام أنّ القول في أصله حقّ وأنهم قد سمعوه من مصدر الحقّ فقله عليه السلام: «أصفه لك بحلاله» أي بمعنى الصحيح والذي لا ينافي صفات المخلوق وشؤونه ولا حدود التشريع كما أنّ قوله: «أنفى عنك حرامه» أي تبيانه عليه السلام للمعنى الخاطيء لهذه الصفات والشؤون، كما أنّ قوله عليه السلام: «ومعرفك فلا تنكره» أي أنّ أصول ما يرويه هؤلاء هي حقائق مروية عنهم عليهم السلام من أسرار المعارف ولكن أنكرها جمهور الناس لعدم وعيهم وعمق بصيرتهم بحقائق تأويل هذه المعاني؛ إلاّ أنّ

ص: ٥٢٦

١- (١) في مختصر البصائر.

٢- (٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

الانحراف ناشئ من سبين أو على نمطين:

الأول: الفهم الخاطى لدى عامه المخالفين من ممارسات وسلوك جملة ممن أخذ وعمل بهذه الأقوال.

وهذان النمطان هما اللذان مرّت الإشارة إلى وقوعهما بسبب إذاعه ونشر وإعلان رواه أسرار المعارف لهذه المرويات، فإنّ معانيها الثقيله أو قواعد تشريعها مما تنفر منها العقول والإفهام لغموضها وإبهامها عليها، هذا بلحاظ أمور المعارف الاعتقاديّه، أو تنفر الطّباع المجبولة على الأعراف المعتاده لغرابه تلك التشريعات وغموض تخريج وجهها الشرعى لديها فتستوحش منها وتستنكرها.

ثمّ بين عليه السّلام نماذج عديده لهذين النمطين، وأنّ الإذاعه لمثل هذه المعارف والأُمور وكشف تلك الأسرار العلميه وإفشائها ينجرّ إلى نشوء هذه الانحرافات، ومن ثمّ يستحقّ المذيع والكاشف لها اللعن والبراءه وتكذيبه فيما تسبّب من إيصال معنى خاطى منحرف فى أذهان العوام وعامه المخالفين، حيثّ ينجم من ذلك شيوع وانتشار تيار ينتهج التحريف والتعدى عن الحدود الإلهيه يتخيّل أنّها حقائق الدين الخفيّه.

وقد عدّد المفضّل جملة من الأمور الملتبسه التي رآها فى تيار بعض الجماعات التي تنتمى إلى بعض رواه أسرار المعارف وهي جملة أمور:

* زعمهم أنّ الدين إنّما هو معرفه الرجال وأنّه إذا عرفتهم فاعمل

ص: ٥٢٧

ما شئت.

* أنهم يزعمون أن الصَّلاه والزَّكاه وصوم شهر رمضان والحجَّ والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام هم رجال، وأن الطهر والاعتسال عن الجنابه هو رجل، وكذا كلُّ فريضة افترض الله على عباده هو رجل، وأن من عرفهم فقد اكتفى بعلمه من غير عمل أي إذا عرفه بعينه وحده وثبت له في قلبه جاز له أن يتهاون.

وزعموا أن الفواحش التي نهى الله عنها هم رجال.

* وزعموا ما حرّم الله من نكاح الأمّهات والبنات والعمّات وغيرها من أصناف النساء إنما عنى بذلك نكاح نساء النبيّ صلّى الله عليه وآله وما سوى ذلك مباح كُله.

* أنهم يتردّفون المرأه والواحد.

* ويشهد بعضهم لبعض بالزور.

* يزعمون أن لهذا ظهراً وبطناً يعرفونه، فالظاهر يتناهون عنه ليدفعوا عن أنفسهم طعن الآخرين والباطن هو الذي يطالبون ويأمرون به.

ثمّ أنه أردف المفضّل أن هؤلاء رغم ما بلغه عنهم من هذه الامور فإنّه لم ير بهم إلا طريقاً هدياً حسناً وورعاً وتخشعاً، وهذا الذي زاد في استغرابه وتعجبه في شأنهم. ورغم كلِّ هذا الاستعجاب والاستنكار وتعاضمه عليه طلب من الإمام عليه السلام تفسير ذلك له، وهو عليه السلام لم يرفض

ص: ٥٢٨

وجود تفسير لذلك، رغم أنهم خلطوا معاني محرّفه مع ما سمعوه من حقائق غامضه.

ثم أخذ عليه السلام في توضيح واحد واحد من هذه الأمور.

نسبه القول بكفايه العقيدة

عن العمل إليهم وتفسير الإمام عليه السلام لها:

أمّا المحور الأوّل والثاني: فقَالَ عليه السّلام: «فأخبرك بحقائقها إنّ الله تبارك وتعالى اختار الإسلام لنفسه ديناً ورضى من خلقه...

وقد بسط الإمام الكلام في هذين المحورين مما يقرب من خمس صفحات.

ونلخص ما قاله عليه السّلام في تفسير هذه الأمور حيث إنّهُ عليه السّلام بسط البيان في ذلك لئلا يقع الالتباس في دقائق هذه المعاني وغوامض هذه المعارف وملخصه:

أنّ الله تبارك وتعالى اختار الإسلام لنفسه ديناً ورضيه من خلقه، فلم يقبل من أحد إلّا به، وبه بعث أنبياءه ورسله ونبّه محمد صلى الله عليه وآله فأصل الدّين [فأفضل الدّين] معرفه الرسل وولايتهم وطاعتهم، وهى أصل الحلال الذى أحله الله وفروع الحلال ما أحلّوه والمحرّم ما حرّموه، فأمرُوا شيعتهم وأهل ولايتهم بإقامه الصّلاه وإيتاء الزّكاه وصوم شهر رمضان وحجّ البيت

والعمرة وتعظيم حرّمات الله والمشاعر والبيت الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام والطهور ومكارم الأخلاق ومحاسنها وجميع البرّ.

وعدوّهم أصل الحرام المحرّم والشرّ وأصل كلّ شرّ، ومن عدوّهم تفرّع فروع الشرّ والحرام كلّهُ، حيثُ استحلّوا كلّ حرام من تكذيب الأنبياء وجحود الأوصياء وركوب الفواحش الرّنا والسّرقة وشرب الخمر والمسكر وأكل مال اليتيم والرّبا والجِدعه وركوب الحرام كلّها وانتهاك المعاصي، فشيوع كلّ هذه المحرّمات كأعراف وسنن سيئه في الأمم والقرون سببها وأصلها رجال بئوها وجذّروها في عادات النّاس، فَهَمَّ أصل كلّ حرام وولايتهم كعباده وثن، فإنّهم مجمع الرذائل ومنهم انتشرت في النّاس، كالعدوى التي تصيب الأصحاء ممّا هو أصل المرض فَهَمَّ منبع ومجسّمه كلّ الرذائل والمحرّمات.

وفي الطرف المقابل الأنبياء والرّسل والأوصياء همّ منبع الفضائل ومجسّمه الفضل، ومن روائحهم الطيّبه انتشر عبق الطيب في باقى النّاس، فَهَمَّ أصل الدّين واليقين والإيمان، وَهُوَ الإمام المنصوب من الله للهدى، فَمَنْ عرفه عرف الله ودينه وَمَنْ أنكره أنكر الله ودينه وَمَنْ جهله جهل الله ودينه، ولا يعرف الله ودينه وحدوده وشرائعه بغيره. فَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ معرفه الرجال دين الله. فَكُلَّ عباده وعمل صالح يعرف بالنبي ولولا معرفته والإيمان به والتسليم له ما عُرفَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَمْ يعرف شيئاً من هَذَا، وَهُوَ الذى دعا إلى كُلِّ ذَلِكَ ودلّ عَلَيْهِ، وعرّف البشر

وأمرهم به فأوجب الله للنبي عَلَى العباد الطاعه فلا يسعهم جهل مَنْ هُوَ فيما بينهم وبين الله، وَهُوَ الذى أتاهم بالدين. فكيف يَكُون الدّين غيره؟ وكيف لا يَكُون الدّين معرفه ذَلِكَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ وَإِنَّمَا ينكر الدّين بإنكار ذَلِكَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والتكذيب به، فَعُرِفَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ وَأَوْصِيَائِهِمْ وَأَطِيعَ بِطَاعَتِهِمْ وَهُمْ السَّبِيلُ إِلَيْهِ وَالْوَجْهَ الَّذِي مِنْهُ يُؤْتَى إِلَيْهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ تَعَالَى: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) (٨٠) (١).

فالفرائض كُلُّهَا فريضه واحده وَهِيَ طاعه هَذَا الرجل ومعرفته، فلا تغنى شهاده أَنْ لا إله إِلاَّ اللهُ بترك شهاده أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ولا يقبل الله مِنْ العباد العمل بالفرائض عَلَى حدودها إِلاَّ مَعَ معرفه مَنْ جاءهم به مِنْ عندهم ودعاهم إِلَيْهِ.

وَلَمْ يبعث اللهُ نبيًا قط يدعو إِلَى معرفه لَيْسَ معها طاعه فى أمر ونهى، أمر بالبرِّ والعدل والمكارم ومحاسن الأخلاق والأعمال، ونهى عَنِ الفحشاء ما ظهر مِنْهَا وما بطن.

وبيان هَذَا المقطع الأخير مِنْ كلامه أَنَّهُ إِنَّمَا يقبل اللهُ تَعَالَى بِقِيَّةِ الطاعات مِنْ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالْبَرِّ إِذَا كَانَ طاعه لله تَعَالَى، ولا تكون طاعه لله إِلاَّ بامثال أوامره المتعلِّقه بذلك الفعل، بِأَنَّ

ص: ٥٣١

يَكُونُ إِيْتَانُ الْفِعْلِ خُضُوعًا وَإِنْقِيَادًا لِتِلْكَ الْأَمْرِ الْمُتَعَلِّقِ بِذَلِكَ الْفِعْلِ وَأَمْرُهُ إِنَّمَا وَصَلَتْ إِلَيْنَا عَبْرَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَا يُمْكِنُ إِطَاعَتُهَا إِلَّا بِطَاعَةِ رَسُولِهِ. كَمَا أَنَّ بِنُودِ طَاعَتِهِ تَعَالَى قَدْ فَضَّلَهَا فِي كِتَابِهِ بِأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ أَيْ ضَمَّنَ ثَلَاثَ فُصُولٍ فَلَا تَتِمُّ طَاعَتُهُ تَعَالَى إِلَّا بِطَاعَةِ رَسُولِهِ وَطَاعَةِ أُولَى الْأَمْرِ مِنْ أَوْصِيَائِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْفَرَائِضِ فِي قِبَالِ سُنَنِ النَّبِيِّ وَمِنْهَا جُزْءٌ مِنْ أَوْصِيَائِهِ تِلْكَ الْفَرَائِضُ لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا إِلَّا عَبْرَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فَلَا تَتَحَقَّقُ طَاعَةُ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَةِ رَسُولِهِ، لِأَنَّهُ الْمُؤَدَّى عَنِ اللَّهِ فَرَائِضُهُ وَأَمْرُهُ، فَكُلُّ أَبْوَابِ الْعِبَادَاتِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ هِيَ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى طَاعَةُ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَفِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ هِيَ إِيْتَانُ لِلصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ وَبَقِيَّةِ الْفَرَائِضِ وَالْبِرِّ.

فَهَذِهِ الْأَعْمَالُ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ لَهَا هَذِهِ الْأَسْمَاءُ، وَمِنْ حَيْثُ اللَّبُّ فَهِيَ طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْ أَوْصِيَائِهِ، فَهُنَاكَ صَلَاةٌ ظَاهِرَةٌ وَهُنَاكَ لُبٌّ لِلصَّلَاةِ وَهِيَ الطَّاعَةُ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْفُقَهَاءُ أَنَّ رُوحَ الْعِبَادَةِ إِلَيْهِ وَإِلَيْهِ لَيْسَتْ إِلَّا قِصْدُ إِيْتَانِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ امْتِثَالًا وَطَاعَةَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ وَأَمْرَ أُولَى الْأَمْرِ، لِأَنَّ تِلْكَ الْأَعْمَالَ عِبَارَةٌ عَنِ مَجْمُوعِهِ مِنَ الْفَرَائِضِ وَسُنَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسُنَنِ أَوْصِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَلَا يُمْكِنُ تَحَقُّقُ عِبَادَتِهِ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ إِلَّا بِقِصْدِ امْتِثَالِ طَاعَةِ أَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمْرِ أَوْصِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. كَمَا لَا يُمْكِنُ طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأُولَى

الأمر من أوصيائه إلا بإتيان الصلاة الظاهره والصوم والحج والعمرة والزكاة، والاجتناب عن جميع حُرُمات الله، فمن زعم أنه إذا عرف الله ورسوله وأولى الأمر من قبله اكتفى بغير طاعه فقد كذب وأشرك ولم يعرف ولم يطع.

وإنما قيل: اعرف واعمل ما شئت من الخير فإنه لا يقبل عمل بغير معرفه، فإذا عرفت فاعمل لنفسك ما شئت من العمل قل أو كثر فإنه مقبول. فمن صلى وزكى وحج واعتمر وفعل ذلك كله بغير معرفه من افترض الله عليه طاعته، لم يصل ولم يصم ولم يزك ولم يحج ولم يعتمر ولم يغتسل من الجنابه ولم يتطهر ولم يحرم الله حراماً ولم يحلل الله حلالاً وإن ركع أو سجد وأخرج ماله، وذلك لأنه لم يأت بما هو العماد لذوات تلك العبادات وهو الطاعه لله ولرسوله ولأولى الأمر من أوليائه.

وروى الصَّفَّار بسنده عن حفص المؤذن، قال: كتب أبو عبد الله عليه السلام إلى أبي الخطاب: «بلغني أنك تزعم ان الخمر (الخمس) رجل، وأن الزنا رجل، وأن الصلاة رجل، وأن الصوم رجل وليس كَمَا تقول، نحن أصل الخير، وفروعه طاعه الله، وعدونا أصل الشر وفروعه معصيه الله، ثم كتب كيف يطاع من لا يعرف؟ وكيف يعرف من يطاع» (١).

يُستفاد من هذه الروايه وما قبلها قاعده مهيمنه على قاعده المثل

ص: ٥٣٣

١- (١) بصائر الدرجات، للصفار: ج ٢، ص ٥١٦، ح ٢، ب ٢١ فيه شرح أمور النبي صلى الله عليه وآله والأئمه في أنفسهم.

وبقيته قواعد التفسير ألا وهي قاعده «إن الأئمة عليه السلام حقائق الطاعات وأعداءهم حقائق المعاصى والفواحش» يلاحظ أن أصل بدء انتشار هذه القاعدة قد كان من أبي الخطاب، حيث أنه قد قام بروايه ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام ولم تكن هذه الروايه قد برزت إلى أحد من الرواه.

وأن أبا الخطاب وإن أساء فهمها وأخطأ في تأويلها إلا أنه هو الذى تصدّر روايتها عنه عليه السلام ومن ثم قام بقيه الرواه بالمسائله والاستفسار عن ذلك، وقد جمع المجلسى في البحار (١) في هذا الباب سبعة عشر روايه (٢).

ومفاد هذه الروايه في صدد دفع توهم أبي الخطاب من أن معالم الشرّ والفواحش إذا كانت مثلاً لأئمة الشرّ فيتوهم أن الظاهر غير مراد وإنما المراد هو التأويل فقط الممثل له، وهذا التوهم باطل في ميزان تفسير الكلام وتفسير آيات الكتاب، فإن كون الظاهر مثلاً لما وراءه لا يعنى عدم تعلق الإراده الجديّه بالظاهر وبالمثل، بل إنما الإراده الجديّه طبقات يعقب بعضها بعضاً، ويتلو كل منها الآخر، وهذه ضابطه بالغه الخطوره في توضيح قاعده المثل، فإن ما ذكرناه من هذه القاعدة بجهاتها العديده لا يعنى بحال من الأحوال أن المثل ليس بمراد جداً ظاهره وتنزيله، بل هو مراد جداً وحقيقه، إلا أن مراتب الحقيقه والإراده الجديّه ذات

ص: ٥٣٤

١- (١) بحار الأنوار: ج ٢٤، ٢٨٦-٣٠٤.

٢- (٢) بحوث في مباني علم الرجال للشيخ السند: ج ٣، ص ٢٢٢، الغلو والفرق الباطنيه.

طبقات، وَهَذَا مِيزَانٌ فِي قَاعِدِهِ الْمِثْلُ بِالْغِ الْأَهْمِيَّةِ.

كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي قَاعِدِهِ الْجَرِي، فَإِنَّ جَرَى الْآيَةِ مِنْ مَوْرِدِ نَزْوْلِهَا وَتَنْزِيلِهَا إِلَى مَوْرِدِ أُخْرَى لَا يَعْنِي أَنَّ مَوْرِدَ النِّزْوَلِ وَالتَّنْزِيلِ لَيْسَ مُرَادًا جَدًّا، بَلْ غَايَتُهُ جَرَى الْآيَةِ وَالْمَعْنَى إِلَى مَوْرِدِ أُخْرٍ، وَرَبْمَا تَكُونُ الْمَوْرِدُ الْأُخْرَى مَرَادَهُ بِنَحْوِ أَهْمٍ وَأَبْلَغُ خَطْوَرَهُ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي عَدَمَ إِرَادَةِ مَوْرِدِ التَّنْزِيلِ الْأَقْلَ أَهْمِيَّةِ.

وَنظِيرُ الرُّوَايَةِ السَّابِقَةِ فِي دَفْعِ هَذَا التَّوَهُّمِ مَا رَوَاهُ فِي بَصَائِرِ الدَّرَجَاتِ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَقُولُوا لِكُلِّ آيَةٍ هَذِهِ رَجُلٌ وَهَذِهِ رَجُلٌ، مِنْ الْقُرْآنِ حَلَالٌ، وَمِنْهُ حَرَامٌ، وَمِنْهُ نَبَأٌ مَا قَبْلَكُمْ، وَحَكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ وَخَيْرٌ مَا بَعْدَكُمْ فَهَكَذَا هُوَ» (١).

وَمَفَادُ هَذِهِ الصَّحِيحَةِ عَيْنٌ مَا تَقَدَّمَ فَإِنَّهُ وَقَعَ الْوَهُمُ بِأَنَّهُ إِذَا أُرِيدَ مِنَ الْآيَاتِ أَثْمَةُ الْهُدَى أَوْ أَثْمَةُ الشَّرِّ، أَوْ أَثْمَةُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، فَإِنَّهُ يُتَوَهُّمُ عَدَمَ إِرَادَةِ الظَّاهِرِ مِنْ أَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمِنْ قِصَصِ مَا مَضَى مِنَ الْأُمَمِ وَنَبَأٌ مَا يَأْتِي مِنَ الْأُمَمِ، وَحَكْمٌ فَضْلٌ اخْتِلَافِ الرَّاهِنِ الْحَاضِرِ فِي الْأَمَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ أُكِّدَ فِي رَوَايَةِ الْمُفَضَّلِ الْمُتَقَدِّمَةِ، عَلَى أَنَّ الدِّينَ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ فَلَا بَاطِنَ بِلَا ظَاهِرٍ وَلَا ظَاهِرَ بِلَا بَاطِنٍ، أَيْ كِلَا مِنْهُمَا مُرَادٌ فِي مَوْطِنِهِ وَمَحَلِّهِ، وَهَذِهِ قَاعِدُهُ عَظِيمَةٌ كَمِيزَانٍ مُهَيَّمِنٍ عَلَى قَوَاعِدِ التَّفْسِيرِ

ص: ٥٣٥

وهو مفاد ما رواه فى بصائر الدرجات عن الهيثم التميمى، قال: - قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا هيثم التميمى إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن، فلم ينفعهم شىءٌ وجاء قومٌ من بعدهم فأمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً ولا إيمان بظاهر إلا بباطن ولا بباطن إلا بظاهر»(١).

فتحصل من جميع الروايات السابقة ما يلى:

أولاً: إن هذِهِ الروايات بَعْدَ مَا تَقَدَّمتْ مِنْ عِدَّةِ جِهاتٍ مِنْ ضَرْبِ الأمثالِ الحسنةِ لأهلِ البيتِ عليهم السلامِ فى القرآنِ والسيئهِ لأعدائِهِم، تشيرُ الرواياتِ إلى قَاعِدِهِ فى المثلِ يجعلُ مِنْ قَاعِدِهِ المَثَلِ فى القرآنِ مقاربهِ لقَاعِدِهِ الجرى بأنْ يَكُونُ كُلُّ ما ذُكِرَ مِنْ معالمِ الدينِ وما هُوَ حَسَنٌ مَثَلٌ ضربه اللهُ لأهلِ البيتِ عليهم السلامِ، وَكُلُّ ما هُوَ مِنْ المحرماتِ والفواحشِ وعناوينِ الشُّوءِ فَهُوَ مَثَلٌ لأعداءِ أهلِ البيتِ عليهم السلامِ، وَهَذَا يُعْطى أوسعِ قَاعِدِهِ المَثَلِ مِنْ التمثيلِ، كَمَا مَرَّتِ الإِشارةُ مِنْ أوسعِ مَوْضوعِ قَاعِدِهِ المَثَلِ والأمثالِ مِنْ التمثيلِ والتشبيهِ، وأنَّ جملةَ الحقائقِ المذكورةِ فى القرآنِ هِيَ أمثالٌ لحقائقِ أكبرِ مِنْهَا وأعظمِ.

ثانياً: كما تبيّن من الروايات وأمثالها من الروايات المُستفيضه تفسير نمط هذا اللسان فى الروايات حيث أن بعض المُتكلّمين أو

ص: ٥٣٦

الرجاليين يُتوهم منه أنه من وضع الغلاة، أو من وضع الخطابيّه الذي توهموا استباحه تزك أركان الشريعة والفروع بمجرّد الولايه، بينما المراد ما قدّمنا من أن لكل حقيقه تأويل فى عالم الآيات الكبرى المخلوقه وكلمات الله التّامات، وأن الحقيقه الكبرى للحقائق هم أهل البيت عليهم السّلام، وأما معالم الظلمه والظلام فهى كنايه وإشاره لأعدائهم، كما أن كلامه عليه السّلام فى روايه المفضّل بن عمر وافى بتوضيح ذلك.

فهرس الموضوعات

هويه الكتاب ٤

القاعده الخامسه ٥

المنهج التفسيري لأومومه الولايه على المحكمات ٧

المقدمه ٩

قاعده الجرى بمعنى تطبيق أو تعيين ٢١

الأمر الأول: معنى القاعده: ٢٢

تفسير لقاعده الجرى والتطبيق أو التغير ٣٣

توطئه: ٣٣

القاعده الأولى: الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ ٣٩

تعريف الشىء بغاياته من أكمل تعاريف الشىء ٤٣

تأكيد القرآن وأهل البيت عليهم السلام ٤٥

العلاقه بين القاعدتين ٤٧

خذ الغايات واترك المبادئ والجرى والتطبيق أو التعبير ٤٧

ص: ٥٣٩

القاعده الثانيه: هل اللغه ألفاظ وأصوات فقط ٤٩

عالم المعانى لغه من اللغات: ٥٠

مطلب هام ذى صلته بالمقام ٥٥

الأقوال أو النظريات فى تفسير قاعده الجرى والتطبيق ٥٩

تمى من حقيقه المدلول الاستعمالى عن الجدوى: ٦٥

الفرق بين المعنى التنزيلى والمعنى التأويلى والاستعمالى: ٦٩

وأما معنى التعبير ب - [اللفظ تنزيه هكذا]: ٧٣

بيان موقف: ٧٣

خواص ومميزات النظرية الأولى ٧٥

النظرية الثانية فى قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير ٧٩

قاعده الجرى والتطبيق (أو التعبير) ٧٩

لا تختص بنظام الاستعمال اللفظى: ٧٩

التعبير والترجمان جرى ولغته تفاهم ٨٧

بين العالم الربوبى وعالم المخلوقات: ٨٧

أوسعيه تعدد المعانى بمقتضى النظرية الثانية ٨٩

تنبيهان ٩٢

ص: ٥٤٠

ربما يعبر عن علم التشريع والتنظير بعلم الشريعة: ٩٦

عزل التطبيق عن التنظير يُعَدُّ التصنيف الموضوعي ٩٨

للآيات حسب النظرية الأولى: ٩٨

عدم جرى أصناف الآيات حسب النظرية الأولى ٩٩

في موضوع أصناف أُخْرَى مِنْ الآيات: ٩٩

تماهى حدود الآيات بمقتضى النظرية الأولى ١٠٤

وانضباطها على النظرية الثانية: ١٠٤

عموم التخاطب والمشافهه في قاعده ١٠٩

الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير ١٠٩

تعمق إشكال حججه الظهور بالمخاطبين والمشافهين: ١٠٩

هل التأويل حاكم على التنزيل (التفسير) أو العكس ١١١

علم التأويل المتأخر رتبه ١١٥

تعدد علم التأويل ومفارقتة عن التفسير: ١١٦

منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات ١١٩

المحور الأساسى فى قاعده الجرى ١٢٣

الفوارق العمليه بين النظريتين ١٢٩

ص: ٥٤١

عالم التطبيق لا صلح له بالألفاظ والمعاني الذهنيه ١٣٩

النظريه الثانيه تُسائل النظريه الأولى: ١٤١

المخاطب الأصلي في القرآن هو النبي وأهل بيته ١٤٥

ولاده الروح أعظم من ولاده البدن: ١٤٧

وقاعده الجري والتطبيق أو التعبير: ١٤٧

المصاديق الأتم للطبيعه تتجلى فيها آثار الطبيعه ١٥١

تعدد مراتب المعنى الجدى: ١٥٢

تعدد كل مراحل المعاني: ١٥٤

تعالى معانى القرآن على النظرية الثانية: ١٥٧

تنوع دلالة الآية الواحد في علوم شتى ١٥٨

على النظرية الثانية: ١٥٨

قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير ١٦١

قاعده الجرى واستفاده التوحيد في عالم الصفات ١٦٧

منهج أمومه الولايه يرسم منهاج نظريه المعرفه الدينيه ١٧٣

جداره تفسير القرآن بالقرآن للسيد العلامة الطباطبائي قدس سره: ١٧٤

القاعده: قاعده في موقعها الصحيح ١٧٧

ص: ٥٤٢

التفاتان وثمرتان نفستان في قاعده الجرى ١٧٩

الحقيقه أحرى بالاتباع: ١٨٠

إعاده كتابه قواعد علم البلاغه ١٨٢

علی ضوء علم الألسنيات وتعدد القراءه: ١٨٢

علم التأويل يزيل تشابه القرآن ١٨٧

التفسير بالمأثور وشموليته ١٩١

أمومه التأويل ١٩٧

النمط الأول: ثمره عامه: ١٩٩

النمط الثاني: الثمره الخاصه ٢٠١

لقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير: ٢٠١

الثمره الأولى: تحديد علم التأويل في القرآن عن تفسيره: ٢٠١

علم التأويل قطب تدور عليه قطب رحي علم تفسير القران ٢٠٣

قطب رحي علم تفسير القرآن: ٢٠٣

التفسير والتأويل جناحان في القرآن الكريم: ٢٠٥

تلاوه المعانى أهم من تلاوه الألفاظ في القرآن الكريم ٢٠٧

أمثله تطبيقه لقاعده الجرى ٢١١

ص: ٥٤٣

تنوّع الاستفادة من الآيه الواحده ٢١٧

لعلوم شتى على النظرية الثانية: ٢١٧

الإمامه والعمل الأمنى ٢٣٧

اهتمام القرآن بجانب الشرور الواقعه جرياً كقاعده ٢٤٩

تنبيه هام ٢٥١

خاتمه ٢٥٤

قاعدته الذكر في القرآن الكريم ٢٥٩

الذكر في القرآن الكريم ٢٦١

الإعجاز البلاغى في القرآن ٢٧٩

حقيقه الإعجاز في القرآن وصله ذلك بأن حقيقته ذكر: ٢٨٠

السرفى عدم اكتشاف إعجاز القرآن ٢٩٥

طبيعته حقيقه القرآن أنه يفعل كل علم: ٢٩٨

ما معنى الذكر ٣٠١

من الضروريات للمفسر تأسيس الجنبه العلميه ٣٠٣

والعمليه التطبيقيه: ٣٠٣

الذكر بمثابه الأصل الذى ينحدر منه القرآن الكريم: ٣٠٥

ص: ٥٤٤

ضروره تأسيس الجانب العملي للمفسير في قاعدته الذكر: ٣٠٧

الحقيقه لا تقتنص بالتنظير الفكري فقط: ٣٠٨

تأثير العدالة والتقوى على الجانب العملي: ٣٠٩

الشعائر الحسينيه وقاعدته الذكر: ٣١٣

الطهاره الروحيه ودخالته في جانب التفسير: ٣١٤

أهم مميزات قاعدته الذكر ٣١٥

الفرق بين الندبه بالذكر والندبه بالنياحه: ٣١٧

ارتباط حقيقه الذكر بالوحي ٣١٩

الذكر ميزان في الكشف عن الوحي: ٣١٩

أهم الشرائط المعتمده في المُفسّر للقرآن الكريم ٣٢١

الإشارات القرآنيه للخواص ولطائفه للأولياء ٣٢٥

ليس كل تهذيب أخلاقي ذكر: ٣٣٠

صفتان مختصتان بالنبى الأكرم صلى الله عليه وآله: ٣٣٢

نتفه عقائديه: ٣٣٤

طبيعه العلاقه بين قواعد منهج أمومه الولايه ٣٤١

قاعده الذكر بالمعنى الذى ذكرناه: ٣٤٣

ص: ٥٤٥

المعاني الأخرى لقاعده الذكر: ٣٤٤

الفرق بين نداء القرآن ٣٤٥

وعرض أصحاب علم الهندسه الصوتيه: ٣٤٥

الفرق بين القرآن الكريم كقاعده ذكر وبين الشعر: ٣٤٧

كيفيه اكتشاف قواعد الذكر: ٣٥٠

الذكر نظام في العلوم يوظفها إلى الكمال ٣٥٣

قاعده الذكر: قاعده استراتيجيه ٣٥٣

أو ناظوم لعلوم التفسير وميزان معادلي: ٣٥٣

الذكر: هو أحد معاني أشهر أنك تلوت الكتاب حق تلاوته: ٣٥٤

يفترق تفسير المعصوم عليه السلام عن غير المعصوم: ٣٥٥

المفسر الناجح من يستطيع التمييز بين الآيه الأم وغيرها ٣٥٧

بل اكتشاف مجموع الآيات التي تشكل نظام ٣٥٧

ومنظومه الأمومه في القرآن ٣٥٧

علاقه قاعده الذكر بمنهج أمومه الولايه على المحكمات: ٣٦٠

أهميه وخطوره علم التفسير ٣٦٤

في تنظيم متطلبات أفراد المجتمع في يومياتهم: ٣٦٤

ص: ٥٤٦

فرق القرآن الذي يقودك إلى الذكر ٣٦٥

عَنْ بَقِيَّةِ الْعُلُومِ الرُّوحِيَةِ الْآخَرَى ٣٦٥

الَّتِي لَا تَقُودُكَ إِلَى حَالِهِ الذِّكْرُ: ٣٦٥

أهم ثلاث مميزات لقاعده الذكر ٣٧٥

الفهرس الإجمالي لقاعده الأمثال ٣٧٩

القاعده السابعه: قاعده الأمثال ٣٨٣

الكلام فى قاعده الأمثال يقع فى جهات ٣٨٧

الجهه الثَّانِيه: نذكر فيها أمرين: ٤٠١

الأمر الثَّانِي: مدرك القَاعِدَه مِنْ الآيَاتِ وَالرُّوَايَاتِ: ٤٠١

قراءه الأمثال بلغه عقلية فكريه: ٤٠٨

الجهه الثالثه: القرآن الكريم اعتمد أسلوب المَثَل ٤١١

مِنْ ضَمْنِ أُسَالِيْبِ عَدِيْدِهِ اعْتَمَدَهَا، ٤١١

كَمَا نَبَّهَتْ عَلَيْهِ رُوَايَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ٤١١

الجهه الرابعه: ارتباط أسلوب المَثَل بالتعريض: ٤١٢

المثل تسميه واسم ولقب وتوصيف وعِبْرٌ وَآيَه: ٤١٣

الترادف العقلى: ٤١٥

ص: ٥٤٧

الترادف الوجودى: ٤١٦

الأحكام الشرعيه السابقه يمكن أن تكون مثلاً: ٤٢٤

الفرق بين المثل البلاغى والمثل القرآنى: ٤٢٥

المثل فى علم البلاغه تشبيه له حقيقه ٤٢٥

حسب نظريه السيّد علامه الطباطبائى قدس سره: ٤٢٥

العلاقه بين قاعده المثل، وقاعده الجرى ٤٢٩

الجهه السادسه: نظام حقائق القرآن: ٤٢٩

المثل منهج معرفى ٤٣٣

الجهه السابعه: أساليب القرآن الثمانيه ٤٣٣

برهانيه وليس لمجرد إقناع: ٤٣٣

عموم البرهان لكل العلوم وقوى النفس: ٤٣٣

عموم الكشف البرهانى والشهود ٤٣٥

والبرهان العيانى لكل قوى النفس: ٤٣٥

الفوارق بين القسمين: ٤٣٦

الجهه الثامنه ٤٤٥

الفرق بين ضرب المثل، وجعل المثل، وصرف المثل ٤٤٥

ص: ٥٤٨

الوجه التاسع: حقيقه استعمال المثل ٤٥١

في القرآن الكريم والحقائق القرآنيه: ٤٥١

الوجه العاشره: [ليس كمثله شيء] (.): ٤٥٥

الأوصاف القرآنيه للجنه حقائق أم تمثيل ٤٦١

[قاعده المثل ونظريه المعاد]: ٤٦٣

الوجه الثانيه عشر: إن قصص الأنبياء والمرسلين ٤٦٥

والمصطفين مثل لآل محمد صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم: ٤٦٥

بيان القرآن لحقيقه عظيمه في قصص الأنبياء: ٤٦٨

نماذج التفضيل القرآني لأهل البيت عليهم السلام ٤٧٠

على بقيه أنبياء أولى العزم عليهم السلام: ٤٧٠

الأمثال على طبقات كذلك الأسماء: ٤٧٤

حالات الأسماء: ٤٧٥

حقيقه الاسم الإلهي: ٤٧٥

الغرض من مبحث الأسماء: ٤٧٦

صله وطيده بين حقيقه الإمامه والولاية ٤٨١

وحقيقه القرآن وعلاقتها بقاعده الأمثال: ٤٨١

ص: ٥٤٩

أحاديث البعد والقول في النظر ٤٨٤

سبب انحراف بعض الفرق المحسوبه على الإسلام: ٤٨٤

الأمثال على طبقات: ٤٨٧

صله قاعده الأمثال بأقسام الوحي وأنواعه وأسراره ٤٨٩

صله أن للقرآن ظهر وبطن بمبحث الأمثال: ٤٩١

لماذا لم تذكر دلائل إمامه أهل البيت عليهم السلام ٤٩٢

في القرآن كما في ذكر موسى وعيسى عليهم السلام: ٤٩٢

نتفه عقائديه: ٤٩٢

لم يصرح القرآن الكريم بأن قصص الأنبياء عبره: ٤٩٣

الجهه الثالثه عشر: تقابل مثل أهل البيت عليهم السلام ٤٩٧

وأعداؤهم في القرآن: ٤٩٧

البرهان الأول: برهان العبره في المثل: ٤٩٧

البرهان الثاني: برهان الجرى: ٤٩٨

توسعه القاعده عموميه الجهه والقاعده ٥٠١

البرهان الثالث: المثل والأمثال ٥٠٢

اسم وتسميه وتوصيف ووصف: ٥٠٢

ص: ٥٥٠

البُرْهَانُ الرَّابِعُ: ٥٠٣

الجِهَةُ الرَّابِعَةُ عَشْرَ: ٥٠٧

المِثْلُ الأَعْلَى وَمِثْلُ السُّوءِ ٥٠٩

السَّيْرُ فِي المَعْرِفَةِ لَا يَنْتَهِي ٥١٣

الجِهَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَ: أَنَّ الَّذِي لَا يُعْتَبَرُ ٥١٣

وَلَا يُعْبَرُ بِالمِثْلِ إِلَى مَا وَرَاءَ يَضِلُّ: ٥١٣

الجِهَةُ السَّابِعَةُ عَشْرَ: الثَّمَرَةُ الكُبْرَى لِقَاعِدَةِ المِثْلِ: ٥١٤

الطَّعُونُ الوَارِدَةُ عَلَيْهِمُ مِمَّا أَثَارَ إعْجَابَ المَفْضِلِ: ٥٢٤

تَمْيِيزُ الإِمَامِ بَيْنَ الحَقِّ مِنْ كَلَامِهِمْ ٥٢٥

والباطل وبيان أساس الانحراف: ٥٢٥

نَسْبَةُ القَوْلِ بِكُفَايَةِ العَقِيدَةِ ٥٢٩

عَنْ العَمَلِ إِلَيْهِمْ وَتَفْسِيرِ الإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهَا: ٥٢٩

فَهْرَسُ المَوْضُوعَاتِ ٥٣٩

ص: ٥٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

